اللّطائِفُ الدِّعَانِتَ الملكوتيَّة وانحقّائُق الدِصانِتِ الجَبِّرُوتِية في رَسِيا الْمُلِ الْعُلَافِيُّ وَاللّهِ رَسِيا الْمُلِ الْعُلَافِيُّ وَاللّهِ الشرق المحمد من محت المحتاة المحمد المحتاق والمحتاق المحتاق ا

١- شرّع خميّة ابْن الفَارضُ ا

٢- شرُّح نونتَةِ الإمَام الشَّشتريُّ

٣- شرُّع صَكَرَة القطبُ ابن مُسَيِّش

٤- بترقع قصيَّرة ايامه تعاظم الدِّمام لرَّفاعِيُّ

٥- معرَّاع السَّتَوْنَ إِلَىٰ حِقَائُو اِلْفَتُونَ

٦- شرُّح صَكَاةَ الشيخُ الأُكْبَرَابُ عَرَيْ

٧- ہلك الدُّرِرْ فِي ذَكْرَالعَضَاء والقدَرَ

٨- بترُّع بَعَضُ مَعْتَطِعَا بِبَالسَسْتَرِيُّ

٩- شرُّع الأبليات التلاثة للجُنيَدُ

خسَطِهًا وصمَعَهُا دعَنْدعَلَيْهَا الشَّيخ الذَكِتررعَاص إبراهيم الكَيْكالي الحشيني الشاذي الدرقادي



المشيئة الأرافية الأرافية الكان من الكان المنطقة الكان الكان المنطقة الكان الكان المنطقة الكان ال



اللَّطا يُفُ الإيمانيت الملكوتيَّة والحَقَا لَقِ الاجسانيت الجَبَرُوتية فن

برسبائل معرف بالله برسبائل معرف بالله الشيخ الجدادة المسيخ

(_ شرَّح خمريّة ابْن الفَارضُ

م _ شرُّح نونتَّةِ الْامَامِ الشَّشْتَرِيُّ

٣ _ شرُّح صَكَرَة العَطِيُّ ابن مَسَّيِّش

ع _ شرّح قصيرة "بامد تعاظم" بيلامام لرّفاعي

٥ - معرَّاج التَسْوُفُ إِلَىٰ حِقَائِق الصَّوْفُ

٣ _ شرُح صَكَرة الشيخ الأكبرابن عَربي

٧ _ سلك الدُّرِرُ فِي ذَكْرِالقِضَاءُ والقَرَّر

٨ - شرُّح بعض مقتطعا بالششتري

مَرْع الْاُبِيَات السَّاليثة للجُنسَرُ

ضكطها وصخفهٔ وعَلَق عَلَيْهَا المِثَيْخِ الدَّكِتُّ رَعَامِمُ إِبْرَاهِيمِ الكَيْالِمِيْتِ الحُسَيَنِي الشّاذلِي الزّرْقِاوِيُّ



دارالكنب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنــة 1971

Title: Al-laṭā'if al-'īmāniyah al-Malakūtiyah wal-ḥaqā'iq al-'iḥsāniyah al-Jabarūtiyah fī rasā'il al-'ārif bi-Aliāh al-šayḥ Aḥmad ben 'Ajibah al-Ḥasani (9 Sufistic works of Ibn 'Ajībah)

Author: Aḥmad ben 'Ajībah al-Ḥasani

Editor: Dr. CĀṣim Ibrāhīm Al-kayāli

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 328

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: اللطالف الإيمانية الملكوتية والحقالق الإحسانية الجبروتية في رسائل العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني

المؤلف: ابن عجيبة

المحقق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الناشر؛ دار الكتب العلميــــة ــ بـيروت

عدد الصفحات: 328

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



متنشوات كالشاقطين بينوث



دارالکنې العلمية شخير

جميع الحقوق محفوظــة Copyright

All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقسوق اللكيسة الانبيسة والفنيسسة محفوظيسة

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmivah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-limíyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est lilicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطيعسة الأولى ٢٠٠٦ م.١٤٢٧ هـ

منسات الآرافية بيون دارالكنب العلمية

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

فسرع عرمون، القبيسة، مبسنى دار الكتب العلميسسة Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

ص به ۹۹۲۱ – ۱۱ بیروت - لبنان ریاض الصلح - بیروت ۲۱۹۰ ۱۱۰۷

http://www.al-llmiyah.com e-mail: sales@al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ النَّهَٰنِ الرَّحِيمَ يَرْ

تقديم

بسم الله الأول والآخر والظاهر والباطن احتجب عن العقول والأبصار وتجلى للأرواح والبصائر، ليس كمثله شيء من حيث ذاته، وهو السميع البصير من حيث أسماؤه وصفاته، أثبت الأكوان بقيوميته ومحاهم بأحديثه، كان ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.

والحمد لله المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص، والغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه، خالق الخلق من العدم على غير مثال سبق بقدرته على وفق ما خصصته إرادته وكشفه علمه.

والصلاة والسلام على مجلى الوجود الحقي ومادة الوجود الخلقي، أحدي الكمال وواحدي الجلال والجمال، الأول بروحه والآخر بجسده، قرآن الذات، وفرقان الأسماء والصفات، باب الحضرة ومنتهاها، والرحمة المهداة لعوالم الملك والملكوت، والمتحقق بسر الجبروت، الإنسان الكامل والخليفة الحقيقي، والقدوة الحسنة للأنموذج الإنساني في أرض ملك جسمه وسماء ملكوت قلبه، وجبروت سر روحه، بما بعث له به من الدين الكامل: الإسلام والإيمان والإحسان.

وعلى آله الطيبين الطاهرين من دنس وهم الأغيار المتحقيقين بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ۞ وَبَعْنَ وَجَهُ رَبِّكَ ذُو الْمُلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ۞ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وعلى أصحابه الأخيار المتخلقين بأنوار مقامات وأحوال رسول الله على فكانوا نجوم الاقتداء والاهتداء مصداقاً لقوله على: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديم».

وبعد ففي إطار نشر كتب التصوف الإسلامي التي نقوم بتحقيقها وتنقيحها وضبطها وتصحيحها وتنسيقها والتعليق عليها خدمة لمقام الإحسان المكون للركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل بعد ركني الإيمان والإسلام، نقدم للقراء الكرام مجموعة من مؤلفات الأستاذ الكبير المربي العارف بالله تعالى والوارث المحمدي الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني جمع فيها الكثير من اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية . وهذه المؤلفات هي التالية:

- ١ ـ شرح خمرية سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض قدس سره.
 - ٢ ـ شرح نونية الإمام أبي الحسن الششتري قدس سره.
 - ٣ ـ شرح صيغة صلاة القطب عبد السلام مشيش على النبي ﷺ.
 - ٤ ـ شرح قصيدة يا من تعاظم للقطب أحمد الرفاعي قدس سره.
 - ٥ ـ معراج التشوف إلى حقائق التصوف.
- ٦ ـ شرح صيغة صلاة الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربي الحاتمي قدس سره.
 - ٧ ـ شرح سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر.
 - ٨ ـ شرح بعض مقتطفات الإمام أبي الحسن الششتري.
 - ٩ ـ شرح أبيات الإمام الجنيد: توضأ بماء الغيب...

هذا ونشير إلى أن الفضل في جمع ونشر هذه التآليف لأول مرة يرجع إلى الأستاذ الفاضل عبد السلام العمراني الخالدي الذي صحب أكابر بني عجيبة وجمع من مؤلفات الشيخ أحمد بن عجيبة ستة وعشرين ما بين شريعة وطريقة وحقيقة، طرائق إيمانية ملكوتية، وحقائق إحسانية جبروتية، من تآليف العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوّف تساعد المُريد على الإطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطلع على الحكم والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقّق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِينُ ﴿ الججر: ٩٩]. كل ذلك بإشراف

ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي على علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، والشريعة والطريقة والحقيقة، المُلْك والملكوت والجبروت؛ مصداقاً لقوله على: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله على: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخلون دينكم».

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني (*) (... منتصف القرن ١٣)

هو الشريف الحسيب، قطبُ دائرة الولاية الكبرى، ومنبعُ أسرار أهلِ الحقيقة، شيخ الطريقتين، وعُمدة الفريقين، وليُّ الله الأكبر، وغوثُه الأشهر، سيدنا ومولانا أحمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي.

كان رضى الله عنه من أهل التمكين، تلقّى في بدايته العلومَ الشرعية.

وكان رضي الله عنه يلبسُ الملابس الحسنة، ومالَ إلى طريق التصوف فأخذَ أنوارَ الطريقة، وتلقّى أسرارَ الحقيقة من أستاذه فردِ هذه الطائفة سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه، ولقّنه العهودَ، والأوراد، والذكر، وقال له: يا أحمد، يا ولدي، شروطُ الطريق عندنا الصدقُ والمحبة. وقال رضي الله عنه: فقلتُ له: يا سيدي، نحبُ أن تكتبَ لنا ذلك في كاغد^(۱). قال: فكتبَ لي بذلك، ولمّا خلوتُ بنفسي، نظرتُ إلى الكاغد، وقرأتُ ما فيها، ففتح عليً في الحسين، وصرتُ من أهل الحقائق والتمكين.

وبلغ رضي الله عنه وأرضاه مقاماتِ العارفين بصدقه وحبه، فخلعَ ما كان عليه من الثياب، لمّا فُتحت له الأبواب، وناداه منادي الأحباب: ما هذا الحال يا ابن عجيبة؟ فأفيضت عليه الأنوار، فارتدى مرقعة وإزاراً، وعلّق سبحته وقِرابه في عنقه كما هو شأن الأخيار، وصار يمرُّ في الأسواق معلقاً قرابه في

^(*) مقتبسة من كتاب (طبقات الشاذلية الكبرى) المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية للشيخ محمد الكوهن الفاسى المتوفّى سنة ١٣٤٧هـ.

⁽١) الكاغِدُ: القرطاس (ورق الكتابة) فارسي معرب، والجمع كواغد، (القاموس المحيط).

⁽٢) القِرابُ: غمد السيف والسكين والجمع قُرُبٌ وأقربة.

عنقه، لابساً لمرقعته وسبحته، وهو يقول بأعلى صوته: الله الله، أش هادي الغريبة؟ لو كان العلم يغني عن الحال، ما يعلّقُ القرابَ ابنُ عجيبة.

واستمرَّ على هذا الحال حتى نال ما نال، وتكلَّمَ على أسرار أهل الكمال، فأبدى علوماً غريبة، وأسراراً عجيبة، وأجمعت على ولايته أهلُ المغرب بأسرها، وتبرَّكوا بتقبيل يديه، وأقبلتِ الوفود عليه، وكان قدَّس الله سرَّه نظره إكسيراً، إذا أتاه أو التقى معه مَنْ يَعرفه يرقيه في ميدان «حسنات الأبرار سيئات المقربين» (۱)، حتى كثرت على يديه الأبتاعُ والمريدون.

ومن يطالع شرحه على «الحكم» يعرفُ قدرَه ومكانته عند ربه، وكان شرحه لهذه «الحكم العطائية» يأمر مَنُ لا تسعه مخالفته فردِ الطائفةِ الشاذلية أستاذِه وموصلِه بسلسلة الأنوار سيدي محمد البوزيدي، قال قُذس سرّه: وجلله هذا الشرح الذي نقيّدُه إنما هو مواهبُ؛ لأني أكتبُ الحكمة ولا أدري ما أكتبُ، فأقف مفتقراً إلى ما عند الله.

وله تآليفُ وشروح كثيرة، منها: كتاب «قواعد التشوف في حقائق التصوف»، وله تفسيرٌ للقرآن في الظاهر والباطن، قال قدِّس الله سرَّه: إذا أردتُ أن نتكلِّمَ في التفسير أو غيره نشرع في الكلام، ثم نغيب، فكنت نحسُّ بالكلام يخرج متي من غيرِ اختيار، كأنَّه السَّحابُ، فتصدُر متي علومٌ وحكم، ولقد حضر معنا ذات يوم رجلٌ كبيرُ السن، فسمعَ ذلك، فقال: واللَّهِ، لقد حضرتُ مجالسَ العلماء والصالحين، واللَّهِ، ما رأيتُ مثلَ هذه الجواهر واليواقيت التي تخرجُ من سيّدي أحمد بن عجيبة، وذلك كلَّه ببركةِ صحبة أشياخنا، فجزاهم الله عنًا أحسنَ جزائه.

ومن تفسيره عند قوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمُلَيَّكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّيِّ ... ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وأمّا كونها _ أي الصلاة _ تقومُ مقامَ الشيخ في دخوله مقامَ الفناء

⁽١) أورده علي القاري في الأسرار المرفوعة [١٨٦]، والهروي في المصنوع، [١١٠/١] والعجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (١١٣٧) [١/٤٢٨].

⁽٢) انظر: الأعلام ١/ ٢٤٥.

والبقاء حتى تعتدل حقيقتُه وشريعته، فلا تنقطع رعوناتُ (١) النفس إلا بآمرٍ وناه من غيره، يكون عالماً بدسائس النفوس وخدعها، وغايةُ ما تُوصل إليه الصلاح على رسول الله على أن لم يظفر بالشيخ الفناءُ في الصفات، وينالُ مقامَ الصلاح الأكبر، وتظهرُ له كراماتُ وخوارق، ويكون من أربابِ الأحوال، وإن وصلَ إلى مقام الفناء، تكون شريعتُه أكبرَ من حقيقته، هذا ما ذقناه وسمعناه من أشياخنا، والطريق التي أدركناهم يستعملونها، وأخذنا عنهم أنهم يأمرون المُريد إن رأوه أهلاً للتربية أن يلتزمَ الاسمَ المُفرد، ويفنى فيه حتى تنعدمَ عوالمه، فإذا تحقَّقَ فناؤه، وغابَ عن نفسه ورسمه، ردُّوه إلى مقام البقاء، وحينئذِ يأمرونه بالصلاة على رسول الله على وحه وسرّه بلا على رسول الله على الله على الماهد ربه.

أقول: ولهذا كانت الطريقة الشاذلية بدايتُها نهاية غيرها، ونهايتُها تحقيقٌ فافهم.

وتاكيفه قدَّس الله سرَّه، ونفعنا به عليها لوائح نفثات أهلِ المعرفة الكُمَّل، فإنه أعُطي رضي الله عنه ناطقة أسرارِ أهل الله، وأدركَ مقامات العارفين بربّهم، حتى عُدَّ قطبَ الزمان، وواحدَ الأوان.

وكلامه قدَّسَ الله سرَّه عالى، حلَّ مشكلات القوم، وفكَّ طلاسمَ أسرارهم، وتكلَّمَ بما أبهرَ عقولَ الأعيان.

توفّي قدَّس الله سرَّه في منتصف القرن الثالث عشر (٢)، ومقامه بالمغرب مشهورٌ يُتوسَّلُ به إلى الله في قضاء الحاجات، ودفع الكُربات، أمدُّنا الله بمدده، ونفعنا به، وجعلنا على أثره. آمين.

⁽١) الرعونات: الحُمْق، ومفردها: الرعونة.

⁽٢) في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص ٤١: توفي بقبيلة بني سلمان الغمارية عند شيخه البوزيدي في حياته عام ١٢٢٤ ودفن بالزميج من القبيلة الأنجرية.

شرح خمرية ابن الفارض رضي الله عنه

لسيدي أحمد بن عجيبة رضى الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسينى الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ اللَّهِ النَّهُ إِلنَّهُ إِلنَّهُ إِلَيْكُ لِلْهِ الرَّحِيدِ

شَرِحُ خَمْرِيَّةِ ابْن الْفَارِض: الحمد لله الَّذي سَقى قلوب أَحِبائه، مِنْ مُدَامَة حُبِّهِ. فَأَصبَحُوا من سكر محبَّته مُتَوَلِّهِين. غَيْبَهُمْ عَنْ شُهودِ غَيْرِهِ بدَوَاعي شُهُودِ سِرَّهِ فَأَضْحُوا فِي رِيَاضِ ملكُوتِهِ متنزَّهينَ. جَذب أَرْواحهُم بحَضْرَةِ قُدْسِهِ، فَصاروا في خَلَواتِهِمْ بِهِ أَنيسينَ. وهيّأ أَسْرَارَهُم لحمْلِ أَعْبَاءِ مَعْرفته، فخَاضُوا فِي بِحارِ جَبَرُوتِهِ بِسُفُنِ أَفكارهم سَابِحِينَ.

والصّلاة والسّلامُ على مَنِ امْتَدَّتْ مِنْ سِرٌ نَاسُوتِهِ الأَكوان. وأَسُرقَتْ مِنْ نُورِ لاَهُوتِهِ حقائق الْعِرْفان. وَرَضِي اللّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ وأَهْل بَيْته الكِرَامِ. أما بعد كل شيءٍ وقَبْلَه فَعِلْم التَّوْحِيدِ مِنْ أَجَلُّ العُلُومِ وأَحَق ما تنفق فيه نتائج الفُهُوم. وكيْفَ لاَ ومَوْضوعه الذَّات الْعلية، وأوصافها السَّنية وأَسْمَاؤها الزَّكية. وبه يقع الخلود في نَعِيم الجِنَانِ. والفَوْز بالقُرْبِ مِنَ الكَرِيم المَنَّانِ، وهو مُنقسم على قسْمَيْن: تَوْحِيد الدَّليل والبُرْهان، وهو لعَامَّة أَهْل الإِيمانِ، وتوحيد الشهود والعيّان، وهو لخواص أَهْلِ الإِحسَانِ مِنْ أَهْل الذَّوْقِ والْوِجْدان شَربوا كؤوس المحبّة، فسكرُوا وغابوا عَن الْوجُودِ. ثم صحوا من سَكْرَتِهِمْ فتمتَّعُوا بحلاَوة النّظرة والشهودِ. فَيَا للّه من شرَاب ما أَعْذَبَهُ ومِنْ مَنْهَلٍ مَا أَحْسَنَهُ، بَيْعُ النّفُوس في إِذْراكِهِ حَقيرٌ، وبَذْل الأَرواح والمُهج فِي نَيْلهِ نَزْرٌ يسيرٌ. وللّهِ دَرُ القائِل:

إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُمْ فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي

وَمِمَّنْ أَحْرَزَ السَّبْق فِي هَذَا المَيْدانِ وكَانَ لهُ من هَذَا السَّرِ الحظوة والشأن الأَنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام. وأَعْظَمُهم فِي ذلك سيّد الأَنام نبيّنا عليه أَفضل الصَّلاةِ وَأَزْكَى السَّلام. إذ مِنْ بَحْرِ سِرَّهِ فاضَتْ أَسْرَارُهُمْ، ومِنْ شمس نُورِه انْفَلَقَتْ أَنْوَارُهُمْ، وكُلُهُم مِنْ رسول الله مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَم.

ثم ورث عَنْهُمْ ذَلِكَ خَوَاصَ أُولِيائِهِ، وصفُوة أَحبائِهِ. جَاهَدوا نفوسَهُمْ بأَنوَاع الرياضات، وكَابَدُوا فِي طَلبِ مَحْبُوبِهم أَقْصَى الغايات. صَدَقوا ربَّهم في المعاملاتِ، ورَفَضُوا الْحُظُوظ والشَّهَوات فَحَصلَ لهم الميراث العظيم بَعْد تحقيق نِسْبة القَرَابَة المعنوية، بيّنة شهوده عقد المحبَّة، وأَحْكَام رابطة الصّحبَة، وبروز نطفة العناية مِنْ صُلْب الولاية، وعُلُوقها في مَشيمَة الإرادة، وظهور جنين السّعادة، ثم تربيته فِي عُش أَهْلِ المَعْرفة بيْن أبوي المراقبة والمجاهدة. ثم تغذيته بلبن علم اليقين إلى أوان فِطامه بشهُودِ رَبِّ العالمينَ.

فَهَذا هو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام، لا التوحيد الذي يُنتجه الدُّليل والبُرْهان وَيَعْتريهِ الزِّيادة والنُّقْصَان، إذ قد تعرض له الشكوك والأوهام، التي هي محالٌ فِي حقّ الأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلامُ. ومن تحقق بهذا الميراث الرفيع، والسر البديع، سلطان العشاق، وإمام الحذَّاق العارف الرَّبَّاني والحبرُ الصمدانِي شرَف الدّين أَبو جعْفَر عُمَر بن علي بن المرسف المعروف بابنِ الفارض السُّعْدي الأُصل المصري الدُّار والمولد والوفاة. كَان رضي الله عنه أُعجوبة زمانِهِ وَفَرِيدَ عَصْرِهِ وَأَقرانِهِ. وُلِدَ رضي الله عَنْهُ سَنة ستّ وسبْعِين وخمسمائة بالقاهرة، وتوفي بِهَا سنة اثنين وثلاثين وست مائة. ودُفن بِسَفح المقطم خَارِج مِصر، وعليه قبَّة عَظيمة، ومزارة شهيرة، نَفَعَنَا الله ببركاتِهِ. قال في الدِّيوان ناقلاً عن وَلد الشيخ؛ كانَ الشيخ رضي الله عنه معتدل القامة، جَميل الْوَجْهِ، مشوباً بحُمْرةِ، وإذا اسْتَمع وتواجد وغَلَبَ عليه الْحَال، يَزْداد وجْهُه جَمالاً ونوراً، وينحدر العَرق من جَسدهِ حتى يَسِيلَ إلى الأرض. وكَان عليه نور وجَلالة وهَيْبة، وكَان إذا حَضَر فِي مَجْلِس يَظْهَرُ على ذٰلِكَ المَجْلِس سكينة. وكَانَ يحضر مَجْلسهُ أَكابِر الدُّولَةِ مِنَ الأُمَرَاءِ، والوزراء، والقضاة، ورُؤساء النَّاسِ، وهُمْ في غاية مَا يَكُون مِنَ الأَدَبِ والاتضاع لَهُ، وإِذَا خاطبوه كَأَنما يخاطبون مَلِكاً عظيماً. وَإِذا مَشَى فِي المَدِينَة يَزْدَحِم النَّاسِ عليْه، يلتمسُونَ مِنْهُ البَرَكة والدُّعاء. ويَقصدُونَ تقبيل يدهِ فلاَ يُمَكُّنُ أَحَداً مِنْ ذَٰلِكَ بَلْ يُصافِحهُ، وكانت ثيابه حسَنَة، وَرَائحته طيبة، وكان ينفق على مَن يرد عليه نفقة مُتَّسِعَة، ويعطي مِنْ يَدِهِ عَطَاءً جزيلاً، ولم يكُنْ يَتَسَبَّبُ في شَيءٍ مِنْ تحصيل الدنيا، وَلاَ

يَقْبَلُ مِن أَحدٍ شَيثاً. وَبَعثَ إِلَيه السلطان أَلْفَ دِينارِ فَرَدُها إليه. وسأَله أَن يُجَهَز لَهُ قَبْراً عند أُمّه، فِي قُبَّة الإِمام الشافعي رضِي الله عَنْهُ فَلَمْ يأذن له في ذلك، ثم سَأَلَهُ أَنْ يُجهَز له مكاناً يكن مَزاراً يُعرف بِهِ، فلم يَنْعَمْ له بذلك.

قال رضِي الله عَنْهُ: كُنْتُ فِي أَوَّل تَجْريدي، أَسْتَأَذَن والدي، وأُطْلع إِلى وادِ المسْتَضْعَفِين بالجَبَل الثَّاني من المقطِّب وآوي فِيهِ، وأُقيم في لهذِهِ السياحة ليْلاً ونهاراً، ثم أَعُود إلى والدي مِنْ أَجْلِ برُّه، ومراعاة قَلْبِهِ، وكَان والدي يَوْمَنْذِ خليفة الْحَكم العزيز بالقاهرة ومِصر، وكَان من أكابر أَهْل العِلْم والْعَمل فيجد سُروراً بِرُجوعي إِلَيه، وَيُلْزمني الجلوسَ معه في مجالس الحُكُم وَمَدَارس الْعِلْم، ثم أَشتاق إلى التّجريد، وأَسْتأذنهُ، وأَعُود إلى السياحَةِ. وما بَرِحْت أَفْعَل ذلِكَ مَرَّة بَعْد مَرَّةٍ، إلى أن سئل والدي أن يكون قاضي القضاةِ، فامتنع ونزل عن الحُكُم واغتَزَل النَّاس والسياحَة، وسُلُوك طريق الحقيقة، فَلَمْ يُفتخ لي شَيْء، فَرجَعْت من السياحَةِ يَوْماً إِلَى المَدِينة ودَخلْت المدرسة اليوسفية فَوَجدت رَجُلاً شَيْخاً بَقًالاً على بَابِ المَدْرَسةِ، يتوضًا وُضُوءاً غَيْر مُرَتَّب، غَسَلَ يَدَيْهِ ثم غَسَل رِجْلَيْه، ثم مَسَح برأسِهِ، ثم غَسَل وَجْهَهُ. فَقُلْت له يَا شَيخ: أَنْتَ في لهٰذَا السِّنَّ في دَارِ الإِسْلام وَبَيْنَ فقهاءِ المُسْلمين، وأَنْتَ تتوضَّأ وضُوءاً خارجاً عَن التَّرْتيب الشَّرْعي، فَنَظر إِلَيَّ وقال: يَا عُمَر أَنْتَ ما يُفتح عليْكَ بِمِصْر، وإِنما يُفْتِحُ عَلَيْكَ بِالحِجَازِ، في مكَّة شرَّفها اللَّهُ، فاقْصِدها. فَقَدْ آل له وقت الفَتْح. فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَوْلِياءِ اللَّهِ، وأَنَّه يَتَستَّرُ بإِظهارِ الجهلِ، فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقُلْتُ: يَا سَيْدِي أَيْنِ أَنَا وأَيْنَ مَكَّةً؟ لاَ أَجِدُ رَكَّباً ولا رُفْقةً فِي غَيْرِ أَشْهر الْحجّ، فنظر إِليَّ وأَشار وقَال: هذه مكَّة أَمَامكَ فَنَظْرتُ مَعَهُ فرأَيْتَ مكَّة شرَّفها اللَّهُ فَتَرَكْتُهُ وطلبْتُهَا فَلَمْ تَبْرَحْ أَمامي إلى أَن دَخَلْتها في ذٰلِكَ الْوَقْتِ. وجَاءَنِي الفَتح حِين دَخَلْتُها، وتَرادفَ وَلَمْ يَنْقطغ. قال رضي اللَّهُ عنهُ: ثم شَرَعْتُ فِي السَّياحَة في أَوْديتها وكنت أَسْتَأْنِس بالوَخشِ لَيْلاً ونَهَاراً، فأَقَمْت بِوادِ كان بينه وبين مكَّة عشرَة أيَّام للرَّاكِب المُجِدّ، وكنتُ آتي مِنْهُ كل يوم وليلة، وأصلّي في الْحَرم الشريف الصَّلوات الخمس ومَعِي سَبْعٌ عظيم، يَصحبني في ذَهابِي وإيابِي، ويَنخُ إِليَّ كَمَا يَنخُ بجمل ويقول: يَا سيِّدي ارْكب، فما ركبته قطَّ. ثم بعد خُمْسَة عَشر سَنة، سَمِعْتُ الشيخ البَقَّال يُنَادي: يَا عُمَرُ، تَعَال إِلَى الْقاهرة، إحضر وَفَاتِي، فَأَتِيْتُهُ مُسْرِعاً، فَوَجَدتُه قَدِ اخْتُضِرَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليَّ، وَنَاوَلَنِي دْنَانِير ذَهبِ. وقالَ: جَهَّزْ لي بِهذِهِ وافْعَلْ كَذَا وَكَذَا. . . واغط حَمَلة نَعْشِي إلى القرافة كلِّ واحد ديناراً، واتركْني على الأرض في هذِهِ البُقْعَةِ، وأَشَار بيَدِهِ إِلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ عَيْنِي أَنظر إِلَيْها وهي القرافة عند مجرى السَّيْل تحت المسجد المعروف بالأرض بِالقُرْبِ مَنْ مَرَاكع مُوسَى، بِسَفْح جَبَل المقطَّبِ. وانْتَظْرْ قُدُوم رِجُلٍ يَهْبِطُ إِلَيْكَ مِنَ الجَبَلِ وَصَلَّ أَنْتَ وهُوَ عَلَيَّ، وانتظر ماً يفْعَلُ اللَّهُ فِي أَمْرِي. قال رَضي اللَّهُ عَنْهُ: ۚ فَلَمَّا تُوفِّي جَهَّزْته كما قال، وطَرَحْتُهُ فِي الْبُقْعة المُباركة كَمَا أَمَرنِي، فَهَبَط رَجُلٌ مِنَ الجَبَل كما يَهْبِط الطَّاثر المُسْرع لم أَرَه يَمْشِي على رِجْلَيْه، فَعَرفته بشخصِهِ، كنت أَراهُ يُصفع قَفَاهُ بِالأُسْوَاقِ. فقَال: يا عُمَرُ تقدُّم، فَصلٌ بِنَا عَلَى الشَّيْخ. فتقدَّمْتُ وَصَلَّيْتُ آِمَاماً، وَرأَيْتُ طيوراً خُضْراً وَبِيضاً صفوفاً بيْن السماء والأَرْضَ يُصلُّونَ مَعَنَا، وَرَأَيْتُ طائراً مِنْهُمْ أَخْضَر عَظِيم الْخَلْقَة، قَدْ هَبَطَ عند رِجْلَيْه وابْتَلْعهُ، وارْتَفْع إليهم وطَارُوا جَمِيعاً، ولهم زجل بِالتَّسْبِيحِ إِلَى أَن غَابُوا عَنَّا. فقال: يَا عُمَرُ، أَما سَمعتَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشهداء في جؤف طير خُضْرٍ تَسْرَح في الجنَّةِ حيث شَاءَتْ؟ هُمْ شهداء السُّيُوفِ. وَأَمَّا شُهَدَاء الْمَحَبَّةِ، فَكُلَّهُمْ، ۖ أَجْسَادهمْ وَأَرْوَاحُهُمْ في جَوْف طَيْر خُضْرٍ. وهذا الرَّجُلُّ منْهُمْ يَا عُمَرُ. وأَنا كُنْتُ مَعَهُمْ. وإنما وقَعَتْ مِنْي هَفُوة، فطُردت عَنْهُمْ. فأَنَا أصفعُ قفايا نَدماً وتأديباً على تِلكَ الْهَفْوَةِ. ثم ارْتَفَعَ الرَّجُلُ إلى الجَبَلِ كالطَّائِرِ إلى أَنْ غَابَ عَنِّي. قال ولدهُ: وفي هٰذِهِ البُقْعَة المباركة، دفن الشيخ حسَبَ وصيته. وضريحه بِهَا مَعْرُوفٌ. قلت: وقد تَقَدَّمَ ذٰلِكَ. قال حفيدهُ رحمه اللَّهُ: وقد قلتُ في ذٰلِكَ أَبْياتاً:

> جُزُ بالقَرَافَةِ تَحْتَ ذَيْلِ الْعَارِفِ أَبْرَزْتَ فِي نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِباً وَشَرِبْتَ مِنْ بَحْرِ المَحَبَّةِ وَالْوَفَا

وَقُل السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْفَارِضِ وَكَشَفْتَ عَنْ سِرٌ مَصُونٍ غَامِضِ فَرَويتَ من بَحْرٍ مُحِيطٍ غَامِضِ

قال الشينخ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيْت رسُولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وَسَلَّمَ فِي النَّوم. فقال لي: يَا عُمَرُ، لِمَ تَنْتَسِبْ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إلى بني سَعْدٍ،

قبيلة حليمَة السعدية مُرضِعتكَ فقال ﷺ: لاَ بُدُّ أَنْتَ مِنْي. ونَسَبَك متَّصل بِي. فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّه: إنِّي أَخْفَظ نَسَبِي عَن أَبِي وَجَدِّي إلَى بني سَغْدٍ. فقال: لاً - مَادًا بِهَا صَوْتَهُ - بَلْ أَنْتَ مِنْي. ونَسَبك متَّصل بِي. فَقُلْتُ: صَدَفْتَ يا رسول اللَّهِ. مَكَرِراً لِذَٰلِكَ. وهذه النِّسْبَة، إمَّا أَنْ تَكُونَ نِسْبَة الأهلية؛ أَوْ نِسْبة المحبَّة. ونسْبَة المحبَّة أشرف من نِسْبَة الأبوَّة؛ وهي التي قَرَّبَتْ بِلاَلاَّ وصُهَيْباً، وِسَلْمَان الفَارسي مِن أَهْلِ البَيْت. وأَبْعَدَتْ أَبَا طالبٍ وَأَبَا جَهْل. وإلى هَذَا، أَشَارَ الشيخ في قصيدتِهِ الْيائية، حيثُ قال:

نَسَبُ أَفْرَبُ فِي شَرْعِ الْهَوَى بينننامِنْ نَسَبِ مِنْ أَبَوَي

فَقُلْتُ: وقد رُمِي الشيخ ابن الْفَارِض، بما رُمِيَ بِهِ غَيْرُهُ من المحققينَ. كالششتري، وابن سَبْعينَ، من الحُلُول والإِتْحَادِ. حتى أَنَّ بَعْض أَهْلِ الظَّاهِرِ نَهَى قِرَاءة تائيتهِ ؛ التي سَمَّاهَا: أَنفاس الجنان، ونفائس الجنان. ثم رأى رسول الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ: سَمّيها نظم السلوك، فسَمَّاها بذلِكَ. ثم امْتُحِنَ النَّاهِي بِمُصيبَة، فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَٰلِكَ. فقال حفيدهُ: وكيف يتصَوَّر مِنَ الشيْخ أن يميلَ في قصيدته إلى الْحُلُولِ. وَقَدْ نَزَّه عقيدَتَهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ فِيهَا:

> وَهَا دُحْية وَافَى الْأَمينَ نَبِيَّنَا أُجِبُرِيلُ قُلْ لِي كَان دَحْيَةَ إِذْ بَدَا وفِي عِلْمِهِ عَنْ حَاضِريهِ مَزيَّةً يَرَى مَلَكاً يُوحِي إلَيْهِ وَغَيْرُهُ وَلِي مِنْ أَتَـمُ الرُّؤْيَـتَيْنِ إِشَارَةُ

وكَيْف باسم الحَقّ ظَلَّ تحققي تَكُونُ أَراجِيفُ الضَّلال مُخِيفَتِي بِصُورَتِهِ فِي بِذْءِ وَحْيِ النُّبُوءَةِ لِمُهْدِي الْهُدَى فِي هَيْأَةٍ بَشَرِيَّة بمَاهِيَةِ الْمَرْءِ مِنْ غَيْر مِرْيَة يَرَى رجُلاً يُذْعَى إِلَيْهِ بِصُحْبَةِ تُنَزُّلُ عَنْ رَأْبِي الْحُلُولِ عَقِيدَةِ

ومَعْنَى كَلاَم الشيخ: أَنَّ الكَوْنَ كُلَّهُ كَصُورة جِبْرِيلَ، حينَ تصوَّرَ على صورة دَحْيَة. فظاهره دَحية، وباطنه جِبْرِيلَ. فإذا حققتَ، لَمْ تَجِدْ إلاَّ جِبْرِيلَ. وَلاَ حُلُولَ وَلاَ اتَّحاد. إذْ لاَ شَيْءَ مَعَهُ. وكذلك الكَوْن مَعَ نُور الحق، اللَّهُ نور السماوات والأرض. فَافْهَمْ. قلتُ: وللشيخ قصّائد كثيرة، جَمَعَها حفيده فِي دِيوانِ مستقل. وأشهرها وَأَنْفَسُهَا تائِيتهُ: نظم السلوك الذي تقدَّم ذكرُها. كَان يقول فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنَهُ: هذه القصيدة الغَوَّاء. والفريدة الزَّهراء. لم يَنسُخ على مِنْوَالِهَا. وَلاَ يُسْمَحُ خاطر بمثالِها. تكادُ تخرُخ عن وُسْع طَوْر الْبَشْرِ. وَحَكَى جَمَاعَة مِنَ العلماء ممَّن كَانُوا يصحبُونَ الشيخ وَيُبَاطِنُونَهُ: إِنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَكُنْ نَظْمَهَا على حَدِّ نَظْم الشُّعَرَاءِ. بَلْ كَان يَحْصُلُ لَهُ جَذبات، يغيبُ فيها عَن حَوَاسُهِ الآيَام، نَحْو الْأَسْبُوعِ والعَشرَة. فإذَا أَفَاقَ أَمْلَى ما يُفْتَخ عليه مِنْهَا مِنَ الثلاثينَ والأَربَعِينَ والخمسينَ بَيْتاً. ثم يَدَع، حَتَّى يُعَاوِدَهُ ذِلَكَ الْحَال. قلت: ويقرب مِنْهَا قصيدتهُ الميمية الخمرية. التي أَرْدُنَا الكَلاَمُ عَلَيْهَا. بَلْ هِيَ أَعْذَبُ مِنْهَا لَفْظَا، وأَسْلَسَ مِنْها نَظْماً. لاَ يَنْطِقُ بِهَا إلاَّ لِسَانُ مَلَكُوتِي. وَقَلْبٌ جَبُرُوتِي. وَالْحَرْوِي. وَالْمَوْنِ عَنْ أَسْرَارِ جَبُرُوتِهِ. وأَنْوَارِ مَلَكُوتِهِ. فَجَوَاهُ اللَّهُ عَنَا أَحْسَنَ الجَزَاء. والنَّهُ فِيها أَسْرَار الحقيقة الغيبية، كشف فِيها لقد قَرَّبَ المَدْونِ عَنْ أَسْرَارِ جَبَرُوتِهِ. وأَنْوَارِ مَلَكُوتِهِ. فَجَوَاهُ اللَّهُ عَنَا أَحْسَنَ الجَزَاء. والشَّقِ إِشَارَة. فأَرْدُنَا بِعَوْنِ مَنْ أَسْرَارِ جَبَرُوتِهِ. وأَنْوَارِ مَلَكُوتِهِ. فَجَوَاهُ اللَّهُ عَنَاهَا. بَعْدَ الاسْتِخَارَة اللهِ أَنْ نَضَعَ لَهَا تقييداً مختصراً، يُبَيِّنُ أَلْفَاظَهَا، وَيُحِلُّ مَعْنَاهَا. بَعْدَ الاسْتِخَارَةِ النَّهُ يَلُ المَّدُورِ. مُعْتَمِداً على النَّهُ يِدِ المَذْكُورِ. مُعْتَمِداً على النَّهُ يِدِ المَذْكُورِ. مُعْتَمِداً على وأَصُولُ. وأَسُولُ. ومَا يَفْتَحُ بِهِ الحَقَ تَعَالَى من مَوَاهِبَ مِنْتِهِ. فأَقُولُ، وبِهِ أَحُولُ وأَصُولُ.

قال الشيخ رضي اللَّهُ عَنْهُ:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ قلتُ: المُدَامَةُ والمُدَامُ: اسْم للْخَمْرِ؛ لأَنَّ العَرَبَ كَانَتْ تحِبُّ دَوَامَهَا عِنْدَهُمْ. فَسَمَّوْهَا بِهِ تَفَاؤُلاً. والكَرْمُ: شَجَرَ العِنَبِ. والْعِنَبُ نَفْسُهُ.

يَقُولُ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَرِبْنَا عَلَى إِثْرِ ذِكْرِ الْحَبيبِ بِالقُلُوبِ والأَزْوَاحِ خَمْرَةً صَافِيةً في مَقَام الصَّفا. سَكِرْنَا بِهَا، فَغِبْنَا عَنِ الإِحْساسِ. وَرَأَيْنَا أَنْوَارَ الحبيبِ فِي كُل شَيْء، وَمَعَ كُل شَيْء، فَغَيَّبَنَا السُّكُرُ عَنْ ظُلمة الأكوانِ الْحَادِثَةِ، وأَبْصَرْنَا أَنْوَارَ القِدَمِ الباقية. قُلْتُ: وقَدْ أَشَرْتُ إلى هَذَا المَعْنَى فِي عَيْنِتِى فَقُلْتُ:

سَكِرْنَا فَهِمْنَا فِي بَهَاءِ جَمَالِهِ تَبَدَّتْ لَنَا شَمْسُ النَّهَارِ وأَشْرَقَتْ

وَغِبْنَا عَنِ الإِحْسَاسِ وَالنُّورُ سَاطِعُ فَلَمْ يَنْقَ ضَوْءُ النَّجْمِ والشَّمْسُ طَالِعُ يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَعَ لَنَا هَذَا السكر بِالخَمْرَةِ الأزلية المعنوية. قَبْلَ أَنْ يُوجَد الكَرْم؛ التي تكون منه الخَمرَة الحسية. إلى هذَا المَعْنَى، أَشَارَ الششتري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ:

لأَ شَرَابِ الدُّوَالِيَ إِنْهَا أَرْضِيْا خَمْرُهَا دُونَ خَمْرِي خَمْرَتِي أَزَلِيْا

فقوله: سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الكَرْمُ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا السُّكُرُ بَعْد ظهُورِ عَالَمِ الأشباحِ. وأَنَّ الرَّوحَ سَكرتْ على ذكرِ الْحَبِيبِ بِخَمْرَةِ أَزَلِيةً. قبل ظُهُورِ العِنَبِ الذي تكونُ منه الخمرة الحسية الأرضية. والمراد، أنه سكر بخمرَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ قَبْلَ ظُهُورِ مَاذَةِ الخَمْرة الحسية؛ ويختَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السُّكُرُ بِخمرَةٍ مَعْنَويَّةٍ قَبْلَ ظهور عالم الأشباحِ. فيكون قَوْلهُ: لِلرُّوحِ فِي الأَزَلِ، في عَالَم الأَزوَاحِ، قَبْلَ ظهور عالم الأشباحِ. فيكون قَوْلهُ: قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ مَاذَة الخمرة الحسية. ويؤيد قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ مَاذَة الخمرة الحسية. ويؤيد قولهُ فيما يأتي: فَعِنْدِيَ مِنْهَا نَشْوَة قَبْلَ نَشْأَتِي _ البيت _. وسيأتي الكَلامُ عليه إن شَاءَ اللهُ. والاختمال الأول أَظْهَرُ. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وسُمِّيَتِ الْغَيْبَة فِي اللَّهِ سُكُراً. لا شَتِرَاكِهَا مَعَ السُّكْرِ الحسِّي فِي الْغَيْبَةِ عَنِ الحسِّ. فإنَّ نُور العَقْلِ، كَمَا يُسْتَر بالظلمة الطينية؛ وهي النَّشوة النَّاشئة عن الخَمْرَة الحسِّيَّة. كَذْلِكَ يُسْتَرُ بالأَنْوَارِ المَعْنَوِيَّةِ، المفاجِئةِ لَهُ مِنَ الْخَمْرَةِ الأزلية. فيغيب عن الإخساس. فلِذلكِ سَمَّوا تلك الغَيْبَة سُكْراً. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وهَا هُنَا إضطِلاَحَاتٌ لِلْقَوْمِ. نَذْكُرُ مِنْهَا مَا يَتُوقَّفُ عَلَيْهِ فَهُم كَلاَمِ النَّاظِمِ مِنْهَا: الذَّوْقُ، والشُّرْبُ، والسُّكْرُ، والصَّخُو، ومِنْها الحسّ والمَعْنَى. ومِنْها القدْرة والحِكمَة. ومِنْها الْوَجْدُ والْوَجْدَان، والْوُجُود. ومِنْها الجَمْعُ والتَّفْرِقة.

أَمَّا الذَّوْقُ؛ فهُوَ بُرُوق أَنْوَارِ الذَّاتِ الْقَدِيمَةِ على الْعَقْلِ. فيغيب عن رُؤْيَةِ الْحُدُوثِ، فِي أَنْوَارِ القِدَمِ. لكن لاَ يَدُومُ ذَٰلِكَ. بَلْ يَلْمَعُ تارَةً. ويخفى أُخرَى، فَإِذَا لَمَعَ غَابَ عَنْ حِسِّهِ، وَإِذَا خَفِيَ رَجَعَ إلى حِسِّهِ؛ وَرُؤْيَةِ نَفْسِهِ. فَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَوْقاً.

فإن دَامَ لَهُ ذَلِكَ النُّورُ سَاعَة أَوْ سَاعَتَيْنِ فَهُوَ الشُّرْبُ. وإذا اتَّصَلَ وَدَامَ فَهُوَ السُّكُرُ. وَمَرْجِعُهُ إِلَى فَنَاءِ الرُّسُومِ، فِي شُهُودِ الحيِّ القَيُّوم. والغَيْبَة عن الأثرِ،

فِي شُهُودِ المُؤَثِّرِ. ويسَمَّى أَيْضاً بِالفَنَاءِ.

فإنْ رَجَعَ إِلَى إِثْبَاتِ الأَشياءِ بِاللَّهِ، وقيامها بِهِ. وَرَآهَا نُوراً مِنْ أَنْوَارِهِ، لاَ وُجُودَ لَهَا مَعَهُ. فَهُوَ الصَّحْوُ. وَيُسَمَّى أَيْضاً البَقَاء؛ لإِبْقَاءِ الأَشْيَاءِ بِاللَّهِ بَعْدَ فَنَائِهَا بِنور البَصِيرَةِ فِي اللَّهِ. وقَدْ أَشَارَ صاحبِ الحِكَمِ الْعَطائِية إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: شُعَاعُ البَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ عَدَمَك لوجودِهِ. شُعَاعُ البَصِيرَة يُشْهِدُكَ عَدَمَك لوجودِهِ. وَحَتَّ البَصِيرَة يُشْهِدُكَ عَدَمَك لوجودِهِ. وَحَتَّ البَصِيرَة يَشْهِدُكَ عَدَمَك لوجودِهِ. وَحَتَّ البَصِيرَة يَشْهِدُكَ عَدَمَك لوجودِهِ. وَحَتَّ البَصِيرَة يَشْهِدُكَ وَجُود الحقِّ. لاَ عَدمَك وَلاَ وُجُودكَ. كَان اللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الآنَ على ما عَلَيْهِ كَانَ.

وقال أيضاً فِي بَيَانِ السّكر والصَّخو، وبيان الشريعة والحقيقة. فقال بَعُد كَلاَم: وصاحب حقيقة: غابَ عن الخلق بِشُهُودِ المَلكِ الحَقِّ. وَفَنِيَ عَنِ الأسباب، بِشُهودِ مسبّب الأسبّاب. فَهذا عَبْدٌ مواجَه بالحقيقة. ظاهر عليه سَنَاهَا سَالك للطريقةِ. قَدِ اسْتولى على مَدَاها، غَيْرَ أَنَّهُ غَارِق الأنّوار. مطمُوس الآثار. قَدْ غَلَبَ سكره على صحوه، وَجَمْعه على فَرْقِهِ وغيبته على حضورِه. وأكْمَلَ منهُ رجُلٌ شَرِبَ فَازْدَاد صَحْواً، وغاب فازداد حضوراً. فَلاَ جَمْعه يحجُبه عن فَرْقِهِ، وَلاَ فَوْتُهُ يُحْجَبُهُ عَنْ جَمْعِهِ. وَلا فناؤهُ يَصُدّهُ عَنْ بَقَائِهِ، وَلا بقاؤه يصرفه عن فنائِهِ. يُعْطي كل ذي قسط قسطهُ. ويوفي كل ذي حق حقّهُ.

وَأَمَّا الْوُجْدُ فَهُوَ وَارِدٌ يُحَرِّكُ القَلْبَ وَيُزْعِجُهُ. إِمَّا شَوْق مقلِق، فيثير بَسْطاً وسُرُوراً. وإِمَّا خَوْفٌ مُزْعِجٌ فيثير قَبْضاً وحُزْناً.

وَأَمَّا الْوُجْدَانُ فَهُوَ: دَوَامُ حَلاَوَةِ الشُّهُودِ، وَاتَّصَالِهَا للواجِدِ مَعَ غَلَبَةِ السَّكُرِ والدَّهَش. فإنِ اسْتَمَرَّ مَعَ ذُلِكَ، حتى زَالت الدَّهشة والحيْرة، وصفيت الفكرة والنظرة فهو الوجود. وإلى لهٰذَا أَشَارَ الجُنيْدُ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ بقولِهِ: وُجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ، بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشَّهُودِ.

واغلَمْ أَنَّ مثار الْوُجْد، هو سماع خطاب المحبوبِ. ومَثَار الوُجْدَانِ، هُوَ شُهُود جَمَال المحبوب. وَقَدْ يَغلب عليهما الْحَال، فتضطرب الأشباح، وتزقصُ تبعاً لاضطرابِ الْقَلْبِ. ومثال ذلك الطفل في الْمَهْدِ، فإنه يسْكن إذا تحَرَّكَ بِهِ الْمَهْد. ويبكِي إِذَا سَكَنَ. كذلِكَ الْقَلْبُ يَرْتَاحُ إِذَا تَحَرَّكَ الْقَلْبُ. وإلاَّ بقِي يضطربُ. فَرُبَّمَا يخرجُ عَنْ طَوْرِهِ.

وَأَمَّا صَاحِبُ الوُجُد فهو سَاكنٌ متمكنٌ قدِ اسْتَأْنَسَ بالحَصْرَةِ. فَرُبُمَا يخرجُ عَن طَوْدِهِ. وَأَمَّا صَاحِبُ الوُجُدان فهو سَاكنٌ متمكنٌ، قدِ اسْتَأْنَسَ بِالحَضْرَةِ، وَزَالَتْ عَنْهُ الدَّهْشَةُ والحَيْرَةُ؛ فَهُو كالْجَبَلِ الرَّاسِي. قيل للجنيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ؛ كُنْتَ تتواجَدُ عند السَّمَاع ثم صرت لا يتحرَّك منك شيءٌ؟ فَتَلا قوله تعالى: ﴿وَرَرَى الْجِبَالَ تَعْسَبُهُا جَايِدَةُ وَهِى تَمُرُّ مَنَ السَّعَائِ [النمل: ٨٨]. وشاهِد ذٰلِكَ، صواحِب يُوسُف عليه السلام، فإنه لما فاجاً هُنَّ بِباهِرِ جَمَالِهِ: غِبْنَ عَنْ إحساسِهِنَ ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيهُنَّ وَقُلْنَ حَنَى لِيَهِ مَا هَنذَا بَنَرًا ﴾، [يوسف: ٣١] وَزُلنِخَا لمَا اسْتَشرَفُوا اسْتَشرَفُوا اسْتَشرَفُوا عَنْ إِحْسَاسِهِمْ. فَإِذَا تَمَكُنُوا مِنْ شُهُودِهَا، وَلَي لُورِ الحَضْرَةِ، دَهِشُوا وَغَابُوا عَنْ إِحْسَاسِهِمْ. فَإِذَا تَمَكُنُوا مِنْ شُهُودِهَا، وَلَي نُورِ الحَضْرَةِ، دَهِشُوا وَغَابُوا عَنْ إِحْسَاسِهِمْ. فَإِذَا تَمَكُنُوا مِنْ شُهُودِهَا، وَأَيسُوا بِهَا، لَمْ يُحَرِّكُهُ م شيء مِنْ أَنوارِهَا. وقد يَغْلِبُ على العَارِف شهود وَأَيسُوا بِهَا، لَمْ يُحَرِّكُهُ م شيء مِنْ أَنوارِهَا. وقد يَغْلِبُ على العَارِف شهود الْجَمَالِ فيرقص وَيَطُربُ، لكنَهُ نَادِرٌ. واللّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وأمّا الجمع والتفرقة: فالجمع عبارة عن تلاشي الحادث في إِثباتِ الْقِدَم. أَوْ تقول: عبارة عن ضَمّ الفُرُوعِ إِلَى أُصُولِهَا. فَيَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَى مَا لَمْ يَوْلْ. والتّفْرِقَةُ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ الأَحْكَامِ والحِكمَة قياماً بِرَسْمِ الْعُبُودِيَّةِ، وأَدَباً مَعَ الرّبُوبِيةِ فَالحَمْعُ محَلُهُ البَوَاطن. والفَرْقُ مَحَلُهُ الظَّوَاهِرُ. إِذَ الرّبوبية بِلاَ عُبُودِية الرّبُوبية بِلاَ رُبُوبية مُحَالٌ. فلذلك قالُوا: الجمع بِلاَ فَرْقِ زَنْدَقَة، لإبطالِهِ الأَحْكَامَ والحكمة. والفَرْقُ بِلاَ جَمْع فسق؛ لإخراج صاحبهِ عَنْ حَدِّ الكَمَالِ. والحمع بَيْنَهُمَا عَيْن الكَمَالِ. ولقد سَمِعْتُ شَيْخَ شيخنا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ الشَّرِيعَةَ باباً. والحقيقة أَبْوَاباً. ﴿ أَوْلَيْكَ حِرْبُ اللّهِ أَلا إِنَّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ الْمُقْلِحُونَ الشَّرِيعَةَ باباً. والحقيقة أَبْوَاباً. ﴿ أَوْلَيْكَ حِرْبُ اللّهِ أَلا إِنَّ حِرْبَ اللّهِ هُمُ اللّهُ يَعَلُوا لي: وأَنتَ النَّالِث. حَقَقنَا اللّهُ بِمَحْبَتِهِمْ، وَرَزْقَنَا الأَدَبَ مَعَهُمْ آمِين.

وأمَّا الحسُّ، فهو عبَارَةٌ عَمَّا تَكَثَّفَ وَظَهَرَ مِنَ الأَكْوَانِ. والْمَعْنَى: عِبَارَةٌ عِن النُّورِ اللطيفِ الْبَاطِنِ فِيهَا.

وأَمَّا السَّرُ الَّذي قَامَتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ. فَالحِسُ ظرفْ لِلْمَعْنَى. فالأَكْوَلُ أَوَانِي، حَاملة للْمَعَاني. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ.

والْقُدْرَةُ: عِبَارَةٌ عَمًّا يَصْدُرُ عَنِ الذَّاتِ العَلية من الأفعال. كَانَ عَلى وِفْقِ الْعَادَةِ أَوْ خَارِقاً لَهَا. والحِكْمَةُ: عِبَارَة عَنْ رَبْطِ الأَسْبَابِ بِمُسَبِّبَاتِهَا، والعَوَائِدُ بما تعوَّدَث بِهِ؛ فَهِيَ رداءً للقُدْرَةِ وسترٌ لَهَا. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ رِداءِ الحِكْمَةِ، كَان محجُوباً عَنْ شُهُودِ الْقَدْرَةِ. وَمَنْ حُجِبَ عَنِ الصَّفَةِ، حُجِبَ عَنِ الْمَوْصُوفِ، لمتلازم وُجُودهما. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ. فَمَعْرِفَةُ لهذِهِ الأَشْيَاءِ، تُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْقَوم. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلاّلٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لهذِهِ الخَمْرَةِ الأزلية: كَأْسٌ، وهِي قمر التوحيد الخاصِّ. فمن كَان مشركاً بثنوية السّوى، أو برُؤيةِ الأشياء مَعَ الْمَوْلَى. فَلاَ يَشْرَبُ من خَمْر الْهَوَى. أَوْ نقول: مَن كَانَ قلبهُ مشحوناً بِحبّ الأشياء، أَوْ مفتوراً بِنيلِ الذُّنيا، فَلاَ يذوق شيئاً مِنْ هَذِهِ الحُمَيَّا: "أَي الخمر". وهذه الخمرة هي شمس الْعِرْفَان، فَإِذَا أَشْرَقَتْ فِي أُقْقِ سماء الجنان، غطّت وجود الأكْوَان، وَوَقَعَ العيّان على فِقْده الأغيّانِ. يُدِيرُها عَلَى الشّاربينَ، هِلال السّعادة، في طالع سَعْدِ الإِرَادَةِ فإذا شَربت صرفاً غابَ النّشوان عن الرُّسُومِ. ولم يَبْقَ فِي نَظَرِهِ إِلاَّ أَنوار الحيّ القيُّوم. فَإِذَا مُزجَت بالصّخو والسلوك، صار كاملاً مكمّلاً. فَكُمْ أَنوار الحيّ القيُّوم. فَإِذَا مُزجَت بالصّخو والسلوك، صار كاملاً مكمّلاً. فَكُمْ النّعْبِير، وَقَعَتْ في مَسَامِع القلوبِ عبارتُهُ. وجُليت إليهم إشارته.

قال الشيخ أَبُو الحَسَن الشَّاذِلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بَعْضِ كَلاَمِهِ على المحبَّةِ: الشَّرَابِ هو النُّور الساطِع مِنْ جَمَال المحبوب. والكَأْسُ هو اللطف الموصَّل ذلك، إلى أَفْوَاه القُلُوب. والسَّاقي: هو المتولِّي ذٰلِكَ لخصوص الكبراء والصَّالِحينَ مِنْ عبادِهِ. وَهُوَ اللَّهُ الْعَالَمُ بالمقادِيرِ ومَصَالِح العبادِ. فَمَنْ كُشِفَ لَهُ والصَّالِحينَ مِنْ عبادِهِ. وَمُن اللَّهُ الْعَالَمُ بالمقادِيرِ ومَصَالِح العبادِ. فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عن ذٰلِكَ الْجَمَالِ أَوْ حُظِيَ شَيْء منهُ، نَفَساً أَوْ نَفَسَيْنِ، ثم أرخي عليه الحجاب؛ فهو النَّائِق المشتاق. ومَنْ دَامَ لَهُ ذٰلِكَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فَهُوَ الشَّارِبُ حَقًا. ومَن تَوالَى عليه الأمْرُ، ودَامَ لَهُ الشُّرْبُ، حتى امْتَلاَّتْ عُرُوقُهُ وَمَفَاصِلُهُ، مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ المَخْرُونَةِ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّيُّ. وَرُبُّمَا غَابَ عَنِ المَحْسُوسِ والعُقُولِ. فَلاَ أَوْارِ اللَّهِ المَخْرُونَةِ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّيُّ. وَرُبُّمَا غَابَ عَنِ المَحْسُوسِ والعُقُولِ. فَلاَ

يَدْرِي مَا يُقَالُ، وَلاَ مَا يَقُولُ. فَذَٰلِكَ هُوَ السُّكُرُ. وقد تَدُورُ عليْه الكَاسَات، وتَخْتَلف لديْهم الحالاَت، ويُرَدُّونَ إِلَى الذِّكْرِ والطَّاعَاتِ وَلاَ يُحْجَبُونَ عَن الصِّفَاتِ حتى تُزاحم المقدوراتِ. فَذَٰلِكَ وقت صَحْوِهِمْ، واتساع نَظَرِهِم، ومزيد عِلْمِهِمْ. فَهُمْ بِنُجُومِ الْعِلْمِ، وقمر التوحيد يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِهِمْ، وبشموس المعارف عِلْمِهِمْ. فَهُمْ بِنُجُومِ الْعِلْمِ، وقمر التوحيد يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِهِمْ، وبشموس المعارف يستَضيئُونَ فِي نَهَارِهِمْ. ﴿ أُولَٰتِكَ حِزْبُ اللّهُ أَلا إِنّ حِزْبُ اللّهِ هُمُ اللّهُلُونَ﴾. والمجادلة: ٢٢] انتهى كَلاَمُهُ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ وَأَرْضَاهُ؛ وهو قريب مِنْ كَلامِ النَّاظِمِ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ وَأَرْضَاهُ؛ وهو قريب مِنْ كَلامِ النَّاظِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَأَرْضَاهُ؛ وهو قريب مِنْ كَلامِ النَّاظِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَأَرْضَاهُ؛ وهو قريب مِنْ كَلامِ النَّاظِمِ

ثم قال:

وَلَوْلاَ شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِخَانِهَا وَلَوْلاً سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ

قلت: الشَّذَا: النَّسيم الطَّيْبُ. وقال في القاموس: الشذا: قُوَّة ذَكَاءِ الرَّائِحة. والخَانُ: دَارٌ يُبَاع فيها الخَمْرُ، أَوْ يُشْرَبُ فِيهَا. وقال في القاموس: الخَانُ: الحانوت أو صاحبُهُ. وخان التجار. والسَّنا بالقَعْر؛ هو: الضَّوْءُ والنُّورُ. والوَهُمُ: الخاطِرُ. أَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى الْعَقْل؛ لأنَّهُ مَحَلَّهُ.

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه الخَمْرة الأَزلية رفيعة القَدْدِ، عَالية الشَّأْنِ، لطيفة خفيَّة. لاَ تُنَالُ بحِيلَةٍ وَلاَ سَبَبٍ. فَلَولاَ نَسِيمها الطَّيْبُ الَّذِي يَهُبُ عَلى القُلُوب، فتستنشقه الأَزوَاحُ، وتنجذِب إلى حَضْرَةِ عَلاَّم الغُيُوبِ. مَا اهْتَذَيْنَا لِمَحلِّهَا، وَلاَ تَوَجَهْنَا إِلَى طَلَبِهَا. لكِنْ لمَّا لاَحَ لَنَا هِلاَل الهذَايَة، في طالِع سابِق العِنَايَةِ، هَبُ على قُلُوبِنَا نَسِيم الخصُوصية مِن حَضْرَةِ عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ.. فَمَا ذِلْنَا الْعِنَايَةِ، هَبُ على قُلُوبِنَا نَسِيم الخصُوصية مِن حَضْرَةِ عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ.. فَمَا ذِلْنَا نَقُول أَثْرَهَا، وَنَسْتَنْشِقُ نَشْرَهَا، حَتَّى أَفْضَتْ بِنَا إِلَى شُهُودِ أَنْوَالِ الحبِيبِ. وَمُنَاجاةِ الْقَرِيبِ مِنْ محل المشاهدة والمُكَالَمَةِ، والمُصَالَحَة، والْمُواجَهَة. فَقُلْنَا فِي ذَلِك الْحَال:

لَكَ الدُّهْرُ طَوْعُ والْأَنَامُ عَبِيدُ فَعِشْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عيدُ

قال الشيخ أَبُو الحَسَن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَثَلُ ابْتداءِ المَحَبَّةِ، كمثلِ رَجُلٍ شَمَّ رائحة المِسْكِ على بُغدٍ، فَلاَ يَزَالُ يتبَعُ تِلكَ الرَّائِحَة، وهي تَتَزَايَدُ عَلَيْهِ، حتى يَذْخُلَ البَيْتَ الَّذِي فيه المِسْك. فَإِذَا دَخَلَهُ غَمَرَتْهُ الرَّائِحَةُ، فَلاَ يَحِسُّ بِهَا. فَالمَعْنَى كَذْلِكَ طَالِبُ الحق، لاَ يَزَالُ يَنْجَذِبُ قَلْبُهُ إِلَى الْحَضْرَةِ؛ ويتعَطَّشُ إِلَيْهَا

وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ؛ وهي حَلاَوَةُ الْمُعَامَلَةِ، حتَّى يَغْرَقَ في أَنْوَارِ الْمُوَاجَهَةِ؛ وهي حَطشُهُ بحصول الْمُواجَهَةِ؛ وهِي حَضْرَةُ المُشَاهَدَةِ، فَيَسْكُن حالهُ، وَيَزُولُ عطشُهُ بحصول الْوُصُولِ إِلَى الحبيبِ. فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ الأَدَبِ والتَّرَقِّي فِي المَقَامَاتِ. هَذَا مَحَلُّ الشطر الأول.

وقولُهُ: وَلَوْلاَ سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ يَغْنِي أَنَّ لَهٰذِهِ الخمرةُ خفيةٌ عَنِ الْأَوْهَامِ خَارِجَةٌ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ والأَفْهَام. فَلَوْلاَ أَنْوَارُهَا الَّتِي تشرق على الْقُلُوبِ، بَعْدَ صَفَائِها مِنَ الأَغْيَارِ، وتطهيرها مِنَ الأَكْدَارِ، ما تَصَوَّرَهَا الْعَقْلُ، وَلاَ أَذْرَكَهَا الْفَهْمُ. إِذْ لاَ تُدْرَك بِالْعُقُولِ، وَلاَ بِتَحْصِيلِ النَّقُولِ. وَإِنَّمَا تُدْرَكُ بِصْحْبَةِ الرِّجَالِ. أَهْل التحقيق والكَمَالِ؛ لأَنْهَا أَذْوَاقٌ فَلاَ تَدْرك من الأوْرَاق. كما قَالَ ابن البَنَا في مَبَاحِثِهِ:

إِيَّاكَ أَنْ تَسَطَّمَعَ أَنْ تَسَحُونه مِنْ دَفْتَرٍ أَوْ شِيغُرٍ أَوْ أُرْجُوزَةٍ وَقَالَ أَيْضًا:

مَا نَالَهَا ذُو الْعَيْنِ والْفُلُوسِ وَإِنَّـمَا تُسبَاعُ بِالنَّهُ فُـوسِ فَمَنْ بَاعَ نَفْسَهُ لَشَيْخ كَامِلٍ حَكَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ. أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَار الْمَعَارِفِ. وَأَذْرَكَ مِنْ مِنَنِ اللَّهِ مَا لا يُجِيطُ بِهِ وَصْفُ واصِفٍ. وإِلاَّ أَتْعَبَ نَفْسَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ. هَذَا هُوَ الْغَالِبُ والنَّادِرُ لاَ حُكْمَ لَهُ. وبالله التوفيق.

ثم قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنْ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهَى كَتْمُ فَلْتُ: الحُشَاشَةُ: بقية الرُّوحِ، في المريض في آخِرِ الرَّمق. قاله في القاموس. والنَّهَى بالضَّمِّ جَمْعُ نُهْيَة؛ وهو الْعَقْلُ؛ وهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافِ. أَيْ القاموس. والنَّهَى يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَهَبَتْ هٰذِهِ الخَمْرَة مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ. وانْدَرَسَتْ إِذَهَابٍ أَهْلِهَا. وَمَاتَتْ بِمَوْتِ أَرْبَابِهَا. وَانْسَلَّتْ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ كَانْسِلاَلِ الرُّوحِ بِنَ الْمَيْتِ فِي آخِرِ مِنَ الْمَيْتِ فِي آخِرِ مِنَ الْمَيْتِ فِي آخِرِ رَمَقِهِ؛ وهذه الخمرة التي ذَكَرَ الشَّيْخُ هِيَ: اخْتِمَار القلوب بِأَنْوَارِ المَحْبُوبِ، وَمُحْتَجَبُ عَنِ الاَغْيَارِ، برُوْيَةِ الْوَاحِدِ القَهَارِ. وقد كَانَتْ هذه الخَمْرَة فِي القَذْرِ

الأول، ظَاهرَة أَنوارهَا، بَادية أَسْرَارها على أَرْبَابِها. فَيَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ. ويتكَلّمونَ

عَلَيْهَا بِأَلْطَافِ العِبَارات. وأَنواع الإِشَارَاتِ، ثم انْدَرَسَتْ. وقلْت: فخفيَت أنوارهَا، وبطنتْ أَسْرَارها. فَكَأَنَّ خَفَاءَهَا وبُطُونَهَا كَتْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا عَنْ غَيْرِ أَفِلْهَا. وذٰلِكَ لاسْتِيلاً الْغَفَلَةِ على النَّاس، وانْصِرَاف الهِمَّة إلى الدُّنيا. فَلَمَّا رَأَى الحقِّ تعالَى النَّاس حَادُوا عَنْ بَابِه. وَلاَذُوا بِغَيْرِ جَنَابِهِ. حَجَب ذلكَ السَّرَ في الحقِّ تعالَى النَّاس حَادُوا عَنْ بَابِه. وَلاَذُوا بِغَيْرِ جَنَابِهِ. حَجَب ذلكَ السَّرَ في قُلُوبٍ أَوْلِياتِهِ، وحَجَبَ أَوْلِيَاءَهُ فِي عِبَادِه. وَمَا قالهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ قِلَّة وَجود هَذَا العلم وانْدِرَاسِهِ، قَالَه غَيْر واحدٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، وَمَا ذلِكَ إلاَّ لغرابته وعِزْتِهِ.

قال الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عِلْمُنَا لهذَا الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ، قَدْ طُوِيَ بِسَاطُهُ مُنْدُ عشرين سَنَةً. وإنما نَتَكَلَّمُ في حَواشِيهِ. وكَانَ أَيْضاً يقولُ: كُنْتُ أُجَالِسُ قوماً سنينَ، يتجاوَرُونَ في علوم لاَ أَفْهِمُهَا، وَلا أَذْرِي مَا هِيَ. وَمَا بُلِيتُ بِالإِنْكَارِ قَطْ. كنت أَتقبلها وأحبّها مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفَهَا. وكَانَ أَيْضاً يقول: كُنَّا نَتَحَاوَرُ مَعَ فَطْ. كنت أَتقبلها وأحبّها مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْرِفَها في وقتِنا هَذَا. وَلاَ سَأَلَنِي أَحَدٌ عَنْهَا؛ إِخْوَانِنَا قديماً في علوم كثيرة، ما نَعْرِفُها في وقتِنا هَذَا. وَلاَ سَأَلَنِي أَحَدٌ عَنْهَا؛ وَهٰذَا بَابٌ كَأَنه أُعْلِقَ وَرُدِعَ.

وقال في القوتِ: قال بغضُ عُلَمَائِنَا: أَنَا أَعْرِفُ للمُتَقَدِّمِينَ سَبْعِينَ علماً، كَانُوا يتحاورونَهَا ويتَعارفُونَهَا في هذا الْعلم. ولم يَبْق منها الْيوم عِلْمٌ واحد. وأَعْرف في زَمَائِنَا هٰذَا علوماً كثيرة، مِنَ الأَباطيلِ والغُرُورِ، والدَّعاوى ظَهَرَتْ وسُمَّيَتْ عُلُوماً. ثم قالَ: وكانَ إِمَامُنَا سَهْل يَقُولُ: بعد ستة وثلاثمائة: لا يحلُ أَنْ يُتكَلِّمُ بِعِلْمِنَا، هٰذَا، يَعْنِي لِقِلَّةِ أَهْلِهِ. لأَنَّه يُحْدث قوم يستمعون الخلق، ويتزيَّنُونَ بِالكَلام. يكُونُ مواجدهم لباسهُمْ ومَعْدِنهم بطونُهُمْ. وحيلتهم كَلاَمهُمْ.

وقال الأستاذ أَبُو القَاسم القشيْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في صَدْرِ رِسَالتِهِ: اعلمُوا رحمكُمُ اللَّهُ، أَنَّ المحققينَ مِنْ هذِهِ الطَّائفة، انقَرَضَ أَكْثَرَهُمْ. لم يَبْقَ فِي زَمَانِنَا لهٰذَا مِنْ لهٰذِه الطَّاثِفَةِ إِلاَّ أَثَرَهُمْ. وفِي مَعْنَاهُ قيل:

لاَ والَّذِي حَجْتُ قُرَيْشٌ بَيْتُهُ مُسْتَفْيِلِينَ الرُّكُنَ مِنْ بَطْحَاثِهَا مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَةٍ إِلاَّ بَكَيْتُ أَحِبَّتِي بِفَنَائِهَا مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَةٍ إِلاَّ بَكَيْتُ أَحِبَّتِي بِفَنَائِهَا أَمُّا الْحِيَّامُ فَإِنَّهَا كَحِيَّامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الحَيُّ غَيْرَ نِسَائِهَا أَمُّا الْحِيَّامُ فَإِنَّهَا كَحِيَّامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الحَيُّ غَيْرَ نِسَائِهَا

قال ابن العربي الحاتمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لَهٰذَا فِي زَمَانِهِ. حيث أَذْرَكَ

مَنْ تَزَيِّنَ بِزَيِّ الْقَوْمِ، خالفَهُمْ فِي بَاطِنهم. وأَمَّا الْيَوْمَ فَلاَ خِيَامَ وَلاَ نِسَاءَ. وقال الشيخ أَبُو مَدْيَنَ فِي قَصيدته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَاحْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْم دَارِسةٌ وَقَالَ مَن يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تُرى وقَال فِي الْمَبَاحِثِ:

> يَا سَائِلاً عَنْ سُنَنِ الْفَقِيرِ إذْ الَّـذِي سَــالَلـتُ عَـنـهُ مَـاتَ إلاَّ رسُوماً رُبُّمَا لَمْ تَعْفُ

سَأَلْتَ مَا عَزَّ عَنِ النُّحُوِيرِ وَصَارَ بَعْدُ أَغْفُماً رُفَاتَا وَهَ بنكَ أَنْ تَعظ فَرَ بالأَوْط إن مَا السِّرُ والمَعْنَى سوى القطَّانِ

وَكَانَ شَيْخُ شيوخنا سيدي علي العمراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: مِنْ شَكَّ تُونُس، إلى وَادِي نُون، لاَ تَجِد أَحَداَ يَتَكَلَّمُ في لهذا الْعِلْم، إِلاَّ رَجُلاَ أَوْ رَجُلَيْنِ. كِنَاية عن قِلَّةٍ وُجُودِ المُحَقِّقِينَ. وَلاَ يَدُلُّ هَذَا على انقطاعِهِمْ. في كلِّ زَمَّانِ رِجَال، يَرْحَمُ اللَّهُ بِهِمْ عِبَادَهُ. فَالْعَدَد المعلوم لاَ ينقطع، حتى ينقَطع الدِّين.

قَالَ فِي لطائفِ المِنَٰنِ: سُئِلَ بَعْضُ الْعَارِفينَ عَنْ أَوْلِيَاءِ العدد، أَينقصُونَ فِي زَمَن؟ فَقَالَ: لَوْ نَقَصَ مِنْهُمْ واحِدٌ، مَا أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ قَطْرَها. وَلاَ أَبْرَزَتِ الأرَّض نَبَاتَهَا. وَفَسَاد الوقت لاَ يَكُونُ بِذَهَابٍ أَعْدَادِهِمْ. وَلاَ بِنَقْصِ إِمْدَادِهِمْ. ولكن إِذَا فَسَد الْوَقْتُ. كَان مُرَاد اللَّه وقُوعَ اختفائِهِم. فإِذَا كَانَ أَهْلُ الزَّمانِ مُعْرِضينَ عَنِ اللَّهِ. مُؤَثِّرِينَ سِوَى اللَّهِ. لاَ تنجح فيهم المَوْعِظَةُ، وَلاَ تُمَيِّلُهُمْ إلى اللَّهِ التَّذْكرةُ. لَمْ يَكُونُوا أَهْلاً لظهُورِ أَوْليَاءِ اللَّهِ فِيهِمْ. ولذلكَ قالوا: أَولياء اللَّهِ عَرائِس. وَلاَ يَرَى العَرَائِس المجرمُونَ ثم قال: وَقَدْ قَال ﷺ: ﴿إِذَا رَأَيْت شُحًّا مُطاعاً، وَهَوَى مُتَّبَعاً، وَإِعْجَابِ كُلِّ ذِي رَأْي بِرَأْيِدٍ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ، (١). فَسمعُوا قول رسول الله ﷺ فآثروا الخفاء، بل آثرهُ اللَّه لهم مع أنه لأنَّ منهم، أن يكون في الوقت أثمة ظاهِرون، قائمون بالحجَّة، لقول رسول الله ﷺ: ﴿لاَّ

⁽١) رواه ابن ماجة في سننه، باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنو..، حديث رقم (٤٠١٤) [٢/ ١٢٣٠] والترمذي في سننه، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم (٣٠٥٨) [٥/ ۲۵۷] ورواه غیرهما.

تَوَّالُ طَائفَةٌ مِنْ أُمْتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقّ، لاَ يَضُرُهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى قيام السَّاعة (۱). وقال سَيِّدنا عَلَيِّ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ: اللَّهُمَّ لا تُخلِ الأرض مِن قائم لك بحجِّيكَ. أُولٰئكَ الاقلُونَ عَدَداً، الأغظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً. قلوبُهُمْ معلقة بالمحلِّ الأغلَى. أُولٰئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ في عِبَادهِ وَبِلادِهِ. آه. آه. أُواشوقاه إلى بالمحلِّ الأغلَى. أُولٰئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ في عِبَادهِ وَبِلادِهِ. آه. أَواشوقاه إلى رُويتهم. قُلْتُ: وقد وجدت هذه الأئمة في زماننا هٰذَا. وظهروا ظُهُورَ الشمس في أَفْق السَّمَاءِ على مَن سَبقَتْ لَهُ مِن اللَّهِ الْعِنَاية. ثم مَنَّ الله عَلَيْنَا بِمعرفتهم وصحبتهم. فوجدناهم من أَهْلِ التربية النَّبَوِيَّة. سالكينَ الطريق. عارفين بِعَيْنِ التحقيق. سَلَكُوا بِلاَد التجريد. وخَافُوا بِحَار التوحيد. داعين إلى اللهِ بالهِمَّةِ والحلالِ. عارفين الإمطلاح والمقال. ينهَضُون إلى اللهِ بِالْحَالِ. ويَدُلُّونَ على اللهِ بالمقالِ. سَلَكُوا مقام الجَذْبِ والْفنَاءِ. وَرَجَعُوا إِلَى مقام البقاءِ. قَذْ هَذَى اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم الجَمَّ العَفيرَ. وتَخَرَّجَ عَلَى أَيْدِيهِمْ خَلْق كثيرٌ. غَيْرَ أَنَّهُ لا بُدُ الشَّمْسِ من سَحَابٍ. وللحسناءِ مِن نِقَابٍ. فَسَتَر اللهُ سِرَّهُمْ بَبَعْض ما يظهر من بَعْض أَصحابِهِم من الأحوالِ الظلمَانية، والأفعال الشيطانية؛ وهم مُبَرَّوونَ من بَعْض أَصدون دائماً مِن فِعْلِهَا. وكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مقدوراً. وَبِاللهِ التوفيق. ولا عَوْدَ إلاَ بِاللهِ العلي العظيم.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدُّنَانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلاَّ اسْمُ

قُلْتُ: هٰذَا هو الصوابُ في اتّصَالِ هٰذَا البيْتِ بِمَا قَبْلُهُ لِلْمُنَاسَبَةِ. ولَعَلَّ النَّاسِخ أَخْرَهُ عَن مَحَلِّهِ. والأخشاء، جمع حُشْوَة بِالضَّمِّ وهُوَ مَا في البَطْنِ مِنَ النَّاسِخ أَخْرَهُ عَن مَحَلِّهِ. والأخشاء، جمع حُشْوَة بِالضَّمِّ وهُو فَخَّار كبير، أسفله الأمْعَاءِ. والدِّيئان، جمع دَنَّ، بفتح الدَّال، وشدَ النُّون. وهو فَخَّار كبير، أسفله رقيق، لا يجلس حتى يحفر لَهُ. ويُقال له الرَّاقُود. يُخْزَن فيه الخمر والخلّ. وأطلقه هُنَا على القلوب، أو الأشباح لأنها أوّانِي للخمرة الأزلية. وتصاعد والشيء ارتفع. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِ ارتفعَتْ هذه الخمرة، وتصاعدت من الشيء ارتفع. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

⁽۱) رواه مسلم في صحيحه، باب قوله ﷺ لا تزال..، حديث رقم (۱۰۳۷) [۳/ ١٥٢٤] والترمذي في سننه، باب ما جاء في الشام، حديث رقم (۲۱۹۲) [٤/ ٤٨٥] ورواه غيرهما.

أَجْوَافِ النَّاس، ومن بيْن أَحْشاء الصُّدُور. ولم يَبْقَ منْهَا في حقيقة الأَمْرِ، إلاَّ اسْمٌ بِلا مسَمَّى. وَرَسْم بِلاَ دَارِ. وكذلك عِلْمُ التصوّف الحقيقي، لم يَبْق منْه إلاَّ التشدق باللُّسَانِ، مَعَ خَرَابِ الجنان، وفي ذلِك يقول القائل:

صَارَ التَّصَوُّفُ محرفَةُ وسَـــجُــادة مُــزُ وقــة وَتَ اجُداً ومنطقة سنن الطريق المُلْحَقَة

أخبلُ الستسعبوف قَبِذُ مُبضوا صَارَ الــــصــوّف رتــعــة صَارَ السَّصَوُّفُ سُسُحَة كَـذَبِـثُـكَ نَـفُـسُـكَ لـبُـس ذِي وفيما تقَدَّمَ قَبْلَ لهٰذَا كِفَايَة. والبَرَكَة لاَ تنقطِعُ. وبِاللَّهِ التوفيق.

ثم قالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشَاوَى وَلاَ عَارٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ إِثْم قلت: الحيّ: القبيلة. قالهُ فِي القَامُوس. والنشاوى جمع نشْوَان، كسَكْرَان، وَزْناً ومَغْنَى.

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ذكرت هذه الخمرة، ذكراً حقيقياً بالعلم والحال في قبيلة أو مَدْشَرِ، أَوْ بلد. أصبح أهل ذلك القبيلة سُكَارَى وَالهينَ مِنْ ذكر الحبيب، غالب عنهم الجذب إلى الحَضْرَةِ الأزَليةِ. لكن بشرط أَنْ يكُونَ ذاكرها غالباً عليه السكر والجذب مَعَ طرف مِنَ الصَّحْوِ وأَن يَذْكرَهَا مَعَ أَهْلِهَا. فَإِنْ كَان كما قلْت، فَلاَ شَكَّ فِي سُكْرَ أَهْلِ ذٰلك البَلد. وانجِذَابِهِمْ إلى الحَضْرَةِ وإشراق أنوارها عَلَيْهِمْ. قلتُ: وقد شهدت لهذَا المعنى، حين خَرَجْنَا إلى قبيلة أنجرة والفَحْص، في العام الأول من مُلاَقاةِ الشيخ، حيث كَان السكْر غالباً عليْنَا، فَكُنَّا إذا بتنا في مَنْزِلٍ يُصْبِح أهله جلهم سكَارى، يلهجون بذكر الله. وقد رأينت الصبيان، والرُّعَاة والحرَّائين يَتْبَعُونَا، وهم يَبْكُونَ. فَمَا كُنَّا نَرُدَهُمْ إِلاَّ بِجُهْدِ جهِيدٍ. وقد رأَيْتُ في فَحْص طَنجة، أَصْحاب المخزن، وأَرْباب الدُّولة علقُوا التسابيح، وتابُوا، وتركُوا مَا كَانُوا عليه. فحققنا لهذا الأمر الَّذِي ذكره الشيخ عيانًا والحمد لله. وقولهُ: وَلاَ عار عليهم. . إلخ. . تعريف بالخمرة الحِسِّيَّة. فإنَّها فيها الْعَيْبُ وَالإِثْمُ مِنْ قبل الشَّرْع. لتغييب الْعَقْلِ وتلفه في الظلمة. فتشغله عن ذِكر اللَّهِ، وعن الصَّلاَةِ بِخِلاَفِ هذه. فإنَّ العَقل يغيبُ في نورِ الحبيب، وبهائه وحسن جَمَاله. ففي ترْكها الْعَارُ والإِثْمُ، لاَ في تَعَاطيها، كما يأتي عنْدَ قوله:

وقالوا شَرِبْت الإثم كَلا وإنما شربْت التي في تركها عِنْديَ الإثمُ وباللهِ التوفيق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلَى خَاطِرِ امْرِى ، أَقَامَتْ بِهِ الْأَزْوَاحُ وَازْتَحَلَ الْهَمُ

يقول رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: إِذَا خَطَرَتْ هذه الخمرة الأزلية؛ وهيَ الْمَعرفة المحقيقية؛ على قُلْبِ امرِىء موّحُد مُطَهر من الأغيار، سالم مِن خيالاَتِ صُور الآثار. ودَامَ ذلِكَ الخطور، بحيث لاَ تخلّلهُ فتورٌ. أَقَامَتْ: أَيْ سَكَنَتْ في ذلِكَ الْقَلْبِ، بِسبب شهودِ تِلكَ الْخَمْرَةِ، الأفراح والسرور. والابتهاج والحُبُور. والْقَلْبِ، بِسبب شهودِ تِلكَ الْخَمْرةِ، الأفراح والسرور. والابتهاج والحُبُور، وارْتَفَع عنهُ الأَخْرَان وَالْهُمُوم. بمُشاهدة الحيّ القيّوم؛ لأنَّ تلك الخمرة، هي مغرفة الذات الأزلية. على ما يأتي في تفسيرها إن شاء الله أ. وَجنَّةُ المعارف، أَخظَى عند المَارفين مِن جَنِّةِ الرَّخارِف؛ لأن من دَخل جَنَّة المعارف، لم يشتن إلى جنَّة الرَّخارِف؛ لأن من دَخل جَنَّة المعارف، لم يشتن يَحْنَونُونَ ﴿ أَلَا إِنَ أَوْلِيَاتُهُ اللّهِ لَا خَوْقُ عَلَيْهِمْ وَلاَ مُرَونُ اللهِ وَاللهُ عَنْ رَأْتُ، وَلاَ أَذُنْ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلى عَلَى الدَّارِيْنِ. وأَيْضاً: إِنَّمَا تطرق الفُهُومُ والأَخْرَان، بسبب وجود الإنسَان. وأمًا مَنْ تحقق له الزَّوال. فَلاَ يرى إلاَ غاية الكَمَال مَا تجده القلوب من الأخرَانِ. فلما تحقق له الزَّوال. فَلاَ يرى إلاَ غاية الكَمَال مَا تجده القلوب من الأخرَانِ. فلما منعت من الشهود والعيان، كَمَا قالَ صاحِب الحِكَمِ: ﴿ أُوحَى اللَّهُ إلى داود عليه السَّلاَمُ: يا داود، قل للصديقين: بِي فَلْيَفْرَحُوا. وَيِذِكْرِي فَلْيَتَمَتَّعُوا، أَي لاَ

⁽۱) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب ما جاء في صفة الجنة..، حديث رقم (۳۰۷۲)]۳ (۱۱۸۵) ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة..، حديث رقم (۲۸۲٤) [٤/ ٢١٧٤] ورواه غيرهما.

يَصْفُو الْفَرَحُ وَلا يكمل النُّعيم. إلاَّ بالنَّظَرِ إلى وجهه الكريم. وَقَالَ تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِّرَجْمَتِهِم فَبِلَالِكَ فَلْيَغْرَجُوا﴾ [بونس: ٨٥] أي لاَ بغيره. ففضل اللَّه معرفته، وَرَحْمَتُهُ: هدايته. وقال الشَّاعر فِي هذَا المَغْنَى:

أَنْتُمْ سُرُودِي وَأَنْتُمْ مُشْتِكَى أَلَمِي وَأَنْتُمْ فِي ظلام اللَّيْلِ أَقْمَادِي فَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ أَنْطِقْ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ صَمَمْت فَأَنْتِم عِقْدُ إضماري وقال آخرُ :

> إِنَّ عِسرُفَانَ ذِي الْسَجَسِلاَلِ لَسعِسزٌ وَعَلَى الْعَادِفِينَ أَيْضاً بَهَاءُ فهنيئاً لِمَنْ عَرَفَكَ إِلَّهِي وقُلْتُ في تائيتي الْخَمْريَّةِ:

> فَفِي سَكُرَةٍ مِنْهَا سُرُورٌ وَغِبْطَةً

وقلت فِي عَيْنيتي:

ولِي لَوْعَةُ بِالراحِي إِذْ فيهِ رَاحَتِي ﴿ وَرُوحِي وَرَيْحَانِي وَخَيْرُهُ وَاسِعُ

وإنما قَيَّدْنَا كَلاَم الشيخ بِدَوَام خطور تلك الخمرة؛ لأنَّ مطلق الخطور والمرور، لاَ يُوجب دَوَام السّرور، لأن ذلك كبرق سَرَى. فإِذَا انْسَدَلَ الحجاب، برفع ذلِك النُّور، زال الْفَرَح والسّرور؛ لأن صاحب لهٰذَا المقام، صاحب تلوُّنِ. وصاحب التلوين ما زال في السَّيْرِ مَعَ السَّائِرِينَ، والسَّفر قطعة من العذاب، فلا يسْتريح مِنَ التَّعَبِ، وَلاَ يُفَارِقهُ النَّصب، حتى يصِل إِلَى مَقَام التَّمكِينِ. فحيننذ

يسْكن فسيح الجنان. وتضمحل عَنْهُ الْهُمُومُ والأَخْزَانُ، كما تقدُّمَ. وَبِاللَّهِ

ثم قالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لأسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذٰلِكَ الْخَتْمُ وَلَوْ نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتَمَ إِنَائِهَا

قلتُ: النُّذْمان، يكون مُفْرداً ويكونُ جَمْعاً كَمَا فِي الْقَاموسِ. والْمُرَادُ هُنَا الجمعُ. بِدَليل جَمْع الضَّمِير في قوله: الأسكَرهم، وهم الجماعَة التي تتحدَّث على الْخَمْرِ في مَجْلِسِهِ. وَخَتْمُ الإِنَّاءُ: مَا تُسَدُّ بِهِ.

وضياء وبسهجة وسرور وَعَلَيْهِمْ مِنَ المَحَبَّةِ نُورُ هُـوَ وَالسِلِّـهِ دَهْـرُهُ مَسسُرُورُ

وخَيْرُ حَيَاةٍ فِي نَعِيمٍ وَبَهْجَة

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تشبيه الخمرةِ الأزلية، بالخمْرَة الحسية، أو بالرّحيق المختوم في الجنّة، فإنّ هذه الخمرة الأزلية، مخزونة في أوانِيها. مختوم عليها بختام الحفظ والصّيَانَة. فلو نَظَرَ القاصدون لشربَها. إلى ذٰلِكَ الْخَتْم، لسَكروا قبل الشُرْبِ. فما بالكَ بالشرْبِ. فما بَالُك بالرّيّ.

قلت: وأَوَانِي هذه الخمرة؛ هي: بواطن العَارفين. وخَتْمَها هي ظواهر بشريتهم. فكُلُ من قَصَدَهُمْ بِالتَّعْظِيمِ وَالأَدَبِ، ونظر إليهم بالخضوع والإنكسار، والذَّلَة والافتقار. جَازِماً بوجود خصوصيتهم، سَكِرَ لمجَرَّدِ رُؤْيتهم، قبل أَن يَاخُذَ عَنْهُمْ وَيَصْحِبَهُمْ. وقد شهدنا هٰذَا السَّرَ من أَنفسنا، ومن أشياخنا. فكثير من الْمُريدِينَ، حَصَلَ لهم الجَذْبُ والسَّكُرُ، قبل أَنْ يتلقّوا الوزد، بل لمجرَّدِ الرؤية. وقد رَأَيْت بعض النَّصارى بثغر سبته (۱)، حين قدِمنا عَلَيْهَا، لمَّا عَقدنا حلقة الذُكر. انجذبُوا وتبعونا إلى منتهَى الحَذ الذي بيْنَنا وبينتهُمْ. وبَقوا مَبْهُوتِين واقفين خَلْفَنَا. لما أَشرقَ عليهم من نور الخَمْرَةِ. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ.

قال القطب مَوْلانًا ابن مشيش رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ في هذا المعْنَى ـ لمّا تَكَلّمَ على المحبّة ـ فَمِنْهِم مِن يَسْكُرُ بشهودِ الكَأْسِ. ولم يَذَق بعد شيئاً. فَمَا ظَنْكَ بَعْدُ بِالذَّوْقِ، وَبَعْدُ بِالشَّكْرِ بالمشروبِ. ثم الصحو بعد ذلِكَ على مقادير شتَّى. كما أسكر أيضاً كذلكَ. والكَأْسُ: مِغْرفة الحق، يُعْرف بِها ذلكَ الشراب الطهور الصَّافِي لمَن يشاء من عبادِهِ المخصوصينَ من يُعْرف بِها ذلكَ الشراب الطهور الصَّافِي لمَن يشاء من عبادِهِ المخصوصينَ من خَلْقِهِ. فتارة يشهد الشارب تِلْكَ الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية. وتارة يشهدها علمية. فالصورة حظ الأبدانِ والأنفس. والمعنوية حَظ القلوب والعقول. والعلمية حَظُ الأرواح والأَسْرَار. فَيَا لَهُ من شَرَابِ ما أَعْذَبَهُ وَ فطوبَى لمَن شَرِب وَدَامَ ولم يقطع عَنْهُ. نشألُ الله من فَضْلِهِ ﴿ وَالِكَ فَشَلُ اللّهِ يُوْنِيهِ مَن فَرْاكِ فَشُلُ اللّهِ يُوْنِيهِ مَن

وقد تجتمع جماعة من المحبِّينَ فَيُسْقَوْن مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وقد يُسْقَوْنَ مِن كَوْرس كثيرة. وقد يُسْقَى الْوَاحد بِكأس وَبِكؤوس. وقد تختلف الأشربة حسّب

⁽١) سبتة: مدينة مغربية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

عدد الأكوَاس. وقد يختلف الشرب من كَأْسٍ واحِدَةٍ. وإن شَرِبَ مِنْهُ الجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الأَحِبَّةِ. انتهى كَلاَمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، أي يشهدها حسية. ويشرب مِنها خَمْراً حِسِياً. على وَجْهِ الْعَادَةِ. يكون هٰذَا فِي حَالِ البِدَايَةِ في الجذبِ الأول. وقد أَخْبَرَنِي أَخِي، أَنه كَان يجد في فَمِهِ طعم الخمر-الحسي. ورائحته الحسية، في جذبِهِ الأول. وتارة يَشهدها معنوية. يغني يشهد حَلاَوة المعاملة. ولذيذ الطاعَة. فيغيب قلبه في حالة الذُّكْرِ. إن كَان مَسْدوداً عليه الحجاب.

وقوله: تارة يشهدها علمية، أي يشهدها بِالْعِلْمِ. والمراد بِهِ عِلْمَ الْوحدة برَفْع الحجاب. فيسكر في شهود أنوار الحبيب، ثم يَضْحُو مِن سُكره.

وقوله: فالصّورة حظ الأبْدانِ والأنفسِ؛ لأنَّ هذه الحالة، تكون لأهلِ البدايات، فأبدانهم كثيفة. ونفوسهم قوية. فلا يؤثر فيها إِلاَّ الشيء المحسوس. وأَيْضاً من نَوْع الكَرَامَة الحسية، فيتقوَّى بِهَا المبتدىء دون المنتهي.

وقوله: والمغنوية حظّ القلوب والعقول. إنما كانت المعنوية حظّ القلوب والعقول؛ لأنَّ هذه الحالة، تكون للمتوسطينَ السَّائرينَ. قَدِ انقلبَتْ مُعَاملتهم البَدنية، قلبية وعقلية. فلا يسْقَوْن إلاَّ مِنَ المَعَاني اللطيفة، وإن كَانُوا محجوبينَ عَن رُوْيَتهم ولكنَّهم مستشرفون عَلَيْهَا، قد لاَحَتْ عَلَيْهِمْ أنوارها، وأشرقت عليهم أسرارها.

وقوله: والعلمية حظَّ الأرواح والأَسْرَار؛ لأنَّ الرُّوحَ والسَّر هو محلَّ الشهود والعلم بالوحدة. فلا تشقى إِلاَّ مِنْ مَاذَة العِلم. فالوحدة، حتى تغرق في عين بَخر الوحدة. وَلاَ تسمَّى روحاً ولاَ سِرّاً، حتَّى ينكشف عنها الحجاب. تدخل مع الأخبَاب. وإلاَّ فيُقال فيها النَّفس والعقل، والقلْب. الموضوع واحد. وقد قُلْتُ في هٰذَا المَعْنَى من قصيدتي الرَّائيّة التي أَنْشَدتها في الرُّوحِ، وتقلبات أطوارها، فقلت في بَعْضِها:

هِيَ النَّفْسُ ثُمَّ العَقْلُ والْقَلْبُ تَالِيَا فَإِنْ أَخْلَدَتْ أَرْضُ الْهَوَى وَتَظَلَّمَتْ

لَهَا الرُّوحُ ثُمَّ السَّرُّ فِي صَفَاءِ التَّبْرِ فَنَفْساً تُسَمَّى ذَاكَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ

وَإِنْ عقلتْ أَيْدِي الْهَوَى بِأَزِمَةٍ وإِن سَكَنَتْ لِلْخَيْرِ لٰكِنْ خَوَاطِرُ بِذَاكَ تُسَمَّى الْقَلْبَ مَالِكٌ أَمْرَهَا وَإِنْ لَحَظَتْ رُوحُ الْوِصَالِ بَوُمُهَا فَروحاً تُسَمَّى فِي نَشَاءَةِ أَصْلِهَا فَإِنْ صُقِلَ الْمِزَآةُ عَنْ غَبْشِ حِسِّهِ فَإِنْ صُقِلَ الْمِزَآةُ عَنْ غَبْشِ حِسِّهِ انتهى المقصود مِنْهُ.

فَعَقْلْ بِهِ نبطَ التكَلُفُ بِالأَمْرِ تُقَلِّبُهَا قَلْبَ السُّفُنِ عَلَى الْبَحْرِ بِهِ صَلاَحُ الأَعْضَاءِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَزَالَ تَعَبُ الحِسِّ فِي سَاعَةِ الذِّكْرِ وَلٰكِنْ بَقَايَا الحِسِّ تَشْرُقُ لِلْبِرِّ فَلْكِنْ بَقَايَا الحِسِّ تَشْرُقُ لِلْبِرِّ فَلْلِكَ سِرُ اللَّهِ ضُمَّ إِلَى السَّرِّ

قوله: وقَدْ تَجْتَمَعَ جَمَاعَةً... الخ يعني. قد تَسْقَى جَمَاعَةَ عَلَى يَدِ شَيْخَ وَاحْدِ؛ وَهُوَ الْمُرَاد بِالكَأْسِ.

وقولهُ: وقد يُسْقَى من كؤوس كثيرة. أَي كل واحد يشرب من واسطة شيخه. وقوله: وقد يُسْقَى الواحد بكأس وبِكُؤُوس. يَغنِي أَنَّهُ يُسْقَى أُولاً من كأسِ شيْخه، ثم يُسْقى مِن شيوخ أُخْرَى. إِذَا أَذِنَ لَهُ شَيْخُه فِي مُلاَقاتهم. وقد يكون للمجذوب نحو أَرْبَعِينَ شَيْخاً. كلهم غرَف منهُم. إِلاَّ أَنَّ لهذا نادِر. أَوْ يَكُونُ بَعْدَ الترْشيد. واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ.

وقولهُ: وقد تختلف الأشربة، يعني يكون بغضها ممزوجاً بالصَّخوِ؛ وهو الكَامل من الشراب، وبعضها يكون جَذْباً صِرْفاً ثم يصْحُو. وبعضه الجذب غالبٌ. وبَعْضُها السلوك غالبٌ. إِلَى غَيْرِ ذُلِكَ. وذْلِكَ بِحَسَبِ المشروب. وعلى عدد الكؤوس.

وقولهُ: وقد يختلفُ الشُّرْبُ من كأسِ واحدة. أي من يَدِ شَيْخ واحدٍ. فيكون الماء واحداً. والزّهر أَلواناً. فالخمر واحد، والأواني مختلفة. فبغضها صَلْبة قوية واسِعَة. لاَ يَغْلبها السُّكُرُ. وبعضها رقيقة لطيفة، أو ضيقة؛ أقل شيء يؤثر فيها. والماء واحدٌ وهو الصحو لكمال السَّاقي. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وبِاللَّهِ التوفيق. وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوةً إلاَّ باللَّهِ العليّ العظيم.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيْت لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

قُلْتُ: النَّضْحُ: الرَّشُّ. والثَّرَى: التراب. وانتعشَ: انتهضَ وارْتَفَعَ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه الخَمْرَة الأزلية؛ وهي الحقيقة الإِلهية لها قوة عظيمة. وتأثير قوي في قُلْبِ الحقائق، خَرْق العوائد الحسية والمعنوية. فلو رشَّ أصحابُها منها رشة على قَبْر ميّت، لَنَهَضَ وازتفع من قَبْرِهِ بإذن رَبِّهِ. ويقوى تأثيرها بقدر تحقيقها. وحصولها في قُلْب صاحِبِها. حتى يكون من تحقق بها. أَمْرُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ. ولذلك كَانَت الأنبياء والرُّسُل، تنفعل لهم الأشياء، وتخرق لهم العوائد أكثر من غَيْرهم. فكان سيدنا عيسى عليه السلام، يحبي المَوْتَى، وَيُبْرىءُ الأَكْمَة والأَبْرَصَ بإذنِ اللَّهِ. وَكَان نبيئنا عليه الصَّلاة والسلام يطعم الجمَّ الغفير من صَاع مِن طعام، ويسقي الجيش الكثيرَ من بين أصابِعِهِ الشَّريفة يَعِيْدُ. وقد أُخيا المؤودة، وخيَّرها في الرجوع أو البقاء، فاختارت الرجوع إلى ربّها. وأخيًا أبويه حتى أَسْلَمَا على قَوْلٍ. وَرَدَّ عَيْن قتادة بعد أَن انتثرت في يدهِ. فكانَتْ أُخسَنَ عينيْهِ. إلى غَيْرِ ذلك مِمَّا لاَ يَنْحَصِرُ. وكرامَة الأولياء من هذا المَعْنَى متواترة، لاَ يمكِن حَضرها.

ويحتمل أنَّ كَلاَمَ الشيخ، على سبيل المجاز والإشارة. فيُريد بثرى قَبْرِ الميت، بشرية الجاهل أو الغافِل. وبانتعاش روجه: حياتها وارتفاعها بالمعرفة والْعِلْم. أي ولو نَضَحَ العارفون من خَمْرَة هِمَّتِهم على ظَاهر من ماتت روحه بالجَهْلِ والغَفْلَةِ، لحييَتُ وَانْتَهَضَتْ إِلَى حَضْرَةِ الحقِّ. وارتفَعَتْ بالعلم والذَّكْرِ من سَاعتها. وهٰذَا الأمر مجرَّب عند أَهْلِ الصَّدقِ. وفي بعض الأثر: "إِنَّ لله رَجَالاً مَنْ نَظَرَ إليهم سَعِدَ سعادة لا يشقى بَعْدَهَا أَبَداً».

وكَان الشيخ أَبُو العبَّاس المرسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: "واللَّهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ إِلاَّ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَغْنَيْتُهُ". وقد شهد له بذلك شَيْخُهُ. فقال: نعَمْ. الرجلُ أَبُو العباس؛ يأتيه البَدَوِيّ يَبُول على سَاقَيْهِ. فَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ وَلِيّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ. ولقد سمعْتُ شَيْخَنَا البُوزَيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الشيخ أَبو العباس، يُغْنِي بالنَّظْرَةِ. فَلَقَدْ بَقِيَ في زَمَانِنَا لهذَا، مَنْ يُغْنِي بالنَّظْرَةِ كَالشبخ أَوْ أَكْثَرَ. وسمعت شيخه مَوْلاَي العربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لقد بقي العارفُونَ في زماننا لهذا، كالشاذلي وأمْثَالِهِ - يُشير إلى نَفْسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهذا أَمْر

شهير عند أهلِ الذّوقِ وأهلِ الصّدق. . كل مَن قَصَدَهُمْ بالصّدْقِ ربح مِنْ سَاعتِهِ . وحيي بَغدَ مَوْتِهِ . وهذا الاحتمال عندِي أقربُ ، لتحقق لهذا الأمر للعارفينَ بخلاف الأول . فإنه مِنْ باب الكرامَة الحسّية . وَهُمْ لاَ يلتفتون إِلَيْهَا . وقد لاَ تَظهَر لَهُمْ . فكم من عارف كاملٍ ، أخيًا الله على يده الجمَّ الغفير من أموات النّفُوس والقلوب . ولم يظهر على يديه شيء من الكرّامات الحسية إِلاَّ أموات الموتى الذي ذكره الشيخ . وأيضاً : عِلْمُنَا كُلُه إِشارة وَأَلْغاز ، فَلاَ يُحْمَل على ظاهرِه إِلاَّ مَن لم يعرف مقصدهم . والله تعالى أغلَمُ .

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطٍ كَرْمِهَا ﴿ عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السَّقَمُ

قلت: الفيء: ظل الشيء بعد أن كان شَمْساً. والحائط: البستان. وَأَشْفَى عَلَى الْمؤت: أَشرف عليه.

يَقُول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه الخمرة الأزلية، لقوَّة تأثيرها تشفي الأسقام وَالْعلل. قبل ظهورها من موادهًا. فَلَو طرح عليل، وقد أَشْرَف على الْهَلاك في ظل بستانِ أشجارها قبل أن تعقَّر بل قبل أن يظهر عنبُها. لَشَغلهُ اللَّهُ. وَفَارقه السُّقْمُ من سَاعته. وهٰذَا يحتمل أَنْ يكون مُبَالغة في مَذْحِهَا. وأَنّها لو كانت حسية وجُعل ذلك، لكون الأَمْر كَمَا قَالَ.

ويحتمل أن يريد به العليل سقيم القلْبِ. وبالحائط، بستان العارفينَ. فكل مَنْ دَخَلَ فِي ظِلْ محبّتهم، شفاهُ اللَّهُ مِنْ مَرَضِ قَلْبِهِ، ولو أشرف على الهلاك بالشكوك والخواطِر، والذنوب والجرائم. وهذا أيْضاً مجَرَّب. إِذ الْمَرْءُ على دين خليله. ومن تحقق بِجَلالةٍ، لا يَخْلُو حَاضِرُوهُ مِنْهَا. وفي الخَبَرِ: «تَعَلَّمُوا اليقين بمجالس أهل اليقين» (۱). واللهِ ما أفلح من أفلح؛ إِلاَّ بصُحْبة مَن أَفلَحَ. وفائدة الصحْبة وثمراتها. أمْر شهير لا يحتاج إلى دَليل. وجُرَّب. ففي التجريب عِلْم الحقائق. ولايْنِ عَبَّادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَظْم الحِكَم:

إِنَّ النَّواخي فَضلهُ لا يُنكَرُ وَإِنْ خَلاَ مِنْ شَرْطِهِ لا يُشكَرُ

⁽١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

والشَّرْط فِيهِ أَنْ تُوَاخِيَ الْعَارِفَ عن الحُظُوظِ واللَّحُوظِ صَادِفاً. مَعَالُهُ وحَلاله سَيَّانِ مَا دعوْنَا إِلاَّ إِلَّى ى الرحْمُنِ أَنْوَارُهُ الدَائِمَة السرايَا فِيكَ وَقَدْ حُفَّتْ بِكَ الرَّعَايةُ

وقال سيدي إبراهيم التَّازي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «زيَارة أَرْبَابِ التَّقى مَرْهَمٌ يُبْرِي وَمِفْتَاحُ أَبُوابِ الهِدَايَةِ والْخَيْرِ. وَتُخدِثُ فِي قَدْرِ الْخِليِّ إِرَادَةٍ».

> ونَشْرَحُ صَدْراً فَاقَ مِنْ سعَةِ الْوِزْرِ وَتَهُ وتنحسب معدوماً وتَجْبُر ذَا كَشْرِ فَكَ فَأَلْقَتُهُ فِي البَحْرِ والبَرِ. إِلَى أَنْ قال:

وَتَنْصُر مظلوماً وَتَرْفَعَ خاملاً فَكُمْ خَلْصَتْ مِنْ لَجّة الإِثْمِ فَاتِكاً

مُرَبُّ وَمَجْـدُوبٍ وَحَـيُّ وَذِي قَـبْرٍ عَلَيْهِ وَلٰكِنْ لَيْسَتِ الشَّمْسُ كَالْبَدْرِ وَلاَ فَرْقَ فِي أَحْكَامِهِ بَيْنَ سَالَكِ وَذِي الزُّهْدِ وَالعُبَّادِ فَالكُلُّ مُنْعَم ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ قَرِّبُوا مِنْ خَانِهَا مُقْمَداً مَشَى وَتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرى مَذَاقتهَا الْبُكُمُ قَلْتُ: تقدَّمَ أن الْخَان: هو حائوتُ الْخَمَّارِ أَوْ دَارُهُ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: ولو قرَّبُوْا مَحْبُوساً عَنِ المَشْيِ. مِنْ محل هذه الْخَمْرةِ الأَزْلِية. لاَنْطَلَقت رِجْلاَهُ للمَشْي سَرِيعاً. قَبْلِ الوُصُول إلى مَجِلُهَا. فَمَا بالُكَ لَوْ دَخلَ خَدنَهَا أَوْ شَرِبَ مِنْهَا. وكذلك لو ذكرت حَلاَوة مذاقتها عِندَ الأَبْكَمِ لَنَطقَ سريعاً مِن بَرَكَةِ ذِكْرهَا. فَمَا بالُكَ لَوْ ذَاقَها بِلسانِهِ. ولهذَا الذي لأَبُكَمِ لَنَطقَ سريعاً مِن بَرَكَةِ ذِكْرهَا. فَمَا باللَّكَ لَوْ ذَاقَها بِلسانِهِ. ولهذَا الذي ذُكر، يَحْتَمِل أَنْ يَكُونَ حقيقةً، فَإِنَّ في كَراماتِ الأولياء، مثل هذا أَوْ أكثر. كقصَّة الجارية التي كانَت مقعدة سِنينَ. فلمًا بدت عند أهلها رجلاً صالحاً تَوسَّلَتْ بِهِ. فقامَتْ مِنْ حينها. إلى غَيْر لهذا مما يظهر على يَدِ الأولياء، من الكراماتِ الحسية. ويحتمل أن يكون مجازاً. فيكون المراد بالمُقْعَد؛ مَن حُسِسَ الكراماتِ الحسية. وأقعده الكسل عن الطَّاعاتِ. وَحَبَستُهُ الشهوات، عن النهوض عن الخَيْرَات. وأقعده الكسل عن الطَّاعاتِ. وَحَبَستُهُ الشهوات، عن النهوض عن المقاماتِ. فإذا قرب من أهل هذه الخمرة؛ وهم العارفُونَ، انطلقَتْ قيودُهُ. إلى المقاماتِ. وعقد لسانَهُ الجهلُ والبِدْعةُ. فَلاَ ينطق إلاَ بما لاَ يَعْنِي. وَلا يتكلم إلا الْعَفْلة، وعقد لسانَهُ الجهلُ والبِدْعةُ. فَلاَ ينطق إلاَ بما لاَ يَعْنِي. وَلا يتكلم إلا

فِي الحسِّ فإذا صحب العَارفينَ، تَجَوْهَرَتْ نَفْسهُ. وانطلقَ لسَانُهُ. فيتكلَّمُ بالحِكَم والْمُلُومِ اللَّدُنيَة أَرْبِعِينَ يَوْماً نطق بِالحِكْمَةِ»^(۱) أَوْ كما قَالَ. وقال أَبُو سليْمَان الدَّاراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذَا ابْتَعَدَتِ النُّفُوس عن تَرْكِ الآثام جَالَتْ فِي الملكوتِ. ثم رَجَعتْ إلى صاحِبِهَا بطرائف العلوم مِنْ غَيْر أَن يُؤَدِّيَ إليها عالمٌ عِلْمنا.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيبِهَا ﴿ وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُّ

قلت: عبقت الريح: إذا هبَّتْ وقال في القاموس: عَبِقَ عَبْقاً وعباقة: برق. وَلاَ يُنَاسِب هُنَا. والأنفاسُ جمع نَفَسِ بالتحريكِ وهُوَ الرّيحُ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ هَبَّتْ أَنْفَاس طيبٍ لهذه الْخمرةِ الأَزَلية مِنَ الْمَشرقِ. وفِي المغربِ مَزْكُومٌ أَي مَريضٌ بِالزُّكامِ. وهو الَّذي لاَ يَشُمُّ شيئاً. ثم وصَلَتْ إليهِ أَنْفَاس تلك الخمرة؛ أَيْ نسيمها الطيب، لعادَ لَهُ الشَّمُ. وهذا صحيحاً من بَرَكَةِ طيبها. وقوة ذَكائِها.

وهذا يحتمل أيضاً أن يكُونَ على ظاهِرهِ مُبَالغَة فِي مَدْحِ نَسِيم هذه الخمرة لو ظَهَرَ للحسِّ. ويحتمل أن يكون المراد بالمزكوم: مَنْ لا يشمُّ شيئاً من رائحة الخصوصية. مريض بالإنكار على أهْلِهَا. فَإِنَّهُ لو تَوَجَّهَتْ إليه هِمَّتُهُمْ، وَعَبقت أنفاس خَمْرتهم نحوه وَلو كَان بعيداً منهمْ فِي المسافات؛ لزَالَ عنهُ الإِنكارُ. ولشمَّ رائحة الوِلايَة عَلَيْهم، وبَادَرَ إلى صحبتهِمْ وخِدْمَتهمْ، حتى ينخَرِط فِي سِلْكِهِمْ، ويجلس على بِسَاطِ الْقُرْبِ والمؤانسة فِي مجلسهم. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُ لامِسٍ لَمَا فَلُ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ قَلَتُ: خُضِبَتْ كَفَه: لوَّنَها بِالخَضيبِ. ولمسه يلمِسهُ ويلمَسهُ: مسَّهُ بيَدِه.

⁽۱) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء [۸/ ١٠٩] عن ابن وهب عن مالك قال بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة.

وَفَلَّ يَفِلُّ بالكسر والفتح: ضاع وتلف. قاله فِي القاموسِ:

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ خُضِبتْ مِن كَأْسِ هذه الخَمْرة الأزلية كفّ مَن مسَّها لأشْرَقت يده، وصَار نَجْماً يُهْتدى بِهَ في ظلمة البَرّ والبَحْرِ. وتصير يده، كيّدِ سَيْدنَا موسى عليه السلام، حينَ ضَمَّها إِلَيْهِ. فإذا سَار في الليل، اهتدى. فلا يضلُّ عن الطريق. كَمَن فِي يدهِ نَجْم يُضيء له الطَّريق.

وهذا أيضاً يحتمل أن يكون على ظاهره، مبالغة في تأثرها في خرق العوائد الحسية. ويحتمل أن يريد بخضب الكف منها، مُبَاشرتها القلب. واتصالها به. فإنها لو توقفت إليه، لأضاء له نُورٌ يهتدى به في حل مشكلات بر الشرائع. وغامض بَحرّ الحقائق. فلا يضلّ في سَيْره إلى عَيْن التحقيق. وفي قلبه هذا النّور العظيمُ. قال تعالى: ﴿ يَكَايُمُ النّبِينَ مَامَنُوا إِن تَنْقُوا اللّهَ يَعْمَل لَكُمْ وَلَيْكَ النّور العظيمُ. قال تعالى: ﴿ يَكَايُمُ النّبِينَ مَامَنُوا إِن تَنْقُوا اللّه يَعْمَل لَكُمْ وَلَيْكَ النّفال: ٢٩] أي نوراً يُفرق بين الحق والباطل. وفي كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي رَضِيَ اللّه عَنْهُ، ما يوافق لهذا الإحتمال؛ أعني: إطلاق الحسّ على وصول علم الحقيقة إلى القلب. فإنه قال: المحبّة: آخذة مِنَ الله، قلب عبده، عن كُلُّ شيْء سِوَاكَ. فترى النفس ملائكة متحصّنة بِمَعْرِفَتِهِ. والروح عبده، عن كُلُّ شيْء سِوَاكَ. فترى النفس ملائكة متحصّنة بِمَعْرِفَتِهِ. والروح ويفاتح بما هو عَذْب مِنْ لذيذٍ مُنَاجَاتِهِ. فيكسى حلل التقريب. على بِساط ويفاتح بما هو عَذْب مِنْ لذيذٍ مُنَاجَاتِهِ. فيكسى حلل التقريب. على بِساط ويفاتح بما هو عَذْب مِنْ لذيذٍ مُنَاجَاتِهِ. فيكسى حلل التقريب. على بِساط القربة. ويَلْمس أَبْكَار الحقائق، وتَبِّبات العلوم. المراد منك. فأطلق المَسً على وصول العِلم إلى القَلْبِ. وجعل عِلْمَ الحقائق كَالأَبْكَار. وعلم الشرائع كَالنَّيبات. لصعوبة إدراك الأول دونَ الثاني. إذ قَدْ يُدركه مَنْ لاَ خَلاقَ لهُ مَن لاَ خَلاقَ لهُ مَن المُقدة، وقُضَاة الجُور. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرَاً هَلَى أَكْمَهِ خَدَا بَصِيراً وَمِنْ رَاوُوتِهَا تَسْمَعُ الصُّمُ

قُلْتُ: جُلِيَ الأَمْرُ بالبِنَاءِ لِلْمَفْعُول: كُشف وانجلَى. والأَكْمَهُ: الَّذِي وُلِد أَعْمَى. والرَّوْوَق: لم يذكره في القاموس بالهَمْزِ. وإنما ذَكَرَهُ بالْوَاوِ فقال: والرَّاووقُ: المُصَفَّات؛ أي الخَمر المُصَفَّات والباطنة. وخمر: الشراب الذِي يزوق بِهِ والكَاسُ. إِلاَّ أَنَّ قَلْبَ الواو هَمْزَة جَائِزٌ. كَأُقِّتَتْ، ووقَتَتْ. وقال أيضاً:

والروق: الإعجاب به لشيء وقدراته: أعجبهُ، والصُّمُّ جَمْع أَصُمّ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كُشِفَتْ لهذه الخَمْرَةِ الأَزَلِية، وأظهرت سرّاً على رَجُل خُلِقَ أَعْمَى، لَغَدَا، أيْ مَاتَ بصيراً من سَاعَتِهِ. كما كَان ذلك لسيّدنا عِيسَى عليه السلامُ. ولغيْرهِ مِنَ الأوْلِياءِ. فإن قُلْتَ: كَشْفُهَا يقتضِي الإِظهار والجَهْرَ؛ وهو يُنافِي في قوله سِرّاً.

قُلْتُ: هذه الخمرة الأزلية؛ هِي معانِي لطيفة غَيْبية. فإظهارها لعَالِم الشهادة، يكُون سِرَا، ويكُون جَهْراً. فَعَبْر النَّاظم بالسَرِ مُبَالغَة. ليكُون الجَهْرُ أُولَى. أَي فَلَوْ بَرَزَتْ مِن عَالَمِ الغَيْبِ، إِلَى عَالِمَ الشهادة سِرَاً. لعادَ الأَكْمه بصيراً. حتى يُبصر أنوارها. عَالَم الغَيْبِ، إِلَى عَالِمَ الشهادة سِرَاً. لعادَ الأَكْمه بصيراً. حتى يُبصر أنوارها. ويُشاهد أَسْرَارها. فَمَا بالُكَ لَوْ بَرَزَتْ جَهْراً. ومِنْ حُسْنِ صَفَاءِ هٰنِهِ الْخَمْرَةِ، وجودة جوهريته. تُسمع الآذان الصَّمُ، أَي تصير سَامعة، بعد أَن كَانَتْ صَمَّاء. أو من الإعجابِ لحسنها، وحسن الثياب علَيْهَا، تصير الآذان الصَمُ سَامعة. فتسمَعُ تلك المحاسنِ. بعد أَن كَانَتْ صُمَّا؛ وَهٰذَا أَحْسَنُ. ويحتمل أَنْ يريد بالأَكْمه. أَعْمَى البصيرة. فإذا صحب أَهْل هذه الخمرة، وكشفوا لَكَ شَيئاً مِنْ خَسْها وبهجتها، انفَتَحَتْ بصيرتُه، وصارَ عَلَى بيَنَةٍ مِنْ رَبِّهِ. وأَن يريد بالصَّم؛ المُنين تَنْفَعُهم الموعظة، وَلاَ تنهجع فيهم التذكرة، فإذا سَمِعُوا مِنْ أَهْل هذه الخمرة شيئاً، مِنْ صفاءِ المَوْعظة. وحُسْن التَّذكِرة. انكَفُوا وانزجَرُوا. وقيلُوا ما الخمرة شيئاً، مِنْ صفاءِ المَوْعظة. وحُسْن التَّذكِرة. انكَفُوا وانزجَرُوا. وقيلُوا ما سَمِعُوا. وصارُوا: ﴿ ٱلنِّينَ يَسْتَعِمُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَسَبِمُونَ أَحْسَنُهُ ﴾ [الزمر: ١٦٨]. واللَّهُ تَعَلَى أَعْلَمُ. وبِاللَّهِ التوفيق. وهو الْهَادي إلى سواءِ الطريق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَشْمُوا تُرْبَ أَرْضِهَا ﴿ وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

قلتُ: الرَّكْبُ جمع رَاكبِ، كَصَحْب وصاحب. وقيل: لاَ مُفْرَدَ لَهُ مِنْ لَفَظِهِ. وتَيَمَّمَ: قَصَدَ. والمسلوعُ: الملدُوغ من الحيَّة أَوِ العقْربِ، والسُم مثلث السين: الشيء القاتل.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَنَّ جَمَاعة قصدوا تُرْب هذه الخَمْرة. التي تُنبت كَرْمها. وفي الرَّكْب مَنْ لسَعته الحيَّةُ أَو العَقرب، لمَا ضَرَّهُ سُمّ ذلِكَ اللَّسْع،

حيث قصد تُرْب هذه الخَمرة. فَمَا بالُكَ لَوْ وصَلَ إِلَيْهَا. أَوْ أَخَذَ شيئاً مِنْ تُرَابِهَا. أَوْ رماه على ما لُسع مِنْهُ. ويحتمل أَن يُريد بالمَلْسُوعِ، مَنْ لَدَغَتْهُ الشهوات والمَعَاصِي. فَإِذَا كَانَ مَعَ قَوْم قَاصِدِينَ الوصول إليهَا. أَوْ إِلى مَحَلّها. فَلاَ يضرهُ الوقوع في شيء منهَا. إذ بَرَكَةُ محبتهم تُذْهب عنه الإضرار. وتُزْعِجُهُ إلى الإِقلاعِ. وقد تَقَدَّمَ الكَلاَمُ على الصّحْبَة وثمرتها. وقال بَعْض العُلَمَاءِ: مَنْ قَصَد زيارة صالح، لا يكتُب عليه مَلَكُ الشمال شيئاً. ما دَامَ فِي زيارته. ولعله وقف على حديث فِي ذلك. والله تعالى أَغلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلُو رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى ﴿ جَبِينِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

قلت: الرَّاقِي؛ هو المعوّذ. قال في القاموس: الرُّقية بِالضّم: العَوْذَة، والجمع رُقَىّ. ورقاهُ رقياً ورقياً ورقية؛ فهو رقًاء. نَفَثَ فِي عَوْذَتِهِ ه. والجبينُ: قال في القاموس: والجبيئانِ حرفان لكشف الجبْهة من جَانبينها، فيما بين الحَاجِبَيْن. مصعداً إلى قصاره الشَّعر. أو حروف الجبْهة. مَا بين الصَّدْغيْن، متصلاً بحذاء النَّاصية. كله جبينٌ ه. وجُنَّ بالضَّمِ: جُناً وجِناً وجنوناً. واسْتُجِنَّ مَبْنيًا لِلمَفْعُولِ. أَيْ أَصَابَهُ الجنُونُ؛ وهو من الأَفْعَال اللاَّرْمَة للبناءِ للمَفْعُولِ. لَكُلِّ دمُه: أَي هَدَرَ وَزُهيَ: أَي تكبَّر. وعني بحاجتِهِ. فهذه الأَفْعَال لم يُسْمع فِيها البناء للفاعل. وأبرأه الله: شفاهُ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَو رَسَم الكاتب المُعَوَّذ، حروف هذه الخمرة الأزلية، على جبين مصاب، أصابَهُ الجُنُون، لأَبْرَأه ذلِكَ الرَّسْمُ من سَاعَتِهِ. وحُرُوف هذه الخمرة هي حُرُوف اسْمِ الجلالة: فلو كتبها العارف على مجنون. بحضور يهمّه، لبرىءِ المصابُ من حِينه إِن شاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وكذا مَن جُنَ قَلبُه بالخواطِرِ الشيطانية. والشكوك الوهمية. إذا لَقَنَهُ العارف هٰذَا الاسْمَ، وَرَسَمهُ له في قَلْبِهِ، لبرىءَ مِنْ حينهِ، وصَارَ مِنْ أَهْلِ اليقِين التامِّ. والطُمأنينة الكُبْرى. واللَّم تعالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفَوْقَ لِوَاءِ الجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا

لأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذٰلِكَ الرُّقْمُ

قلت: اللواء بالمدِّ: العَلَمُ. ويُجْمع على أَلْوية. وَجَمْعُ الجمع ألوِياتُ. والجيش: الجُنْدُ. أو السائرون لحرب أو غيرها وَرُقِمَ: كَتَب. والمِزْقَمُ بِكَسْر الميم: القَلَمُ، والرَّقم: الكتابة والتخطيط.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كتب اسْم هذه الخمرة الأزلية. وجُعل فَوْق عَلَم الجيش لأسْكَر ذلِك الرَّقم كُلُّ مَن تَحْت ذلِكَ اللواءِ. وصاروا كلهم نَشَاوَى مِن خَمْرَة المَحبَّة. فيذلون نفوسهم في مَرْضاةِ مخبوبهم. اختياراً مِنْهُم. فهذا كلهُ مبالغة فِي هذه الخمرة. وتشويق إِليْهَا. وقَدْ أَشْرْتُ إِلَى شَيْءٍ من ذَلِكَ فِي تَاتَيْتِي فَقُلْتُ:

> فيه لَهَا مِنْ نَشْوَى لَوْ هَبُّ نَسِيمُهَا وَلَوْ عَبَقَتْ أَنْفَاسُ طِيبِهَا فِي الْوَرَى وَلَوْ بِيعَتِ الْأَزْوَاحُ فِي قَبْر حَانِهَا فَهِمْ وَتَنزُّه فِي كَمَالِ جَمَالِهَا

عَلَى قُبُودِ الْأَمْوَاتِ أَحْيَتْ بِسُرْعَةِ لأَضْحَوا سُكَارَى بالجميع فِي لَحْظَةِ لكاذ لها بَيْعاً رَخيصاً بِصُفْقَةِ وَلاَ تُسْرِفْ بِغَيْرِ الْحَبِيبِ بِنَظْرَةِ

وَبِاللَّهِ التوفيق. ثم ذَكَرَ ثَمَرَةَ هذه الخَمْرَةِ، وَمَا ينشأ عَنْهَا فِي الْبَاطِن.

تُهَذُّبُ أَخْلاَقَ النَّدَامَى فَيَهْتَدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مَنْ لاَ لَهُ عَزْمُ وَيُكُرِم مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفُّه وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لاَ لَهُ حِلْمُ

قَلْتُ: هَذَّبَ الشيءَ: نقَّاهُ وَأَخْلَصَهُ، وصفَّاهُ وَأَصْلَحَهُ. قاله فِي القَامُوس. والأخلاق جمع خُلق؛ وهو ما جُبِلَ عليه الإنسان، حسَناً أَوْ قَبيحاً. والنَّدَامَى جَمْع نَدِيم: وهو: المُنَاجِي لصاحِبهِ في مجلس الخمر أو غيرهِ. أُطلقه هُنا على الشَّارب، ويُكْرم بِضَمّ أَوَّلِهِ، وكَسْر ثانيه، مضارع أكرمَ، والحِلْمُ: الأناةُ والعقل، قالهُ في القاموس. والأَنَاة بفتح الهَمْزَة: الرَّزَانة والتَّأني. وحَلُمَ بالضمّ، حُلُماً: عَفَا وأَصْفَحَ وَلَمْ يُعاجِل. وتحلم: تكلف الحلم.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هذه الخَمْرَة، تتقى وتخلُّص أَخْلاَق الشَّارِبينَ لَهَا. فَتُبَدِّل الأخْلاَق السَّيْئَة بِالْحَسَنَةِ. فَتبدُّل الكَسَلَ بالنَّشاطِ؛ وخِفَّة الأغضَاءِ. حَتَّى يَهْتَدي لطريق العَزْم على البِرِّ والتَّقوى مَنْ لاَ عَزْمَ لَهُ عَلَيْها. وتُبدُّل الشَّحّ والبُخْل بِالكَرَم، والسُّخاء، حتَّى يصيرَ مَنْ لاَ يَعْرِف السَّخَاءَ أَصْلاً، أَسْخَى النَّاس، وَأَكْرِم اَلناس. وتبدَّل الغَضَب والحقد والعجلة والبطش، بالْحِلم وسَلاَمَةَ الصَّدْرِ، والسكينة والتأني والرَّزَانة. وتبدَّل الخوف والجَزعَ والهَلَعَ، بالشَّجَاعَةَ واليَقِينَ، والغِنَى بِاللَّهِ. وتبَدَّل الشكُّ والاضطراب بالطَّمأنينة والسَّكون. وتبدَّل كثرة التدبير والاختيار، بالرّضى والتسليم، والسكون تَحت مَجَارِي الأقدَار. وتبدُّل التكَبُّرَ وحبّ الرّفعة، والجاه والرياسة، بالتواضع والسكينة، والخمول وحبّ السُّفليات، دُونَ العلويات. وتبدّل حبّ الدّنيا والحِرْص والطّمَع، بالزُّهٰدِ والقَنَاعَة والْوَرَع. والغِنَى باللَّهِ دُونَ شَيْءٍ سِوَاهُ. وتبدَّل تعظيم الأغنياء والحلف لهُمْ. بالإغرَاض عنهم والزُّهْد فيهم. والتيهِ عليْهم. اكتفاءً بِعلم اللَّهِ. وتُبَدَّل تحقير الفقراءِ، وتصغيرهم، بتعظيمهم ورفعتهم، والدُّنوُّ منهم. والحبُّ لهُمْ. إلى غير ذلكَ ممَّا لا يَنْحَصِر حتَّى قال بغضُهم: «للنَّفْس مِنَ النقائص. ما للهِ من الكَمَالاَتِ». فتنقلِب جُل تلك النّقائص كَمَالاَت. وَلاَ يَلْزَمُ مِنْ ثبوت الخُصوصِية. مدّح وَصفِ البشرية. إذ لَوْ كُنْتَ لاَ تَصِلْ إِلَيْهِ إِلاَّ بَعْدَ فناء مَسَاوِئك، وَمَحْو دَعَاوِيكَ، لاَ تَصِل إلَيْهِ أَبَداً. ولكن إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَصَّلَكَ إليه. غَطَّى وصَفَكَ بِوَصْفِهِ، ونَعتَكَ بنَغتِهِ. فَأُوصلك بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ. لاَ بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ. وباللَّهِ التوفيق؛ وهو الهَادِي إلى سواءِ الطريق.

ثُمَّ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ نَالَ قَرْمُ الْقَوْمِ لَفْمَ قِدَامِهَا لِأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلَهَا اللَّفْمُ

قلت: نال الشيء: أعطيه وأخذهُ. والقَرْمُ: السَّيِّدِ. وقَرْمُ القوم سيّدهُمْ. واللَّهُمُ: التقبيل. لثَمَ كَضَرب وسمع، واللثام، كَكِتاب: ما عَلَى الْغَمِّ مِنَ التَّقاب، والشَّمَاثِل، جَمْعَ شَمَال بالفتح بِمَعْنَى الطَّبْع.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو نَالَ سيّد القَوْم وكبيرهم، تقبيل لثام هذه الخمرة، وشَمَّ شيئاً مِن عِطْرِها لأكسَبَه ذلكَ اللَّهم، معنى طبائعها الحسنة. فتهذّب أُخلاقَهُ، وتُزَين أشكاله، فيَصيرُ حَليماً، كريماً، رحيماً، شفيعاً مُتَواضِعاً، سَهْلاً ليْناً، إلى آخر ما تقدم من الأخلاق تقلّب التي تكسبها، لمن تحقق بِها. وإنما كَانَت الخمرة تهذّب الأخلاق، وتقلّبُ الأغيّان؛ لأنها نتيجة ذِكْر اللهِ. وَلاَ

شَكُ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ الْحَقِيقي يُهَذَب صاحِبَه، ويخلَصُهُ. قال تعالى: ﴿إِكَ الْعَسَكَاوَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْسَاءِ وَالْمُنكِرِ وَلَاِكُمُ اللَّهِ أَحْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أَيُ الْعَبَكُوةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكِرِ. وَلهٰذَا أَمْرٌ مُجَرَّبٌ. قَدْ تَحَقَّقْنَا بِهِ وَرَأَيْناهُ والحَمْد لِلَهِ. ولَيْسَ الخَبَرُ كالْعَيانِ وَإِنَّما خَفَّ قَرَم الْقَوْمِ بِهٰذَا الأَمْرِ، لأَنَّهُ أَحْوج إِلَى التَّهْذِيبِ مِنْ غَيْرِهِ ؛ لأَنَّ السِّيَاسَةَ لاَ تَلِيقُ إِلاَّ بأَهْلِ الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ. والتَّانِي والسكينة. وإلاَ فَسَدتِ الرَّعِية. أَوْ تَعِبَتْ. وبِاللَّهِ التوفيق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

يقول السَّامعُونَ لي: صِفْ لَنَا لهذِهِ الخمرة التي شَوَّقْتَنَا إِلَيْهَا، وَبَالَغْتَ فِي مَدْحِهَا فَقَالَ لَهُمْ: أَجَلَ، أَي نَعَمْ. عِنْدِي بِأُوصافهَا ونُعوتها، عِلْمٌ وتحقيق، ثم وَصَفَهَا لَهُمْ فقال:

صَفَاءٌ وَلاَ مَاءٌ ولُطُفٌ وَلا هَوَا وَنُورٌ وَلاَ نَارٌ ورُوحٌ وَلا جِسْمُ تَفَدَّمَ كُلُّ الْكَائِئَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيماً وَلاَ شَكُلُ هُنَاكَ وَلا رَسْمُ وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةً بِهَا احْتَجَبَتْ عَنْ كُلُّ مِنْ لاَ لَهُ فَهُمُ

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وضفِ الخمرَة الأزلية، والذَّات المقدّسة الأصلية. هي ذات موجودة. خفية لطيفة، كَلُطْفِ الْهَوَاءِ وَلاَ هَوَاءَ لَهَا صَفاء كصفاءِ الماء، وَلاَ مَاء نورانية كَنُور النَّار وَلاَ نَارُ. رُوحانية كروحِ الأَجْسامِ وَلا حِصْمُ. أي متصفة بالحياة الأصلية القديمة. وقد تَقَدَّم حديثها أي نعوتها ووجودها كُلُّ الكَائنات: لأَنَّ وجودها قَدِيمٌ أزلي. لَم يكُن هُناكَ جِزم صغير وَلا كبيرٌ. فالأَجرام الكبيرة، كالعَرْشِ والكُرْسِي، والسماوات والأرض، شبيهة بالرّسوم، أي الحروف. والأَجْرَامُ الصَّغيرة، كالمَلائكة والجِنّ والآدمِي وَسَاثر المخلوقات الرقيقة، كالأشكال لتلك الحُروفِ. وَلاَ شَكُ أَنْ فَائدة الرّسُوم والأشكال، هي قبض المعاني مِنْهَا وفَهْمُها. فَإِذَا قبضت المغنَى اسْتُغْنِي عَن الرّسُومِ ومُحِيَ. كَذَلِكَ الكَائِنَات، ما نُصِبتْ إلاَّ لتَرَى فِيها مَوْلاَهَا. فإذَا عَرَفْته. طاحَتْ تلك الرّسُوم والأشكال. وَلاَ يَبْقَى إِلاَ الكبيرُ المتعال. وأَنشَدُوا:

وَطَاحَ مَقَامِي فِي الرَّسُوم كلاَّمُهَا فَلَسْتُ أَرَى فِي الْوَقْتِ قرباً وَلا بُعْداً

فَنيتُ بِهِ عَنِّي فَبَاتَ بِهَا غَيْبِي فَهَذَا ظُهُور الحقِّ عِنْدَ الْفَنَا قَصْدَا أَحَاطَ بِنَا التَّعْظِيمُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ وَعَادَتْ صِفَاتُ الحقُ مِمَّا يَلِي الْعَبْدَا

وفي الحديث الصّحبح: «كَانَ اللّهُ ولا شَيْءٍ مَعَهُ»(١). زَادَ بَعْض المحققين: وهو الآنَ عَلَى ما عَلَيْهِ كَانَ. وفي حَدِيث التّرمذي، عن أبي رُزَيْن العُقَيلي: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟» قال: «كَانَ فِي عَمَد مَا فَوْقَهُ هواء. وَمَا تَحْتَهُ هواء». قُلْتُ: العَمَد هو الخَفَا. قال تعالى: ﴿ فَمَيِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَبْلَاءُ يَوْمَ إِذِ ﴾. [الفصص: ٦٦] أي خَفِيَتْ. أيْ إنَّ الحقّ تعالى؛ كَانَ فِي خَفَاءِ لطَافَة؛ لاَ يُدْرَكُ وَلا يُعْرِفُ. أَيْ كَانَ خَفَيّاً لطيفاً. لَيْسَ فَوقهُ هواء. وَلاَ تَحْتَهُ هَوَاءً. بَلْ عَظَمَتُهُ أَحَاطَتْ بِكُلِّ فَوْق، وبكُلْ تَحْت. وبكل هَوَاء. وَلاَ فَوْق وَلاَ تَحْتُ، وَلاَ هَوَاء. وإنمَا الوجود للْعَلَى الأَعْلَى فِي الأَزْلِ، وفيما لا يَزَالُ. وقيل لسيِّدنا عليّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ. يَا بْنَ عَمّ رَسُولَ اللَّهِ، أَيْن كَانَ رَبِّنَا؛ أَوْ هَلْ لَهُ مَكَان؟ فَتَغَيِّرَ لَوْنهُ وسَكَتَ سَاعة. ثم قال: قَوْلكم أَيْن اللّه. سؤال عن مَكانٍ. وَكَانَ اللَّهُ وَلا مَكَانَ. ثمَّ خَلَق الزَّمانَ والمَكانَ؛ وهُو الآن كَمَا كَانَ. دُونَ زَمَان وَلاَ مَكَانِ. وسُئِلَ أَبُو الحسَن النُّوري فِي منْحَة الصوفية. أَيْن اللَّهُ مِن مخلوقاتِهِ. فقال: كَان اللَّهُ وَلاَ أَيْنَ. والمخلوقات في عَدَم. فكَان حَيْثُ هُوَ. وَهُوَ الآنَ حَيْثُ كَانَ. إِذْ لاَ أَيْنَ وَلاَ مَكَانَ. وفِي بَعْضِ الأَخْبارِ: «كُنْتُ كَنْزاً لَمْ أَعْرَف فأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ. فَخَلَقْتُ الخَلْقَ فَتَعَرَّفْت لَهُمْ. فَبِي عَرَفُونِي (٢). وَقَوْلُهُ. وقَامَتْ بِهَا الأشياء. يَعْنِي أَنَّ الخَمْرَة الأَزَلية؛ أَظْهَرَتْ أَنْوَارَهَا. وأَبْرَزْتْ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا فِي مَظَاهِر الأَشْيَاءِ، كَمَا قَالَ الشيخ عبد الكريم الجيلي صاحِب الْعَيْنية:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَاثي جَمَالِهِ فَفِي كُلُّ مَرْأَى لِلْحَبِيبِ طَلاَثِعُ

⁽۱) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (۲۰۱۱) [۲/ ۱۷۱] رواه البخاري بلفظ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء..،» حديث رقم (۲۰۱۹) [۳/ ۱۱٦٦].

 ⁽۲) سنن الترمذي، باب ومن سورة هود، حديث رقم (۳۱۰۹) [۲۸۸/۵] وأحمد في
 المسند، عن أبي رزين، حديث رقم (۱٦٢٣٣) [۱۱/٤] ورواه غيرهما.

فَلَمَّا تَبَدَى حُسْنُهُ مُتَنَوّعاً تَسَمَّى بِأَسْمَاءِ فِيهِنَ مَطَالِعُ وَقُلْتُ فِي تَاثِيْتِي الْخَمْرِية:

تَجَلَّتْ عَرُوسةً فِي مَرَائِي جَمَالِهَا وَأَرْخَتْ سُتُورَ الكِبْرِيَاءِ لِعِزَةِ فَالأَشْيَاء كُلُها قامَتْ بِالْخَمْرَةِ الأَزَلِيةِ. وَلاَ وُجُود لِها بِدُونِهَا، بَلْ لاَ نِسْبَةً لَهَا مَعْهَا:

مُنذَ عَرَفْتُ الإِلَّهَ لَمْ أَرْغَيْراً وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ

قَالَ بَعْضُ المَحققينَ: لَوْ كُلُفْتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ؛ فَإِنَّهُ لاَ شَيْء مَعَهُ حَتَّى أَشْهَدَهُ: ثم الْحَتَجَبِث لهٰ فِي الْخَمْرَة، بَعْدَ ظُهُورِهَا لِحِكْمَةٍ أَزَلِية. سَتَرَتْ أَسْرَارَ الرَّبُوبِية. وَأَسْدَلَتْ حِجَابِ الكَبْرِياء عَلَى العظمَة الأصلية. فخفيَت تلك الخمرة بعد ظهورها. واستترت بَعْدَ بُرُوزِهَا. وَحُجِبَتْ عَمَّن لاَ فَهُمَ عِنْدَهُ. وَلاَ بصيرة لَهُ إِذ لَو انفَتَحَتْ بَصِيرتهُ لَمْ يَرَ غَيْرَها. قَالَ فِي الحِكم: شُعَاعُ البصيرة، يشهدك قرْبَ الحق مِنْكَ. وعَيْن البَصِيرَة، يُشْهِدك عَدَمَكَ لِوُجُودِهِ. وحقُ البصيرة يشهدك قرْبَ الحق مِنْكَ. وعَيْن البَصِيرَة، يُشْهِدك عَدَمَكَ لِوُجُودِهِ. وحقُ البصيرة يشهدك وُجُود الحق، لا عدمك وَلا وجودك. كَانَ اللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ وهو الآنَ على ما عليه كَانَ. وقال المجذوب رضي اللَّهُ عَنْهُ:

مَـنْ شـهـذَ الـحَـوْن بِـالـحَـوْنِ عَـزَة فِـي عَـمـا الـبــمِـيـرَا وَمَـن شـهـد الـحَوْن بـالـمُحَـوَّنِ ذَاكَ صـادف عــلاج الـشــريــرا

وقد أشرت إلى لهٰذَا المَعْنَى الَّذي ذكره الشيخ، في تانيتي الخمرية فقلُت:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي عَنْ نُعُوتِ كَمَالِهَا فَإِنِّي خَبِيرٌ عَنْ شُهُودٍ وَخِبْرَةِ تَقَدَّمُ كُلَّ الْكَوْنِ نُورُ بَهَائِهَا لطيفٌ خَبِيرٌ فِي صَفَاءٍ وَقُدْرَةِ وَقَامَتْ بِهَا الأَشْيَاءُ حِينَ تَكَثَّفَتْ وَعَنْ كُلِّ ذِي جَهْلِ خَفَيَتْ لحِكْمَةِ

وَاعْلَمْ أَنْكَ لاَ تَفْهَمُ لهٰذِه الخَمْرَة ذَوْقاً وَعِلْماً. إِلاَّ إِذَا صَحِبتَ أَلهَلَهَا: وهم العارفُونَ بِذَٰلِكَ أَهْلِ الجَذْبِ والسلوك. وإمَّا إِن لم تصحبهم، فَلاَ تطمع فِي فَهْمها. وَلَوْ طَالَعْت أَلْفَ مَجَلَّد. وصحبْت أَلف عالم؛ أَوْ عابِدٍ. وباللَّهِ التوفيق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازِجَتْ بِعَاداً لاَ جِرْمُ نَـحَـلُـله جِـرْمُ

قال في القاموس. اللهيام بالضّم. كالجُنُونِ مِنَ الْعِشْقِ. وقال أَيْضاً: هَامَ يَهِيمُ هِيْماً، وَهَيْماناً: أَحبّ امراَة. ثم قال: وَرَجُل هائم: متحيّر. وتمازَجَ: اختلط. والاتحاد: يطلق على مَغنيينِ: أَحَدهما: اختلاط جِزميْن. حتى يَصِيرا جِزماً واحِداً. وهٰذَا مُحَال فِي حقّه تعالى، وَهُو كُفْر لِمَن اغتَقَدَهُ. ويطلق على الوحدة الحقيقية يُقَال: اتَّحَد الشيء إذا صارَ واحداً؛ وهو المُرَاد هُنَا. وفي هٰذَا المعنى. قال القُطب ابن مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَشرَاب المحبَّة: مَرْج الأوصاف بالأوصاف. والأخلاق بالأخلاق. والأنوار بالأنوار. والأسمَاء الأَسْمَاء. والنعوت بالنعوتِ. والأَفْعَال بالأَفْعَال والجرم: الجسَدُ، ويجمع على الْجَرَام. وجُرُم، وجرم. قاله في الْقَاموس.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ هامَتْ رُوحِي أَيْ طَاشَتْ وانْجَذَبَتْ، بِسَبِ هَذِهِ الْخَمْرةِ. محبَّة وعشقاً. فَمَا زَالَتْ تتعطش إِلَيْهَا. وتطلب الوصول إِلَيْها بِالتخلية والتَّصْفِية. فَلَمَّا تَجَوْهَرتْ وتطَهَّرتْ مِنْ بَقَايَا الحِسِّ. اتَّصَلَتْ بِهَا وَامْتَزَجَتْ مَعْهَا. فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا كَانَتْ فِي الحَضْرَةِ وهِيَ لاَ تَشْعُرُ. وإِنما حَجَبَها عَنْهَا الجَهْل والْوَهْمُ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْجَهْل. وثبت الْعِلْمُ، وَجَدَتْ نفسها فِي الحَضْرَةِ. وَالجَهْل وَالْوَهْمُ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْجَهْل. وثبت الْعِلْمُ، وَجَدَتْ نفسها فِي الحَضْرَةِ. فَغَرقَتْ فِي عَيْن بَحْر الْوَحْدَة. وَارْتَفَعَ عَنْهَا الشِرْك الخَفِي والجلِي. وَهِيَ هٰذَا المَعْنَى. قَالَ بَعْضُ المَشَارِقة:

كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْم مَحْجُوباً بِالْوَهْمِ مُفْرَدِي وَاحِدٌ وَأَنَا أَحْسِبُهُ الْنَيْنِ وَقَعَ الْعَيْن على الْعَيْن

مُ قَبِّداً بِقُدُودِ الْبَيْنِ فَلَمَّا تَبِدًى جَمَالٌ وارتَفَعَ الضيْنِ وصِرتُ عَنِيْنِ السعَيْنِ

وقال في الحِكَم: ما حَجَبكَ عن اللَّه وجود مَوْجود معه. إذ لا شيء معه. وإنما حَجَبَك تَوَهّم موجود مَعَهُ.

وقال أَيْضاً: وصُولكَ إِلَى اللَّهِ، وصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ. وإِلاَّ فجلَّ رَبْنَا أَن يتَصلَ بِشَيءٍ، أَوْ يتَّصِل بِهِ شَيْءً. ولهٰذَا مَعْنَى الإِتحاد؛ إِذَا أُطلق عِنْدَ الصوفية. أَعْنِي بثبوتِ العِلْمِ بالوحدةِ. بَعْدَ الْجَهْلِ بِهَا. أَوْ بثبوت الْعِلْم بعد حُصُول الْفَرْقِ. ومِنْهُ قول صَاحب الْعَيْنيَة: الشيخ عبد الكريم الجيلي.

وَغُصْ فِي بِحَادِ الإِتِّحادِ مُنَزُّها عَنِ الْمَزْجِ بِالأَغْيَارِ إِن أَنْتَ سَاجِعُ

وَإِبَّاكَ والسُّنْزِيبَهَ فَسهوَ مُعَيِّدٌ وقال أَيْضاً في مَدْح آخَر:

فَكُنْتُ أَنَا وَهٰيَ كَانَتْ أَنَا وَمَا فَنِيتُ بِهَا فِيهَا وَلاَ شَيْءَ بَيْنَنَا وقالَ أَيْضاً:

فنيتها حتًى فَنَتْ وَهْيَ لَمْ تَكُنْ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعر:

أنَّا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهُوَى أَنَا لَهُ مَنْ رُوحَانِ حِلْلُنَا بَدَنَان

وَإِيَّاكَ وَالنَّسْبِيهَ فَهُ وَ مُخَادِعُ

لَهَامِنْ وُجُودِ مُفْرد مُتَنَازع

وصالِي بِهَا مَاضِ وَبِهَا مُضَارِعُ

وَلَـكِـنْـي بِـالْـوَهْـم أُطَـالِـعُ

فَلاَ يَفْهِم هٰذَا الكَلاَم عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الإِتْحَادِ والحُلولِ؛ لأَنهم مُبَرَّأُونَ مِنْهُ. وإنما أَرَادُوا إظهار التَّغَزُّل بإثبات المحبوبة والمحبِّ، وحُصُول العشق مِنَ المحبّ لَهَا، فَإِذا حَصلَ الْوُصُول، لَمْ تبْقَ لَهذِهِ الإِشَارة، ولذلك قال فِي الحِكَم: مَا العارف مَنْ إِذَا أَشَارَ وجَدَ الحق أَقرب إِلَيْهِ مِن إِشارتِهِ، بَل العَارفُ مَنْ لاَّ إِشَارَةً لَهُ، لَفَنَائِهِ فِي وجودِهِ. وانطوائِهِ في شهودِهِ. ومن لهذَا المَعْنَى اخْتَرَسَ الشيخ بقولِهِ: وَلاَ جِرْم تخلله جِرْمُ. لئَلاَّ يَفهَم السَّامع أَنَّهُ الاتحاد المَذْمُوم، وقد اتهمهم كثير مَنْ لَمْ يفْهَمْ مُرَادَهُمْ. فربَّما همْ بِمَا لَمْ يحط به علماً، وقد تقدم تنزيه الشيُّخ نَفْسه عن لهذَا المعْنَى فِي تاثِيته: نظم السلوك. وكَلام الشُّشْتُرِي، وابن سَبْعين، وابْن العربي، مصحوباً بهذِهِ الإشارة. وهم أَوْلياء محققون. رضِي اللَّه عَنْهُم وَأَرضَاهُمْ وَقَدْ أَشَرْتُ فِي تَاثِيتي الخَمْرية الأزلية، عن الحلول والإِتحاد، فقلْتُ:

> تَنَزَّهَتْ عَنْ حُكُم الْحُلُولِ فِي وَصْفها تَجَلُّتْ عَرُوساً فِي مَرَاثِي جَمَالِهَا فَمَا ظَهَرَ فِي الكُوْنِ غَيْرِ بَهَاثِهَا واللَّهُ تعالى أُعْلمُ.

> > ثم قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَسخسمُ مَرْ وَلا كَسرَمْ وَآدَمُ لِسي أَبّ

فَلَيْسَ لَهَا سِوَى فِي شَكْلِهِ حَلَّتِ فَأَذْخَتْ سُتُور الْكِبْرِيَاءِ بِعِزَّةِ وَمَا احْتَجَبَتْ إِلاَّ لِحُجْبِ شرِيرَةِ

وَكَسَرُمٌ وَلاَ خَسَمْ وَلِسَى أُمُسَهَا أُمُّ

وَقَذْ وَقَعَ التَّفْرِيتُ وَالْكُلُّ وَاحِدٌ فَأَزْوَاحُنَا خَمْرٌ وَأَشْبَاحُنَا كَرْمُ

قُلْتُ: شبّه الشيخ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: الرُّوح السَّارية فِي الْبَدَنِ: بِالْخَمرِ المُسْتَتِرِ فِي الْكَرمِ، وشَبَّه البَشرية الظَّاهِرةَ: بِالْكَرمِ المحتوي على الخَمرَةِ، والمريد في حال سيْرهِ تارة يغلبُ جَذْبه على سلوكه، وسكره على محوه، فتكون الرّوحانية غالبة على البشرية، مستولية عليها، فَلاَ يَبْقى لِلْبَشرية أَمرٌ، وتارة يَغلِب سُلُوكه على جذبِهِ، ومحوه على سُكْرِهِ، فتكون البشرية غالبة على الرُّوحانية، مُسْتَوْلِية عَلَيْها، فإذا غَلَبت الرُّوحانية على البَشرية، كَانَ كُوجودِ خَمْرٍ اللَّوخانية، وَيَا كَوُجودِ خَمْرٍ لِللَّوخانية، وَيَا كَوُجودِ كَرمِ بِلاَ خَمْرٍ لللَّونها حينيْدٍ.

فبيَّنَ الشينخ رضِي اللَّهُ عَنْهُ حالَهُ في حَالِ سَيْرِهِ فَقَالَ: فَأَنَا تَارَة خَمْرٌ وَلاَ كَرْمٌ، وَذَلكَ فِي حَالة جَذْبِي وَسُكْرِي. وَأَنَا حِينَاذٍ خليفة اللَّهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى قَدَمِ أَبِي آدَمَ عليه السَّلاَمُ، لأَنَّ الجَذْبَ عِنَايَةٌ. فإنَّ الرُّوحَ إِذَا اسْتَوْلَتْ على البَشَرية، اسْتَوْلَتْ على البَشَرية، اسْتَوْلَتْ على اللَّهِ، وهٰذَا مَغنى اسْتَوْلَتْ على الوُجُودِ بِأَسْرِهِ. فيكون هو آدَم الأَكْبَرُ، خليفة عن اللَّهِ، وهٰذَا مَغنى قولِهِ: وَآدَمُ لِي أَبٌ؛ لأَنَّ الإِبْنَ خَليفة عن أَبِيهِ. فيكون هُوَ حِينَذِ خليفة اللَّهِ في كَوْنِهِ. وَتَارَةُ أَكُون كَرْماً وَلاَ خَمْر. وذلِكَ حِينَ يَغلب سُلُوكي على جَذْبِي. فتكون بشريتي حاكمة على روحانيتي. كَحلْم الأُمُّ عَلَى وَلَدِها. وَهٰذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ولي أَمْها أُمَّ. وَأُمْ الخَمْرِ هِيَ الْكَرْمُ. والكَرْمُ شَبِيةٌ بالبشَرِية.

ويَختمل أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: وَآدَمُ لِي أَبٌ. إِشَارَة إِلَى أَنْ جَذْبَهُ مَمْزُوجِ بِسُلُوكِهِ الْأَنْ المصطلَح، خرجَ عن طور البَشَرِ. فإما أَنْ يَلْتحِقَ بالرُّوحَانِيَينَ، أَوْ بالبَهَايْم. بِخلافِ مَنْ كَانَ سَالكاً في جَذْبِهِ، فَظَاهره سُلُوكٌ، وَبَاطنه جَذْبٌ. لكن تارة يَغْلُبُ الجذب، فتنخنِسُ البَشرِية، وتَبْطُنُ. وتستولي الرُّوحَانية عَلَيْها. كاستيلاءِ النَّار على الفَحْمَة. لكن البشرية ملحُوظة. فهذا مغنى قولِهِ: وَآدَمُ لِي أَبُ. أَيْ وَأَنَا بشرٌ مِن بني آدَمَ، لَمْ تَخْرِجْ عَن طَوْرِ الآدمية؛ وهذَا هُوَ عَيْن الكَمَالِ وتارة يغلب السلوك، فيَبْطُنُ الجَذْبُ في الرّوحانية. وتظهر أوصاف البشرية على السَّالكِ. فتكون الرُّوحَانية تَمْتذ من البشرية، وتشرَبُ مِن كَأْسِهَا. كَمَا قال التسري:

مِنْي عليَّ دَارَتْ كُؤُوسي فتكون البشرية كَالأمّ

والرّوحانية ولداً. رضع من لبنها. وهذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ولِي أَمْها أُمَّ. أَي حينئذِ أُمّ الخمر؛ وهي الكرّمُ أُمَّ. والمراد بها البشرية، المُستَولية على الرُّوحانية، اسْتِيلاً الكَرْمِ عَلَى الخَمْرِ. وهٰذَا الإِحْتَمَال أَحْسَن وَأَظْهَرُ. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ولهذَا التعريف كُله قبل الوُصول إلى التحقيق. وإلا امتحق الحسّ وثبَتَ المعْنَى. فالكُلّ واحِدٌ. فَلاَ قيامَ للبَشَرية إِلاَّ بالرّوحانية. وَلاَ ظهور للرّوحانية إِلاَّ بالبشرية. بَلْ إذا سَقطت المعاني، سقطت الأواني، فالأَكُوان ثَابِتَة بِإِثباتِهِ. مَمْحُوّة بِأَحدية ذَاتِهِ. فَلاَ بَشَرِية وَلاَ رُوحَانية. وإِنما الْوُجُود للفرْد الصَّمَد. لاَ شَريكَ لَهُ. وأَنشَدُوا:

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ الْحَقُّ لَمْ يَبْقَ كَائِنُ بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ العِيَاذِ فَمَا أَرَى

فَمَا ثَمَّ مَوْجُودٌ وَلاَ ثَمَّ بَائِنُ بِعَيْنَيْ شَيْعًا غَيْرَهُ إِذْ أُعَايِنُ بِعَيْنَا خَيْرَهُ إِذْ أُعَايِنُ

تنبيه: مَا ذَكَره النَّاظم فِي هذَيْن البَيْنَيْن، مِن تَشْبِيه الجَذْبِ بِخَمْرٍ وَلاَ كَرْم. وتشبِيه السُّلوك بِكَرْم وَلاَ خَمْر. مَثَلُهُ وَقَع للجنَيْد فِي شعرِهِ المشهور، حيْث سُئِلَ عن التوحيد، فَأَنْشَدَ يَقُولُ:

رَقَّ السَزَّجَ اجُ وَرَقَّ بِ الْسَخَسَرُ وَلاَ قَسَدُحُ فَ مَسَرٌ وَلاَ قَسَدُحُ

فَنَشَابَهَا وَتَشَاكُلَ الأَمْرُ وَكَانَصَا الْمُرْ

فَتَشَبَّهُ البشرية بالزجاجة. والرّوحانية بالخَمر. فَإِذَا غَلَبَت الرُّوحانية على البشرية، وذلك فِي حالة الجذب، فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلاَ قدحٌ، إذا غَلَبَت البشرية على الرّوحانية، وذَلِكَ يكون في حالِ السُّلُوك، فَكَأَنما قَدْحٌ وَلاَ خَمْر. وقد أَوْضَحْت لهٰذَا الْمَعْنى في تَاثِيتي الخَمْرِية. فقلْتُ:

لِرِقَّةِ خَمْرٍ فِي الأَوَانِي تَلَطُّفَتْ فَطَوْراً تَغيبُ الْخَمْرُ فِي جِزْمٍ كَأْسِهَا وَغَيْبُ الأَوَانِي فِي الْمَعَانِي مُحقّق فَأَشْبَاحُنَا كَأْسٌ وَأَرْوَاحُنَا خَمْرٌ

لِلُطْفِ مَعَانِي الحَمْرِ فِي أَصْلِ نَشْأَتِي وَطُوْراً تَغِيبُ الكَأْسُ فِي خَمْرِ نَشْوَةِ فَطُوْراً تَغِيبُ الكَأْسُ فِي خَمْرِ نَشْوَةِ فَنَاءُ الأَوَانِي فِي الْمَعَانِي الْقديمَةِ وَسَاقِ لَهَا جَذْبُ الْعِنَايَةِ حَفَّتِ

واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلُطْف الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعُ لِلُطْفِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو

قلْتُ: لَطُفَ كَكَرُمَ. لطفا ولطافة: صَغُر ودق؛ فَهُو لطيف. قالهُ في القاموس. وَسَمَا الشيء سُمُواً: ازتَفَعَ. والأوّانِي هُنَا: الكَائنات بِأَسْرِهَا. والمُعَانِي: أسرار الرُبوبية الْقَائمة بِهَا؛ وهِي الخمْرة المتقدمة. فَأَصْلها لطيفة دقيقة. والأنوار الظَّاهرة حينَ تحسَّسَت، صَارَتْ كثيفة. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِ كَثَافِتها. كَانَ جَاهِلاً بِاللَّهِ. مَخجُوباً عَن شهودِهِ. وَمَن نَفَذَ إلى بَاطِنِها وَجَدَها حاملة للمَعَانِي ظُروفاً لأَسْرَار الرُبُوبية. فَغَابِ عَنِ الأَوْانِي، بشهودِ الْمَعَانِي. فَكَان عَارفاً مُقرباً مَخبُوباً. وفِي ذَلِكَ يقول الششتري: لا تنظر إلى الأوَانِي، وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري فِي وَخُضْ بَحْرَ المَعَانِي. لَعَلْكَ تَرَانِي. وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري فِي الحِكم: الأَكُوانُ ظَاهِرُهَا عُرَّةً. وَبَاطِئَهَا عِبْرةً. فَالتَفْسُ تَنظُر إلى ظَاهِرِ عَرْتِها. وتكثيف الأواني عَادِفْ. والأَصْلُ فيها اللَّطافة. والقَلْبُ يَنظُرُ إلَى بَاطِنِ عِبْرَتِها. وتكثيفُ الأواني عَادِفْ. والأَصْلُ فيها اللَّطافة. إذ الأَوَانِي أَصْلُها مَعَانِي. لكن اسْمُه تعالى الظَاهر، اقتَفَى ظهورها في الحِسِّ فَهِي أَشْبَهُ شَيْءِ بالثلجة، باطنها ماء، وظَاهرها ثلج. وفِي ذلِكَ يَقُولُ الشيخ عبد الكريم الجيلانِي فِي عَيْنِيةِ:

وَمَا الكَوْنُ فِي النَّمْثَالِ إِلاَّ كَثَلْجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقنَا غَيْرُ مَاثِهِ وَغَيْران فِي حُكْم دَعَتْهُ الشَّراثِعُ

وَهٰذَا مَعْنَى قول الشَيْخ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولطف الأَوَانِي فِي الحقيقة، تابِعة لِلُطوفِ الْمَعَانِي لطيفة، ولُطفُ الأُوانِي تابع لِلُطْفِهَا. وَإِنَّمَا تَكَثَّفَتْ وَتَحَسَّسَتْ، فِي حَقِّ مَنْ وَقَفَ مَعَهَا، وَاغْتَرَّ بَرُخُرُفِ ظَاهِرِهَا. واشْتَغَلَ بِحِسها، حَتَّى انطبَعَتْ صُورُ ظَاهِرِهَا فِي مِرْآةِ قَلْبِهِ. بَرُخُرُفِ ظَاهِرِهَا. واشْتَغَلَ بِحِسها، حَتَّى انطبَعَتْ صُورُ ظَاهِرِهَا فِي مِرْآةِ قَلْبِهِ. فَعَمَى وَحُجِبت عَن رُوْيةِ الْمعَانِي اللَّطيفة. ولِذلكَ يَقُولُ أَهْلُ المَعَانِي: كُلُّ مَا نَقَصَ فِي الْمَعْنَى، وَكُلِّ مَا زَادَ فِي الحِسِّ نَقَصَ فِي الْمَعْنَى، وَكُلِّ مَا زَادَ فِي الحِسِّ نَقَصَ فِي الْمَعْنَى، وهُل مَا زَادَ فِي الحِسِّ نَقَصَ فِي الْمَعْنَى، وهُذَا مَعْنَى قولِهِ: الْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو. أَيْ بِلُطْفِ الأَوَانِي. وردَها إلى أَصْلها، وهٰذَا مَعْنَى وَتَسْمُو. وإنما تَتَلَطَّفُ الأَوَانِي بِالْغَيْبَةِ عَنْ حِسِّهَا. والإِغْرَاضِ عَنْ تَرتفع المعانِي وَتَسْمُو. وإنما تَتَلَطَّفُ الأَوَانِي بِالْغَيْبَةِ عَنْ حِسِّهَا. والإِغْرَاضِ عَنْ تَرتفع المعانِي وَتَسْمُو. وإنما تَتَلَطَّفُ الأَوانِي بِالْغَيْبَةِ عَنْ حِسِّهَا. والإِغْرَاضِ عَنْ تَرتفع المعانِي وَتَسْمُو. وإنما تَتَلَطَّفُ الأَوانِي بِالْغَيْبَةِ عَنْ حِسِّهَا. والإِغْرَاضِ عَنْ

شَوَاغِلِهَا، وَعَوائِقها. فَرَغْ قَلْبَكَ مِنَ الأَغْيَارِ.

تملأه بالمَعَارف والأَسْرَار.

وكَتَبَ إِلَيَّ شَيْخُ شَيْخِنَا مَوْلاَي العربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَصُهُ بَعْدَ كَلاَمٍ: وقُلْ لهم أَيْضاً: اتْركُوا ذَبْلَةَ الدّنيا مِنْ قلوبكُمْ، تتقوى مَعَانيكُمْ: أو نقولُ نورانيتكُمْ. إِذْ بِتَقْوِية النُّور؛ يتقوَّى اليقِين. وبتقوية اليقين، تَعْلُو الهِمَّةُ. وَبِعلَو الهِمَّة، يَحْصُل الوصُولُ. وباللَّهِ التوفيق هـ. والذَّبْلة: رَأْسُ الفتيلة حينَ تَتَرمَّدُ. فَإِذَا قطعتها تَشَعْشَعَ نُورُهَا. كَذْلِكَ هَمُّ الدِّنيا. يُطْفِيءُ نور اليقين مِنَ الْقَلْب. فَإِذَا قطعته تشعشع نوره.

وقلت لبغض الفُقرَاء: مَادَة المَعَانِي ثلاثة أُمُورِ: الأول المُذَاكرة مَعَ أَهْل الفنّ، والحلّ مَعَهُمْ. والثاني: الفِكرة وجَوَلان الْقَلْب فِي مَيَادِين التوحيد، حَتَّى تمْتَحى الأَكْوَان مِنْ عَيْن البَصيرة. والثالث: ذِكر اللسّان جَمَاعة أو فرادى؛ وهو أضعفها مِنْ جِهَةِ الإِمْتدادِ. وتقوية المَعَانِي. وإن كَان هُوَ الباب في الدّخول إلَيْهَا. لكن إِذَا حَصَلَ ذِكر القلّب اكتفى عَنْهُ: فضعُف تَأْثِيره بالنّسَبَةِ إِلَى الفِكْرَة. وقُلْت لَهُمْ: مَاذَة الحسِّ ثلاثة: الأول: شغل الجوارح بالحسِّ في طلَبِ وقُلْت لَهُمْ: والثاني خوف اللسان فِي الحسِّ مَعَ أَهْلِه. والثالث: الفِكرة فِيه، واشتغال القلْبِ بالخَوْفِ فِيهِ. فبهذه المواد الثلاث، يتَقوَّى الحسِّ. وتَضْعُف واشتغال القلْبِ بالخَوْفِ فِيهِ. فبهذه المواد الثلاث، يتَقوَّى الحسِّ. وتَضْعُف المعانِي. حتى ينطفىء نورها. نعوذ باللهِ مِن ذلِكَ. قلْت لهم أَيْضاً: أَرْكَان المعانِي. حتى ينطفىء نورها. نعوذ باللهِ مِن ذلِكَ. قلْت لهم أَيْضاً: أَرْكَان الولاية وَموادها ثلاثة أشياء: تَفريغ القَلْبِ مِنَ الحسِّ، وتَعظيم الشيْخ والأدب الولاية وموادها الذّكر بالحضور. كل واحد ما يليق به لساني أو قلبِي أو سِرِي. وقدْ قُلْت في ذلِكَ أَبِيَاتًا وهي هذهِ:

يَا مَنْ يُرِذْ مَراتِبَ الرَّجَال يُفرَغ قَلْبَهُ مِنَ الأَغْيَادِ يُعَظِّمُ الشيْخَ بِصِدْقٍ وَافِرْ فَهِذِهِ مَراسِمُ الْولايَة

يَفْنَى عَنِ الحسِّ فِي كُلِّ حَالَ يُسمُسلاً بِسالاَنْسوار وَالأَسْسرَار وَيُكُورُ الذِّكْرَ بِقَلْبٍ حَافِرُ وَمُظْهر العِرْفان والعناية

وسَمِغت صاحبنا العارف الرّبّانِي، سيدي عبد الرّحمن الرّحماني رَضِيَ اللّهُ عَنهُ يقولُ: الحسُّ هو كُلِّ مَا يُقوي مَادَّة وُجُودكَ. والمغنَى هو كُلِّ مَا يفنيك عن

وُجودك. ويغيبك عنك. فالإِشتغال بِالحِسّ إِذَا كَان سَبَباً في تقوية المَعَاني، كَخِدْمَة الأَشياخ والإِخْوَان. وكُلّ ما يؤدي إلى تصفية المَعْنَى. كَمَا قال سيدي عبد الوارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خِذْمَةُ الرِّجَالِ، سَبَب الوِصالِ، لمَوْلى المَوَالِي. لاَ إِلَّه إِلاَّ اللَّهُ. واللَّهُ تعالى أَعْلَم.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلاَ قَبْلَهَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدَهَا بَعْدُ وَقَبْلِيَة الأَبْعَادِ فَهْيَ لَهَا خَتْمُ وَخَشْرُ (۱) المَدَى مِنْ قَبْلِهِ كان عصرهَا وَصَهَد أَبِينَا بَعْدَها وَلَهَا الْبُتْمُ

يقول رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: هذه الخمرة الأزلية قديمة باقية، فَلَيْس قبلها زمانٌ يكون قبلاً لَهَا وَلاَ بَعْدَهَا زَمَانٌ يكون بَعْداً لَهَا. والقَبْليّة التِي ثبتَتْ لَهَا قبْل ظهور الأشياء؛ وهي الأولية بِلا بداية. هي خشم لها بَعْد ظهور الأشياء؛ وهي الآخرية بِلاَ نِهَاية. فَتَرتُّب الأَزْمَان زَمَان بَعْد زَمان؛ هي سَابقة عليه. وباقية بَعْدَهُ. هٰذَا بِلاَ نِهَاية. وقبلية الأبعاد هي لها خَتْمُ. أي وعدم النهاية السابقة على الأكوان؛ هي خَتْم لها بَعْد ظهور الأكوان؛ هي خَتْم لها بَعْد ظهور الأكوان، قال تعالى: ﴿هُو ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَالطَّهِرُ وَالْبَالِثُ ﴾ هي خَتْم لها بَعْد ظهور الأكوان، قال تعالى: ﴿هُو ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَالطَّهِرُ وَالْبَالِثُ ﴾ والحديد: ٣] فالأسماء متعددة، والمُسَمَّى واحِد؛ وهي الذَّات المقدَّسة؛ فالأول هو عيْن الآخِرِ. الآخر هو عيْن الأول. والظَّاهر هو عيْن الباطِن. والباطن هو عيْن الطَّاهر، وإلَى هٰذا أَشار صاحب العينية فقال:

وَأَبْرَزَ مِنْهُ فِيهِ آثار وَضَفِهِ فَدلَّكَ بِالآثار مَا هُوَ صَائِعُ فَأَوْصَافُهُ وَالإِسْمُ والأَثَرُ الَّذِي هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ واللَّهُ جَامعُ فَأَوْصَافُهُ والإِسْمُ والأَثَرُ الَّذِي هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ واللَّهُ جَامعُ فَمَا ثَمَّ شَيءٍ سِوَى اللَّهِ فِي الْوَرَى وَلاَ ثَمَّ مَسْمُوع وَلاَ ثَمَّ سَامِعُ

وقوله: وحضر المدى... الخ يَغني أَنَّ وجود لهذِه الخمرية، كَان قديماً قَبْل حَضْرِ الزَّمَانِ، وعدّه وتَرْتيبه. وزمان وجود أبينا آدم عليه السَّلام، وعهد حياته كَان بعدها: لأَن ظهوره حادث. ووجوده قدِيمٌ. فثبت لها اليُتْمُ، أَي الإِنْفِراد، والغِنَى عَنِ المَادَّة القبلية والبَغدية. فليْسَ لها أَبُ سَابِق عليْهَا. وَلاَ وَلَدَّ لاَّحِق بَعْدَهَا. قال تعالى: ﴿لَمْ يَكِلَّدُ وَلَمْ يُولَدُ ۞ وَلَمْ يَكُن لَمُ كُواً

⁽١) وفي نسخة [عصر] بدل [حصر].

أُحَـُكُ [الأخلاص: ٧٦٦].

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَحَاسِنُ تَهْدي المَادِحِينَ لِوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فِيهَا مِنْهُمْ النَّفْرُ وَالنَّظُمُ وَالنَّظُمُ وَالنَّظُمُ وَالنَّظُمُ وَالنَّظُمُ وَيَطُرَبُ مَنْ لَمْ يَدْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا كَمُشْتَاقِ نُعْم كُلُّمَا ذُكِرَتْ نُعْمُ وَيَطُرَبُ مَنْ لَمْ يَدْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا

قُلْت: الطربُ: الفَرَح. ويُطلَقُ على الحُزْنِ كَمَا فِي القَامُوسِ. يُقالُ: طرب طرباً. كَفَرحَ فَرَحاً. بالمضارع مفتوح العيْنِ. ونَعُم بِضَمَ العَيْنِ. اسم امرأة. كَمَا فِي القَاموس. وأَرَاد هُنا اسم المحبوبة. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأوصاف التي ذكرت للخمرة، هِيَ محاسِنٌ لَهَا. تهدِي أَيْ تُرشد المَادِحينَ لَوصفها. فَيَمْدحُونَهَا بِقَدْرِ طَاقَتِهِمْ. فَيَحْسُن منهم كلِّ ما يمدحونَهَا بِهِ نَظماً أَوْ نَوْرَا؛ لأنها فوق ما يُقال فيها: فَلَوْ بَقِي أَهْلِ الذّنيا يَمْدحُونَهَا مُدَّة عُمُر الذّنيا والآخرة، ما بَلَغُوا معشار حسنها وبهائها. ويفرح عند ذِكر هذه الأمواجِ من لمُ يَعْرفها، شوقاً ومحبَّة. فكيف لمن يعرفها؛ فهو أب مَن لَمْ يَعْرفها. ولكنه مشتاق إليها، كمشتاق محبُوبته التي اسْمُها نُعْمَ. فلما ذكرت هذه المحبوبة، مشتاق إليها، كمشتاق محبُوبته التي اسْمُها نُعْمَ. فلما ذكرت هذه المحبوبة، اهتَزَ لَهَا. واشتاق لرُويتها. وَأَمَّا مَنْ عَرَفَهَا وَاتَصَلَ بها، وتَمكَّنَ مِن شُهُودها. فلا يَهُزه سماع مَدحها. لقرَّتِهِ وتمكّنِهِ؛ فَهُو مالكُ للأَخْوَالِ. ولنِسَت مالكة له؛ فهو كالجبل الرَّاسِي، واللَّهُ تَعَالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَقَـالُـوا شَـرِبْـتَ الإِثْـمَ كُـلاً وَإِنْـمَا شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الإِثْمُ قُلْتُ: كَلاَّ عِنْد النّحاة حَرْفَ زَجْر وَرَدْع.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال لي العواذل واللؤم: شَرِبْتَ مَا يُوجِب لكَ الإِثْم؛ لأَنْكَ تَسَبَّبْتَ فِي هَنْك عِرْضكَ. وتخريب ظاهركَ. وتَلْف مالك. الإِثْم؛ لأَنْكَ تَسَبَّبْتَ فِي هَنْك عِرْضكَ. وتخريب ظاهركَ. وتَلْف مالك. فَقُلْتُ لَهُمْ: كَلاّ. بَلْ شَرِبْت التي في تَرْكِ شُرْبِهَا هُوَ الإِثْمُ؛ لأَنها تُهذّبُ أَخْلاَق النَّذَامَى. فكُل من لم يَشْرَبُ مِنْهَا، لا يَخْلُو مِن ذَنْبٍ. وَلاَ يَضْفو مِن عَنْبِ. ولذلك قال [حجة الإسلام أبو حامد] الغَزّالي: عِلْمُ التصوف فَرض عَيْبٍ. إذْ لاَ يَخْلُو الإِنْسَان من العُيُوبِ. وقال الشيخ أَبُو الحسَن الشاذلي: عَنْ لَمْ يَتَغَلْغَلْ في علمِنَا هٰذَا؛ ماتَ مُصِرًا عَلى الكَبَاثر؛ وَهُوَ لا يَشْعُرُ.

وقال آخر^(١): مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تَفَسَّق. إلى غَير ذَٰلِكَ. لِمَا وَرَدَ في مَدْح التَّصوّفِ وَأربابه. وباللَّهِ التوفيق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هَنِيئاً لأَهْلِ الذَّيْرِ كُمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلٰكِنَّهُمْ هَمُّوا

قلت: الهنئى والْهَنَاءُ: ما أَتَاكَ بِلا مَشَقَّةٍ. هو هني سائغ. قَاله في القاموس، ويُعرب حَالاً عامله محذوفٌ وجُوباً. أي ثَبُتَ الخَيْرُ هَنِيثاً. أي سهْلاً بِلا مَشْقةٍ. والدَّيْرُ: الصَّوْمعة التي يتعَبَّد فِيها الرُّهْبَان. فيُحتمل أَن يُريد بِأَهْل الدُّيْرِ هُنَا: العُبَّاد والزُّهَّاد المنقطعينَ إلى اللَّهِ في البَرَاري والجِبَالِ. حَبَسُوا أَنفُسَهُمْ لِلّهِ. كَمَا حَبَسَت الرّهْبَان أَنفسهم فِي الدّيور، طلباً لمحبَّة اللَّهِ. فَلَم يَنالوا مِنْهَا شيئاً. لتركهم الشريعة التي هي باب اللَّهِ. قال تعالى: ﴿ وَأَتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَثِوَّابِهِكَأَ﴾ [البقرة: ١٨٩] بخلاف العُبَّادِ والزُّهَّاد، والمنقَطعِينَ إلى اللَّهِ. قَد قَصَدوا الأَمْرَ مِن بَابِهِ. فَقَال الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُبَشِّراً لَهُمْ ومُغْتَبِطاً لِحَالِهِمْ: هَنيثاً لأَهْلِ الدَّيْرِ. أَيْ ثَبَتَ لَهُمُ الخَيْرِ العَظيم سهلاً بلا مَشَقَّةٍ. فَكَمْ سَكِرُوا بِهَا. أَيْ كَثيراً مَا سَكرُوا بِهٰذِهِ الخَمْرةِ، حتَّى تَاهوا، ورفَضُوا الأَهْلَ والأَولاد. وتَرَكُوا الأُوطَانَ والبلادَ. وَمَع ذٰلِكَ، لَمْ يَقَعْ لَهُم شُرْب مِنْهَا. إِذْ لَمْ يَتَّصِلُوا بِأَرْبَابِهَا؛ وهم الْعَارِفُونَ أَهْلِ التربيّة النّبوية، والخمرة الأزلية. إذْ لَوْ اتصلُوا بهم: لسَكِرُوا في مَوْضعهم وبيْنَ أَوْلاَدِهمْ. ولكنهم هَمُّوا بشربهَا، فتَاهُوا فِي طَلَبِهَا. فَسَكِرُوا قَبْلَ الشُّرْبِ. فَمَا بَالكَ لو شَرِبُوا. وَمَا بَالُكَ لَوْ رُوُوا مِنْهَا. فَسُكُرُ العُبَّادِ والزُّهَّادِ؛ هو الفِرَار من الأشياء، لغَيْبَتهم عَنْ شُهُودِ مكَوَّنها. ولو شَهِدوا مُكَوِّنها فيها لَمْ يَفِرُوا مِنْهَا. قال في الحِكِم: إنَّمَا اسْتَوْحَشَ العُبَّادُ والزُّهَّادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. لغَيْبَتِهِمْ عَن اللَّهِ فِي كُلِّ شَيءٍ. وَلَوْ عَرَفُوهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. مَا اسْتَوْحَشُوا مِنْ شَيْءٍ. هـ. فَسُكْرُهُم نَاقِصٌ. بخلافِ مَن اتَّصَلَ بِأَهْلِ الخَمْرَةِ، فَسَقُوه مِنْهَا فَإِنْ سُكْره مَمْزوج بِصَحْوَه. فَكُلُّما شَرِب ازْدَادَ صَحْواً. وَكُلَّمَا غَابَ، ازدادَ حُضُوراً. لا يحجبه صَحْوه عن سُكْرهِ. وَلا سُكْره عَن صَحْوهِ. وَيُوفي كل ذي قسط

⁽١) هو الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

قِسطه .

ويختمل أن يُريد بأهلِ الدَّيْر؛ الرُهْبَان المنقطعينَ فيه من النَّصارى. أي لولا المحبَّة التي في قلبهم ما صَبرُوا على تلك المشاق. مِن الجوع والبَرْدِ. فَلُولا خَمرة المحبَّة التي شمّتها أَرْواحهم مِن وَرَاء الحِجَابِ. مَا انقَطَعُوا هٰذَا الإِنقطاع. فإِنْ قُلْت: لا يصح قوله في حَقِّهِمْ هَنِيئاً. إذ لاَ خَيْرَ عِنْدَهُمْ. قُلْتُ: للعارفينَ نَظَرٌ رقيق، يشهدُونَ الأَنُوار الباطنة. ويغيبون عن الظلمة الظاهِرة. يَشْهَدُونَ القُدْرَة، ويَعْرِفُونَ الحِكْمَةَ. فَهُم كالنَّحْلَةِ، تَرْعى مِن كل نُورٍ. حلواً أَوْ مُراً. وَلاَ يَحْرُج مِنْها إِلاَّ العَسَل الحُلْوَ. ولذلك قال شيخ أشياخِنَا. سيّدي عَبْد الرحمن الْمَجْذُوب:

الـــخــــلــــق نَــــوز وأنَــا از هُــمُ الــحُــجُــبُ الأَكْــبَــز والْـــمَــ وفي لهذَا المنزع يقول الرّفَاعِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ:

تَأَدَّ بِبَابِ الدَّيْرِ وَاخْلَعْ بِهِ النَّعْلاَ وَعَظَّمْ بِهِ الْقِسْيسَ إِنْ شِنْت حظُوهُ وَعُطَّمْ بِهِ الْقِسْيسَ إِنْ شِنْت حظُوهُ وَدُونَكَ أَمْوَاتُ الشَّمَّامِينَ فَاسْتَمعْ بَدَتْ فِيهِمْ أَقْمَادٌ شُمُوسٌ طَوَالِعُ فَإِيْلَاكَ أَنْ تَسْمَعْ لَهُ نَّ بِحُلَّةِ فَإِيْلَاكَ أَنْ تَسْمَعْ لَهُ نَ بِحُلَّةِ فَإِيْلَاكَ أَنْ تَسْمَعْ لَهُ نَ بِحُلَّةِ فَإِيْلَاكَ أَنْ تَسْمَعْ لَهُ نَ بِحُلَّةِ القَصِيدَة: قِلَى أَنْ قال في أَنْنَاءِ القَصِيدَة: فَلَمَّا أَتَيْتُ الدَّيْرَ أَمْسَيْتُ سَيِّداً فَلَاتُ عَن الخَمَّادِ أَيْنَ مَحَلَّهُ سَيِّداً مَسَالِتُ عَن الخَمَّادِ أَيْنَ مَحَلَّهُ مَا الْخَمَّادِ أَيْنَ مَحَلَّهُ مَا الْخَمَّادِ أَيْنَ مَحَلَّهُ

فَقَالَ لِيَ الْقِسْيِسُ مَاذَا تُريدُهُ

فقال: وَرَأْسِي والمسيح ابن مَرْيم

وأنَّ اذعت في هم

وَسَلِّمْ عَلَى الرُّعْبَانِ وَاخْطُطْ بِهِمْ نَعْلاَ وكَبَرْ بِهِ الشَّمَّاسِ إِنْ شِفْتَ أَنْ تَعْلاَ لأَلْحَانِهِمْ واحْذَرْكَ أَنْ يَسْلُبُوا الْعَقْلَ يَطُوفُونَ بِهِ الصُّلْبَانِ واحْذَرِكَ أَنْ تَبْلاَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَع لَهُنُ بِكَ الشَّمْلا

وَأَصْبَحْتُ مِنْ زُهْدِي أَجُرُّ بِهِ الذَّيْلا وَحَلْ لِي سَبِيلٌ لِلْوُصُولِ بِهِ أَمْ لاَ فَقُلْتُ أُدِيدُ الْخَمْرَ مِن عِنْدِكُمْ أَمْ لاَ ودِينني ولسم بسالدَّم تُبَدَّلُهُ بَدْلاَ

إِلَى آخِر كَلاَمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلِلْعَارِفِينَ مَنْزَعِ غَرِيبٌ، ونظَرٌ عجِيبٌ. لاَ يَذُوقُهُ إِلاَّ مَنْ صَحِبَهُمْ. وإِلاَّ فَشَأْنهُ التَّسليمُ. فإِنِ اغْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، أَصْبَحَ مِنَ البُّكُم الصَّمِّ الذِينَ لاَ يعقلُونَ. وَلاَ شكَّ أَنَّ الحقيقة الْعَارِية مِن وَرَاء الشريعة؛

الشهوة فِيها أَقرب وأظهَرُ. ولذلك قال:

بَدَتْ فيهم أقمار شمُوس طَوَالِعُ وَلاَ يَـذُوق هَـذَا إِلاَّ أَرْبَـاب الـفَـنَ واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مِعْيِ أَبُداً تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ الْعَظْمُ

قلت: النّشُوة: السّكُرة. يُقالُ: نَشَا نَشُوة: سَكَرَ. قَالهُ في القاموس. يقول رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: عِنْدِي مِنْ هٰذِهِ الخَمْرة نشوة لرُوحي فِي الأزّلِ، قَبْلَ نَشْأة البَشرية. فَمَا ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشّهَادة إِلا مَا سَبَق فِي عَالَمِ الْغَيْبِ. فللرُّوحِ سَكُرة. لَمَا عَلِمَتْهُ مِن سَبْقِ السّعَادَةِ، والعِنَايَة، قَبْل ظهور البَشرية. ثُمَّ تَبقى تِلك النّشُوة لهَا لِمَا عَلِمَة مِن سَبْقِ السّعادَةِ، وإن بقي عظمها، واضْمَحَلُّ رسْمُهَا؛ فإنَّ الرُّوحَ بَعْد مُفَارِقتها هذه البشرية اللطيفة، وإن بقي عظمها، واضْمَحَلُّ رسْمُهَا؛ فإنَّ الرُّوحَ لاَ فَنَاءَ لَهَا. فإذَا فَارَقَتْ هذه البَشرية. بقيْت عَلى ما كَانَتْ عليه مِنَ المعرفة والعِلْم، بل لَمْ تَزَلْ تَتَرَقَّى فِي المَقَامَاتِ، كما كَانَتْ فِي الدُّنيا أَبَداً سَرْمَداً. يَمُوتُ الْمَعْنَى ما عاش عليه. ويُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ. وقد أشرتُ إلى هٰذَا المَعْنَى الذّي قاله الشيخ، في تَائيتي الخَمْرِية. فَقُلْتُ:

سَكِرْنَا بِهَا قِدْماً وَبَعْدَ نَشاتي وَفِي النَّشْأَةِ الأُخْرَى تَدُومُ مَسَرَّتِي ثُمُ عَلَى النَّشَاةِ الأُخْرَى تَدُومُ مَسَرَّتِي ثُمُ عَلَمُ اللَّهُ عَنْهُ:

عَلَيْكَ بِهَا صِرْفاً وَإِنْ شِثْتَ مَرْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ هُوَ الظُّلْمُ

قلت: الصّرفُ بِكَسْرِ الصَّادِ: الخالِصُ مِنَ الخَمْرِ وغَيرها. قاله في القاموس. والمَرْجُ: الخَلْطُ. وَعَدَل عَنْ كَذَا: انصَرَفَ عَنْهُ. والظَّلْمُ، ضبَطها بفتح الظَّاءِ. وفسره بالريق. وقوله في القاموس. الظَّلْم بالضَّمّ: وَقْع الشيء في غَيْر مَحَلِهِ. والمصدر الحقيقي: الظَّلْم بالفَتْح، ظَلَم يظلم ظَلماً بالفَتخ فَهو ظَالِمٌ وَمظلومٍ. ثم قال: والظلم: الثلجُ بهذيل الثعلبي. وماء الأسنان ه. فإن أراد بماء الأسنانِ الرِّيق، وافق ما قاله الْبَعْضُ. ويكون حينئذِ كناية عن خَمْرِ المحبَّة. لكناها بعيدة لغربة الإنتقال، مِنَ الرِّيقِ إلى الخَمْرِ. والَّذي يظهر. أنَّهُ الظلم المعلومُ، أطلقه على التَّصَرُّفَات القهرية الجلالية. إذ لاَ سبيل لشُرْب خَمْر المعلومُ، أطلقه على التَّصَرُّفَات القهرية الجلالية. إذ لاَ سبيل لشُرْب خَمْر

المحبَّة على الْوفاءِ والصَّفَاءِ، إِلاَّ بعد مرور هذه التَّصرُفات الإِلْهية عليه. وإِلاَّ كَانَ كَاذَباً. لقول أبي المَوَاهِب: مَنِ ادَّعَى شهود الجَمَالِ، قَبْل تَأَذَبِهِ بِالْجَلاَلِ، فارْفُضْهُ فَإِنه دَجَّالٌ. فَهُوَ كَقَول الشَّاعِر:

> الحبُّ دِيني فَلاَ أَيْغِي بِهِ بَدَلاَ والنَّفْسُ عُزَّتْ لَكِنْ فِيكَ أَبْذُلُهَا يَا مَنْ عَذَابِي عَذْبٌ فِي مَحَبَّتِهِ

والحُسْنُ مَلِكُ مُطَاعٌ جَارَ أَمْ عَدَلاَ وَالذَّلُ مُرُّ ولكِنْ فِي رِضَاكَ حَلاَ لاَ أَشْتَكِي مِنْكَ لاَ صُدَّا وَلاَ مَلَلاً

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عليك أَيها الشَّارِب للخَمرةِ الأزلية بِهَا صِرْفاً. أَي صافية، خالصة من السلوكِ. بل اسْتَغْرِقْ فِي تعاطِي أَسْباب شُرْبِهَا، حتى تغيب عن الحسِّ بالكلية. وإن شِئت فامْزجها بشيءٍ مِن السلوكِ إعطاء لحق العبودية؛ التي هي كَمَالٌ. فَإِنْ تَعرفَ إليكَ الحق بشيءٍ من التَّصرُفَاتِ القهرية التي هي سبب الشرب وشرب هذه الخمرة الأزلية. فَعدلك عَنْها، وانصرافكَ عن نِيرَانها؛ هو الظّلم الكَبِيرُ. الحق تعالى يقول لك: هاتِ نُسْقيكَ خَمْرَتِي بشمَن تَصرُفَاتِي. وأنت تَهْرب مِنْهُ. الحق تعالى يريدُ أن يطوي عنك مسافة البُغدِ. وأنت تَهْر منهُ إلى الْبُغدِ. وفِي الحِكمِ: إِذَا فَتَحَ لكَ وجهة، مِنَ التَّصرَفِ، فَلاَ تبالي مَعَها إِنْ قَلْ عَمْلُكَ. فَإِنْهُ مَا فَتَحَهَا لك؛ إِلاَّ وَهُوَ يُريد أَنْ يَتَعرَّفَ إِلْنَكَ فِيهَا هـ.

وكَان شَيْخ شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: العجَبُ كل العَجَب مِنَ الفَقِيرِ يقول: يَا رَبِّ عرِّفْنِي بِكَ. فَإِذَا تَعَرَّفَ الحق تَعَالَى إِلَيْهِ فَرَّ مِنْهُ وَأَنْكُرهُ.

والحاصل: أَنَّ جَنَّة المعارف؛ التي هي مُحلِّ شُرْب الخمرة الأَزَلية، مَخفُوفة بالمَكَارهِ: ﴿ أَمَ حَبِبَتُمْ أَن تَدُخُلُوا الْجَنَكة ﴾. [البقرة: ٢١٤] الآية: ﴿ أَحَيبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَتُولُوا عَامَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] الآية، فإطلاق الشيخ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ على هٰذِه التَّصَرُفَاتِ ظلْماً مَجَازٌ. ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. الشيخ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ على هٰذِه التَّصَرُفَاتِ ظلْماً مَجَازٌ. ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. [الكهف: ٤٩] لكن ذَكَرَ الحبيبَ هُنَا ليسْهُلَ هٰذَا الإطلاق. إذْ كُلِّ ما يضدُر مِنَ الحبيبِ كُلّه حُلو مُسْتغذَبٌ. إِنْ كَانَ ظَاهِره ظلماً. فَبَاطِئَهُ صَوَابٌ وتقريب. والله تعالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَلَى نَغَم الأَلْحانِ فَهْيَ بِهَا خُنْمُ

فَدُونَكَهَا فِي الْحَانِ وَاسْتَجْلَهَا بِهِ

قُلْتُ: دُونَكَ اسْمُ فِعْل بِمَعْنَى خُذْ. اللَّحْنُ مِنَ الأَصْوَاتِ المصنُوعاتِ المَوْضوعة على ميزَان الشُّغُرِ. والجمع أَلحان ولحون والْغُنْمُ بِالضَّمِّ: الفَوْز بِالشَّيْءِ بِلا مَشقَّةٍ. قَالَهُ في الْقَامُوس.

يَقُول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ أَردتَ أَنْ تَظْفَرَ بِهٰذِهِ الْخَمْرَةِ، فَخُذْها مِنْ مَحَلُّها. واستجلِها مِن خَانِهَا؛ وهو الإجْتماع مَعَ أَرْبَابِهَا. والصُّحبة لَهُمْ. والأدب مَعَهُمْ وتعظيمهم، والمُذَاكَرَة فِيهَا مَعَهُمْ. وإنشاد الأشْعَار التِي تَشْتَمِلُ على ذِكْرِها. على نُغُم حَسَنَة. وألحان مستحسنة؛ فهي السبَبُ في الْفَوْزِ بحصولهًا. والظُّفر بالسُّكْرِ بِهَا. كَأَلحانِ الششتري والنَّاظم وعبرهما من الخمرية أو البحرية. ولذلك اتخذت الصوفية مُنشداً لينشد في حلقة الذَّكر وبعدهَا؛ لأنَّهَا تُهَيِّج الحبُّ. وتَسْتجلب السكر. ويُشْترط أَنْ يكُونَ صَيِّتاً عارفاً بصناعَةِ الإِنْشادِ. يَذْكُرُ فِي كُلِّ محلٍّ ما يُنَاسِبُهُ، بِدَايةً ونهايَةً. جَذْباً وَسُلوكاً. وباللَّهِ التوفيق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَمَا سَكَنَتْ وَالْهَمُّ يَوْماً بِمَوْضِع ﴿ كَلْلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّغَم الْغَمُّ

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَهٰذِه الخَمْرة الأزلية، مَنْ شَربها وسَكر بِهَا وتمَكَّنَتْ مِنْ قَلْبِهِ مَعْرِفَتُهَا. وأشرقت على سِرِّهِ أَنُوارِهَا. لاَ يَسْكُنُ مَعَهَا فِي قَلْبِهِ هَمَّ أَبَداً؛ لأَنَّ الْوُصُولَ إِلَى هٰذِهِ الْخَمْرَةِ، هو الْوُصُولَ إلى الحبيب، والجلوس في بسَاطِ حَضْرَتِهِ. ومُشاهدة أنوار طلعَتِهِ. وَمَن كَانَ مَعَ الحَبِيبِ لاَ يَعْتَرِيهِ الهُمُومُ. وَلا يطرق ساحته الغُموم. كَما قال القائل:

هَنيناً لِمَنْ قَدْ نَالَ حُبُّ حَبِيبِهِ وَخَلافَ بِتَرْكِ الغَيْرِ أَكْرَمَ مَوْدِدِ نَعِيمٌ بِلاَ حَلُّ لَـذَيْهِ مُجَـدٌ قَلَى عَدَدِ الأَنْفَاسِ فِي كُلُّ مَشْهَدِ

وأَيْضاً: لاَ تطرق الهموم والأخزَان، إلاَّ من وُجُودِ الإنسَان. وأمَّا مَن نحقِّقَ زَوَالُهُ؛ كَانَ أَمْرُهُ كُلُّهُ بِاللَّهِ. ﴿وَقُلْ جَآةً ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَطِلُّ ﴾ [الإسراء: ٨١]. والحقُّ مُنَزَّهُ عَنِ النَّقائِصِ. وإن شَنْتَ قُلْتَ: الهَمُّ والْحُزْنِ لا يتصوَّرانِ إلاَّ فُقدَان شَيْءٍ أَوْ فَوَاتِهِ. وَماذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَ اللَّهَ. بَلْ مَنْ وَجَدَ اللَّهَ كَانَتْ أَوْقَاته كلها مَوَاسِم وأغيَاد. كما قال الشَّاعِرُ:

الدُّهُرُ لِي مَأْثَمٌ إِنْ غِبْتَ يَا أَمَلِي وَالْعِيدُ مَا كُنْتَ لِي مرءاً ومُسْتَمِعاً

وقال آخَرُ :

قَالت: هنّ العيدَ بالبشرَى فَقُلْت لها الْعيدُ والْبُشْرَى عِنْدِي يَوْمَ لُقْيَاكَ اللَّهُ يَخَلَمُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَرِحُوا بِهِ وَمَا فَرْحَتِي إِلاَّ بِرُوْيَاكَ اللَّهُ يَخْلَمُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَرِحُوا بِهِ وَمَا فَرْحَتِي إِلاَّ بِرُوْيَاكَ

وإِنْ شَنْتَ قُلْتَ: إِنَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْخَمَرة لاَ يَسْكُنُ مَعَهَا الْهَمُّ والْغَمُّ، لأَن هذه الْخَمَرة لاَ تَسْكُنُ إِلاَّ فِي قَلْبِ تَقِيِّ. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَنَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَهُ مِنْ حَبْثُ لَا يَمُّتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] أَيْ يَجْعَل له من كُلُ هَمَّ مُخْرِجاً. وَلا تَسْكُنُ أَيضاً. إِلاَّ فِي قَلْبِ مُحْسِن. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ النّبِينَ التَّقُواْ وَٱلذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴿ إِنَّ اللّهُ مَعَ السّنوينَ ﴾، [النحل: ١٢٨] وَلاَ تَسْكُنُ أَيْضاً إِلاَّ فِي قَلْبِ صَبُور. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهُ مَعَ السَّنوِينَ ﴾، [الغرة: ١٥٣] ومَن كَان اللّهُ مَعَهُ مَاذَا يَفُوتُهُ؟

وإِن شِئْتَ قُلْتَ: إِنما تطرقَ الهموم والغموم، مَنْ عَدِمَ الثقة بِالحقِ القَيُّوم. وَأَمَّا مَنْ صَلحَ تَوَكَّلُهُ عَلَى اللَّهِ. فَقَدْ كَفَاهُ اللَّهُ وَآوَاهُ. قال تعالى: ﴿وَمَن يَوَكُلُ عَلَى اللَّهُ كَافِيهِ، كَيْف تَعْتَرِيهِ الْهُمُومُ؟
الْهُمُومُ؟

إِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّمَا تَطُرُقُ لهذِه الغمُوم. مَنْ عَدم التحقق بالقَضَاءِ المَخْتُوم. وأمَّا مَنْ تحقق بِسَابِق القَضَاءِ والقَدَرِ. أَرَاحَ نَفْسَهُ مِنَ التَّعَبِ والكَدَرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَمَابَ مِن مُعِيبَةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلَا فِيَ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي حَيَّنَبٍ ﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْمَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَعُوا بِمَا السحديد: ٢٧] الآية. شم قال: ﴿ لِكَيْلَا تَأْمَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَعُوا بِمَا ءَانَكُمُ وَلا تَقْرَعُوا بِمَا عَانَكُمُ وَلا تَقْرَعُوا بِمَا عَانَكُمُ وَلا تَقْرَعُوا بِمَا عَانَكُمُ وَلا تَقْرَعُوا بِمَا عَلَى وَجُهِهِ. وَدَخَلَ الصحواء، فَوَجَدَ قَصْراً دَارِساً مُتَخَرِّباً. قَدْ كَشَف الريحُ عَنْهُ الرَّمْلَ. وفي حَائطِ ذلِكَ القَصْرِ، لؤح من الرُّخَام. مكتوبٌ فيه بقلم الْقُدْرَة لهٰذَا الشّع :

لَمَّا رَأَيْتُك جَالِساً مُسْتَقْبِلاً مَا لاَ يُقَدُّرُ لاَ يَكُونُ بِحِيلةِ سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ يَجْرِي الْحرِيصُ وَلاَ يَنَالُ بِحِرْصِهِ

أَيْفَنْتُ أَنْك لِلْهُ مُومٍ قَرِينُ أَبَداً وَمَا هُو كَائِنْ سَيَكُونُ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مَتْعُوبٌ مَحْزُونُ شَيْناً وَيَضْحَى عَاجِزاً مُهِينُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْقَضَاءِ يَقِينُ فَأَخُو الْحَقِيقَةِ شَأْنُهُ النَّهُ وِينُ لَـمَّا تَـيَقَّنَ أَنَّهُ مَـضَـمُـونُ

دَعِ الْهُمُومَ وَتَعرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا هَوَّنْ عَلَيْكَ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَالْفَأَ طَرَحَ الأذَى عَنْ نَفْسِهِ فِي رِزْقِهِ

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ ظُلُمَات. والحَمْرة الأزَلية أَنْوَارٌ مُشْرِقَاتٌ. فَكَيْف تجتمعُ الكَآبة والسُّرُور؟ مَشْرِقَاتٌ. فَكَيْف تجتمعُ الكَآبة والسُّرُور؟ وتعبير الشيخ بالسُّكنَى يَقْتَضِي أَنَّ خطو الهمّ على الْقَلْبِ ومُرورِه عليه. لا ينافي وُجُود الحَمرة. وَهُوَ كَذلِكَ. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَقَوّا إِذَا مَسَّهُم طَلَيْفُ مِنَ الشَّيْطُنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم تُبْصِرُونَ ﴾ [الاعراف: ٢٠١] فهذه الآية، تحكم على أَهْل اللِّذَايَاتِ والنهاياتِ لِقوله تعَالَى قَبْلَ ذٰلِكَ مُخَاطِباً لِسَيِّدِ العارفينَ. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَكَ السَّيْدِ العارفينَ. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَكَ السَّيْدِ العارفينَ. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَكَ مِنَ الشَّيْطُنِ نَرْعُ فَالسَتَعِدُ بِاللَّهِ ﴾ [الاعراف: ٢٠٠] الآية. أو إشارة إلى أَنَّ الطَّيْفَ لاَ يَخْلُو مِنْهُ أَحَدٌ. وإن كَان الرَّسول معصوماً من إصراره، لكن فيه تنبية لِغَيْرِهِ. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَنِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمْرُ سَاعَةٍ تَرَى الدَّهْرِ عَبْداً طَائِعاً وَلك الْحُكْمُ

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفي سَكَرَةٍ مِنْ لهَذِهِ الْخَمْرَةِ الأَزَلِيَة، وَلو سَاعَة من الْعُمْرِ، ترى الزَّمَانَ طَائِعاً لكَ. والأَشياء كُلّها عِنْدَ أَمْرِكَ ونَهْيكَ. وأَنتَ حَاكِمٌ عَلَيْها. ما دُمْتَ فِي لهٰذِهِ السَّكْرة. لأَنكَ حُرَ عنْهَا، غنِي بِشُهُودِ مُكَوِّنِهَا. الأَشْيَاءُ كُلّما تشتاقُ إِلَيْكَ وأَنْتَ مَوْلاَهَا. أَنْتَ مَعَ الأَكْوَان. مَا لَمْ تَشهد المُكوّن. فَإِذَا كُلّما تشتاقُ إِلَيْكَ وأَنْتَ مَوْلاَهَا. أَنْتَ مَعَ الأَكْوَان. مَا لَمْ تَشهد المُكوّن. فَإِذَا أَشهدتُهُ، كَانَتِ الأَكْوَان مَعَكَ. وفي الحديث: «اشْتَاقَتِ الجَنَّةُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ، وَصُهَيْبٍ وَبلاَلٍ» (١). وَبالْجُمْلَةِ، فَمَن عَلَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الأَشْيَاءِ كَانَ حُرًا. والأَشْيَاء كلها عَبِيد لَهُ. يَتَصَرَّف فِيها باللَّيل. مُرَاده مَعَ مُرَاد مَوْلاك. لاَ يشتهي إلاَّ ما يُويدُ إلاَّ ما يُريدُ. صَارَ المَنْعُ عِنْدَهُ عَيْنَ الْعَطَاءِ. والذَل عَيْنَ الْعِزً.

⁽۱) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدى من مصادر ومراجع والذي ورد: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان» (رواه الحاكم برقم (٤٦٦٦) [٤٦٦٨]) وفي الاستيعاب لابن عبد البر: «اشتاقت الجنة إلى علي وعمار وسلمان وبلال» رضي الله عنهم. [ج/

والْفَقْر عَيْن الْغِنَا. والقبْضُ عَيْنَ البَسطِ. إلى غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ تَوَارِدَ الأَضدادِ. فَلاَ يَقْدَحُ فِي حَقّ العارفِ تَعَذَر الأشياء عليه، في أَمُر الدُّنيا؛ لأنه عِنْدَ مَوْلاَهُ. مَنَعَهُ أَوْ أَعْطَاهُ. وتقييدنا كَلاَم الشيخ. بوقتِ الخَمْرةِ لاَ بُدُّ مِنْهُ. وأَمَّا مَن رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، وَشُهُودِ حِسّهِ. فَلاَ تبقى له لهذِهِ الْمَزِية. لغَلَبة أَخْكَام العُبُودية عَلَيْهِ. وفي ذْلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرِ:

نَسخسنُ إِنْ كُسنَسا بِسِهِ دَلاَلاً يَهْنَا عَنْ سَائِرِ الأَحْرَارِ والْعَبيدِ وَإِنْ نَحْنُ رَجَعِنَا إِلَيْنَا عَطَل ذُلِّنَا ذُلَّ الْيَهُ وِ

فَمَنْ دَامَ سُكْرُهُ فِي الْبَاطِنِ. وتحقق بَقَازَهُ وَفَنَاوْهُ. وسَكَنَ عِنْدَ مَوْلاَهُ، كَان حُرّاً عَلَى الدُّوام. مَالِكاً عَلَى الدَّوام. والأشياء مملوكة له على الدُّوام. يَتَصَرَّف فِيهَا بِاللَّهِ. خَلَيْفَة عَنِ اللَّه في حُكْمِهِ وَإِلزَامِهِ. مَعْزُول عن رؤية نَفْسِهِ وَوُجُودِهِ. يَتَظَهُّرُ بِعَيْنِ البَصِيرَة إلى سَابِقِ الْقَضَاءِ، فَيَحْكُمُ بِهِ. قَدْ ذَهَبَ رُوْيَةُ الْكَوْنِ عَن نَظرِهِ. فَلاَ يشهد إِلاَّ مُكَوِّنَهَا. فلا شكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ هَكَذَا. يكُون الدَّهر خَادماً لهُ. والأَنَامُ عَبيدٌ. فَكُلّ يوم عِنْدَهُ الْعِيدُ. حَقَّقَنَا اللَّهُ بِهٰذَا الأَمْرِ الْعَظِيم. يجله سَيِّد الخَلْقِ عليه السلام.

ثُم قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَلاَ عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمن عَاشَ صَاحِياً وَمَنْ لَمْ يَمْتْ سُكُراً بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ قُلْتُ: الصَّخُو: ذَهَابُ الْغَيْم، والسُّكُر. يقال: صَحِيَ السكران. كَرَضِي. وَأَضْحَى: ذَهَبَ سُكْرُهُ. قَالَهُ فِي الْقَامُوس:

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ فَاتَهُ السَّكْرِ بِهٰذِهِ الخَمْرَةِ، وعاش سَالِكاً مَحْضاً. لاَ يَرَى إِلاَّ الأَكْوَانِ. وَلاَ يَجُولُ فِكُرِهِ إِلاَّ فِيهَا. فَعَيْشُهُ عَيْشُ الْبَهَائِمِ. فَلاَ عَيْشَ لَهُ عِنْدَ الْأَكْيَاسِ؛ لأَنَّ عَيْشُه مُكَدِّر. وَرزقه مِنَ العلوم مُقَدِّر. مسجُون بمحيطاتِهِ، مَحْصُورٌ فِي هَيْكُلِ ذَاتِهِ. لَمْ يُفْتَحْ لَهُ مَيَادِينُ الْغُيُوبِ. وَلَمْ يَخْرِجْ إِلَى فَضَاءِ الشُّهُودِ والعِيَانَ. قَدْ بَانَ غَبْنه، وَدَامَ حُزْنُهُ. وَقَدْ قُلْتُ فِي تاثيتي فِي لهٰذَا المَغنَى:

فَيَا غَبْنَ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهَا غَلِيلَهُ لَقَدْ كَسَاكُ الْحِرمَانُ ثَوْبَ مَذَلَّتِي وَيَا فَوْزَ مَنْ أَضْحَى لَهَا مُتَضَلِّعاً عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلُّ وجْهَةِ

وَعَبْداً يَصِيرُ الدَّهْرُ فِي كُلِّ خِدْمَةِ فَعَبْداً يَصِيرُ الدَّهْرُ فِي كُلِّ خِدْمَةِ فَقَدْ فَاتَهُ الخَدْمُ

هَـنِيـشاً لَـهُ فَالأَمْسُ عِـنْدَ مُسرَادِهِ فَمَنْ عَاش وَلَمْ يَسْكُوْ مِنْها حَتَّى مَاتَ كَمَا قَالَ الشاعِرُ:

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَصْلٌ حَظَّهُ النَّدَمُ وَمَنْ تَكُنْ هَمَّهُ تَسْمُو بِهِ الْهِمَمُ

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّحْوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: صَحْوٌ بعد السُّكْر: وهٰذَا عَيْن الكَمالِ. وصحو قبل السكر؛ وهذا هو المَذْمُوم؛ لأن صاحبه محجوب عن اللَّه؛ وهو الذي أرّاد الناظم هُنَا، كَمَا أَنَّ السكر على قسْميْن: سكر يكُون مَعَه سلوك أَوْ بعدهُ. وهٰذَا نَاقِصٌ؛ بعدهُ. وهذا هو الكَمَال. وسكر لا يصحبه سلوك معه وَلا بعدهُ. وهٰذَا نَاقِصٌ؛ لا يصلحُ للتربية النبوية. كَما أَنَّ السُّلوك المخض لا يصلح أَيْضاً للتَّرْبية. ومَن سَكر ثم صَحَا كان شيخاً مُرَبّياً، كَاملاً مكملاً؛ وهذا لا ينقطعُ، ما دَامَ الجود قَائماً. وَلا يقول بخلافِ هٰذَا، إِلا مَنْ طَبَعَ اللَّهُ على قَلْبِهِ. نَسْأَل اللَّهُ السَّلامَة بمنّهِ وَكَرَمِهِ:

ثُمَّ إنه قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلاسَهُمُ

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: مَن ضَاع عُمُرُهُ فِي البطالة والتقصير، والتخليط والتخدير، وليْسَ له مِن خَمْرة الأَفراحِ قليل وَلاَ كَبيرٌ. فَالواجبُ عليه أَنْ يبكي على نَفسِهِ آناء اللَّيْل وأَطراف النَّهار. ويلتجيء إلى العارفين الأطهار والصالحين الأبرَار فَعَسى أَنْ تهُبَّ عليه نَفَحات مِنَ الكَرِيم الْغَفَّار. لعلّ يلتحق بِهِم، وينخرط فِي سِلكهم. وإلاَّ بَقِيَ مغبوناً عبادَتُهُ؛ وإن كَثُرت فِي الحسُّ؛ فهي قليلة في الْمَعْنَى؛ لأَنَّ المقصود مِنْ عَمَلِ الجوارحِ، وصُولُ ثمرتها إلى الْقَلْبِ؛ وهِي خَمْرة المحبَّة. فَمَنْ لَمْ يَصِلْ إلى هَذِهِ الخَمْرةِ، فعبادته وسيلة بِلاَ عَايَةٍ. ولذلك عَمْرة المحبَّة. فَمَنْ لَمْ يَصِلْ إلى هَذِهِ الخَمْرةِ، فعبادته وسيلة بِلاَ عَايَةٍ. ولذلك قال القطب ابن مَشيش ـ نَفَعَنا اللَّهُ بِذِكْرِه ـ مَنْ دَلَّكَ على الدّنيا فَقَدْ غَشَكَ. وَمَنْ دَلِّكَ عَلَى الْعَبْد عَمًا سواهُ، ونِسْيَانِه نَفْسه وَهُواهُ؛ وَهْذِهِ هِيَ الخمرة لَلْهُ المُطلوبة. فعبادة أهل هذه الخمرة كثيرة فِي المَعْنَى. وَإِن كَانَتْ قَلبلَة فِي المَعْنَى. وَإِن كَانَتْ قَلبلَة فِي المَعْنَى. وَإِن كَانَتْ قَلبلَة فِي المَعْرة؛ لأَنْها بيْن فكرة الحسّر؛ لأَنْ عبادة هذه الخمرة كُلْها مُضَاعفة بأَضعاف كثيرة؛ لأَنها بيْن فكرة الحسّر؛ لأَنْ عبادة هذه الخمرة كُلْها مُضَاعفة بأَضعاف كثيرة؛ لأَنها بيْن فكرة

ونظرة. وشهود وعِبْرة. وفي الخبر: «تَفَكُرُ سَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَة» (١). وَقَال الشَّاعِر:

كُـلُ وَقْتِ مِـنْ حَـبِيبِي قَـدْره كَـالَـفِ حَـجَـةِ

أي: سنة. وقال الشيخ أبو العبّاس المرسي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَوْقَاتُنَا كُلها ليلة القدْر. أي كل وقتٍ عِنْدَنَا خَيْر مِن أَلْفِ شَهْرٍ. يشيرُ إِلَى لهذَا المَعنى. وقال الجنيد رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَشرف المجالس وأعلاها؛ مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسّم بالمعرفة. والشُربُ بكأس المحبّة، مِنْ بَحْر الوداد، والنظر بحسن الظّنِ باللّهِ تعالى. ثم قال: يَا لَهَا مِن مجالس. مَا أَجَلّها! وَمِن شَرابٍ ما أَلَدُهُ! طوبَى لِمَن رؤزةَهُ هـ.

وقال ابن عطية رحمة الله: حدَّثني أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن بَعْض علماءِ المشرقِ، قال: كنت تائِها فِي مسجد الأقدام بِمصر. فصلَّيْت العَتَمة. فَرَأَيْت رَجُلاً قَدِ اضْطَجَعَ فِي كِسَاءٍ لَهُ. مسَجياً بكسَائِهِ حَتَّى أَصْبَحَ. وَصَلَّيْنَا في الليلة وسهرنَا. فَلَمَّا أُقيمت صَلاةَ الصُّبْح. قام ذٰلِكَ الرَّجُل، فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ. وصَلَّى مَعَ النَّاسِ، فاسْتَغْظَمْتُ جُرْأَتَهُ في الصَّلاةِ بِغَيْر وُصُوءٍ. فلمَّا فَرغت الصلاة، خرج فَتَبعتُه لاَعِظَهُ. فَلمَّا تبعته سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ:

مُنْسَجِنُ الْجِسْمِ غَالَبٌ حَاضِرَ مُتَنَبَّهُ الْقَلْبِ صَامِتُ ذاكِرَ مُنْسَجِنُ الْجِسْمِ غَالَبٌ حَاضِرَ مُنْسَلًا كَلَا مَنْ كَانَ عَارِفاً نَكِرَ مُنْجَسِطً كَلَا مَنْ كَانَ عَارِفاً نَكِرَ قَالَ أَبُو الحجاج الضرير في قال: فعلِمتُ أَنَّهُ ممَنْ يَعْبِدُ اللَّهَ بِالفِكْرَةِ. وقال أَبُو الحجاج الضرير في

مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ فِي الحقيقَةُ وإِنَّـمَـا يَـخـافُـهُ مَـنْ عَـرَفَـه

والفِحُرُ فِي عَجَائِب الخَليقَةُ لأنَّهُ بِهِ تَسكُونُ الْسمَعْرِفَةُ وقال الششتري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ:

⁽١) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع والذي ورد: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» (المصنوع للهروي [٩٣/١] وفي لفظ: «ستين سنة» وأورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (١٠٠٤) [١/٧٠]).

دَع السَّيْفَ والسُّبحة والسَّجَّاذ واعْقد سُكيرةً مِنْ خَمْرَةِ الإِفراذ

أي اترك الجهاد الحِشي والعبادة الحسية. واشْتَغِلْ بالعبَادَةِ الباطنية القلبية. ولذلك قال بعض العارفينَ: الذَّرَّةُ مِنْ أَعْمَال القُلُوبِ. أَفضل مِن أَمْثَال الجِبَالِ مِنْ أَعْمَالِ القُلُوبِ. أَفضل مِن أَمْثَال الجِبَالِ مِنْ أَعْمَالِ الجَوَارِحِ. وقال الإمام أَبُو القاسم القشيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التفكر نعْت كل طالبٍ. وثمرة الوصول، بِشرطِ الْعِلْم. فَإِذَا سَلِم الفكر عَن الشوائب.

ورَد صاحبه على مَنَاهِل التحقيق.

وفي كتاب الله عَزْ وجلَّ، وسنَّة رسول الله ﷺ، مِنَ الحث على التَهَكُر، والإغتباط به. ما يَقلَ بِهِ أَسْفار. وكذلك أخبار السّلف الصالح. قال تعالى: ﴿ اللَّيْنَ يَذَكُرُونَ اللّهَ قِينَمَا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْفَكُرُونَ فِي خَلِقِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال تعالى: ﴿ قُلُ الْقُلُواْ مَانَا فِي السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الاعران: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَنَفَكُرُواْ مَا يِسَاجِهِم مِن حِنَّةً ﴾ [الاعران: ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَنَفَكُرُواْ مَا يَسَاجِهِم مِن حِنَّةً ﴾ [الاعران: ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَنَفَكُرُ وَالْأَرْضِ ﴾ [الاعران: ١٨٥]. إلى غَيْر وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَنَفَكُرُ وَالْأَرْضِ ﴾ [العران: ١٨٥]. إلى غَيْر السَّمَنوَتِ وَالْأَرْضِ وَالْفَرَفِ وَالْفَرَفِ وَالْفَرَقِ وَالْفَرَفِ وَالْفَرَقِ وَالْفَرَقِ وَالْفَرَفِ وَالْفَرَقِ وَالْفَلَ فِي الْمَوْتِ وَالْفَلَ فِي فَلَى اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَمْ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَمْ مَنْ أَوْ وَعَلَلْ لِمَنْ فَي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَيْكُولُ وَاللّهُ وَلَا عَلَى اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَيْكُولُ وَاللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَمْ يَتَفَكُّرُ وَكَالَ وَعِلْ لَا لَمُوتُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَى اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللللللّهُ وَلَا اللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا اللّ

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنِ عُينِنَةً، كَثِيراً مَا يَتَأَمَّلُ وَيَقُولَ: إذا المَرْء كَانَتْ لَهُ فِكْرَة. فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَة. وقال الحسَن: مَنْ لَمْ يكُن كَلاَمه حكمَة، فَهُو لَغْوٌ.

⁽۱) روى الحاكم في المتدرك عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله». حديث رقم (١٩١) [١٩٥] والترمذي في سننه، باب ٢٥ برقم (٢٤٥٩) [٢٨٨٤] ورواه غيرهما.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سكوته تفكّراً؛ فَهُو سَهْوٌ. وَمَنْ لَمْ يَكُن نظرهُ اغتباراً، فَهُوَ لَهْوٌ. وَمَنْ لَمْ يَكُن نظرهُ اغتباراً، فَهُوَ لَهُوّ. وقيل في قوله تعالى: ﴿سَأَشِرِفُ عَنْ ءَايَتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 187] أي أَمْنَعَ قلوبَهُمُ التفكير في أَمْرِي.

وَكَانَ لُقْمَانُ يُطيلُ الجُلوسَ وحْدهُ. فيمرّ بهِ مَوْلاَهُ. فيقول له: يا لقمان. إنك تطيل الجُلُوس وحدك. فَلَوْ جلسْتَ مَعَ النَّاسِ، كَان أَأْنَس لَكَ. فيقول لقمان: إن أَطول الوحدة أَتَمُّ لِلفكرةِ.

وقال في الحِكم: ما نفع القَلْب شيءً مثل عُزْلة، يَدْخل بِهَا مِيْدان وفِكُرة. وقال أَيْضاً: الفِكرة وقال أَيْضاً: الفِكرة وقال أَيْضاً: الفِكرة فكرتان: فِكرة تَصدِيقٍ وإيمَانٍ. وفِكرة شُهُودٍ وعِيَانٍ. فالأَوَّل لأَرْبابِ الاعْتِبار. والثانية: لأَرْباب الشهود، والإستِبْصَارِ. فكرة أَهْل الشهودِ والعِيانِ؛ هي التي تَسْتَلْزِم الخَمْرة؛ وهي المقصودة عنْدَ العَارِفين. وهي التي تعادِل أَلْف سَنَة. وقت منها خَيْر من أَلف شَهْرٍ. فَمَنْ فَقَدَها فَلاَ عَيْش لهُ في الدُّنيا. وَحق على نفسه البُكَاء. وَمَنْ ظَفَرَ بِهَا وَنَالَهَا يحق لهُ الْهَنَاءُ. وفي أَمْثالِهِ قال القائل:

هُمُ الرِّجالُ وغَيْن لِمَنْ أَنْ يُقَالَ لَمْ يَتَصِفْ بِمَعَانِي فِي وَصْفِهِمْ رَجُلُ

حَقَّقنا اللَّهُ بِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ. وأَتْحَفَنَا بِمَا أَتْحَفَهُمْ بِهِ. آمينَ. وسلام على المُرْسلينَ. والحمد لله رب الْعَالَمِينَ.

لهذَا آخر ما قَصَدنًا جَمْعَهُ على القصيدة الخمرية الفرضية: على يد عبد ربه، أقَل عبيده، أحمد بن محمد بن عجِيبة الحسَنِي.

شرح نونية الإمام الششتري رضي الله عنه

لسيدي أحمد بن عجيبَة رضي الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بنسم ألم الكنب التجسير

وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، الْفَرْد الصَّمَد. الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ. قَدْ تَنَزَّهَتْ أحديته عن مُزَاحِمَة الشركاءِ والأضداد والأنداد. وتقدَّسَتْ عَظَمَةُ ذَاتِهِ عن وَفْق الحُلُولِ والاتَّحاد. والصَّلاةُ والسلامُ على قطب دائرة الأكوانِ وسيَّد الأسْيَادِ، الَّذي من نور فيضه الأوَّل ظهَرَتْ نعمة الإيجاد والإِمْدَادِ، سيّدنا ومولانا محمد المبعوث بالعِزِّ الدَّائِمِ والشرف الفاخِر رحمة للعبادِ.

وبَعْدُ: فهذا شرح عجيبُ لنونية الإمام المحقق بحر زمانيه. وفريد عَضره وأَوَانِهِ. إِمَام أَهُلِ الأَذُواق والوُجْدَان. وقطب أهل التوحيد والعِرفَان أبِي الحَسَن على بن عبْد الله الشَّشْتري. وَقَدْ سَبَق إلى شَرْحهَا العَلاَمة الصّوفي، سيّدي أحمد زَرُوق. رضي الله عَنْهُ. اقتصر فيه على حَلِّ الفاظِهَا، وبيَان ما انعلَقَ مِن بَعْضِ معانيها. غَيْر أنه لم يَخُضْ في تَيَّارِ بَحْرِ أَسْرَارِ التوحيد منها؛ على غَوَامِض أنوارها. ولا فَضَّ خَاتَم أَسْرَارهَا، وَلا دَخَل بعَرَائِس أَبْكَارِهَا. ولَعلَّه شَرَحَهَا قَبْلَ أَنْ يُفتح عليه في أَسْرَار الحقيقة. فقد كَانَ شيخ شيوخنا سيّدي علي شَرَحَهَا قَبْلَ أَنْ يُفتح عليه في أَسْرَار الحقيقة. فقد كَانَ شيخ شيوخنا سيّدي علي العمراني رضي الله عنه يقول: ما فتح على الشيخ زرّوق إلا في آخِرِ عُمُرهِ. أي بحيث لم يؤلف شيئاً بَعْد الفتْحِ. والله أَعْلَمُ. وَكِتَابُهُ شاهده بِذُلك. إذ الكَلامُ وضف المتكلّم. وَمَنْ تَكَلِّم عُرِف مِن سَاعَته. فَهُو في عُلُوم الطريقة إمامً. وأمّا وضف المتكلّم. وَمَنْ تَكَلِّم عُرِف مِن سَاعَته. فَهُو في عُلُوم الطريقة إمامً. وأمّا في علوم الحقيقة وأَسْرَار الأَذُواق فَلَمْ يَنَل فيهَا شيئاً إلا في آخِرِ عمره، وكاد أن يخرج منها صِفْر اليَدْيْنِ. ولذلك كثر اغتِراضه على أهل الله. وظَهَرَ فِي كَلامِهِ يخرج منها صِفْر اليَدْيْنِ. ولذلك كثر اغتِراضه على أهل الله. وظَهَرَ فِي كَلامِه التَشديد والتضييق عَلَيهم. وقد رأيته في نوم كاليقظة. فقلت له: قَدْ شددتُ على التَشديق عَلَيهم.

أهل اللّهِ. في عدة مُريدينَ فقال: وَمَا قلْت فيها؟ فقلت له: قلت كذا كذا. وذكرْت له بعض ما انتقد عليْهم. وما شدَّد فيها. فقال: ذٰلِكَ الَّذي يُنَاسِبُ مَذْهَبَ مالكِ. فَقُلْتُ له: الصُّوفِي الحقيقي لاَ يُقَلِّد مَالكاً ولاَ غَيْرَهُ بل يأخذ الشريعة مِن أَصْلها. والحقيقة من مَعْدِنِها. فقال مَنْ بَلَغَ هذا، أَوْ صَحِبَ مَن بَلَغه ولا يتكلَّم مَعَهُ فقلتُ: واللَّهِ لقَدْ بَلَغْنَاهُ. وصَحِبْنَا مَنْ بَلَغَهُ. فَعَاب عَني.

وَكَانَ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ يقول: الشيخ زروق مُحْتَسِب الصوفية. قُلْتُ: إنما يكون مُحْتَسِبُ صوفية الظَّاهِرِ؛ أهْلِ العبادَةِ الظَّاهِرة. والنَسْكِ الظَّاهِر. وأما أهْلُ البَاطِنِ أَهْلُ النَّزبية. فَلا احْتساب له عَلَيْهم. إذ لم يُحِطْ عِلْماً بِمَا عِنْدَهُمْ. ولقد سَمِعْت شيخ مشايخ التَّزبية في زَمَاننا: مولاي العزبي الدَّرقاوي الحسَيني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

الشَّيْخ زرُوق عنْد أَهْل الظَّاهِرِ شيء كَبيرٌ. وعِنْدَ أَهْل البَاطِنِ شيءٌ صَغِيرٌ. وأَهْلُ مكَّةَ أَعْرَف بِشِعَابِهَا.

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلاَّ مِنْ يُكَابِدُهُ. وَلاَ الصَّبَابَةَ إِلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا. وَمَرَاتِبُ الأَوْلياء، كَطَبَقَاتِ الجِنَان. الأَعْلَى يَعْرِف الأَسْفَل. دون العَكْس. واللَّهُ أَعْلَمُ.

ترجمة الشيخ الششتري

قال في أوّل شَرْحِهِ لهذه القصيدة في التعريف بالشيخ: وأمّا الشيخ فهو الأستاذ الفقيه، المُقرىءُ المحدّث. الصوفي العالم، العامل الكامل المحقق المدقق. أبُو الحسن علي بن عبد الله النّميري، ثم الشُشْتُري بمعجمتين. أولاهما مضمومة. وبَعْدها تاء فوقية. كذلك نسبة إلى شُشتر. قرية بالأندلس. على مَقْربة مِن لوشة. وبالعراق أيضاً قرية تسمّى بِذٰلِكَ. قال ابن ليُون: كَان مِن أَبْنَاءِ الملوك والأمراء، فصار من سَادة الفقهاءِ. وكان يُقرأ عليه القرآن بالرّوايات. وكان عَارِفا بالأصُولِ السّنة. وَأَنْوَاع الرّواة. وقال الطّوام: كان من التّجار السّفار. ثم صار من الشيوخ الأبرار. قرأ الرّأي، أي الفقه ثم تصوّف والتزم طريقه فما تشوّف. وكان ذا عزمة وهمّة. مع مشاركة في علوم جمّة.

نزل طرابلس، فأخذ عنه أهلها علوماً. ثم عَرَضوا عليه قضاءَهَا. فَلَمْ

يوافق عليه، وَلاَ مَقَامَ حَوْلَهُ. فاستحمقوهُ. فقال في ذلك:

رَضِيَ المُتَبَّمُ فِي الْهَوَى بِجُنُونِهِ لاَ تَعْذِلُوهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُ عَذَلُكُمْ قَسَماً بِمَنْ ذَكَرَ الْعَقِينَ مِنْ أَجِلِهِ مَالِي سِوَاكُمْ غَيْرَ أَنِّي تَاثِبُ مَالِي إِذَا هَتَفَ الْحَمَامُ بَأَيْلَةٍ وَإِذَا الْبُكَاءُ بِغَيْرِ دَمْعِ دَأَبُهُ

خَلُوهُ يَفْنِي عُمْرَهُ فِي فُنُونِه لَيْسَ السُّلُوْ عَنِ الْهَوَى مِنْ دِينِهِ قَسَمَ المُحِبُّ بِحُبُّهِ وَيَمِينِه مِنْ فَتْرَةٍ فِي الحبُّ أَوْ تَلُوينِهِ أَبِدا أَخِنَ لِشَجْوِهِ وشُجُونِهِ فالصَّبُ تَجْرِي دَمْعُهُ بِعُيُونِهِ

وإنما أنشَد القصيدة اغتِرَازاً عَنْ إِعْرَاضِهِ عَنِ القَضَاءِ. وكَأَنه يقول لَمْ أَتركُهُ رُهْداً فيه. ولا رَغْبة عَنِ الشريعة. إِلاَّ أَنَّهُ يُوجب التشتيت والتلوين. هذا ظاهرُ كَلامِهِ. قال الطَّوام. كان يجيز في المتصفَّى والمجهل؛ وله طريقة حَسنة في المقاماتِ. ولكلامِهِ عُذُوبة. ولم تَزل معه مصحوبة، ثم قال: وكَان يُرْمى بمذهب شيخه الإمام الولي الكامل المحقق سيّدي عبد الحق بن سبعين ثم حَمَلَ على الرجوع عنه في حكاية وقَعَتْ لهُ بِبَجَاية. والذي كان يُرْمَى ابن سبعين هذا القول بالحلولِ والاتحادِ والميل إلى الزَّيْغ والإلحاد. معاذ الله أن يكون من أهل ذلك؛ وهو من أهل الْعِلْمِ. والتمسك بالأحكام الشرعية. وإن كانَتْ له ظواهر والنشليم أنجى وأسلم. فقد قال الشيخ أَبُو عبد الله المقري الفقيه القاضي رحمه والنشليم أنجى وأسلم. فقد قال الشيخ أَبُو عبد الله المقري الفقيه القاضي رحمه والنه وغفر له: الاعتقادُ ولايةً. والانتقاد جِنايةً. فَإِن عَرَفْت فَاتْبَغ. وإن جَهلت فَسَلْمُ.

وسُئل الشيخ الغوري رحمه الله عن ابن العربي الحاتِمِي فقال: أَغْرَفُ بِكُلِّ فَنَّ. مِنْ أَهْلِ كُل فَنَّ. قيل: مَا سَأَلْنَاكَ عَنْ لهٰذَا. فَقَالَ: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية قِيلَ لَهُ: ماذا تُرَجِّحُ؟ قال: التَّسْليم. وأَخَذ يستدل لَهُ.

وسُنْل النَّوَوي رحِمَهُ اللَّهُ عن ابن الْعَرَبِي الحاتمي فقال: الكلام كلام صوفي. و﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتٌ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمُ مَّا كَسَبْتُمُ ۖ وَلَا تُسْتَلُونَ عَمَّا كَانُواْ مِمَّاكُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤] وقَال الْقَرافِي في أَجْوِبَتِهِ بعد نقل كَلاَم النَّاس فيه: الأولى

أَن يُحْكَمَ عَلَى الكلامِ فيقال: هذا الكلامُ يَقْضِي كذا. ويَدلُ على كذا. وَيُنكَّرُ مِن كَذَا. ولا يتعرضُ لتكفير صاحبهِ لاختِمَالِ رجُوعِهِ عَنْهُ. لاَ سِيَّمَا وقد كَان عالِماً بالسَّنَنِ والأثرِ وفي كَلاَمِهِ ما يدلُ على اقتداء كثير. هذا مَعْنَى كَلاَمِهِ. وقد قال الشيخ أَبُو بَكْرِ بن فورك رحمه اللَّهُ: الغلط في إِذْ خَال أَلْفِ كَافِرٍ بِشُبْهَةٍ. ولا الغلطُ في إِخراج مُسْلِم واحدٍ بِأَلْفِ شُبْهَةٍ كُفْرٍ. نقله عنه عَيَّاض في الشفاء. انتهى كَلام زروق رضي الله عنه.

أسباب انتقاد أهل الباطن

قلتُ: وسبب انتقادِ أَهْلِ الظَّاهِرِ على أَهْلِ البَاطِنِ. أَنَّ أَهْلِ البَاطِنِ لَمَّا اسْتَشرفوا على بِحَارِ زَوَاخِر من التوحيد الخام. راح بَعْضُهم للتعبير عَن تِلْكَ الأَسْرَارِ فضَاقت عبارتهم عن ذلك. فَهَهموا مِنْها غَيْرَ مَا أَرَادُوه فَرُمُوا بالحُلُولِ والاتحادِ. مع تنزّههم عنْهُ. وذلك كابنِ العربي. والششتري وابن الفارض وأضرابهم، وهذه الأسرار لا تدرك بالعبارة، وإنها تنال بالصحبة والسراية.

ومِنْهُمْ من عَبَّر عَنْهَا بإشارة رقيقة. وعِبَارة دَقيقة. غَطَّاها بنوع مِنَ التشريع. فَقُبِل منْهُ. وأُقِرَّ في مَحلِّهِ. كابن عطاءِ الله. رضي الله عَنْهُ وأشياخه: المُرْسِي. والشاذلي. وابن مشيش. فَسَلموا من الانتقاد عليْهم. وكلهم أولياء رضي الله عنهم أجمعين. ه.

ولنَرْجع لِمَا كُنّا فيه مِن تعريف بالشيخ؛ وذلك أن الششتري أَلَف كتاب: العُرْوَة الوُثْقَى. وكتاب المقاليد الوجودية. وكتاب الرسالة العلمية؛ وهي التي اختصرها ابن ليون التجبيبي في الإقالة. في الانتصار للطائفة الصوفية. وله مقطعات وأزجال في الخمرة الأزلية. قال ابن ليون: دُفِنَ الششتري رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ بالطينة. عن مَقْرَبة مِن دُمْياط. وقد مدت دونها بِثَمَانِية عَشر مِيلاً. فَحَمله الفقراء على أَعْنَاقِهِمْ حتى وَصَلوهُ إليها. وقد سُئِلَ قرْب ذلِكَ: مَنِ الفقير؟ فقال: الّذي يَمْشي بعد مَوْتِهِ ثمانية عشر ميلاً. فكان كما ذكر وذلِكَ سنة ثمانية وستين وستمائة (١٦٦٨هـ) كما ذكره الطوام. قُلْتُ: فكان في عضر الشاذلي وتأخر مَوْتُهُ عنه بِنَحْوِ اثنتي عشرة سنة.

قال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَمًّا هذه القصيدة فقد احْتَوت على

مقاصد طريق العارفين، وتعريف أحوال الرِّجَالِ، وقد جزَّاها ثلاثة أَجْزَاء: الجُزْء الاُول في تعيين المطلوب وما يطلب به، وما يقوم فيه، وَوَجه المعاملة في ذلك نفياً وإثباتاً، وهذا من أوَّلها إلى قَوْلِهِ: أَمَامك هَوْل فاسْتَمع لوصيتي، الجُزْء الثاني من هُنا إلى قوله: فكم واقفٍ أَرْدى، وقد ذكر فيه آيات العَقْل، وتطويره بالمحاسن والقبائح، وما يعرف فيه، الجزء الثالث: في الأمور التي اكتسبها العَقْل لذويه من نقص أو كمَالٍ أو تَضَمَّن ذلك تعريف جماعة من الرِّجَالِ وسيُذكر كلَّ في مَحلِهِ إنْ شَاءَ اللَّهُ:

وَهَذَا أُوِّلُ القصيدة. قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَرَى طَالِباً مِنَّا الزِّيَادَةَ لاَ الْحُسْنَى بِفِكْرٍ رَمَى سَهْمَا فَعَدَّى بِهِ عَذْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: أَرَى طالباً مِنّا مَعَاشر الصوفية. بسيرهِ ومجاهدتِهِ، وإحسانِهِ فِي معاملته. إنما هو الزّيادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَمُسْتَى وَزِيادَةً ﴾ [يونس: ٢٦] لا الحُسْنى التي هِيَ الجَنّة؛ التي فسّرت بها الحُسْنى. والزّيادة المَذْكورة في الآية، هي النّظرُ في وجهه الكريم. ودوام شهوده. أو المعرفة. وزيادة الترقي فيها أبداً سَرْمداً. وإنما كان مطلبهم ذٰلِك لمسكِ هِمَمِهم. ورَفْعِها عن الأكْوانِ بِأَسْرِهَا. فالجنّةُ كُونٌ مِنَ الأكْوانِ. فمن لمسكِ هِمَمِهم. ورَفْعِها عن الأكْوانِ بِأَسْرِهَا. فالجنّةُ كُونٌ مِنَ الأكْوانِ. فمن رحل بقلبِه عنِ الدّنيا. وطلب الجنّة وزَخارفها. فقد رَحَل من كُونِ إلى كونِ فيكونُ كَحِمَارِ الرّحَى ما انْتَقَلَ عَنهُ. هو الّذي حَازَ إليهِ. والمطلوب إنما هو الرّحيل مِنَ الكونِ إِلَى المُكَونِ. ﴿ وَإَنَ إِلَى رَبِّكَ ٱلسُنَهَىٰ ﴾. [النجم: ١٤] قال الرّحيل مِنَ الكونِ إِلَى المُكَونِ. ﴿ وَإَنَ إِلَى رَبِّكَ ٱلسُنَهَىٰ ﴾. [النجم: ١٤] قال أَبُو مَدين رَضِيَ اللّهُ عَنهُ.

"شتّانَ بين مَنْ هِمَّتُهُ الحورُ والقُصُورُ وبيْن مَن هِمَّتهُ رفع الستور، ودَوام الحضور وقد مَدَحَ الحق تعالى أهل الصُّفَّة بقوله: "يريدونَ وَجُههُ" أي ذاتهُ. فكَانَتْ عبَادتهم لإرادة معرفة ذَاتِه. كذلك الصوفية برفع همَّتِهم. لاَ يَرُومونَ إِلاَّ مَعْرِفة الذَّات، وكشف الحجابِ عَنْهَا. وإنما طلبُوا الزّيادة المذكورة بفكر دلَّهم عليْهَا؛ وإنها أَرْفَعُ المَطالِبِ فكانَت بمثابة قوس رمّى سَهْماً؛ وهو نظره السديد. وأمّله المديد الذي لم يَزَل يَجُولُ بِهِ حتَّى انتهى بِهِ لأَرفع المطالِب، وأَسْنَى المارب؛ وهي معرفة الذَّات وشهودها. فعدًى بتشديد الدَّالي. أي جاوز بذلك المارب؛ وهي معرفة الذَّات وشهودها. فعدًى بتشديد الدَّالي. أي جاوز بذلك النظر. عَذْناً: أي جنَّةُ عَذْنٍ؛ فَلَمْ يلتَفِتْ إِلَيْهَا. ولاَ قَصْرَ نظره عليها. بل جاوز إلى ما هو أعظم منهَا. إنما مقصوده شهود الحبيب؛ الذي هو نعيم الأَروَاح: لا

الجنَّة التي هي نعيم الأشباح. وفي ذلك يقول ابن الفارض:

ليْسَ سُولي مِنَ الجِنَانِ نَعيماً غَنِير أَنْسِي أُريدُهَا لأَرَاكَ

وَلاَ يلزَمُ مِن مسْك الهمَّة عن الشيءِ، اختصار ما سَمَتْ عنه؛ لأنَّ اللَّهَ عَظْمَ شَأْنَ الجنَّةِ، وأَعَدَّها لأَوْليائِه. وإنَّما الْمُرَاد أَنَّ معاملتهم ليْسَتْ في مُقابلة ذٰلِكَ. إنما هِيَ عَبُودية ومحبَّة. وطلبٌ لمَا هو أوْلى وأَعْظم. واللَّه أَعْلَمُ. ولمَّا كَانَ مطلبهم رفع الهمَّة عَنِ الكَوْنَين؛ وهُمَا مِن جُمْلَة السُّوَى الْبَاطِلِ. كما قال الشاعر ليد:

أَلاَ كُلُّ شَيءً مَا خَلاَ اللَّهُ بِاطِلُ (١) وكل نَعيم لاَ مَحَالةَ زَائِلُ

تحقَّقُوا بالحق. وصارُوا من أَهْل الحقِّ فَعَبَّرُوا بِهِ عن ذاتِ الحقِّ. فَجَرى في مخاطبتهم اسم الحقِّ. فيقولونَ: قال الحق. إلى غَير ذٰلِكَ مما هو معلوم في مُحَاورَتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. ثم بيِّنَ أَنَّ كؤن المطلوب هو عَيْن الطالب في الحقيقة عند أَهْل الفناءِ فقال:

طَالِبُنَا مَطْلُوبُنَا مِنْ وُجُودِنَا نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الطَّعن إذْ عنا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وطالِبُنَا. أي والطالبُ مِنَّا تلك الزِّيادة التي هي المعرفة. هو عين مَطْلُوبِنَا. إذ لَيسَ الأمر خارجاً عَن ذَاتنا عند تحقيق الفَنَاءِ. فالطَّالب هو المطلوب والمطلوب هو الطالب في الحقيقة. إذاً لا إثْنينية، ولا عَيْرية عنْد المُحَققينَ مِنْ أَهْل التوحيد الخاصِّ. وهٰذَا كقولِهِ في بَعْض أَزْجَالِهِ:

لَقَذْ أَنَا شَيْءٌ عَجِيبٌ لِمَنْ تَرانِي أَنَا المُحِبُ والحَبيبُ مَا ثَمَّ ثَانِي يَا طَالِباً عَيْن الخَبَر والسَّرُ عِنْدَكُ يَا طَالِباً عَيْن الخَبَر والسَّرُ عِنْدَكُ

ارْجِعْ بِذَاتِكَ واعْتَبِرْ مَا ثَمَّ غَيْرُكَ

وقال آخر:

⁽۱) حديث الشريف رواه البخاري في أبواب عدة منها: باب أيام الجاهلية، حديث رقم (٢٢٥٦) [٤/ ٣٦٢٨) [٣/ ٢٢٥١] ومسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (٢٢٥٦) [٤/ ١٧٦٨] ورواه غيرهما. ونص رواية البخاري هو: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم،

لاَ تَـظُـنُ الأَمْـرَ عَـنْـكَ خَـارجاً هـو ذَوْق ثُــمَ شُــرْبُ ثُــمَ رَيْ وقال آخر:

أنَّا مَنْ أَهْوَى وَمِنْ أَهْوَى أَنَا لَنْحِنُ روحان حَلَلْنَا بَدَنَا

وليس هُنَا حلولٌ ولا اتّحاد؛ لنفي الْغَيْرية والإِثنينية، حتَّى يَتَّجِدَ بِالآخَرِ. كَانَ اللَّهُ ولاَ شَيءَ مَعَهُ وَهُو الآن على مَا عليه كَانَ^(١). «فَيَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهر الوجود فِي الْعَدَمِ أَم كَيْف يثبتُ الحَادِث مَعَ من لَهُ وضف الْقِدَمِ^(٢)». وقول الشاعر:

نحن رَوْحان: أَشَار به إلى الرُّوحِ التي هي المَغنى الْقَائِمة بِالأَشْيَاءِ. فَهِي قَائِمة بِالرُّوح. والرَّوح قائمة بِالجِسْمِ. الجِسْم من تجليات الحق تجلى بِه وبَطنَ بَغد تجلّيه: بما أظهر فيه مِن أَوْصاف الْعُبُودية؛ ليتحقق فيه اسْمُه الظَّاهِر، واسْمُه البَاطِن. ففي الحقيقة لا وُجُود للْعَبْدِ أَصْلاً. وَإِنَّمَا تُثْبِت العَبْدَ في عَالَمِ الفَرْق حِكْمة . وتنفيه في عَالَم الجَمعِ قُدْرَة . فإذَا اسْتَولى على العَبْد الجَدْبُ والفَنَاء والمَناء عَن مقام الْفَرْقِ فَلا عبْد أصلاً؛ وصار الطالب عَنن المَطلوب. والمُطلوب عين الطالب. والذَّاكر عين المَذكور وهذا الذي لاحظ الشيخ بِقَوْلِهِ: وَطَالِبُنَا مَطلُوبُنَا مِن وُجُودِنَا أَي هو مِن عَيْنِ وُجُودِنا لا خَارِجاً عَنَا نغيب به. أي وطالِبُنَا مَطلُوبُنا عِن وُجُودِنا أي هو مِن عَيْنِ وُجُودِنا لا خَارِجاً عَنَا نغيب به. أي الْعَبْدِ وفَنَاوه واضمحلاله عِنْد سُطُوع أَنُوارِ الْقِدَم على ضحضاح البشرية. فيفَنى ما لَمْ يَزَلْ، وقوله: «إِذ عَنَا» أي حين عَرْضِ هذا الطَّغن؛ وهُو زوال الْعَبْدِ وفَنَاوه واضمحلاله عِنْد سُطُوع أَنُوارِ الْقِدَم على ضحضاح البشرية. فيفَنى ما لَمْ يَزَلْ، وقوله: «إِذ عَنَا» أي حين عَرْضِ هذا الطَّغن؛ وهو لوجود العبد الوهمي، نغيب عن وجودنا. وعن كل شيء. وفي الحِكم (٣): هالس العارف مَن إذا أَشَارَ وجَدَ الحقَ أَوْرِ إليه من إشارتِهِ له. لفنائِهِ في وجودِهِ وانطوائِهِ في شهودِهِ».. وقال أيضاً: «كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهرٌ وموجودٌ حاضِر» وقال (٤) في التنوير: «أَبَى المحققون يحتجب به هو فيه ظاهرٌ وموجودٌ حاضِر» وقال أيضاً: «كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهرٌ وموجودٌ حاضِر» وقال أيضاً: «كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهرٌ وموجودٌ حاضِر» وقال أيضاً ويقل في التنوير: «أَبَى المحققون يحتجب به هو فيه ظاهرٌ وموجودٌ حاضِر» وقال أيضاً والمُواثِهُ في التنوير: «أَبَى المحققون المحتودُ حاضِر» وقال أينه أي المحقود علي المحقود عود العبد الوهود والمؤلِه المؤلِه في المحدودُ حاضِر والمؤلِه في المحدودُ حاضِر والمؤلِه في المحدودُ عاضِر والمؤلِه أي المحدودُ عاضِر والمؤلِه في المؤلِه في المؤلِه المؤلِه في المؤلِه في المحدودُ عاضِر والمؤلِه أَوْهِ المؤلِهُ في المؤلِه أَلْهِ المؤلِه في المؤلِه في المؤلِه في المؤلِه في ا

⁽۱) حديث شريف سبق تخريجه.

⁽٢) جزء من حكمة لإبن عطاء الله السكندري.

⁽٣) العطائية لإبن عطاء الله السكندري.

⁽٤) الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري.

أَنْ يشهدوا مَعَ اللَّه غَيْرهُ».

لِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ مِن شهودِ القيّومية. وإحاطةِ الدَّيْمُومية. وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في عَيْنيته:

هُ وَ مُوجِدُ الْأَشْيَاء وَهُ وَ وُجُودُهَا وَعَيْن ذَوَاتِ الكُلِّ وَهُ وَ جَوَامِعُ

لاَ تَطمَعْ أَنْ تَفْهم هذه الأَسْرار. إِلاَّ بصُحْبة الرِّجَالِ، أَهْل الفناءِ والبَقَاء. وإِلاَّ بقيتَ مَعَ أَهْل التَّنكر والانتقادِ على أَوْلياء اللَّهِ على الدَّوام. فَتبُوء بالخيبة والخشرَانِ. والعياذ باللَّهِ.

ثم هذا المطلوب إنما ينال ويُذرك بالحظوظ واللحُوظِ. كما أَبَانَ ذلِكَ بِقُولِهِ:

تَرَكْنَا حُظُوظَنَا مِنْ حَضِيضٍ لُحُوظِنَا مَعَ الْمَقْصَدِ الْأَقْصَى إلى الْمَطْلَبِ الْأَسْنَى

قلتُ: الحُظُوظُ: ما تميلُ إليه النَّفْسُ وتَهُواهُ. واللَّحُوظُ: الالتفات إلى الحادِثِ. وقصده بالنَّظر. والْحَضِيضُ: المكان المنخفض. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تركْنَا حظوظاً مِنْ حظوظِ أَنفُسِنَا التي تَهُوي بصاحِبِهَا إلى الحضيض الأسفلِ؛ بِسَببِ لحوظِهِ لغَيْر اللَّهِ. والتفاته إليه. فَعَبَّر عن حظوظ النَّفس بالحضيض. وهو التَّسَاقط إلى المَرْكَزِ الأَسفل؛ لأَنَّها سببُه؛ لأَنَّ مَنِ انْهَمَك فِي اللَّحُوظِ قطعاً يَسْقط إلى الحضيض الأَسفل، وأضافه إلى اللحوظِ؛ لأَنَّ الاستغال باللَّحُوظِ مسبَّب عن لحُوظ الغَيْر، والالتفات إليه. أمَّا لَو اشتغَل بِاللَّهِ لَنسي حُظوظهُ ولحوظهُ ولحوظهُ.

وحَاصِل مَعْنَى البَيْت: تركْنَا حُظوظاً من حُظُوظِ النَّفْسِ التي تَهْوِي بنا إلى الحَضيض الأَسْفَلِ بِسَبَبِ لُحُوظِنَا إِيَّاها والتفاتِنا إليهَا. التي لا يَرْضَى بِهَا ذو هِمَّة عالية. ولا يتمكَّنُ مَعَها فتوح رَبَّانية.

والحظوظ ثلاثة: حظوظ جسمانية. وحظوظ قلبية. وحظوظ روحية. وكُلُهَا تحجُبُ عَن اللَّهِ لِمَنْ وَقَفَ مَعَها.

فالجسمانية: كتمتع النَّفس بلذَّةِ المطاعِمِ والمشارب، والمَنَاكِحِ وما يَرْجع إلى ذٰلِكَ مما تتمتَّعُ به البشرية، ويزيدُ في حسُّهَا. إذا سكّن شيء منها في

القلب. لم يَرْحل إلى اللَّهِ أبداً ما دامَ ساكناً فِيهَا.

والقلبية: كحُبُ المَالِ والرياسَة، والجاه والتقدم وحبُ المَدْح والثناءِ والتغظيم، وإقبال النَّاسِ وكاتصافه بالكِبْرِ والحسّد وغَيْرهما مِن مَصَائِبِ الْقَلْب.

وهذه أُقبح من الأولى، وأصعب منها علاجاً.

واغتَبِر بقصة آدم مع إبليس فكانَت شَهْوة آدم فِي بَطْنِهِ، فتداركه بالتَّوْبَةِ. وكانت شهوة إبليس في قلبه، فَطُرِدَ وأُبْعِدَ.

والحظوظ الروحانية، كطلَبِ الكَرَامَاتِ، والوقوف مَعَ المقاماتِ وحَلاوَة الطَّاعاتِ.

وغَيْر ذلك من الخوارق. فكلها تقدم في العبودية التي هي سبب في شهود الرُبُوبية. ولذلك قال الشيخ ابن عطاء الله في الحِكَم: «الحَقُ لَيْسَ بِمَخْبُوبٍ عَنْك. وإِنّما المحبُوبُ أَنتَ عَنِ النّظَرِ إِلَيه». ثُم قال: متَّصلاً بِهٰذِهِ الحِكمة: «أُخْرِجْ مِنْ أَوْصَاف بشريتكَ عَنْ كُلُّ وَصْفِ مُنَاقِضٍ لعُبُودِيتكَ. لتكون لنداءِ الحقِّ مجيباً. ومِنْ حَضْرتِهِ قريباً». فَكَأَنَّهُ قالَ: إنما حجبكَ عَنِ النّظرِ إليه لنداءِ الحقِّ مجيباً. ومِنْ حَضْرتِهِ قريباً». فَكَأَنَّهُ قالَ: إنما حجبكَ عَنِ النّظرِ إليه أوصاف بَشَريتكَ. أُخْرُجُ عَنْهَا يَحْصل لَكَ النّظرُ إليه. وعلى هٰذَا المَسْلك سَلكَ النّاظِمُ حيث قَالَ: وطالبنا هو مطلوبنا. أقرب إليّنَا مِنَا مِنْ وجودِنَا. ثم قال: تركننا حظوظاً الخ. فَكَأَنه يَقُول: مطلُوبُنا أقرب إليْنَا مِنًا. وإنما حجَبَ النّاسَ عنهُ ، الاستغالُ بحظُوظِهِمْ ولحوظِهِم التي أَهْوَتْ بِهِمْ إلى الحَضِيض، فقد تَرَكنَا خَلْكَ ، فَوَجَدْنَا الطَّالِب مِنَّا عَيْن المطلوب.

وقولهُ: لا مَعَ الْمَقْصِد الأَقْصَى، أي مَعَ تَرْكِ المَقْصَد الأَبْعد: وهو نَعِيم الجِنَانِ مِنَ القصور والحور التي هي الحسننى. فَهُو وإِن كَانَ ليْسَ مِنَ الحَظَّ العَاجِلِ، فَهُو لِخْظ والتَفَات إلى الْغَيْرِ وسَمَّاهُ المَقصد الأَقْصَى؛ لأنه بعيد من حُظوظ هذه الدَّار وَعَامَّة الناس يقصدونه بمعامَلتهم.

وقولُهُ: «إِلَى الْمَطلِبِ الأَسْنَى»؛ وهو الزّيادة، التي هي المُشاهدة والترقي في أنوارها أَبداً سَرْمداً. جعلنا الله من لهذا القبيل آمين. فتحصَّلَ أَنَّ الْعَبْد لا يدخل حضرة الشهود، حتى يترك الحظوظ كلها. ويَبْقى بقلبٍ مُفْردٍ لِلهِ تعالى. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِنْتُمُونَا فُرُدَىٰ﴾. [الأنمام: ٩٤] وقيل للجُنَيْدِ: كَيْف

الْوُصُولُ إلى الانقطاع إلى الله عَزُّ وجَلَّ؟ فقال: "بتوبَةٍ تُزِيلِ الإضرار، وخوف يقطع التُّسُويف، وَرَجاءٍ يَبْعَث على مَسَالِكِ العمل وإِهانة النَّفس بِقرْبِهَا مِنَ الأَجَلِ وَبُعْدِهَا مِنَ الْأَمَلِ. قيل لهُ: بِمَاذَا يَصِل العبد إلى لهذَا؟ قال: بِقَلْبِ مُفْرِدِ

ثم ذكر نتيجة تزك الحظوظ واللُّحُوظِ؛ وهو كشف حجاب الكَائناتِ فقال :

وَلَمْ نُلْقَ كُنْهَ الْكَوْنِ إِلاَّ تَوَهُما وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا الْفَنَا

يَقُول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَمْ نُلْقَ بِضَمِّ النُّونِ، أي نَجِدُ كُنْهَ الْكَوْنِ، أي حقيقته، عند انكشافِ ظُلْمَةِ الحسِّ إلاَّ تَوَهِّماً، أيْ عَدَماً مَحْضاً؛ تَوَهَّمَ النَّاسِ أَنَّهُ شيء ثابِتٌ مَعَ اللَّهِ، وليس شيئاً ثابِتاً مَعهُ إِنَّما هُوَ كَالْهِبَاءِ فِي الْهَوَاءِ، إِنْ فَتَشته لَمْ تَجِدهُ شَيْئاً خارجاً عَنْ أَنُوار الأُلُوهية، وإِنَّما الوجود لله وخْدَهُ. كَانَ اللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ. وَهُوَ الآن على ما عَلَيْهِ كَانَ. على لهٰذَا دَرَجَ أَهْلِ الأَذْوَاقِ، من أَهْلِ التوحيد قاطبة. وبِذْلِكَ غَنُوا فِي أَشعارهم، كَقَوْلِ الْقَائِلُ:

مُذْعَرَفْتُ الإِلَّهَ لَمْ أَدَ غَيْراً وَكَذَا الْغَيْرُ عِسْدَنَا مَمْنُوعُ مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرافاً فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَاثِنٌ فَمَا ثَمَّ مَوْصُولٌ وَلاَ ثَمَّ بَائِنُ بِهَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعِيَانِ فَمَا أَرَى بِعَيْنِي إِلاَّ عَيْنِهِ إِذْ أَعَايِنُ

إلى غَيْر ذلِكَ من مَوَاجِيدهم، وأَذُواقِهِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. قال ابن عَطَاءِ اللَّه في الحِكَم: "مَا حَجَبَكَ عَن الحقُّ وُجُودُ مَوْجُودٍ مَعَهُ إِذْ لاَ شَيْء مَعَهُ. وإِنَّمَا حَجَبَكَ تُوهُم مَوْجودٍ مَعَهُ». وقال في التَّنوير: «فما سوَى اللَّه تَعَالَى لاَ يوصف بِفَقْدٍ وَلاَ بوجُودٍ؛ لأَنه لاَ يُوجد مَعَهُ غَيْرهُ. لثبوب أَحَديتهِ. ولاَ فقد لغَيْره؛ لأنَّه لا يُفقد إِلاَّ مَا كَانَ مَوْجوداً. وَلوِ انهتَكَ حجابِ الْوَهْم، لَوَقَعَ الْعِيان على فَقْدِ الأغيَانِ. وَلأَشْرَقَتْ نور الإيمَانِ، فَغَطْى وُجُود الأَكْوَان.

وقال في لطائف المِنَنِ: ﴿وَأَشْبَه شَيْءٍ بِالكَانِناتِ وُجُودُ الظَّلاَلِ فَالظُّلُ لاَ موجود باغتبار مَرَاتِب الوجودِ، وَلاَ معدوم باعتبار مَرَاتب الْعَدَم. واعتبار العَدَم في الظّاهر أقربُ؛ لأنَّهُ خَيَالٌ لا حقيقة لَهُ. وتَشَبُّه الكَاثناتِ بِالظِلِّ؛ لأَنه يُنْسَخُ ويُعْدَمُ عند وصُول الشَّمْس إلى مَحَلَّهِ، فَكَذلك حِسَ الأَوانِي يُعْدَمُ ويُفْقَدُ، عِنْدَ طلوعِ شَمْس الْعِرْفَانِ عليه. فَإِذَا أَشرقت شَمْس المعانِي، ارتفع حِسُّ الأَوانِي. وإليه الإشارة بقوله تعالى على طريق أَهْل الإشارة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِلَّ ﴾. [الفرقان: ٤٥] أي ظِلِّ الكَاثنات. ﴿وَلَوْ شَاءً لَجَعَلَمُ سَاكِناً﴾. [الفرقان: ٤٥] أي ظِلِّ الكَاثنات. ﴿وَلَوْ شَاءً لَجَعَلَمُ سَاكِناً﴾. [الفرقان: ٤٥] أي شِلِّ الكَاثنات. ﴿وَلَوْ شَاءً لَجَعَلَمُ سَاكِناً. ما ازتفعت ظُلْمَتُه عنِ القلوبِ. ﴿ثُمَّ أَي وَلَوْ شَاءً لَجعل ذَلِكَ الظَّلِّ سَاكِناً. ما ازتفعت ظُلْمَتُه عنِ القلوبِ. ﴿ثُمَّ مَعَلَيْ الطَّلِّ جَمَلَنَا الشَّمْسُ﴾، [الفرقان: ٤٥] أي شمس العِرْفَانِ ﴿عَلَيْكِ﴾ [:] أي عَلَى ذَلِكَ الظَّلِّ حَمَلنَا الشَّمْسُ﴾، [الفرقان: ٤٦] أي شمس العِرْفَانِ ﴿عَلَيْكِ﴾ [:] أي عَلَى ذَلِكَ الظَّلِّ الفَلْنَا اللَّهِ على غَيْرِهِ ﴿ثُمَّ قَبْضَنَهُ وَلَيْكُ الطَّلِ المَعْنَى فَقَال: المَعْنَى فقال: المَعْنَى فقال:

تجلَّتِ المعاني وغَابِت الظُّلالُ كُسُرت الأَوَانِي وَمُزُقَ الْمِثَالُ

وقال ابن عطاءِ اللَّهِ فِي الحِكَم: «الأكان ثابِتة بِإِثْبَاتِهِ، مَمْحوَّةً بِأَحَدية ذَاتِهِ. لاَ يَدُلُّ على ثُبُوتها اسْتقلال. وإنَّما الْمُرَاد أَنَّه أظهر حِسها ليُعْرَفَ بِهَا ثم مَحَاهَا بِأَحَدِية أَسْرار ذَاتِهِ؛ وهي المَعَاني الْقائمة بِهَا قيام الثلْجَةِ بِالْمَاءِ، فإذا ظَهَرَ الْماء بدون الثلجة، فَلاَ ثَلْجَةً كَمَا قال صَاحِب الْعَيْنية (١):

وَمَا الكون فِي التَّمْثَالِ إِلاَّ كَثَلْجَةٍ وَأَنْتَ بِهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ وَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ فِي حُنْم دَعَتْهُ السَّرَائِعُ

وقَوْلُهُ: هَكَذَا الفَنَاءُ: أي هَكَذَا حَقِيقة الْفَنَاءِ: مَخُو الأشياء واضمحلالها كما قال الشيخ أبُو الْمَوَاهب: «حقيقة الْفَنَاءِ مَحُو واضمحلالٌ. وَذهاب عَنْكَ وَزُوَالٌ وَمِنَ الأشياء وجود النَّفَس، فَلاَ يحقق العَبْدُ الفَنَاء حتَّى يغيب عن وُجُودِهِ، ووجود الكون بِأَسْرِهِ في شهود وجود محبوبِهِ». وفي نشخة الشيخ زروق: «وليس بشيء ثابِتٍ هكذَا الفَنَاء». قال يعني هَكذَا وَجَدْنَا إشارة إلى أَنْ

⁽١) هو الشيخ عبد الكريم الجيلي من صوفية القرن الثامنة الهجري مؤلف كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» توفي سنة ٨٠٥ هجرية.

معرفَتَهم من طريق الذُّوقِ والمُنَازلة لا مِنْ طريق العِلْم والمُحاولة. قلت: وهو غَيْر جيد؛ لأنه يُؤدي إلى نَوْع تِكْرادٍ مَعَ أَوَّل البَيْتِ لأَنَّ قوله: وَلَمْ نَلْقَ، أي نَجِدْ صريحاً في الذَّوْقِ والْوُجْدَانِ، فَلاَ مَعْنَى لإعَادَتِهِ. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم ذكر ما أنتج هذا الوجدان فقال:

فَرَفْضُ السُّوَى فَرْضاً عَلَيْنَا لأَنَّنَا للسُّولِ وَالشَّرِكِ وَالشَّكِ قَدْ دِنْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَرَفْضُ السَّوَى، أَيْ طَرْحُهُ والغَيْبة عنْهُ فَرْضٌ وَاجِبْ عليْنَا معشر الموحِّدينَ. وهذا البين مُرَتَّتْ على ما قبْله؛ لأَنَّ مَن وَجَد الكُّونَ توهُّما لا حقيقة لِوُجُودِهِ _ والكون كل ما سِوَى اللَّهِ _ تَعَيَّن عليه رَفْضُهُ، وعدم اعْتباره، نظراً واعتباراً. ومحبَّة واسْتناداً. فَلاَ يَرَى في الوجود إلاَّ اللَّهُ. وَلاَ يغتمد في أُمُوره إِلاَّ عليْهِ. كما قال الشَّاعِرُ:

حَرَامٌ عَلَى مَنْ وَحُدَ اللَّهَ رَبُّهُ ﴿ وَأَفْرَدِه أَن يَسْحَسَدِي أَحِداً رِفْداً فَيَا صَاحِبِي قِفْ بِي عَلَى الحَقِّ وَقْفَهُ ﴿ أَمُوتُ بِهَا وُجُداً وَأَحْيَا بِهَا وُجُداً

وَقُلْ لِمُلُوكِ الأَرْضِ تَجْهَدُ جُهْدَهَا فَذَا المُلْكُ مُلْكٌ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُهْدَى

وكذلكَ لا يميل لمحبَّة شيءٌ من حُسْن الكَاثِنَاتِ، وإنما يَتَعَشَّق إلى أَسْرار الْمَعَانِي؛ التي هي وَجْه الرَّحْمٰنِ. فَافْهَمْ؛ لأَنَّ مَنْ سَابِقَتْه المَعَانِي، لاَ يَلْتَفِتُ إلى جَمَالِ صُورِ الأَوَانِي. وغابَ عَنْهَا فِي جَمَالِ المتجلِّي بِهَا فيَغيب بِحَلاَوَة لذَّةِ الشُّهُود، عَنْ جَمَالِ كُلِّ مشهودٍ.

ثم علَّلَ رَفْضهُمُ السُّوى بِقَوْلِهِ: لأَننا بِمِلَّةِ مَحْو الشُّركِ والشُّكُّ قَدْ دنَّا؛ أي لأننا تمسَّكنا بِملَّة الحنَّفية الإِبْرَاهيمية؛ التي جاء بها رسولُنَا عليه الصَّلاة والسَّلاَمُ؛ وهي مؤسَّسة على محو الشرَّكِ وَرُؤْية الْغَيْر عن عيْن القَلْب؛ لأَنَّ إبراهيم عليه الصَّلاَة والسَّلاَمُ، حين زُجَّ بهِ فِي المنجنيقِ. وَرُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ، تَعَرَّضَ لَهُ جبريل في الْهَوَاء، فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فقال: أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ. وأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَبَلَى. فقال جبريل: سَلْهُ فقال إِبْرَاهيم: "عِلْمُهُ بحَالِي يُغْنِي عن سُؤَالِي». فَلَمْ يلتفِتْ إلى الواسطةِ قطعاً. ولم يشرك في تملّقه أحداً، سوى مَوْلاهُ الذي لا يخفى عليه. وكذلك مخو الشُّكُّ والرِّيبَة، فَإِنه عليه السلام، طُلَبَ الانتقالَ مِنْ عِلم اليقين، الذي يمكِن أَنْ يُزاحِمَه خاطِر تُهْمَة، إلى عَيْن

الْيَقِين؛ الَّذِي لاَ يَبْقى مَعَهُ وَهُمْ، وَلاَ رِيبَة أَصْلاً. إِذ لَيْسَ الخَبَرُ كَالْعِيَانِ. وذلِكَ حينَ قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِ كَيْفَ ثُحْيِ ٱلْمَوْقَ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] الآية. فَأسعَفه الحق تعالى في ذلِكَ، حتَّى انتقل مِنْ علم اليقين. إلى عَيْن اليقينِ. وَهٰذَا مَعْنَى قَوْله: لأَنْنَا بِمِلَّة مَحْوِ الشَّرْكِ والشَّكْ قَد دِنًا. أيْ اتّخذنَاهُ دِيناً، نتمسَّكُ بِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً. وعلى هٰذَا يَدُور فلك قُطْب التَّصَوف، بِحيْثُ لاَ يَبْقَى فِي الْقَلْب ريبَة، وَلاَ تَهْمَة في ظهور الحقِّ وانفرادِهِ بِالوجودِ؛ لأَنَّهُمْ بَلَغُوا رُثْبَة الْعِيَانِ وَارْتَفَعُوا عن مقام غَيْب الإِيمان. كذلك الأمور الموعود بِهَا. صارت عِنْدَهُمْ كَأَنَّها حاضرة لذيهم حتى صَارُوا بِحَيْث لوْ كُشف الغِطَاء عَنْهَا وظهرتْ، ما ازدادوا يقيناً كما قال سيّدنا عليّ كرّم اللّهُ وَجْهَهُ، وكما قال حارثة فِي قصَّته (المشهورة حينَ قَلْ عَنْهُم.

ثم التفَتَ إلى ما قدَّمناه من مُشاهدة نَفْي المُكَوَّنِ مع وجود رفضِهِ. ورأى ذلكَ كالتناقض فقال:

وَلْكِنَّه كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ وَرَافِضُهُ الْمَرْفُوضُ نَحْنُ وَمَا كُنَّا

قلت: «رَافِضهُ» مُبْتدأ. و«المرفوضُ» خَبَرٌ، و«نخن» خَبَرٌ عن مُضْمر يعود على الرَّافِضِ وهو «نَحْنُ»، وَ«مَا كُنًا» حالٌ.

يقول رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: قد قَدَّمنا أَنَّ رَفْضَ السَّوَى فَرْضٌ عليْنَا، ولكنَّهُ إِشكال؛ وهو أَنْ نقول: كَيْفَ الطريق إلى رَفْضِه. والرافض هو المرفوض. والمرفوض عينُ الرافض؛ لأَنَّ الجَميع سوى، وهو مصدرٌ محض. فالرافض هو نَحْنُ. وَمَا كُنَّا شيئاً، بل عَدَماً محضاً لاَ كنَّا من جملة السَّوَى فتحصَّلَ: أَنَّ الحقَّ تعالى، هو الَّذِي فَعَلَ جميعَ ذلكَ، حتَّى عَرَف نَفْسه بِنَفْسِهِ وَأَزَال المَوانِع

⁽۱) ونص القصة هو: عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له كيف أصبحت يا حارث قال أصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظمأن نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها فقال يا حارث عرفت فالزم ثلاثا، (المعجم الكبير للطبراني، [باب] (۲۸۲ الحارث بن مالك الأنصاري) حديث رقم (۳۳۲۷) [۳/۲۱].

عن ذَاته بِذَاته وَيُجَابُ بأنَّ الحق جل جَلاله، لمَّا تجلَّى بِاسْمِهِ الظَّاهر، من عَالَم الغَيْبِ إلى عَالَم الشهادَةِ تجلَّى أَيْضاً بِاسْمه الباطِنِ، فبطن في ظهوره، واختفى في حَالِ تجلِّيهِ؛ وذلكَ بِمَا أَسْدَلَ عَلَى وَجْهِهِ من رِدَاءِ كِبْرِياثِهِ؛ وهي رِداء الحُسْن، ويسمَّى هذا الرداء، عَالَم الحِكْمَة، وَعَالَمَ الأَشْبَاح، وعَالَمَ الفَرْقِ وإنما تَرَدِّي بِذلِكَ؛ لِيَبْقَى الكَنْزُ مَدفوناً والسرُّ مصوناً. فسبحان المُدَبِّر الحكيم العليم. فَلَمَّا بَرَزَتِ الروحِ مِنْ عَالَم اللطافة والصَّفَاءِ، إلى العَالَم الحسِّي، انْسَدَلَ عَليها الحجاب، مِن جُملَةِ مَنِ أنسدل عليهم. فَمَا فَتَحَتْ عيناها إلاَّ في هذا العالم الحِسْي فعشقته وَمَالَتْ الِيه وتَاهَتْ فِي فروقِهِ ونَسِيَتْ أَصْلَهَا. وَجَهلتْ رَبُّهَا، فَبَعَث اللَّهُ تعالى مَنْ يُعَالِجها من الأنْبِيَاءِ والرُّسل وَخُلَفَانهم مِنَ الأولياءِ الفحُولِ فَأَمْرُوهَا بِالأَدْبِ مَعَ الرَّبُوبِية في الظَّاهِرِ فَعَلِّمُوهَا ثُم أَمَرُوهَا بِالأَدْبِ فِي الباطِن مَعَهُ؛ وهو تَرْكُ الحظوظ واللحوظ، ورفضُ كُلُّ مَا يشغل عن اللَّهِ؛ وَهُوَ المُعَبِّر عنه بالسُّوى، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَٰلِكَ، رَجَعَتْ إلى أَصْلها، وشاهدتْ أَسْرار رَبُّهَا. وتَنَزَّهَت فِي جَمَال ذَاتِهِ. حين ارْتَفَع عَنْهَا رِداء الْحِسِّ. فَظَهَرَ حينئذ بهذا الاغتبار الرافضُ والمرفوض وانحَلُّ الإِشْكالُ الذي توهَّمُوه. وأمَّا لو تركُنا هذا الاعتبارَ لبطلتِ الأحكامُ والحِكْمة، وهذا كفر وزندقة. فالواجِبُ على العارِف أنْ يكُون لهُ عَيْنَانِ: عَيْن تَنْظر لعَالم الجَمْع؛ وهو مقام الفناءِ فَلاَ يَرَ إِلاَّ الحقّ متجلّياً بِاسْمه الظَّاهِر؛ وهذا هو الحق في عين الحقيقة. فَيُثْبِتُ الحِكمة والأحكَام ويُسَمَّى لهٰذَا المَقَامُ مقام البَقاء، فيكون كامِلاً مجموعاً فِي فَرْقِهِ. مفروقاً في جَمْعِهِ. يُعطِي كل ذي حق حقَّهُ. ويُوَفِّي كلِّ ذِي قَسْطٍ قَسْطُهُ.

وبهذا الاعتبار غنَّى الشاعِرُ شاكياً، لِمَا أُشْكِلَ عليه مِن ذلك فقالَ:

العَبْدُ حَتْ والسرَّبُ حَتْ يَالَيْتَ شِعْرِي مَنِ المُكَلَّفُ إِنْ قِيلَ عَبْدُ مَيْتٌ أَوْقِيلَ وَبُّ أَنَّى يُكَلِّفُ إِنْ قِيلَ عَبْدُ مَيْتٌ أَوْقِيلَ وَبُّ أَنَّى يُكَلِّفُ فَال فَال عَبْدُ مَيْتُ عبد الرحمن الفاسى فقال:

نَعَمْ بِحَقِّ إِثْسَبَاتِ عَبْدٍ بِسَنَعْتِ فَرْقٍ بِهِ يُكَلَّفُ والْعَبْدُ مَيْتَ بِكُلِّ كَالِ لِسِرٌ عَوْنٍ بِهِ مُكَلَّفُ والْعَبْدُ مَيْتَ بِكُلِّ حَالٍ لِسِرٌ عَوْنٍ بِهِ مُكَلَّفُ والْعَبْدُ في الحقيقة لا وجود لهُ من ذَاتِهِ أَصْلاً. لكِنْ لمَّا تجلى سَبْحَانَهُ

بِمَظْهَرِ الرَّبوبية، في قَوالب الْعُبُودية، سُمِّيَ ذلك المَظْهَر باعتبار القالب عبْداً؟ وهو محذوف باعتبار الْمَظْهَرِ. فإنْ نَظَرْت إلى مطلق التَّجَلِّي، رأيْت عَظيمة قَدِيمة أَزلية وَلاَ عَبْد. وَإِنْ نظرتَ إلى تطوير ذلِكَ التجلِّي بِشكل الْعَبْد وَصُورَتِهِ. رأيْت عبداً فقيراً وإلَى ذلك أشار في الحِكم بقولِه:

سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الخصوصية، في وَصْف البَشَرية، وَظَهَر بِعظَمة الرُبوبية في إظهار العُبُودية. وأمَّا قول الشَّاعر:

أَرَبُّ وَعَسَبُسَدُ وَنَسَفُسِيُ ضِسِدٍ قُلْتُ لَهُ لَيْسَ ذَاكَ عِسَٰدِي فَقَالَ مَا عِنْدَكُمْ فَقُلْنَا وُجُسُودُ فَسَقْدٍ وَفَسَقْدُ وِجَدِ توحيد دُحتً بِسَرَكِ حَتَّ وليْسَ مِنْ سِوايَ وَحُدِي

فَإِنَّمَا أَنكر وجود العَبْد مستقلاً مفْروقاً كما هو اعتقاد عامَّة أَهْل الدَّليل والْبُرْهَان مِن أَصْحاب اليمينِ. وَهُوَ مُحَالٌ مُنكَّر عندَ العَارفِين المُقَرَّبِينَ وإِنما أَطَلْتُ الكَلامَ هُنَا؛ لأَنَّ هذه المَسْأَلة خَفِيَتْ عَنْ كثير ممَّن ينتسبُ للوجدان والعِرْفان فضلاً عن غَيْرهم وباللَّهِ التوفيق.

ثم نَهَى المريد عن نسبة الفعل إلى نفسه مَعَ كَوْنِهِ لاَ وجود له مع ربُه بِنَاءَ على مَا تَقَدَّمَ لهُ. فقال:

فَيَا قَائِلاً بِالْوَصْلِ وَالْوَقْفَةِ الَّتِي حُجِبْتَ بِهَا ارْجِعْ وَارْعَوِي مِثْلَ مَا أَبْنَا قَلَت: إِرْعَوْ أَمْرٌ مِنْ ارْعَوَى، بِمَعْنَى انزَجَرَ. ومنْهُ قول الشاعِر:

أَلاَ ادْعـواء لـمَـن ولُّـتْ شـيـبَـهُ وَأَذِنَـتْ بِـمَ شـيـب بـعـده هَـرَمُ

وَإِثْبَات الياءِ في الأَمْرِ للوَزْنِ. ومثل صفة لمضدر محذوف. وَمَا مَصْدَرية، وأَبْنا بِضَمّ الْهَمْزِ من آب، أي رجع كقلنا من قال. أي انزَجِرْ وَارْجِعْ عن ذلك، رجوعاً مثل رُجُوعِنا. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُنْكِراً عَلَى من يَدَّعِي اللَّهُ عَنْهُ، مُنْكِراً عَلَى من يَدَّعِي الوصول إلى اللَّه بنفسه، أي بحولِهِ وقوَّتِهِ أوْ بمجاهدته وَرِياضته، وَعَلَى مَن يشتكِي الْوِقفة مِنْ نَفْسِهِ إِذْ كِلاَهما عِلَّةٌ فِي الطَّرِيقِ وشِرْكُ كَادَ أَن يكون جَلياً عند أَهُل التحقيق. فقال: يا قائلاً بالوصول إلى اللَّه بنفسِهِ وبمجاهدتِهِ. يا قائلاً بالوقول لك في بالوقول السَمَع ما أقول لك في بالوقول الله عن الوصول السَمَع ما أقول لك في

نصيحتي، وادْعَوِ، أي انْزَجِرْ عن هذه المقالة. وادْجِع إلى الله بالتوبة والاستغفار رجوعاً مثل رُجُوعنا. فقد كنا في هذا المحلِّ ثم تُبْنَا، وَرَجعنا إلى الله عَنْهُ. فَإِنَّ ادْعَاء الْوُصُول إلى اللهِ، مع وجُودِ النَّفس، دَعُوى وكذب. واعتقاد الوصول بالعمل علة وشرْك. فيجب على العَبْد التَّوْبَةُ مِنْ جميع ذلكَ. فالواجب حينئذ الدّخول على الله من بَابِ الكَرَمِ لاَ مِن بَابِ العَمَلِ فَمَن دَخَل مِن بَابِ العَملِ وَجَدَ الْبَابَ مَفتوحاً. وَمَنْ دَخَلَ مِن باب العمل وَجَدَ الْبَاب مَفتوحاً. وَمَنْ دَخَلَ مِن باب العمل وَجَدَ الْبَاب مَفتوحاً. وَمَنْ دَخَل مِن باب العمل وَجَدَ الْبَاب مَفتوحاً. والله إلَى الله إلاَ بعد فَنَاءِ مَسَاوِيكَ ومحو دعاويك لن تَصِلَ إليه أَبداً. ولكن إذا أَرَاد أَنْ يُوصلك إلَيْه، غَطَى وضفكَ بِوَضفِهِ وَنَعْتَكَ بِنَعْتِهِ، فَوصلك إليه بِمَا منه إلَيكَ. لاَ بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ؟.

وكذلكَ القائل بالوَقفة؛ وهي الفَتْرَة التي تَغتري المريد في السَّيْرِ، بحيث تَبْرُد قريحتُهُ وتنْحَلُ عَزِيمتُهُ. وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يُظهرهَا إِلاَّ لشيْخِهِ، وَلاَ يشتكِي بِهَا لِغَيْرِهِ. إِذْ كُلْ ذٰلِكَ مِن اللَّهِ امتحاناً لعَبْدِهِ. فَلْيَثْبُتَ فِي الطريقِ، وَيُلاَزِم صُحْبَة أَهْل القوَّةِ والتحقيقِ. وَقَال بَعْضُهُمْ، الفَرْقُ بين الْوَقفة والفترةِ. أَنَّ الوَقفة تردد. بل حتى يَمُنَّ الكريمُ الوهاب عليه بالقوةِ. فليتحقق بين الأقوياءِ من ذَوِي التحقيق.

وقال بَعْضهُمْ: الفَرْق بين الوقفَة والفترة. أَنَّ الوقفة تردَّد فِي صحَّة الطَّريق.

والفَتْرة: ضَعْف القريحة؛ والعَزْم مَعَ الجَزْمِ بِصحَّة الطَّريق فالوقفَة أَقْبَحُ من الفَتْرةِ. فَإِذَا جَزَمَ بِعَدَم صحَّة الطريق؛ فهو رُجُوع والعياذُ باللَّهِ.

وحاصل كلام الناظم: تحقق الفناء عن النفس، والغَيْبة عَنْهَا بِالكلية. فَلا يُنْسَب إليها، وَصْلاً وَلاَ وقفاً. وَلاَ قوة وَلاَ ضعفاً. إذ الكلَّ مِنَ اللَّه تعالى، ولِذلكَ قال الشيخ الأكبر محيى الدِّين بن عربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«مَنْ شَهِد أَنَّ الخلقَ لاَ فِعْل لَهُمْ فَقَدْ حَازَ، ومنْ شَهِدهُمْ لاَ حَياةَ لَهُمْ فَقَدْ فَازَ. ومن شَهِدَهم بِعَيْن الْعَدَمِ فَقَدْ وَصَل». وأَنْشَدُوا فِي ذْلِكَ:

مَنْ أَبْصَرَ الخَلْقَ كَالَسُرَابِ فَقَدْ تَرَقِّى عَنِ الحِجَابِ إِلَى مُنْ أَبْصَرَ الحِجَابِ إِلَى مُن أَبُ مِن الحِجَابِ إِلَى الْمُنْ الْمُنْمُ لِلْمُنْ الْمُنْ الْمُل

وَلَـمْ يُسْاهِـ ذُيِهِ سِـوَاهُ هُـنَـاكَ يُـهُـذَى إلَـى الصَّوَابِ

فَ لاَ خِطَابٌ مِنْهُ إِلَيْهِ وَلامُسْيِرٌ إِلَى الخِطَابِ

فَقَوْلُهُ: فَلاَ خَطَابٌ مَنْهُ إليه: يشير إلى قَوْلِهم: مَن عَرَفَ اللَّهَ كَلَّ لسَانُهُ، فالضَّمِير فِي مِنْهُ يعود على مَنْ أَبْصَرَ. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم بيَّنَ أَصْلَ الْعِلَلِ فَقَالَ:

تَقَيَّدتَّ بِالْأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْكَ وَنُورُ الْعَقْلِ أَوْرَثُكَ السُّجْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَنْ وَقَفَ مَعَ الاِسْتِدْلاَلِ، وَقَنَعَ بِمَقَامِ الإِيمَانِ: لَمَّا تَدَاخَلَتْ عليكَ الأَوْهَامُ والشكوك والخَوَاطر. تَقَيَّدتَ بِهَا، وحُجِبْتَ عن مَقَامِ الإِيمَانِ. وَالْمُرَادُ بِالأَوْهَامِ وَهْمُ وجودِ الكَوْنِ واسْتقلاله ومشاهدةِ الأَثْرِ فوقف مع ظلمة حِسِّهِ وَلَمْ يَشْهَد الحقَّ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ، فَأَعْوزَه وجود الأَنْوَارِ وحُجِبَتْ عنه شموسُ المعارف بسحب الآثار وَوَهْمِ تخلف ضَمَان الرُزق، فَاشتغَل بتخصيل أَسْبابِهِ، واجتهادِهِ في جَمْعه واختِكَارِهِ فَأَعْوَزهُ أَنْوَارُ التوكلِ، وتظلَّمَ باطِئهُ بِهَمَّ الرُزْقِ، وخوف الفقر وَوَهْمِ ضَرَرِ الخَلْقِ، وَنَفْعهم، فَاشتغَل باطِئهُ بتحصيل الرُّزْق، وتظلَّم بالطِئهُ بتحصيل أَغْرَاضِهِمْ، وتظلَّم بالطَّنُهُ بتحصيل أَغْرَاضِهِمْ، وتظلَّم بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ.

فهذه هِي الأَوْهَامُ التي تداخَلَتْ قلوب أَهْلِ الحِجَابِ. فبقوا من وراء الباب. وتَدَاخُلُ الأَوْهَام هُوَ تَرَدُدُهَا وتَرَادُفُها على الْقَلْبِ حَتَّى الْحَصَرَتْ فِكْرَتهُ فيهَا. والوقوف أَيْضاً مَع نور الْعَقْلِ يُورث السِّجْنَ؛ وهو البَقَاءُ مَعَ دَاثِرة الأَكْوَانِ؛ لأَنَّ الْعَقْلَ غاية مَذْرِكِهِ، يَذْرِك: أَنَّ الصَّنْعة تحتاج إلَى صَانِع، وَلاَ يَنْفذ نُورُه إلى تَرق مِنَ الكَائِنَاتِ، حتى يَفْضِيَ إلى أَسْرَار المعَانِي؛ وشهُودِ المُكَوِّنِ؛ لأَنَّ ذلِكَ مِن مَدَارِكِ الرُّوحِ والسِّرِ. فَإِذَا رَجَعَتِ الرَّوحُ، وغَلَبَ عليها المُكَوِّنِ؛ لأَنْ ذلِكَ مِن مَدَارِكِ الرُّوحِ والسِّرِ. فَإِذَا رَجَعَتِ الرَّوحُ، وغَلَبَ عليها ذكر اللَّهِ. فُتِحَتْ لَهَا مَيَادِين الْغُيُوبِ وخرجَتْ فِكْرَتُهَا عن دائرة الأَكُوانِ إلى فَضَاءِ شهود المُكَوِّنِ. وإلى ما ذكره النَّاظم، أَشَار فِي الحِكَمِ بِقَوْلِهِ: "الكَائِن فِي قَضَاءِ شهود المُكَوِّنِ. وإلى ما ذكره النَّاظم، أَشَار فِي الحِكَمِ بِقَوْلِهِ: "الكَائِن فِي الْكَوْنِ ولم يُفتح له ميادين الْغُيوبِ، مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ. مَحْصُورٌ فِي هَيْكلِ وَاللَّهِ، وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْمَالُ لِلْ المَّوْلِ ولم يُفتح له ميادين الْغُيوبِ، مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ. مَحْصُورٌ فِي هَيْكلِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْمَالُ لَا يَفْهِمهُ إلاَ أَهْل الأَذْوَاقِ وإلاَّ فَحَسْبُهُ الإِيمان بِاللَّهِ، والتَصْدِيق بُوجُودِهِ عِنْدَ أَرْبَابِهِ.

وقد تُحْجَبُ القُلُوبُ بِالأَنْوَارِ، كما تحجَبُ بالأَغْيَارِ، وإلى ذَلِكَ أَشَارَ

بِقَوْلِهِ :

وَهِمْتَ بِأَنْوَارٍ فَهِمْنَا أُصُولَهَا وَمَنْبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هِمْنَا وَهُنَا مِمْنَا وَهُنَا وَهُنَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هِمْنَا وَقَدْ تَحْجُبُ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا تَقَيَّدَ مِنْ إِظْلاَم نَفْسٍ حَوَثْ ضِغْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: وَهِمْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَحْجُوب عَنِ اللَّهِ، أي تِهْتَ وَتَلَفْتَ عَنِ السَّيْرِ إلى حضرةِ الحقِّ وشُهُودِهِ، بِأَنْوَارِ قد فَهِمْنَا نَحْن أُصُولَها. ومِن أَيْنَ تَبَعَتْ وظَهْرَتْ. ومن أَيْنَ كَانَتْ. فَمَا هِمْنَا أَيْ فَمَا تِهْنَا عَنْ طَرِيقِ الحقِّ؛ بِالوقوفِ مَعَهَا، والرُّكُون إِلَيْهَا. وذلِكَ كَأَنْوَارِ حَلاَوَةِ الطَّاعَاتِ، وَلَذَةِ المُنَاجَاةِ. وَظُهُور الكرَامات، والتنزّه في المقاماتِ للمُبَّادِ والزُّهَادِ والرُّهَادِ والشَّالحين. فَقَدْ وَقَفُوا مَعَهَا وَاغتَمَدُوا عَلَيْهَا وَرَأُوا غَايَة الْوصُول؛ وهم أَشدَ حجاباً عَنِ اللَّهِ. لا يخرجهم مِن ذٰلِكَ. إلاَّ صُحْبَة شيخ كَامل، بنور محرق، وكتحقيق المَسَائل وتحرير النوازلِ. والتَفَنُّن فِي أَنواع العلوم الشَّرْعيةِ، وَهٰذَا وكتبار الرِّجَال فِي بِدَاية البداياتِ. وَلاَ يخرجهم من ذلكَ إلاَّ حُطُّ رُؤُوسِهِم حجاب كبير للعلماءِ يَرَوْن بذلِكَ أَنَّهُمْ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ فِي الكمالاتِ؛ وهم عليه العارفينَ من مشايخ التَّرْبية، وكتحقيق الأدِلَّة العقلية والنقلية في معرفة الحقّ من العارفينَ من مشايخ التَّرْبية، وكتحقيق الأدِلَّة العقلية والنقلية في معرفة الحقّ من طريق الاستدلالِ؛ وهُو من أقبح الحجاب لعلماءِ الكَلامِ وقِسْ على هَذَا سَائر العلوم والأحوال والواردات. فَمَنْ وقف مَع شَيْءٍ من هذه الأنوار لَمْ تنفُذُ بعيريته إلى شهودِ ذَاتِ الحقّ؛ فهو محجوب عن رؤية النور الأصلِي. فقد فَهِمْنَا مُعلى المَانوار، وعَلِمْنَا أَصْلها ومَنْبَعَهَا فَرَحُلْنَا عَنْهَا، وما هِمْنَا بالوقوف مَعها.

وفي بعض الإشارات عن الله تعالى يقول: «يا عَبْدِي لاَ تَرْكَنَنُ إلى شَيْءٍ دُونَنَا فَإِنَّكَ إِن رَكَنْتَ إلى العمل رَدَذَناهُ عليكَ. وإِنْ رَكَنْتَ إلى العمل رَدَذَناهُ عليكَ. وإِنْ رَكَنْتَ إلى مَعْرفة نَكُرْنَاهَا عليكَ عليكَ. وإِن رَكَنْتَ إلى مَعْرفة نَكُرْنَاهَا عليكَ فَأَي حيلة لكَ؟ فكُن لنَا عبْداً حتَّى نكُونَ لكَ رَبًا». أو كما قال تَعَالَى.

وقال في الحِكَم: «لا تطلُبْ بَقَاءَ الوارداتِ بَعْدَ أَنْ بَسَطَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارَهَا. وأَوْدَعَتْ عليك أَسْرَارَهَا فَلَكَ فِي اللَّهِ غِنىّ عَنْ كل شيءٍ، وليْس يُغنيكَ عنه شيءٌ».

ومن هذا أَيْضاً، قَوْلُ الشيخ مؤلانا عبد السلام بن مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

في شأن مقام الرضَى والتَّسْليم: «أَخَافُ أَنْ تشغِلَنِي حَلاَوتهما عن اللَّهِ وبعد هٰذَا فَمَنْ لَمْ يَتَّصِلْ بشيخ التَّرْبية لا يطمع في الرَّحِيل عن هذه الأمور أَبداً. ولَوْ عمل ما عملَ».

وقوله: «وقد تُحْجَبُ الأنوار للعبد» إلخ. هو تقريرٌ لمَا قَبْلَهُ. والمراد بالأنوارِ ما تقدَّمَ مِنْ حَلاَوةِ الطاعات، وتحقيق المقامات، وتتابع الأحوال والسكرات وفيض العلوم الرَّسْمِيَّاتِ. فقد تُحْجَبُ هذه الأَنْوَار للعَبْدِ إِذَا استخلاَهَا، وَوَقَفَ مَعَهَا وتُسَمَّى أَنْوَارَ التوجِّهِ. قال فِي الحِكم: «اهْتَدى الرَّاحلونَ إليه بِأَنْوَار التوجُّهِ. والواصلونَ لهم أنوار المُوَاجَهة. فَالأَوَّل للأنوار. وهؤلاء الأنوار لَهُمْ؛ لأَنهم لهُ. لاَ لشيْء دونِهِ. قال تعالى: ﴿ قُلِ اللهُ أَنهُم فِي خَوْضِهمْ يَلْعَبُونَ ﴾. [الانعام: ٩١]

وأنوار المواجهة؛ هي أنوار الشهود؛ لأنها تواجه الْعَبْدَ، فيغرقُ فيها ويَغيبُ عن رُؤية الأغيَار؛ وهو مَا سِوَى اللهِ. وقوله: «مثل ما تقيَّد مِن إِظْلاَمِ نَفْس حَوَتْ ضِغْنَا». أيْ تحجبُه الأنوارُ، وتقيِّده عن النهوضِ إلى اللهِ. مثل تقييدِهِ مِنْ أَجْل ظلم نَفْسٍ، حيث غَيَّبتِ القَلْبَ بظلماتِ الْهَوَى، والحظوظ حينَ حَوَتْ ضِغْناً، أيْ خَبْثاً فِي الباطِنِ؛ وهي سائر الأمْرَاضِ مِنَ الحسدِ والكِبْرِ، والحقد وغيرها مِمَّا هو مُقَرَّرٌ فِي مَحَلَهِ. وَحَوَى الشَّيْءَ: ضَمَّهُ وصار في حَوْذِهِ.

ثم نَهَى عَنْ دَعْوَى الوِصَالِ والأَمْنِ مِنَ السَّلْبِ والرَّجُوعِ فَقَالَ:

وَأَيُّ وَصَالٍ فِي الحقِيقَةِ يُدَّعَى ﴿ أَكُمَلُ مَن فِي النَّاسِ لَمْ يَدَّعِ الْأَمْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قضية الوِصال والاتِّصَالِ؛ وادَّعَى كُلُّ واحدٍ أَنَّهُ بَلَغَ فِي ذَلِكَ الْغَاية والنّهَاية؛ وهو في ذَلِكَ تَالفُ وَمُخْطِئ . وكيف يَدَّعِي النِّهَاية فِي الْعِلْمِ. وقد قال تعالى لسيِّدِ العارفينَ: ﴿وَقُل رَّبِ زِدْنِي عِلْمَا يَدَّعِي النِّهَاية فِي الْعِلْمِ والمعارفِ يَدَّعِي النَّهُ عَشَر الْعَبْدُ عُمُرَ الدُّنيَا والآخرة. يَتَرَقَّى فِي العلوم والمعارفِ ما بَلَغَ معشار عُشرهَا. وَبعْضهم ادَّعَى التمكينَ في الوصول إلى الحقّ. والأمْنَ ما بَلَغَ معشار عُشرهَا. وَبعْضهم ادَّعَى التمكينَ في الوصول إلى الحقّ. والأمْنَ وعدم الرَّجُوعِ. كيْف يَدَّعِي في المسألة الأمْنَ من السَّلْبِ. وأَكْمَل ما فِي النَّاسِ وهُو سيّد الوجود لَمْ يَدَّعِي في المَسْأَلة الأمْنَ من السَّلْبِ. وأَكْمَل ما فِي النَّاسِ وهُو سيّد الوجود لَمْ يَدَّع الأَمْنَ، حتى قال: ﴿وَمَا آدَرِى مَا يُفْعَلُ فِي وَلَا يِكُرُّ ﴾. وهُد سيّد الوجود لَمْ يَدَّع النَّماع في العِلْم والمَعْرِفة؛ لأنَّ صاحب الإتسّاع لاَ

والحاصل أنه عليه السلامُ مَأْمُون في الدُّنْيَا والآخِرَة. بِوَعْدِ اللَّهِ له بذلكَ حَيْثُ قال: ﴿ وَيَنْهُرَكَ اللَّهُ نَمَّرًا عَزِيزًا ۞ ﴾. [الفتح: ٣] وهذا باغتِبَار الدُّنْيَا. وقال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَقَ ۞ ﴾. [الفحى: ٥] باغتِبَارِ الآخِرَة إلى غَيْرِ خُلِكَ مِنَ الآيَاتِ. لكِنَّهُ عليه السُّلاَمُ، أَظْهَرَ العُبُودية وَلَمْ يَقِفُ مَعَ شَيْءٍ ﷺ. وَكَمْ يَقِفُ مَعَ شَيْءٍ ﷺ. وفي وكذلك خُلَفَاؤه من الأولياءِ لا يقفون مَعَ وَعْدِ وَلاَ وعِيدِ لغَيْبِ المشيئةِ. وفي بَعْضِ الأَخْبَار، يقول اللَّهُ تَعَالَى:

«يَا عَبْدِي لاَ تَأْمَنْ مَكْرِي وَإِنْ أَمَنْتُكَ فَإِنْ عِلْمِي لاَ يحبط بِهِ مُحِيطً» (٢٠). وقد يَبْلُغُونَ مِنَ التمكينِ مع الحقّ، مقاماً يَتَرجَّعُ مَعَهُ الأَمْنُ. بقولِهِ تعالى: ﴿اللَّذِينَ مَامَنُوا وَلَرْ يَلْبِسُوّا إِيكَنَهُم بِظُلْرٍ أُولَئِكَ أَمُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْنَدُونَ ۞﴾. [الانعام: ٨٦] فَمَنْ تحقق مَقّام الإِيمَان، حتى بلغ منه مقام العِيَانِ. وانتفى عَنهُ الشرك الجلي والخَفِي. فقد حَصَلَ لَهُ الأَمْنُ بِنَصِّ الآية. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رَضِيَ اللّهُ عَنهُ:

⁽١) أورده الطبري في الرياض النضرة، شدة بأسه ﷺ وثبوته يوم بدر [٢/ ٣٥] ورواه ابن حبان في الثقات، السنة الثامنة من الهجرة [١/ ١٧].

⁽٢) لم أجد هذا الخبر فيما لدي من مصادر ومراجع.

"يَبْلُغُ الْوَلِيُّ مَقَاماً يُقَالُ له: افْعَلْ مَا شِفْتَ، قد أَضْحَبْنَاكَ السَّلاَمَةَ، وأَسْفَطْنَا عَنْكَ الْمَلاَمَة». وقال في شَأْنِ تلميذِه المُرْسِي: "قَدْ تَمَكَّنَ الشيخ أَبُو العَبَّاس مع اللَّهِ تَمَكُّناً. لَوْ طَلَبَ الحِجَابَ لَمْ يجِدْهُ. ويُسَمَّى مَقَامَ المخبُوبية». ويُعَضُده قولُه تَعَالَى فِي حَقِّ سُلَيْمَانَ عليه السلامُ: ﴿ هَلَا عَطَآؤُنَا فَٱلنَّنَ أَوْ أَسْكَ بِفَيْرِ حِبَابٍ ۞ ﴾. [ص: ٣٩]

لهذا؛ وَإِنْ كَانَ فِي مَقَامِ النبوءة، فَلِلْوِلاَيَة قِسْط بِحَسَبِ الوِرَاثةِ. وبَعْدَ لهذَا كلهِ لا يزول عنهم خَوْفهم. فَلاَ يَزُول اضطرارهم، وَلاَ يكون مَعَ غَيْرِ الله قرارهُمْ لاتَّسَاع دائِرة عِلْمِهمْ. وقد حققنا هذه المسألة فِي التفسير^(۱) في سورتي الأنعام والأحقاف فَانْظُرْهُ إِن شِئْتَ. وبِاللَّهِ التوفيق.

وقد تكلّم النّاسُ فِي حقيقة الْوُصُول. قال في الحِكَم: "وُصُولُكَ إِلَيْهِ، وُصُولُكَ إِلَيْهِ، وُصُولُكَ إِلَيْهِ، وُصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ. وَإِلاَّ فَجَلَّ رَبّنَا أَن يَتْصل بِشيءٍ، أَوْ يَتّصل به شَيْءً». وأخسَنُ ما يُقال في حقيقة الوصول؛ أنّه فَنَاء الرسوم والأشكال بظهور الكبير المتعال فيَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ؛ وهو الْوَهُمُ والْجَهْلُ. ويَبْقى من لم يَزُلْ؛ وهو الحق وخدهُ. فقد كان وحْده لا شيء مَعَهُ. وقد بَقِي ما كَانَ عليهِ. فالوصُول إلى اللّهِ عبّارة عن تحقيق الْعِلْمِ بِوَحديهِ. وغَيْبة العَبْدِ عَنْ وجودِهِ فِي وُجُودِ مَعْبُودِهِ حتى لا يُشاهدَ إِلاً عظمَتَهُ فِي كل شَيْءٍ. مُتَرَدِّياً بِرِدَاءِ الْكِبْرِيَاء لِيَبْقى السّرُ مَصُوناً. والكُنْزُ مَدْفُوناً.

ثم بَرْهَنَ عن كَوْنِ الوصول لا يكون بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى فقال: وَلَـوْ كَـانَ سِـرُّ الـلَّـهِ يُــدُرَكُ هَـكَـذَا لَــ لَقَالَ لَنَا الْجُمْهُورُ هَا نَحْنُ مَا خِبْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ؛ وهو الوِلاَية والمعرفة على سَبِيل الْعِيانِ؛ وهُوَ مَغْنَى الوصول إلى اللَّهِ، يُذْركُ هكَذَا، أَيْ بِمُجَرَّدِ الدَّغْوَى مَعَ وجودِ النَّفْسِ، وَرَاحَة الجِسْم، ورقوده تحت ظِلَّ الجدي لقال جمهورُ النَّاس أي عَامَّتُهُمْ: هَا نَحْنُ ما خِبْنَا الْمَعْرفة، بل نَحْنُ وَأَنْتُمْ فيهَا سواء. أَيْ لو كَانَتْ تُنَال

⁽١) تفسيره المسمى «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» الواقع في ثمان مجلدات طبعة دار الكتب العلمية بيروت، بتحقيق الشيخ عمر أحمد الراوي وبتقديمنا.

بِلاَ مجاهدة وَلاَ تَرْبِيَة لاَدَّعَاها كُلُ النَّاسِ، لكنَّهَا لاَ تُنَالُ إِلاَ بِذَبْحِ النَّفُوسِ وحَطَّ الرُّوُوسِ لاَرْبَابِهَا. وَبَذْلِ الْفُلُوسِ زُهْداً فِيهَا. وَارْتِكَابِ الشَّدَاثِدِ والأَهْوَالِ وتَتَابع الرُّووسِ لأَرْبَابِهَا. وَبَذْلِ الْفُلُوسِ زُهْداً فِيهَا. وَارْتِكَابِ الشَّدَاثِدِ والأَهْوَالِ وتَتَابع الرواداتِ والأَخوَالِ، ومُفَارِقة الأوطانِ والأحباب، والغَيْبة عَنِ الْعَشَائر والأَضْحَاب.

قَالَ فِي الحِكَمِ: «لَوْلاَ مَيَادِينُ النّفوس، مَا تَحَقَقَ سَيْرِ السَّائِرِينَ». وقال أَيْضاً: «كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ العوائدُ، وأَنْتَ لَمْ تخرق مِن نَفسك العَوَائد». وَقَدْ بَيِّنَ ذَلِكَ الشيخ بِقَوْلِهِ:

فَكُمْ مُونَهُ مِنْ فِشْنَةٍ وَبَلِئِةٍ وَكُمْ مَهْمَهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْجُبْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: فَكَمْ دُونَ الْوُصُولِ مِن فَتَنَةٍ وَبَلِيَّة أَي مِن امتحانِ وَاخْتِبَارِ للمريد؛ هل هو صادِق في الطَّلَبِ أَوْ هُو كَاذِبٌ. فَإِن ثبت وصبرَ وصَلَ وإلاَّ رَجَعَ مِن حَيْث جَاءً. فَأَوَّل ذلِك تَسْلَيْطِ النَّاسِ عليه بِالإِذَايَة والإهانَة، والتَّضْغير والهِجْرَانِ. وَرُبَّما وصلُوا إلى ضَرْبِهِ وسجنه، وتطويفه وقتلِهِ. فإن صَبَر على ذٰلِكَ، تعرَّضَ له إبليس بالتخويف والنسويف وتبعيد الفَتْح وتبطيء السَّيْر فإن صَبَرَ على ذَلِكَ تَعرَّضَتْ لَهُ الدَّنْيَا بتزيين زَخَارِفِهَا وحظوظها وَزَهْرَتِهَا، فَإِن صَبَرَ على ذَلِكَ تَعرَّضَتْ لَهُ الدَّنْيَا بتزيين زَخَارِفِهَا وحظوظها وَزَهْرَتِهَا، فَإِن أَعْرَضَ عَنْهَا، تَعَرَّضَتْ لَهُ الآخِرة بحورِهَا وقصُورهَا، وسائر نَعِيمها فَإِن أَعْرَضَ عَنْهَا، تعرَّضَتْ لَهُ الكَرَامَاتُ، وصَوْلة الأَحْوَالِ وحَلاَوة المقاماتِ. فَإِن أَعْرَضَ عَنْهَا، تعرَّضَتْ لَهُ الحق جَلَّ جَلالهُ: «مَرْحَباً وَأَهْلاً هٰذِهِ حَضْرة قُدْسِي. تَنَعَّمْ عِنْهَا بِمَا شِنْتَ وتَنَزَّهُ بِفِكْرَتِكَ حَيْثُ شِئْتَ». وَيُقَالُ لَهُ حِينَذٍ:

لَكَ الدُّهُ رُطُوعٌ والْآنَامُ عَبِيدُ فَعِسْ كُلُّ يَوْم مِنْ أَيَّامِكَ عِيدُ

وَإِنْ وقَفَ مَعَ شيءٍ مِن هٰذَا، رجَعَ من الطريق. وأَمَّا مَن وَصَلَ فَلاَ رُجُوعَ عَلَيْهِ لَهُ اِيْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ الْأَنَّ اللَّهَ لاَ يجِب عليه شيءً. وَالْوُصُول هُوَ تحقيق الفَنَاءِ، والتَّمَكُنُ من البَقَاءِ. وقولهُ: "وَكُمْ مَهْمَهِ إلخ". هي المَفازة البعيدة. وَيُجْمَعُ على مَهَامِهِ. وَمَعْنَى جُبْنا: قطعْنَا. والجَوبُ: هو القطعُ. أي كمْ مِن مَفَازَة للنَّفس قَدْ قطعْنَاهَا بِالمُجاهَدَة والمُكَابَدة والرياضة. كمشاق الأسْفَار إلى زيارة المشايخ والإخوان وكَقَطع عوائد النَّفْسِ. وَمَا ركَنَتْ إليه مِنَ الْجَاهِ، والرَّاحة، وإقبال الخلقِ بتحمُّل أَضدادها من الذلَّ والتعبِ. والإعراض عن والرَّاحة، وإقبال الخلقِ بتحمُّل أَضدادها من الذلَّ والتعبِ. والإعراض عن

الخلق بالعُزْلةِ والانِفرادِ، ولهذَا هو خَرْق عوائدهَا؛ وهو شرْط في عمارَة الباطِنِ.

قال بَعْضُهُمْ: ما ينال ما عنْدَ اللَّهِ إلاَّ بِتنضِيجِ الجلودِ، وضِيْق الكبود. وقال الشيخ زُرّوق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَصِلُّ لَعَيْنِ الحقيقة، حتَّى يَرَى مِنَ المِحَن والفِتَن والبلايَا مَا لاَ مَزيدَ عليْهِ. ويجوب مَعَ ذٰلِكَ مَهَامِه، وتقصّر فيها الخطِّي، فَمَن عَصَمَه اللَّه نفُذ. ومَنْ أهانه رجَعَ. فَإِنْ جَدَّ تقابِله الدُّنيا والخلق بالإذبَارِ، والنفس بالتعصبِ، وإبْلِيس بالتسلُّطِ. فَإِن صَبَرَ وَجَاهَدَ وجدًّ والْتَزَمَ، فَازَ وَوَصَلَ، وإِلاَّ هَلَكَ فِي بَعْضِ أَوْدِيتهِ. ثم يُقابِله كذلِكَ بالإِقْبالِ والتخير، كذا فإن سكَن كذا وحذر نَجَى، وإِلاَّ ذَهَبَ في الاغترارِ والاِسْتَرسال ونَحْوِهَا، ثم يقابله الجميع بِالتمكينِ. فَإِن ثبت وإِلاَّ انقَلَب على وَجْهِه في اتباع الْهَوَى رداً وقبولاً.

وقال الشيخ عبْد الكريم الجيلي فِي عيْنيته فِي لهٰذَا المَعْنَى:

وَإِنْ اللَّهُ فَاصْبِرْ لاَ تَسُلُّ فَإِنْسَا بِصَبْرِ الْفَتَى جَاءَتْ إِلَيْهِ الْمَطَامِعُ

وَهَوْنْ عَلَى النَّفْسِ ارْتِكَاباً لِهَوْلِهَا فَغَيْرُ مُحِبٌّ مَنْ دَهَتْهُ الفَّجَائِعُ

قلتُ: مَنِ اتَّصَلَ بشيخ التَّرْبية، سهل عليه ذلِك كله إِن الْتَزَمَ وَتَأَذَّبَ. وإِنْ لَمْ يتصل بشيخُ التَّرْبية، أَتْعَبَ نَفسهُ بِلاَ طَائِلِ كَمَا جَرَّبْنَا ذَٰلِكَ وَذَقْنَاهُ. وجَرَّبْ فَفِي التجريب علم الحقائق، وباللَّهِ التوفيق.

وتمام ذلك كلَّه إِدَامَة السَّيْرِ، وعَدَم الاِلتفات إلى الغَيْرِ كما أَبَانَ ذُلِكَ بقَوْلِهِ:

فَلاَ تَلْتَفِتْ بِالسَّيْرِ فَيْرا وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَيْرٌ فَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنَا وَكُلُّ مَسَقًّا مِلا تُسَقِّم فِسِيهِ أَنَّهُ حِجَابٌ فَجُدَّ السَّيْرَ واسْتَنْجِدِ الْعَوْنَا

يقول رَضِيِّ اللَّهُ عَنْهُ: فلا تلتفِت في حَالِ السَّيْرِ إلى غَيْرِ الله تعالى أياً ما كَانَ، سواء كَانَ علوماً أَوْ أَخوالاً، أَوْ مقاماتٍ، أو طاعات، أو كرامات، أو إقبال الخلقِ، أو إِدبَارَهُمْ، أَوْ عِزّاً، أَوْ غَيْر ذْلِكَ. فكل ما سِوَى الله غَيْرٌ، وحجابٌ عَظِيم لِمَن وَقَفَ مَعَهُ. فالمقصود والمطلوبُ، هو الوصال إلى شهودٍ عظمة ذَاتِ الحقّ عياناً ومعرفته دواماً واتّصالاً. فاتخذ ذِكْرَهُ بِقَلْبِ حصناً من ذلِكَ القواطع. وَ﴿ فَلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾. [الانعام: ٩١] وَلاَ شك أَنَّ ذِكر اللّهِ حضن مَانع مِنَ الشيطانِ، وسَائر القواطِع. يكون أَوَّلاً بِاللّسَانِ. ثم بِالقَّلْب، ثم بالسَّرِ. وهو مقام التمكين مِنَ المعرفة. فحينئذ يحصل الأمان مِن الخَلْقِ والشيطَانِ، ومن سَائر القواطع في الغَالِبِ.

ومن جملة القواطع، الوقوف مع المقامات؛ فلذلكَ قال: (وكل مقام لا تَقُمْ فيه أَنَّهُ حجابٌ). وَلاَ مفهومَ للمَقَامَاتِ، وكذلك الأَخْوَال والوارداتُ، لاَ ينبغي استحلاؤهَا، وَلا التطلع إِلَيْهَا. قال في الحِكَم:

"لا تَطْلُبُنْ بَقَاءَ الْوَاردَاتِ بَعْدَ أَنْ بُسِطَتْ أَنُوارُهَا. وَأُوْدِعَتْ أَسْرارُها. فَلَكَ فِي اللّهِ غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وليْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ. تَطَلّعُكَ إلى بَقَاءِ غَيْرِه، دليلٌ على عَدَم وُجْدَانِكَ له. واستيحاشكَ بِفُقدَانِ ما سِوَاهُ، دليلٌ على عَدَم وصلَتِكَ بِهِ وقال الشيخ أبو هادي في صباح يوم الأصحابِهِ: بِمَ يَرْتَفعُ الْعَبْدُ من حالةٍ لمَا هُوَ أَرْفَع مِنْهَا ؟ قَالُوا بِفَضْلِ اللّهِ ورحْمَتِهِ، قَالَ: إِنما سَالتُكم عنِ السّبَب الخاصِّ بِهٰذَا الأَمْرِ، قَالُوا: من عند الشيخ. قال: يخلق الله له هِمَّة أَعْلَى مِن السّبَب الخاصِّ بِهٰذَا الأَمْرِ، قَالُوا: من عند الشيخ. قال: يخلق الله له هِمَّة أَعْلَى مِن الخاصِّ بِهٰذَا والأَمْرِ، قَالُوا: من عند الشيخ. قال: يخلق الله له هِمَّة أَعْلَى مِن النّبَهِ والمُنْ والاتِضَاعُ. فَإِذَا الْكَسَرَ المُريد اتَّضَعَ لسيّدِهِ، بِسَبَبٍ أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ. حَصَلَ له التَّرَقِي إلى مَقَام لَمْ يَكُن يَعْرِفُهُ. ثم أَمَرَ الشيخ بالجَدُ فِي السَّيْرِ والنهوض فقال: "فَجُدُ السَّيْرَ " أَيْ فَجُدُ الْعَزْمَ وَدُمْ على جِهَادِ نَفْسِكَ، والمنهوض فقال: "فَجُدُ السَّيْرَ" أَيْ فَجُدُ الْعَزْمَ وَدُمْ على جِهَادِ نَفْسِكَ، والمنافِي ومخالفتها. فَلُولا مَيَادِين النُفُوس، ما تحقق سَيْر السَّاثرينَ. والْزَمْ صُحبة الرَّجَالِ والمشايخ، فَلاَ عَوْنَ أَعْظُم من ذٰلِكَ. وتأمُلْ ما قاله الشيخ عبْد الكريم الجيلي وضي اللّهُ عَنْهُ فِي عَيْنِيته:

فَشَمَّرْ وَلُذَّ بِالأَوْلِيَاءِ فَإِلَّهُمْ هُمُ الذُّخُرُ لِلْمَلْهُوفِ والكَنْزُ لِلرَّجَا بِهِمْ يُهْتَدَى للعَيْنِ مَنْ ضَلَّ فِي الْعَمَا

لَهُمْ فِي كتاب اللَّهِ تِلْكَ الْوَقَائِعُ وَمِنْهُم يَنَالُ الصَّبُّ مَنْ هُوَ طَامِعُ بِهِمْ يُخذب العشاقُ والرَّبْعُ شَاسِعُ

واسْتَنْجِدِ العَوْنَ، أي اطْلُبْهُ مِنَ اللَّهِ، بعد تحصيل ما تقدَّمَ، فَإِنَّه يُعينك عَلَى مَا ترِيدُ. والاسْتنجادُ: الإلحاحُ فِي الطَّلَبِ. قَالَهُ فِي القاموس.

ثم ذَكر وَجْهَ العَمَلِ فِي الفرار من الوقوف مع الغَيْر فقال:

وَمَهْمَا ثَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تُجْتَلَى عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا وَتُلْ لَيْسَ فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ فَلاَ صُورَةٌ تُجْلَى وَلاَ طُرْفَةٌ تُجْنَى

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِ مِن مَرَاتِ أَهْلِ التخصيص والتَّقْريب تُجْتَلَى؛ أي تَظهر عليكَ كَظهور الكراماتِ، والكشف عَنْ أَسْرار المقاماتِ، وحَلاَوة الطاعات وإِقبال الوَرَى وأَبْنَاء الجِنْس، فَحُلْ عَنْهَا؛ أي تَحَوَّلْ بِهِمَّتِكَ عَن الاِلتفاتِ إِلَيْهَا، وعن الوقوف مَعَهَا، فَإِنَّ الوُقُوف مَعَ شيءٍ مِنْ ذَلِكَ، حجابٌ عن شهودِ الحقّ. قال في الحِكمِ: «مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكِ أَن تقف عندما كُشِفَ لَهَا إِلاَّ وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الحقيقة؛ الَّذِي تطلب أَمَامَكَ وَلاَ تَبرَّجَتْ ظُواهِرُ المكونات، إِلاَّ ونَادَتْهُ حَقَائِقُهَا إِنْمَا نَحْنُ فِنْتَةٌ فَلاَ تَكْفُرْه.

والمراتب الّتِي تُجْتَلَى للسَّائر فِي سَيْرِهِ ثلاث: فَنَاء فِي الأفعال وَفَنَاءً في الصفات، وفَنَاء فِي الذَّاتِ. فَإِذَا كُشِف للسَّائرينَ عن توحيد الأَفعَالِ وذَاقَ حَلاَوَتَهُ. وَأَرَادَتْ همَّته أَن تقف مَع ذَلِكَ المَقَام، نَادَتُهُ هواتِف الْفَنَاء فِي الصَّفَاتِ؛ الَّذِي تطلبُه أَمَامَكَ. وإِذَا تَرَقَّى إلَى الْفَنَاء فِي الصَّفَاتِ، وكُشف له عَنْ سِرِّ توحيد الصفات. فاستشرف على الفَنَاء في الذَّاتِ، وأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَن تَقِفَ مَع ذَلِكَ الْمَقَامِ نادَتُهُ هَوَاتفُ الفَنَاء فِي الذَّاتِ؛ الذي تطلب أَمَامَكَ وإِذَا تَرَقِّى إلَى الفناء فِي الذَّاتِ، وأَرَادَتْ همَّته أَن تقفَ مَع ذَلِكَ الْمَقَامِ نادَتُهُ هَوَاتفُ الفَنَاء فِي الذَّاتِ، وأَرَادَتْ همَّته أَن تقفَ مَع الفناء فِي الذَّاتِ، وَأَرَادَتْ همَّته أَنْ تقفَ مَع ذَلِكَ. نادَتُهُ هَوَاتفُ حقيقةِ البقاء وبقاء البَقَاء. وهكذا إلى مَا لاَ نهاية لَهُ مِنَ التَّرقي. وإذَا تَبَرَّجَتْ، أَيْ ظَهَرَتْ بِزِينَتِهَا وَزَخَارِفها ظَاهرُ المكوناتِ بخَرْقِ التَّولُ فِي الذَّوِي الشَالُ المَعْوناتِ بخَرْقِ التَّه وانقيادِها لَهُ. وتصرفِهِ فيها بِهِمَّتِهِ. كالمَشْي عَلى الماء، والطَّيرَان فِي الشَواءِ، وطَي المسَافة البعيدة فِي لخطَة. وغَيْر ذٰلِكَ من الكَرَامات الحسِّية. وأَرَادَتُ همَّةُ السَّالُ أَن تقف مَعَهَا، نادَته هَوَاتفُ الحقيقة؛ وهي أَسْرارُ المَعَانِي الباطنية. إِنَّمَا نَحْن فِتُنَةً لَكَ، نَخْتَيرُكُ هَلْ تقف مَعَ ظَاهِرِهَا فَتُحْجَبَ بِهَا، أَوْ تَنْفُذُ اللهِ بَاطِنِها. فتعرف مَالِكها والمتجلّى بهَا.

قال الشيخ أبو عُثمان بن عاشوراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ أُرِيدُ الْمَوْصِلَ. فَأَنَا أَسِيرُ، فَإِذَا بالدُّنيا قَدْ عُرضَتْ عليَّ بِعِزَّها وَجَاهِها، ورفعتِها، ومراكبِها وَمَلابِسِهَا. ومزيناتِها وثمارِها ومشتهياتِها. فَأَعْرضت عَنْهَا. فعُرضَت

عليَّ الجنَّةُ بِحُورِهَا وقصورِهَا، وأَنهارِها وثمارِهَا فَلَمْ أَشْتَخِلْ بِهَا. فَقِيلَ لِي يَا عُثْمَان، لَوْ وقفت مع الثانية عن الثانية. ولو وقفت مع الثانية لَحَجَبْنَاكَ عن الثانية. ولو وقفت مع الثانية لَحَجَبْنَاكَ عَنَّا. فَهَا نَحْنُ وقسْطكَ من الدَّارِيْن يَأْتيكَ».

وقال بَعْضُهُمْ: مَنْ سَمَتْ هِمْتُهُ عَنِ الأَكُوانِ. وصَلَ إلى مُكَوِّنِهَا. وَمَنْ وَقَفَ بِهِمِّتِهِ مَع شيءٍ دُونَ الحقّ فَاتَهُ الحق؛ وهُو أَعَزُّ مِن أَن يرضَى مَعَهُ بِشَيْءٍ. وإلى هٰذَا أَشَار الشيخ بقولِهِ: فَلاَ يشغلنَك عنه أَيْهَا الْمُرِيدُ صُورَة تُجْلَى، أي تظهر لك من نَوْعِ الكَرَامَاتِ. وَلاَ طرفة تَجْنَى، كوجُودِ الشمارِ من غَيْر إِبَّانِهَا. وحَلاَوَةِ الطاعات. فإنَّهَا سُمُوم قاتِلةٌ.

قال الشيخ أبو يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْقَفنِي الحقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: تُريد الطرف فَقُلْتُ لاَ. فقال: تريدُ التحقق قُلْتُ لاَ. فقال: تريدُ التحقق قُلْتُ لاَ. قالَ: فَمَا تريدُ التحقق قُلْتُ لاَ قَالَ: فَمَا تريدُ؟ قَلْتُ: أُريدُ أَنْ لاَ أُريد؛ لاَّنِي أَنَا الْمُرَاد وَأَنْتَ الْمُرِيد». وَحَكَى أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الحق تعالى يريني الكراماتِ، فأعرضُ عَنْهَا. فَلَمَّا رأى ذٰلِكَ مِنِي جَعَلَ لِي إِلَى مَعْرفتِهِ سَبِيلاً. قال بَعْضهم: كُشف لِي عن أَرْبعين حَوْراء، فَرَأيتهُنَّ يَتَشَخَّصْنَ فِيَّ فَالتَفَتُ إِلَيْهِنَّ. فَحُجِبْتُ عن مَقَامِي مَدَّةً. ثم كشف لِي عن ثمانينَ، فسجدتُ وأنا أقولُ: اللَّهُم إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِمًّا سِوَاكَ.

وقال شيخ شيوخِنَا سيّدِي علي العمراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اسْتَقْتُ يَوْماً إلى الجنَّة، فَإِذَا أَنَا آكل مِن ثمارهَا، وأقطف مِن أزهَارِهَا، وأَشْرِبُ مِن أَنْهَارِهَا. فاشتغلْتُ بذلكَ عن حَلاَوة الشهود فتبْتُ إلى اللَّهِ فَأَخْرَجَنِي من سجْنِهَا». وقال الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلْطَفُ مَا يُخَادَعُ به الأولياءُ، الكَرَاماتُ والمعونات». الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَأَى عليّ بن أبِي طالبٍ في النَّوْم. وقال له: «يا أمِيرَ المؤمنينَ، ما أَحْسَنَ عَطف الأغنياءِ على الفقراءِ رَجَاء الثواب. فقال له: عليّ كرّم اللَّهُ وَجْهَهُ: وأَحْسَنُ له من ذلِكَ، يَنِه الفقراء ثقة بِاللَّهِ».

قَالَ بعض المشايخ: وأَكْبَرُ من ذلِكَ، هِمَّةُ العَارفِينَ، تتشاكى له فِيهَا جميع المقدورات، فضلاً عن المخلوقات.

لمَّا قَدِمَ الشَيْخِ أَبُو الحسَنِ الشاذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على القُطْبِ عبد السلام بن مشيش، وجَدَه في مغارته يَدْعُو. فكره الدَّخول عليه ليْلاً، وكَان في مقصد

الشيخ أبي الحسن نَفْعُ النَّاس، وجلبُهُمْ إِلَيْهِ ليدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ. وكَان يترَدَّد فِي خَاطِرِهِ، هل يدْخل للمُدُنِ أَوْ يَنْقَطع فِي الجِبَالِ والقفار، للعبَادة، فَسمعَ الشيخَ من دَاخِل المغارة يَقُولُ: اللهمَّ إِنَّ قوماً قد طلبُوا منكَ أَنْ تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ. فَسَخْرْتَهُمْ لَهُمْ، فَرَضُوا بذلك. وأَنَا أَسْأَلك اعوجاجَهُمْ عَلَيَّ، حتى لا يكونَ مَلْجَثِي إِلاً إِلَيْكَ.

فقال الشيخ أبُو الحسن: يا نَفسي من أي بَخر يغترفُ هٰذَا الرَّجلُ. فَلَمَّا دَخَلَ وَسَلَّمَ عليْه. قال لهُ: كَيْفَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي. قال: أَشكُو مِنْ بَرْدِ الرَّضَى والنِّسْلِيم، كما تشكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التَّدْبِيرِ والإِخْتِيَارِ. فقال: يا سيِّدي أَمَّا شكوَاكَ أَنْتَ مِنْ بَرْد شَكُواتِي من حَرِّ التَّدْبِير والاختيارِ، فقد ذُقْتُهُ وَأَنَا فِيهِ. وأَمَّا شكوَاكَ أَنْتَ مِنْ بَرْد الرِّضا والتسْلِيم، فَلِمَاذَا؟ قال: أَخَافُ أَنْ تشغلَنِي حَلاَوتُهُمَا عَنِ اللَّهِ. ثم قال يا سيّدِي: سَمِغتُك تقول: اللَّهُمَّ إِني أَسْألك اغوجاجَ الخَلْقِ عَلَيَّ. قال ابن مسيّدي: سَمِغتُك تقول: اللَّهُمَّ إِني أَسْألك اغوجاجَ الخَلْقِ عَلَيَّ. قال ابن مشيش: يَا أَبَا الحسن: عِوَضَ أَن تقول: اللَّهُمَّ يَا ربِّ سَخْر لِي خَلْقَكَ قل يا رب كُنْ لِي. أَفَتَرى إِن كَانَ لَكَ، أيفوتُك شَيْءٌ؟ فما هذه الجبانة. انتهى رب كُنْ لِي. أَفَتَرى إِن كَانَ لَكَ، أيفوتُك شَيْءٌ؟ فما هذه الجبانة. انتهى بمغنّاه. فهذه المقامات والكرامات كلها تصرف المريد إلى التعلّق باللهِ. وعَدَم الالتفات إلى ما سِوَاه كَائناً ما كَانَ.

ولمَّا حَرَّضَ على الفَّنَاءِ والفِرَار إلى اللَّهِ. أَمَرَ بالتَّمسك بالشريعة؛ وهو مَقَامُ البَقَاءِ، وكَمَالِ الكَمَال فقال:

وَسِرْ نَحْوَ أَعْلاَم الْيَمِينِ فَإِنَّهَا سَبِيلٌ بِهَا يُمْنُ فَلا تَعْرُكِ الْيُمْنَا

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أَفْردتَ قلبكَ لله، وَلاَحَتْ عَلَيْكَ أَنُوارُ الْفَنَاءِ. فتمَسَّكْ بِالشريعة المحمَّدية. وسِز نخو أَعْلام الْيَمِينِ، واسْتَظِل معهم تحتَ ظِلَّ لِوَاءِ الشريعة؛ وأَعْلاَمِهَا، فَإِنَّهَا طريق بِها يُمْنُ وبَرَكَةٌ ونجدةٌ وغنيمَةٌ، فَلا تَثْرُكِ اليُمْنَ والبركةَ فَتَقَع فِي الخُسْرَانِ والنَّدامَة. ولذلِكَ قبلَ:

«مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهُ فَقَدْ تَزَنْدَقَ. وَمَنْ تَفَقَّهُ وَلَمْ يَتَصَوَّفُ فَقَدْ تَفَسَّق.
 وَمَن جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تحقَّق».

قال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«تَزَندق الأولُ لإهْمَاله الشريعة. وقد جَاء بها الصَّادِقُ المصدوقُ؛ فهي

باب الدُّخول إلى اللَّهِ. وتفَسَّقَ الثانِي لإِهْمَالِهِ الحقيقة، وتحقق الثالثُ، لجمعه بينهُمَا». قال: وكان شيخنا أبُو العبَّاس بن عقبة الحَضْرَمِي كثيراً ما يَنْشد هَذَينِ الْبيتين:

اتْبَعْ رِيَاحَ الصّْبَا وَدُرْ حَيْثُ دَارَتْ وَسَلَّمْ لِسَلْمَى وسِرْ حَيْثُ سَارَتْ

وَمُرَاده سَلْمَى فيما أَظنُهُ: الشريعة. والله أَعْلَمُ. قُلْتُ: بَلِ الظَّاهِر، أَنَّهَا الحقيقة. إذا هِيَ التي يكنى عنها أَهْلُ الفَنْ بِسَلْمَى، وعزَّة وليْلَى وأَيْضاً: هِيَ المتصرفة في الأشياء كلها فيجب الميل مَعَهَا أَيْنَ ما ظَهَرَتْ. والسَّير بِسَيْرِهَا حيث سَارَتْ. وأمَّا الشريعة فَإِنَّها رِدَاء لَهَا وسَتْر لأَسْرَارها. واللَّهُ أَعْلَمُ.

فَالنَّمْسِكُ برسومِ الشريعة لأَهْلِ الحقيقة فَرْضٌ لاَزِمْ. وَمَنْ أَخَلَّ بِهِ، رَجَعَ مِن حَيْث جَاءَ. وَلاَ يُرْجَى فَلاَحُهُ. وقال السَّاحلي في بغيتهِ لمَّا تكلَّم على آداب مقام الإحسانِ بعد كلام الثالث: إقامة رسومِ الشريعة، أَحْسَنَ إِقامَةٍ؛ فَهِيَ شعار العُبُودية، وهي الوَسَائل إلى دَرْكِ الحقائق الإلهية. وَمَنْ ظَنْ أَنْ ذَلِكَ مُسْتَغْنَى عَنْهُ عنْدَ مواردِ التحقيق؛ فَهُوَ مَغْبُونْ فِي حقيقته. مفتونْ فِي وِجْهَتِهِ، رَاضِ بِالحِرْمَانِ وَالْهَوَانِ. وَمِن عَلاَمَاتِ صِدْق أَهْلِ الإِخْتِصَاصَاتِ عَدَمُ حَلَّ الْيَد مِن عَرْوَة الشريعة، بَلْ فِي اسْتغراقهم الحِفظ عليها، في إقامة الرُّسُوم الشرعية، كَمَا عَرْوَة الشريعة، عند وُرُود الحقائق، رزقنَا أَنْ مِنْ عَلاَمَةِ وكَلاَءَتِهِ، مَا يَحْملنا على مَنَاهِجِ الْعَارِفِين.

قُلتُ: ورسوم الشريعة: هو فِعْلُ المَأْمُوراتِ، وترْك الْمَنْهِيَاتِ. نهْي تحريم، أَو نَهْي كَرَاهةٍ. وقال أيْضاً: في شروطِ المعرفة: الثالث: المحافظة على الرّسوم الشرعية وإقامة الوظائف الربّانية اقتداء بِإِمَام العارفينَ، وسيّد الْمُقَرِّبِينَ الَّذِي تفطّرتُ قدماهُ من طولِ القيامِ فِي الصلاةِ لِتَمَكُّنِ مَعْرِفتِهِ، وقد ضلً قَوْمٌ، وزَلَّتْ أَقْدامُهُم حينَ ادّعَوْا المعرفة. وقالُوا بترك الشريعة، وَرَأُوا ذٰلِكَ من البرّ والتقوى. ولم يشعرُوا بِأَنَّ ذلِكَ تعطيلٌ وَكُفْرٌ وحَاشَا المعرفة من ذٰلِكَ. قال إمام هذه الطريقة، وسيّد أَهْلِ الحقيقة أبو القاسم الجنيد رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: «الْقَوْلُ بِإِسْقَاطِ الأعْمَال عندي عظيمٌ والّذِي يسْرق ويزنِي، أَحْسَن حالاً عندي مِن الّذِي يقول بإسقاط الأعمال؛ أي الشريعة».

قال النقشبَنْدي: وقد صَدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِن السَّارِقَ والزَّانِي عاصِ بِسرقته وزناهُ. وَلاَ يَصِلُ إلى حَدُّ الكُفْرِ. وأَمَّا القائل بسقوطِ الفرائِضِ. وتحليل المحرمات المُعْتَقِدُ لِذلِكَ فقد انْسَلَّ الإيمانُ مِنْهُ إسلالَ الشَّعْرَة منَ العجِينِ. ثم قال الجُنَيْدُ: «فَإِنَّ العارفينَ أَخَذُوا الأعمالَ مِنَ اللَّهِ». ثم قال: وَلَوْ بقيتُ ألف عام لَمْ أنقُصْ مِن الشريعة ذَرَّةً.

ثم قال السَّاحِلِي في آذَابِ المعرفة: الثالث: مُلاَزَمتُه الهيبة، والصعود إلى غايتها. فإنّ الهيبة مِن أَمَارَات المعرفة، كلما ازدادت معرفته ازدادت هيبته. وقد يُعبّر عن الهيبة بالخشية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَغْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُلَكُوّأُ ﴾. [فاطر: كلاً وقال ﷺ: ﴿أَنَا أَحْرَفُكُمْ بِاللّهِ وأَسْدُكُمْ له خشية (١). فَإِن قلت: كَلاَمك يشير إلى أن المعرفة: محوّ مطلق. والمَخو المطلق: فَنَاءٌ عن الرّسوم والصفات، والمنتفراق في الرّسوم والصفات. فالجواب أنّ العارف، وإِنْ كَانَ بِهٰذِهِ المَثَابَة مِنَ الرّسوم والصفات. فالجواب أنّ العارف، وإِنْ كَانَ بِهٰذِهِ عَلاَماتِ قربِهِ، وإِن اخْتُطِفَ عن إحساسِهِ، أَنْ تَبْقَى رسومُ الأَدَبِ محفوظة عليه، علامُ اللّه تَعَالَى إِيّاها عليه. وإقامته فيها مقام الحَمْد، فيكن سِرّه مستغرقاً في شهودِهِ وَرَسْمِهِ. قائماً بوظائف معبُودِهِ مِنَ البُغْيَةِ. وَلِلّهِ ذَرُ سيدي عَبْد اللّه الهبطي حيث قال في مَنْظُومَتِهِ؛ الّتِي سَمَّاها شمسَ الضَّحَى:

وشالث الفُصول فِي الشريعة فَكُلُ بَابٍ دُونَهَا مَسْدُودُ قَدِ اصْطَفاهَا رَبُّنَا عَزْ وَجَلْ طريعة الرَّحْمُنِ لِلْعَذْنَانِ طُوبَى لِمَنْ أَتَى بِهَا لِلْعَرْضِ

لأنسها إلى السهدى ذريعة ومَن أتى مِن غيرها مردود بفضله وجوده على المملل مخفوفة بالنود والرضوان والويل للذي بها لم يفض

وَإِنَّمَا أَطَلْتُ الكَلامَ هُنَا؛ لأنَّي رَأَيْت كَثيراً مِنَ الْفُقْرَاءِ خَلُوا يَدَهُمُ مِنَ

⁽١) أورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: «أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه» حديث رقم (٢٠) (٢٠) [٢٣١/١] وفي صحيح البخاري باب أنا أعلمكم بالله..، حديث رقم (٢٠) [١٦/١]: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا».

الشَّرِيعَةِ. وَظَهَرَ عَلَيْهِمُ المَسْخُ والْبُعْدُ وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ مِنَ السُّلْبِ بَعْدَ الْعَطاءِ.

ثم حَذْرَ الشيخ من الوقوفِ مَعَ مُجرَّدِ الْعَقْلِ؛ لأَنَّهُ مَعْقُولٌ عن شُهُودِ الأسرار فقال:

أَمَامَكَ حَوْلُ فَاسْتَمِعْ لِوَصِيْتِي عِقَالُ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي مِنْهُ قَدْ تُبْنَا

قُلْتُ: عِقَالٌ بَدَلٌ مِنْ هَوْل. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُدَّامك أَيُّهَا السَّائر هَوْلٌ عَظِيمٌ؛ وَهُوَ عِقَالُ فِكْرَتِكَ عَنِ النُّفُوذِ إلى مَيَادِينِ الْغُيُوبِ، وفضاء الشهود. ولهٰذَا العِقَال هو عقلكَ، حيث وَقَفْتَ مَعَهُ. وَلَمْ تُدْرِكْ إِلاَّ مَا أَدْرَكُهُ مِنْ صنعة الكَوْنِ. وافتقاره إلى صانعه، ولم تَنْفُذْ إلى مَا وَرَائِهِ مِن شهودِ المُكَوِّنِ فِي مَظَاهِرٍ مُكَوِّنَاتِهِ. فَإِنَّ أَسْرَارِ المَعَانِي خارجة عن دائرة العُقُولِ وإِحَاطة النُّقُولِ كما قال سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض فِي تَائِيَّتِهِ:

تَكَفَّيْتُهُ عَنِّي ومِنِّي أَخَذْتَهُ وَنَفْسِي كَانَتْ مِنْ عَطَائِي مُمِدَّتِي

وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ طَيِّشَتْهُ طُرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَخَفَّتْ عَقْلَهُ وَاسْتَقَرَّتِ فَنَمْ وَرَاءَ النَّفْلِ عِلْمٌ يَدِقُ عَنْ مَدَادِكِ غَاياتِ الْعُقولِ السَّليمةِ

فَاسْتَمعْ لِوَصِيَّتِي؛ وَهِيَ لاَ تقف مَعَ تَوهُمَات العَقل، وتخيُّلاَتِهِ التي تُبنَّى مِنْهَا. وَرَجِعنا إلى رَبُّنَا، فَاشْتَغَلْنَا بِذِكره، ذَكْراً مُتَّصِلاً، وَتَرَكْنَا حُظُوظَنَا ولُحُوظَنَا فَأَشْرَقَتْ عَلَيْنَا الأَنْوَارِ، وَلاَحَتْ عَلَيْنَا الأَسْرَارِ، فَخَرَجْنَا عَن دائرةِ الأَكُوانِ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى فَضَاءِ الشهودِ والعِيَانِ بَعْدَ صحبَة المشايخ وخِدْمتِهم وامتثالِ أَمْرهِمْ، وَلَوْ أَفْضَى إِلَى العَطَبِ وتصديقِ قَوْلِهِمْ. وَلَوْ كَانَ مُحَالاً، كَمَا قَال الشيخ أبو الحسن الشاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِذَا جَالَسْتَ إِلَى الكُبَراءِ، فَدَغْ مَا تَعْرِفُ لِمَا لأ تَعْرِفُ؛ لتَفُوزَ بِالسِّرِّ الْمَكْنُونِ».

ثُمُّ ذَكَرَ وَبَالَ مَنْ وَقَفَ مَعَ عَقْلِهِ فَقَالَ:

أَبِادَ الْوَرَى بِالْمُشْكِلاَتِ وَقَبْلَهُمْ بِأَوْهَامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الْحِنَّ وَالْبِئًا

الحِنُّ والبِنُّ: قبِيلتَانِ مِنَ الجِنِّ، عَمَّرَتَا الأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ. لهَكَذَا وُجِدَ بِخَطْ النَّوَوِي مِنْهُمْ أَسْوَد البُّهُمُ، أَوْ سَفَلَة الجِنّ وضُعَفَاوْهَا، فَقَدْ ذَكَرَهُ في القَامُوس ونَصْهُ: الحِنُّ بالْكَسْرِ: حَيٌّ مِنَ الجِنِّ منهُمُ الكلابُ السُّودُ البُّهُمُ أو سَفَلَةُ الجنّ

وضُعَفَاوْهم أَوْ كِلاَبُهُمْ أَوْ خَلْقٌ بيْنِ الجِنِّ والإِنْسِ.

وأَمَّا البِنُّ: فَقَالَ فِي القامُوس أَيْضاً: البِنَّة: الرّبِح الطيبة. ثم قال: ومَوْضع بِكَائِل، وَبَلدة بِبَغْدَاد. وحِصْنٌ بالأَنْدَلُسِ. فَلَمْ يَذكُر أَنَّه من قبائِلِ الجنِّ. لكن مَنْ أَثْبَتَ حجة، ولمْ يذكُرْهُ فِي مَادَّةِ المقصورِ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَمَّ الْعَقْلِ لِمَنْ وَقَفَ مَعَهُ. وحَكَّمهُ في أُمُور عقائدهِ: أَبَاد الْوَرَى: أَي أَهْلَكُهُمْ وَأَتْلَفَهُمْ بِالمشكِلاَتِ النظرية. ردّاً وقَبُولاً إِذ العَقْل إِذَا لَمْ يَتَأَيِّد بِأَنْوَارِ الشريعة، وَلَمْ يَقِفْ مَعَ الحِجَابِ الْأَعْظَم؛ وهو النبي صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ضَلَّ وأَضَلَّ. وَهَذَا سَبَبُ هَلاَكِ الْمُعْتَزِلَةَ، والْقَدَرِية، والإمامية، وغيرهم مِن الطوائف الضَّالة: الاِثنين والسَّبعين المفترقة فِي هذه المِلَّةِ. وَمَنْ قَبْلهِمْ من الفلاسفة، والطَّبَاتِعيينَ وأَضْرَابِهم حيْث لَمْ يتقَيَّدُوا بِالْوَحي الإِلَهِيّ، بل اسْتَضْغَرُوهُ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَأَةَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ ۖ ٱلْعِلْمِ﴾ [خافر: ٨٣]، أي وتَهَاونوا بِغَيْرِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَحَافَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِدِ. يَسْتَهْزِنُونَ﴾ [مود: ٨] قيل إنه صادقٌ بِالفلاسِفَة. وإِنَّهُمُ اغْتَقَدُوا أَنَّ عِنْدَهُمْ مَا يستغنُونَ بِهِ عَنْ عِلْم الأنبياءِ عليْهِمُ السلامُ. ولَمَّا سَمِعَ بُقراط الحكيم بموسَى عليه السلامُ. قيل لهُ: لَوْ هاجِرْت إليه فقال: «نَحْنُ قَوْمٌ مُؤَدِّبُونَ فَلاَ حَاجَةَ إِلَى مَنْ يَهْدِينَا». ورَأَى بَعْضُ الصَّالحينَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَن ابنِ سينَاءَ. فقال ﷺ: «إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ بِدُونَ وَاسِطَة، فَانْقَطَعَ عَن اللَّهِ». وعلى فَرْض وُقوفِهِمْ بَعْد رياضةِ النَّفْس، وتهذيبهَا على التجرُّدِ وانْكشافِ قُدْسِ حضْرَةِ الحقُّ. فَلاَ يَظْفُرُونَ بِالْعُبُودِية، وَلاَ بِالفِّنَاءِ في توجِيدِ الرُّبُوبيَّةِ، والتخليصِ من لَوْثِ وُجُودِهِم. والشَّانُ أن تَكونَ عين الاسْم. لا أن تَعْرِفَ الاسْمَ والْعَيْنَ، وإِنَّمَا تُقْتَبسُ مِن مشكاةِ مَهْبِط الْوَحْي. وانصبابِ أَنْوَار الغَيْبِ. إِنَّمَا تَفِيضُ بِواسطةِ درَّة الوجودِ عليه السلامُ. وتظهر سرّ العيان الأحدِي الأحمدِي. فَافْهَمْ. قال شيخ شيوخنا سيدي عبْد الرحمٰن الفَاسِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَرَضِيَ بِه عَنَّا.

وَالحَاصِلُ: أَنَّ مجرَّد العَقل لاَ يُنْجِي صَاحِبَهُ. بل يضرُّهُ إِنْ وَقَفَ مَعَهُ. وَلاَ يَنْقُلُ السَّالِكَ إِلَى اللَّهِ تعالى إِلاَّ بِالغَيْبَة عَنْهُ فيتلَقَّى فِي بِدَايَتِهِ مَا يَرِهُ مِنْ قِبَلِ شَيْخهِ بالقَبُولِ لَوْ كَانَ مُحَالاً في نَظَرِهِ. فَإِذا أَذْخَلَه الحَضْرَة، تلقَّى مَا يَرِد عليه

مِنْ رَبِّه. وتَرَكَ عَقْلَهُ وَرَاءَ ظهْرِه؛ لأَنَّ نُورَ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ، ونور الْمَعْرِفَة كَالشَّمْسِ وَلاَ وُجود لنور الْقَمَرِ عند طلوع الشَّمْسِ؛ ولهٰذَا قَبْلَ كَمَالِ تَصفِيَتِهِ كَمَا يَأْتِي.

وقوْلُهُ: وقَبْلَهُمْ قَدْ أَهْلَكَ بِأُوهَامِهِ الْحِنَّ والبِّنَّا. يَغْنِي أَنَّ الْعَقْل قَبْلَ الوَرَاءِ؛ أي الإنسان أَهْلَكَ بأَوْهَامِهِ وَتَزيينِهِ؛ قبيلتين مِنَ الْجِنِّ. زين لهم الكفر والفساد حتى حَارَبَتْهُم المَلاَثكة وَأَسَارَتْ أَبَاهُمْ إِبْليس فَأَسْلَمَ وَعَبَدَ فِي السماواتِ. فَلَمَّا أُمِرَ بالسُّجُودِ لَهُ. فهَمهُ التكبر، فَطُرِدَ وأُبْعِدَ. وَلَوْ خَرَجَ عن رأي عَقْلِهِ ما اسْتعمل القياسَ الفَاسِد في تَفْضِيل النَّارِ عَلَى الطين. وَبِاللَّهِ التوفيق.

وإِذَا كَانَ العَقْلُ مهلكةً فَعَزْلُهُ وَاجِبٌ. وعليه السُّلُوك. كَمَا أَبَانَ ذلِك فَوْلِهِ:

مَحَجُّتُنَا قَطْعُ الْحِجَا وَهُوَ حَجْنَا وَحُجُّتُنَا تَعْلُوهُ بَاءً بِهَا نِهْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: محجَّتُنَا أي طريقنا التي نسلكُهَا إلى ربَّنَا هي قطع الحِجَا. أي الْعَقْلُ والغَيْبة عَنْهُ بِالاشتغال بِذِكْرِ اللَّهِ. والفناء فيه. حتَّى تفيض علينا أُنْوار المواجَهَة والشهود فَنَغِيب عَن الشاهِدِ فِي المشْهُودِ. فَلَيْسَتْ طَرِيقَتْنَا طَرِيقة الاستِدلالِ لفَهم الطّريق، حتّى نحتاج إِلَى الْعَقْلِ إِنما هِيَ طريقة أذواقِ وَوُجْدَانٍ، يغيبُ الدُّلَيل في المَذْلُولِ، والذَّاكر في المَذْكور، والأصل فِي الموصُول فَنَسْتَدِل بِاللَّهِ على غَيْرِهِ فَلاَ نَجِدُهُ؛ هذا هُوَ حَجُّنا. وغايَة بُغيتنَا. وعَرَفةُ وُقُوفِنا. مَنْ وَصَل إِلَيْه تَمَّ نُسْكُهُ وَحَجُّهُ. وَمَنْ تَعَوَّقَ عَنْهُ خَابَ سَعْيُهُ. وضَاعَ تَعَبُهُ. وَلَهَذَا أَيْضاً حُجَّتُنَا. وَبُرْهَانَ مَعْرِفَتِنَا. فَمَا دَامَ السَّالِكُ يَفْتَقِر إِلَى الاِسْتِدْلاَلِ فَهُوَ فِي الطُّرِيقِ. فَإِذَا اسْتَغْنَى عَنِ الدَّلِيلِ بِشُهُودِ المَدْلُولِ عليه وَرُؤيته فقد تحققَ وُصُولهُ. وفي الحِكُم: ﴿إِلَّهِي كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَنْ هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ. أَيكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ. مَتَى غِبْتَ حَتَّى تحتاجَ إِلَى دليل يدلُ عَلَيكَ؟ ومتى بَعُدتُ حتى تكون الآثار هي التي تُوَصِّلُ إِلَيْك؟ وَقُولُ الحِكَم: بِمَنْ هُوَ فِي وجوده مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ. يشير إلى حِسَّ الْكَاثِنَاتِ مَعَ أَنْهَا لاَ وُجُودَ لَهَا أَصْلاً. إِذ المَعْرفة اسْتهلاكُ الحِسِّ فِي المَعْنَى. وقَالَ الشيخ أَبُو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَيْف يُعْرَفُ بِالْمَعَارِفِ. مَنْ بِهِ عُرِفَتِ المعَارِفُ). وَ أَنْشَدُوا: عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ شَهَادَةً وَأَنْتَ الَّذِي أَشْهَدتَّهُ كُلَّ شَاهِدٍ

وَفِكْرَة الاعتبار التي فيها شيءٌ مِنَ الْعَقْلِ تَعْمِش عَيْنَ البصيرة التي هي مَبْنى فِكْرَة الاستبصارِ. فَلاَ تخلفُ فِكْرَة الاستبصارِ إِلاَّ بقطْع موادِّ العَقْلِ وَالاسْتِدْلالِ. وقوله: تَتْلُوهُ بَاءً. أَيْ وَتَتْلُو مَا ذُكِرَ مِنْ حَجِّنَا وحُجِّتِنَا بَاء الْوَحْدةِ. فَقَدْ تِهْنَا بِهَا. وغِبْنَا فِي بَحْرِهَا عن وُجُودِنَا وَرَسْمِنَا وَعَقْلِنَا وَفَهْمِنَا. ولِلَّهِ درُّ سيدي عبد الرحمن المجذُوب حيث قال:

يَا قَارِئِينَ عِلْمَ التَّوْجِيدَ هُنَا الْبُحُودُ اللِّي تَغْبِي هُنَا الْبُحُودُ اللِّي تَغْبِي هُنَا الْبُحُودُ اللَّي مَنْ مَسِعَ رَبِّسِي هُنَا مَنْ مَسِعَ رَبِّسِي

وَبَاءُ الوَحدةِ تشير إلى بِي كَانَ، وَمَا يكون، في توحيد الأَفْعَال، وَبِي قَامَتِ الأَشْيَاء فِي تَوْحِيد الذَّاتِ. فَإِذَا غَرِقَ الْعَبْدُ فِي تَيَّارِ بَحْرِ الذَّاتِ. غَابَ عَنْ حُكْم عَقْلِهِ. إِذْ لَيْسَ الخَبْرُ كَالْعِيَانِ. حُكْم عَقْلِهِ. إِذْ لَيْسَ الخَبْرُ كَالْعِيَانِ. وَمُعَرِّفٍ لَهَا، ونقطة الْبَاءِ يُشِيرُونَ بِهَا إلى نقطة الكَوْنِ. فَإِنَّهُ مَظْهُرُ تَجَلِّي الذَّاتِ. وَمُعَرِّفٍ لَهَا، كَمَا عُرِفَتِ الْبَاءُ بِنُقطتِهَا. وقد سَأَلَ الجُنَيْدُ الشَّبْلِي مَنْ أَنْتَ؟ فقال: أَنَا نقطة الْبَاءِ. فَأَجَابَهُ الجُنيْدُ بتحقيق ذٰلِكَ. إِذ قَالَ:

«أَنْتَ لَشَاهِدِهِ مَا لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ قَدْراً». أَنْتَ محقّق لِمَعْرفَتي لأَنَّهُ شيخهُ. مَا لَمْ تَثْبَثْ لنفسك وجوداً مَعَ الحقّ لأَنَّ النقطة لها انفصال عَنِ البَاءِ. وَلاَ انْفِصَال للعارِفِ عن مُوجِدِهِ. ولاَ للكَوْنِ بِأَسْرِهِ عَنِ التجلّي بِهِ. وقَدْ أَشَار النَّاظِم إِلَى هٰذَا المَعْنَى، في قصيدته المشهورة. حيث قال فيهَا:

نُقطةَ البَاءِ كُنْ إِذَا شِئْتَ تَسْمُو أَوْ فَدَعْ ذِكْر قُرْبِخَا يَا مُولَهُ

ويختمل أَنْ يُشِيرَ بنقطةِ البَاءِ هُنَا إِلَى العبودية؛ وهي التجلّي بالسُّفليات، دون العلويات. فإِنَّهَا سَبَب العِزِّ والاِرْتِفاع. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ومن وَبَالِ الوُقُوفِ مَعَ الْعَقْلِ أَنه يُبْطِىء السَّيْرَ لما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُبطِئْنَا عَنِ الصَّعُودِ لأَنَّهُ، يَوَدُّ لَوْ أَنَّ لِلصَّعِيد قَدْ أَخْلَدْنَا.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شأْنِ الْعَقْلِ، أَنَّهُ يُبْطِئْنَا؛ أي يَعوقُنَا عَن الصعود عَنْهُ إلى أَسْرار التوحيد الخاصّ. بالوقوف مَعَ دَلاَيْلِهِ. وَحُجَجِهِ؛ لأنَّهُ يَرَى أَنَّ مَا

أَدْركه لاَ غَاية فَوْقَهُ. وَأَسْرَارُ التوحيد الخاصِّ خارجة عن مدَاركِ العقول وإنما كَان يُبْطِئُنَا عن الصعودِ مِنْهُ إلى الترقِّي في مَدَارِجِ الأَسْرَارِ؛ لأَنَّهُ لا يُحِبُّ أَنْ نُفَارقَهُ. بَلْ يُحِبُّ بَقَاءَنَا فِي عقالِهِ أَبداً.

وكَذْلِكَ العوائد التي تَعوَّدْنَا بِهَا، لاَ نحب أَنْ نُفَارِقَهَا. وحُظُوظ النَّفْسِ لاَ تُحِبُ أَنْ نَخْلُدَ للصَّعيد؛ أَيْ نُقيمَ فِي عَالَمِ الأَشْبَاحِ، وهو عالم الصلصال حتَّى نبقى في قياده مَرْهُوناً مَعَهُ. فيشغلنا العقل بِعلومِهِ وفهُومِهِ وأوهامه وأَخْكَامِهِ. وتشغلنا العرائد بِالوقوف مَعَها. والنَّفُوس بالعكف على حظوظها. وكلُّ هٰذَا مَانِعٌ مِن إِشراق أَنوار التوحيد. والعروج إلى أَسْرَارِ التفريد. فَلاَ بُدَّ مِنَ الخروجِ عَنِ العَقل وخَرْق العَوَائِد، ومُخَالفة التفوس، وإلاَّ بقينا في عَالَم الأَشْبَاحِ مَحْجُوبِينَ عَن عَالَمِ الأَرْواحِ، مَسْجُونِينَ في ظُلْمَةِ الأَكْوَانِ عن شهودِ الْمُكَوِّنِ.

تنبيه: مَا ذَكرهُ الشَيْخُ مَنْ ذَمِّ الْعَقْلِ، إِنَّمَا هُوَ لِمُريد سُلُوكِ طريق الأَذُواقِ. فَلاَ بُدُّ أَنْ يَنْعَزِلَ أَوَّلاً عَنْ عَقْلِهِ وعِلْمِهِ وفَهْمِهِ، وينظر ما يُشير عليه شيْخُهُ. فَإِذَا رُجَّ بِهِ فِي نُورِ الحَضْرةِ، اسْتَغْنَى بِذَوْقِهِ عَنْ عَقْلِهِ، وَأَمَّا مَنْ قَنع بِمَقامِ الإِيمانِ، وَبَقِيَ فِي مُحلِّ الاِستَدْلالِ والبُرْهَانِ. فلا بُدَّ مِنِ اسْتِعْمَالِهِ والاِسْتِغْناء بِشَأْنِهِ فِي اسْتخراج البُرَاهين العَقلية والنَّقلية. فَمَا عُرفَ الإَلهُ إِلاَّ بِهِ. وَلاَ عُبِدَ إِلاَّ بِهِ. وفي الحديث: قَوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ اللَّهُ إِلاَّ بِهِ. وَلاَ عُبِدَ إِلاَّ بِهِ. وفي الحديث: قَوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ اللّهِ.

وَقَالَ عليه الصَّلاَة والسَّلاَمُ: «المَغبُونُ مَن أَخطأَ حَظَّهُ مِنَ العَقْلِ. وَلاَ تَوَصَّلَ النَّاسُ بشيء أَفْضَل منه في الدّنيا والآخرة» (٢). وقال أَيْضاً: «أَساسُ الدِّينِ الْعَقْلُ، وسَيدُ النَّاسِ أَعْقَلُهُمْ» (٣). وقال: «سيَّدُ أَهْلِ الجنَّة بعد الْمُرْسَلينَ أَفْضَلُهُم عَقْلاً. وأَفْضَلُ الناسِ أَعْقَلُ النَّاسِ» (٤). وقال: «مَوْتُ أَلْف عَابِدِ صَائِم النَّهَار قَائِم اللَّهُ أَمْرُهُ ونَهْيَه وَمَا أَحَلَّ لَهُ، وَمَا حَرَّمَ قَائِم اللَّهِ أَمْرُهُ ونَهْيَه وَمَا أَحَلَّ لَهُ، وَمَا حَرَّمَ

⁽١) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٤٦٢٩) [٣/٢١٧] والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٤٦٤٤) [٤/١٥٧] ورواه غيرهما.

⁽٢) و(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

⁽٤) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٣٤٧٦) [٢/ ٣٢٥].

عَلَيْهِ وانْتَفَعَ بِعِلْمِهِ ونَفَعَ بِهِ. وَإِنْ كَانَ لاَ يَزيد عَنِ الفرائِضِ التي فرضَ عليه كبير زيادةٍ»(١).

وقال ﷺ: "قَسَّمَ اللَّهُ الْعَقْلَ عَلَى ثَلاَثَة أَقْسَام، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ. وَمَنْ لَمْ تَكُن فِيهِ فَلاً عَقْلَ لَهُ: حُسْنُ المعرفة بِاللَّهِ، وحُسْنُ الطَّاعَةِ، وحُسْنُ الطَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ (٢). والعَقْلُ على قَسْمَينِ: عَقْلَ مَوْهُوبٌ، وَعَقْلَ مَكْسُوبٌ. فَالْمَوْهُوبُ هُو الَّذِي يَسْتَغْمِلُه صَاحِبُهُ فِيْمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ ويُعَرَّفُهُ بِهِ. والمكسُوبُ: الَّذِي يَحْسِبُهُ العَبْدُ بالتجارب والمِحَنِ. وَيَسْتَغْمِلُه صَاحِبُهُ فِي أُمُور دُنْيَاهُ، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثم أَخَذَ فِي ذِكْرِ تَطَوُّرَاتِه وتَحْوِيلاتِهِ فَقَال:

تَسُلُوحُ لَسَنَا الْأَطْوَارُ مِسْهُ ثَلاثَةً كَرَاءٍ مَرْئِسيٌّ وَدُوْقِةٍ مَا تُسلُسَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ العَقْلَ يَتَطَوَّرُ بِاغْتِبَارِ كَمَالِهِ وَنُقْصَانِهِ بِهِ، على ثلاثة أَطَوَارٍ: فَتَارة يُنْظَرُ فِيهِ بِاغْتِبَارِ الرَّائِي، أَي الناظِرُ بِهِ، فَيَتطَوَّرُ بِوصْفِهِ، فَإِن كَان النَّاظِرُ بِهِ كَامِلاً، اتصف عَقْله بالكَمَالِ، وإِن كَان نَاقِصاً، اتَّصف بالنقصانِ في الرائِي، باغتبار عِرْفانِهِ وإتقانِهِ. وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وصلاحِهِ وكَمَال طَاعَتِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّه، أَوْ باغْتِبَارِ جَهْلِهِ وضُعْفِ يَقِينِه، وحِرصِهِ وَطَمَعِه، وَفَزَعِهِ وَفِسْقِه، وَبُعْدهِ مِن رَبِّه، أَوْ باغْتِبَارِ جَهْلِهِ وضُعْفِ يَقِينِه، وحِرصِهِ وَطَمَعِه، وَفَزَعِهِ وَفِسْقِه، وَبُعْدهِ مِن رَبِّه.

فالعقلُ يَزْدَادُ نُورُه بِالطَّاعةِ، والنَّزَاهة والْعِفَّةِ، والتَفرُّغ مِنَ الشَّوَاغِلِ وينقُصُ بِالمعصية والحرص، وحبُّ الدُّنيا، والحظوظ واتَّبَاعِ الهَوى. كَمَا قال الشاعِرُ:

إِنَّارة العَقْلِ مَحْسُوفٌ بِطَوعِ الْهَوَى وَعَقْلُ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيراً

وتارة يُنظر فيها بِاغتِبارِ الْمَرثِي أَي المنظُور فِيهِ، فيتطوَّر بِنَعْتِهِ، فَإِنْ كَانَ علوماً نافعة، أَوْ أَحوَالاً سَنِيَّةً، يُريد التجلّي بِهَا، فيَنْظُرُ فِي سَببِهَا، أَوْ مقامات عالية يريد الرُّفيِّ إِلَيْهَا لِكَمَالِ، أَوْ مَعْرِفَةٍ كامِلَةٍ يريد الصُّعودَ إِلَيهَا. فيتفكّرُ بِعَقْلِهِ في معارجِهَا. فهذا العقل كَامِلُ لكمالِ المنظور فيه، وهو المُراد بِالمَرْثِيُّ، وإن كَانَ الْمَرثِيُّ أَي المنظورُ فيه ناقصاً كعُلومِ حَديثةٍ أَوْ فَلْسفية، أَوْ أَقوال فاسِدة

⁽١) و(٢) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

تُسَوِّس بِذْرةَ الإِيمانِ، أَوْ أَنْظار تخييلية أَو وَهْمِية لاَ حقيقية. وَقِسْ على هذا. فَهَذَا العَقل نَاقِصٌ باعتبار المنظور فِيهِ.

وتارة النظر بِاغتِبار مَا قُلْنَا فيما سَلَفَ، فَإِنْ كَان صاحِبُهُ مُريداً طريق الأذواقِ والْوُجْدَانِ فالنَظر بِهِ نُقْصانٌ، والوقوف معه خِذلان. وإن كَان قاصداً تصحيح مقام الإيمان على طريق الإِسْتِذلالِ والبُرْهَانِ، فَالنَظرُ بِهِ كَمَال. وَاعْتباره واجبٌ في البَرَاهِن التي لا تذرك إِلاَّ بهِ فِي بَابِهِ. وإِن أَيَّده بِأَنوار الشريعة مِنَ الكتَّابِ والسنة، فهو كمال الكَمَالِ؛ وهذا معنى قوله تلوحُ: أي تظهر لنا الكَتَابِ والسنة، تارة يتطوّرُ كراء بِهِ. وتارة كمرئي فيه. وتارة كرؤية ماءٍ. كما قلنا فيما تقدم من التفصيل والله أعلمُ.

ثم ذكر له النَّاظم أطواراً باعتبار الرأي فقال:

وَيَبْصُرُ عَبْداً عِنْدَ طَوْدِ بَقَائِهِ وَيَرْجِع مَولَى بِالْفَنَا وَهُوَ لاَ يَفْنَى

يعني أنّ العقل يتطوّر أيضاً باعتبار الرأي في مقام البقاء والفناء، والسلوك والجذب، فإن كان صاحبه في مقام البقاء الأوّل وهو مقام الحجاب، أَبضرَ العقل ورَأَى عبداً؛ لأنّ صاحبه عبد ما بَرح عن مقام العبودية؛ وهو السلوك الأول. وحقيقته: رؤية خَلْقٍ بِلاَ حتى. وإن كَان صاحبه في مقام الفناء، وهو: الأول. وحقيقته: رؤية خَلْقٍ بِلاَ حتى. وإن كَان صاحبه في مقام الفناء، وهو: الشهود حتى بلا خلق عند غيبُوبيته، ويُسمّى مقام الجذب، وهو: اختطاف العقل من شهود الكوّنِ إلى شهود المكوّن، أو من شهود الخلق إلى شهود الحتى فالعقل لا يفنى بفناء صاحبِه، وإنما يتغطّى نوره بنور شمس العزفان، كنور القمر مع الشمس، وكما أنه يتغطّى نوره بالخمرة الحسية، كذلك يَتغطّى بالخمرة المعنوية الأزلية. فإذا صحا المريد من سكرته، وخرج من الفناء إلى البقاء، رجع نور العقل إليه، فيميز بِه بين الحسّ والمغنى، وبين الحِكْمة والقدرة، وبين الشريعة والحقيقة، فيعطي كل ذي حقّ حقه، وكل ذي قسطٍ قِسْطه. فالبقاء الشريعة والحقيقة، فيعطي كل ذي حقّ حقه، وكل ذي قسطٍ قِسْطه. فالبقاء بقاء إلله؛ وهو شهود خلق بِحقّ. فمراد الناظم: الأول؛ لأنّ صاحبه عبد بقاء بالله: وهو شهود خلق بِحقّ. فمراد الناظم: الأول؛ لأنّ صاحبه عبد محض. وأمّا البَقَاء الثاني، فصاحبه مخيّرٌ. إن نظر إلى تَفْمِه رَأَى نفسه عبداً. موان نظر إلى معناه: رآه حرًا. فهو يتطوّر كيف يشاء، العبودية طوعُ يَده،

والحرية طوع يدهِ.

وهذا هو العارفُ الكامِل يطور العقل لوحاً وقلماً، كما أَبان ذلِكَ النَّاظِمُ بقوله:

وَلَوْحاً إِذَا لاَحَتْ سُطُورُ كِيَانِنَا لَهُ فِيهِ وَهُوَ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الأَذَنَى

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويبصر العقل أيضاً لوحاً، أي كاللوح المحفوظ إذا لاحت سُطُورُ الكَائِنَاتِ إذا صَفَا وتَطَهَّر نورهُ حتى اتصل بالعقل الأكْبَر؛ وهو أَوَّلُ نور فَيَّاضِ من بَحرِ الجبروتِ. وفي الحديث: «أَوْل ما خلق اللَّهُ الْعَقل. فقال له: أَقبلُ، فَأَقبَلَ ثم قال له: أَدبر فأُدبَرَ. ثم قال: فوعزَّتِي وجَلالِي لا أُعطيكَ إلاَّ لِمَن أَخْبَبْتُ مِنْ عبادِي، (١).

وهو حديث متكلِّمٌ فِيهِ بالوضع والضعفِ، ويُسَمَّى أَيْضاً لهٰذَا العَقْل: الرُّوح الأَعْظَم، فَإِذَا تَطَهِّرتِ الرُّوح، وَكَمُلَ صَفَاوْهَا، استولى نُورها على الكَاتِنَاتِ بِأَسْرِها. فالعَقل والرُّوحُ إذا كمُل تطهيرهما انطوى فيهما جميع الكَائنات وصار كاللوح المحفوظ، وإلى ذلك أَشار في المباحث الأصلية بقوله:

أَعْقِلْ فَأَنت نسخة الوجود لله مَا أَعْلاَكُ من موجود أَلَيْسَ فيكَ العرشُ والْكُرْسِئُ والْعَالَم الْعُلُوي والسّفليّ أنبت كَنونُ مِسْلُه صَعِيرُ

ومسا السكسؤنُ إِلاَّ رجُسلٌ كَسبيسر

وقال النظام في بعض أزجَالِهِ:

وَأَنت مرأى للنظر قطب الزمانِ وفيك يطوى ما انتشر مِنَ الأوانِي

وقوله هنا: سُطُور كياننا، أصْله كواننا، فجمع على أكوانٍ وَكِوَانٍ. أي يصير لوحاً، إِذَا لاَحَتْ سُطور أَكُوانِنَا لصاحبِهِ فيه: أيْ فِي عَقْلِهِ؛ وهو حينئذ اللُّوح المحفوظ الأذنَى والقلم الأذنَى: أي الأضغَر، إذِ الأكبَر هو اللُّوح المحفوظ؛ والقلم الذي يَكتب فيه. ومِن تصرُّفِهِ بالقلمية فِي لوحه ما ذكر الناظر

⁽١) روى نحوه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ذكر حديث الأواثل، حديث رقم (٤) [17/1].

في لوحه ما ذكر الناظم بقوله:

يَمُذُ خُطُوطَ الدُّهْرِ عِنْدَ الْتِفَاتِهِ إِحَاطَتُهُ الْقُصْوَى الَّتِي فِيهَا أُظْهِزْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا شَبَّه العقل بِالْقَلَم إِذَا اتَّصَل نوره بِالْعَقلِ الأَكْبَرِ يمدّ هذا العقل خطوط الدَّهر، فَيُجَلِّي فيهِ الْمَاضِي والآتِي والحال. فَكَأَنَّ الأَزْمِنَة قد كَتَبَت وسطرت في مرآته، من مدد نُورِه عند التفاتِه إِلَيْهَا فيرى الأول عين الآخر، والماضي عين الحال. إذ المتجلي في الأزمنة واحد، وهذه إحاطته القضوى، وغاية إدراكِهِ. وأما تفاصيل كنفيتها وما يقع فيها مِنَ المقدوراتِ، فمن شأن الرّبوبية؛ لأنّا في هذه الأزمنة ظَهَرْنَا، وظَهَر وجودنَا، فلا نعرف وراءه تَفْصِيلاً. وهي سِدْرة منتهى الْعقل.

كَمَا أَبَانَ ذَٰلِكَ النَّاظُمُ بِقُولُه:

أَتَــامَ دُوَيْــنَ الــدَّهْــرِ سِـــدْرَةَ ذَاتِــهِ وَنَحْنُ وَوَضْفُ الْكُلِّ فِي وَضْفِهِ صِرْنَا قَلْتُ: دُوَيْنَ: تَضْغير دون؛ وهو ظرف لأَقَامَ، والدهر عبارة عن مرور الفلكِ، وسِدْرةَ مفعول أقامَ. ونحن مبتدأ، وصِرْنَا خَبَرٌ. وفي وصفه متعلق بِهِ.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شأن العقل الأضغرِ، أَنه أَقَام سِدْرةَ ذَاتِهِ، ومنتهى عِلْمِهِ، دون إِحَاطَة الدَّهْرِ. وَمُرورِ أَفْلاكِهِ. فَلاَ يعرف ما وراءها من الأَسْرَار اللطيفة؛ التي لاَ نهاية لَها وَلاَ حدْ فوقاً وَلاَ تحتاً، وَلاَ طولاً ولاَ عرضاً. وَرُوي أَن ملكا اسْتَأذَنَ اللَّه تعالى أَن يصعد في هذه الأَسْرَار الخارجة عن العرش. فَأَذِنَ أَن ملكا اسْتَأذَنَ اللَّه تعالى أَن يصعد في هذه الأَسْرَار الخارجة عن العرش. فَأَذِنَ أَنْ ملكا اسْتَأذَنَ اللَّه سنة. فقال أَيْنَ أَنْتَ يَا رَب. فَقَالَ: «أَنَا مَعَكَ»، فَتَابَ وَطَلَبَ الرُّجُوعَ ثم طار ثلاثين أُخرى، فقال: أَيْنَ أَنْتَ يا رَب. فَقَالَ: «أَنَا مَعَكَ»، مَعَكَ، مَعَكَ، فَتَابَ وطلب الرُّجوعَ إلى عُشِّهِ، فَالعظمة المحيطة بكورة الكَوْنِ لاَ نِهَايَةً مَعَكَ، فَتَابَ وطلب الرُّجوعَ إلى عُشِّهِ، فَالعظمة المحيطة بكورة الكَوْنِ لاَ نِهَايَةً

فالعقل المعقول، مسجون بمحيطاتِهِ محصور في هَيْكُل ذَاتِ صاحبِهِ. فَلا يرى إِلاَّ حِسَّ الكَاثنات المحيطة بِهِ، ولو تكمل نورهُ واتَّصلَ بنور العَقل الأكْبَرِ لخرجَتْ فِكُرتُهُ عن دائرة الأكوانِ إلى شهودِ المكوَّنِ في دائرة مكوِّنَاتِهِ. وفيما خرج عَنْهَا مِنَ الأشرارِ التي أَحَاطَتْ بِأَفْلاَكِ الأَنْوَارِ. مع كَوْنِ العقل عاجزاً عن النّفوذِ إلى ما وراء أفلاكِ الدَّهرِ، فَقَد حَار النَّاس فِي أَفلاكِه، بل وصفه عموماً

وخُصُوصاً فَلَم يقفُوا على كُنْهِ حَقِيقتِهِ وَلاَ أَيْن مَحَله؛ وهذا مَعْنَى قولِهِ: ونحن وصف الكُلّ في وصْفه حِزْنَا. وأقرب ما قيل فيه: إنه نور لطيف يُدركُ به العلوم الضرورية والنظرية. قيل: محلّه الدّماغ؛ وهو مذهب الفلاسفة. وقيل محله القلب، لقوله تعالى: ﴿ فَتَكُونَ لَمُمُ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٠٩]. وجمع بعضهم بين القَوْلَيْنِ، بأن قال: محله القلبُ. ويتصل شعاعه بالدّماغ، بدليل أن الإنسان إذا ضُرِب في دماغِهِ، اختل عقلهُ والله أَعْلَمُ.

ثم ذكر النَّاظِمُ تطويراً آخر فقال:

يقبُّدُ بِالأَزْمَانِ للدَّهْرِ مِثْلَ مَا يكينف لِلأَجْسَام مِنْ ذَاتِهِ الأَيْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شَأْن العقلِ أَن يقيد الدَّهر بالأزمنة: بالماضي والمستقبل والحَالِ. فالحركة التي انْقَضَى من الفلك زمانها ماض، والآتية زمانها مستقبل، والحاضرة زمانها حال، ولؤلا العقل لاَسْتَوَتِ الأزمنة. أَلاَ تَرى أَنَّ غَيْرَ العاقلِ لاَ شعور له بهذه الأزمنة. فإذَا صَفَا نور العقل، وتَوجَّه لِمَوْلاَه، غَابَ عن المَاضي والمُسْتقبل، واشتغل بعمارة الأرضِ الوَقتَ الذي هو فيه.

وأما العَقل الأَكْبَرُ، فما عنده زمان واحد، لرؤيته للمتجلي به؛ وهو واحد. فصاحب الشهود غائب عن الماضِي والمستقبل والدّنيا والآخرة؛ لاستغراقه في شهود الحقّ الَّذِي لاَ يتقيد بزمّانِ وَلاَ مَكَانٍ، بل هو عين الكُلَّ موجود في الكُلَّ، فافهم.

من كَلاَم شيخ شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض رَسَائِلِهِ لَنَا: إِذَا حَصَلَتِ الرَّوِية، غَابَ الرائي، والدِّنيا والآخرة وغاب كل شيء، إلى آخر كلامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ومن شأن ذَاتِ العقل أَيْضاً، أَن يكيِّف للأجسام الأماكن والهيئاتِ. ولم ويميز بين الأشخاص والذَّوات، ويعرف ما كان مجموعاً في عَالَم الغَيْبِ. وما هو باق في جَمْعيتهِ في عَالَم الشهادة. إذ الوجود كله ذات واجدة وبحر متصل في الحقيقة بالعقل الأضغرِ الذي هو فرقُ ما كان مجموعاً؛ لأنه معقول ومحصور في عالم الجكمة فَلاَ يدرك ما غاب عنه في عالم القدرة. وأما العقل الأكبر، ويسمَّى أيضاً: الروح الأعظم، فإنه يَرَى الوجود كلَّهُ ذاتاً واحدة، وَهذه الأشكال والرُّسُوم، تلوينات وتطويرات، للخمرة الأزلية الكلية المتصلة بعضها

بِبَعض، وَلهٰذَا الذي قصده الشاعر في الشعر المتقدم بقولِهِ:

إلى وجود تراني رتقاً بِلاَ الْتَعَادِ وَلاَ اقترابِ

إلى هذا التكييف والتمييز أشار النّاظم بقولِهِ: مثل ما يقيد للأجسام أي يقيد الدُّهر بالأزمانِ تقييداً شبيهاً بتكييف الأجسام بالأين، والوصف.

وقوله: من ذاتِهِ، أيْ مِنْ ذَاتِ العَقْلِ وحقيقته الضعيفة كَيْف الأجسام والأَيْن والجهات؟ ولو قوي نوره، لاتَّصَلَ نَظَرُهُ بِكل الجهاتِ. وأَرَادَ بالأَيْن هُنَا مَا يَعُمُّ الذَّوات، والأَمَاكِن، والصفات، وسائر العوارض الجشمانية. واللهُ تعالى أَعْلَمُ.

ومما يُدركه العقل أَيْضاً على سبيل الإِجْمَالِ، بعض العوالم العلوية، كما قال النّاظِم:

وَعَرْشًا وَكُرْسِيًا وَبُرْجاً وَكَوْكَبا وَحَشُوا لِجِسْمِ الْكُلِّ فِي بَحْرِهِ عُمْنَا

يقول رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: ومما يُذركه العَقْلُ أَيْضاً من العَوَالِمِ العلوية، العرشُ والكرسِيُ أي شَخْصُهُ. ويميزهُ على ما أدركه من طريق السَّمْعِ وإلاَّ فَلاَ مُذركَ لَهُ لهذه الْعَوَالم الْغَيْبِية، بمجرَّدِهِ. ويدرك أَيْضاً البُرْجُ والكَوَاكبُ والمنازِلُ؛ وهذا أَمْر مشاهَدٌ بِالْبَصَرِ. وإنَّما شأنُ العقلِ فِيه التفصيل، وتدْقيق ما فيها مِنْ عَجَائِبِ القدرةِ، وأَسْرَار الحِكْمة. ويدرك أَيْضاً الحَشْو الذي بينهُما؛ وهو الفضاء الَّذِي بين العَرْش والكُرْسِيّ. وبين كل سَماءٍ وسمَاءٍ، وبين السَّمَاءِ والأرْضِ؛ هو الهواء الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، ولهذَا معنى قولِهِ؛ وحشواً لجِسم الكلِّ. أي ويدرك خشوا، المعنوية، وبين الأجسام العُلُوية، وبين العلوية والسَفلية، وبين العلوية والسَفلية، وبين

ثم ذكر الشيخ أَنَّ الخلقَ كُلِّهُمْ دائمُونَ، وسَابِحُونَ في بَحْرِ أَسْرارِ الذَّاتِ. بقولِهِ: في بَحْرِه عُمْنَا. أَيْ فِي بَحْرِ الكُلِّ عُمْنَا؛ وهو بَحْرُ الوَحْدَةِ؛ لأَنَّ بَحْرَهَا مُتَّصِلٌ والخلق فيه كالحُوتِ في المَاءِ. وإِن كَانُوا لاَ شعور لَهُمْ بِذَٰلِكَ فَمَنْ شَعَرَ بِذَٰلِكَ وَاتَّسَعَتْ نَظْرتهُ، بِذَٰلِكَ واتَّسَعَتْ نَظْرتهُ، واتَّسَعَتْ نَظْرتهُ، وَجَدَ الأَفْلاَكَ تدور فِي الشَّمْس والقمر، ويشرقان في فضاءِ قلبِهِ. كما قال النَّاظم في بَعْضِ أَزْجَالِهِ:

الفُلكُ فِيكَ يَدُورْ.. وَيَطْلَعْ وَيَلْمَعْ وقال غَيْرُهُ:

إِذَا كُنْتَ كُرْسِيّاً وَعَرْشاً وَجَنَّةً

وَنَسَاداً وأَفْسلاكاً تَسدُودُ وَأَمْسلاكاً

والشموس والبُدُورْ فِيكَ تغِيبْ وتطْلَعْ

وكُنْتَ مِنَ السُّرُّ المَصُونِ حَقيقَةً ﴿ وَأَذْرَكْتَ لَمْذَا بِالْحَقِيقَةِ إِذْراكاً فَفِيمَا التَّأَنِّي فِي الحَضِيضِ تَبَطَّوْأً مُقِيماً مَعَ الأَسْرَى أَمَا أَن إِسْرَاكا

أَي إِذَا كُنْتَ أَيُّهَا الآدمي جامعاً للهذِهِ العَوَالِم، وكُنتَ مِنْ عَيْنِ السرِّ المَصُونِ. وعيْن الكَنْز المَدْفون، وعَرَفْتَ أَنَّ لهٰذَا كَامِنْ فِيكَ، فَفِي أَيِّ شيءٍ لهٰذَا التأخير والتُّوانِي، عن النَّهوض إلى اللَّهِ، بحذفِ عَوَائِدِكَ، وجهادِ نَفْسِكَ، حتَّى تعرف لهٰذَا ذَوْقاً وكشفاً. وإلى كَمْ تَبْقَى في الحَضِيض من عالَم الأشباح تَثبّطاً عنِ العُرُوجِ إلى سَمَاءِ الأرواحِ مقيماً مع الأسَارَى، في أَيْدِي نُفُوسِهِمْ تَلْعَب بِهِمْ كيف شاءَتْ فما هٰذَا إِلاَّ الخُسْرَان المبين، أَمَا آنَ إِطْلاَقك من يَدِ نَفْسِكَ، وعُروجُك إلى فضاءِ شهودِ ربُّكَ. وفي الحِكَم: "وَسِعَك الكَوْنُ مِنْ حيث جثمانيَّتُكَ، ولم يَسَعْكَ مِنْ حَيْثُ ثبوتُ رُوحَانيتُكَ، وباللَّهِ التوفيق.

ثم ذكر النَّاظم فِي تطوير العَقْلِ أَيْضاً:

وَفَسْتُنَّ لأَفَسَلاَكِ جَسَوَاهِسرَهُ الَّسَذِي ﴿ يُشَكِّلُهُ سِرُّ الْحُرُوفِ بِحَرْفَيْنَا ا

قلت: فَتْقّ: مبتدأ، وخبره محذوف، أي من شأنه فتْق. والمسَوّغ: العمل وجَوَاهِرَهُ مَفْعُولَ بِهِ. والضمير للأفلاك. والمراد بها الجنس. ولو قَال جواهرها التي يُشَكِّلها لكَان أُحْسَن.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومِن شَأْنِ لهٰذَا الْعَقل: أَنْ فَلَّقَ الأفلاك الدَّائرة بكرة الأرض جواهرها. بأن أدرك محاسنها، وخواصها من مَنَافعها ومضارهًا. بقدرة الحكيم العليم لا على ما يزعمهُ أهل التنجيم. فقد جعل الحق سبحانه بقدرته وحِكمتِهِ لكلِّ فلكِ خاصية يقع بها التصرف في هذا العالم السُّفلي. وفي الحقيقة، إِنَّما التصرف لله الواحد القهَّار. وإنما ذلكَ منها أمارات وعُلاَمات، كما جعل في العشب، وجعل لنزول المطرِ أَمَارة، وغير ذلك مما هو مقرر في عِلْم الحِكْمَةِ، فَإِنَّ عَالَمَ الحِكمة مبنيِّ على الأسباب، والعِلَلِ، والحِكَم. وعَالَم القدرة في لحظة بِغَيْر علةٍ، وَلاَ سَبَبٍ لكن لِكلّ قدْرة حِكْمة؛ وهي رداؤها وصوانها في هذه الدَّار؛ التي هي محلّ التكليف.

ويسمى في الاصطلاح عَالَمُ الحِكْمة عالمُ الخلق، وعَالَمُ القدرةِ: عَالَمُ الأُمْرِ. كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَاتُقُ وَالْأَثَرُ ﴾. [الاعراف: ٤٥] فَعَالَم الخلق بالتدرج والأسباب. وعالَم الأمر كُن فيكون. لا يَبرز شيء من عَالَم الأمْرِ إلا بِردَاءِ عَالَم الخلق إلا ما كَانَ من الخوارق، كالمعجزات والكراماتِ في هذه الدَّار. الحكمة ظاهرة والقدرة باطنة. وفي دار الآخرة بالعكس، القدرة ظاهرة والجكمة باطنة، لا تصرّف لَهَا. فلذلك تظهر الخوارق للعام والخاصُ ؛ لأنها دار التصريف. وهذه دار التكليف. لتَظْهَر مزية الإيمان بِالْغيب هُنَا.

وهذه الجَوَاهر، أي الخوَاصّ التي فتقها العَقْل بِالأَفلاك إِما يشكلهَا في الأفلاكِ ويَبْرز منْهَا ما يَبْرز. فسِرّ الحروف الهجائية وكذلك الدَّراري^(۱) السبعة لها خَوَاصٌ وطبائع، على ما زعَمَه أَهْل التنجيم؛ ولها حروف من حروف العَجَم، تتصرف في باب الحِكمة، التي مَحَلُها الظاهر. وأمَّا في الباطِنِ، فما ثَمَّ إلاَّ اللَّهُ.

وقول النّاظم بِحَرْفينَا، لَعَلَّهُ يشير إلى حرف الألفِ والباءِ. فإِن جُلَّ أَسْرار الحروف راجعة فِي المعْنَى إِلَيْهِمَا؛ لأَنَّ الألف يشير إلى وحدة الذَّاتِ والباء تشير إلى وحدة الصفاتِ والأفعال: إِنِّي أنا الواحد الأحَدُ بِي كَانَ وبي يكون إلى الأبَدِ. وقول الشيخ زروق، يشير إلى اسْمه الظَّاهر والباطن لا مُنَاسبَة لهُ في هٰذَا المقام، فهو بعيدٌ. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثم ذكر النَّاظِمُ حكْماً آخَرَ للعَقْلِ فَقَالَ:

يُفَرُقُ مَجْمُوعَ الْقَضِية ظَاهِراً وَتُجْمَع فَرْقاً مِنْ تَدَاخُلِهِ فُرْنَا

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن شأن العقل أيْضاً أَنَّهُ يُفَرِّق مجموع القضية، أي يُفَرِّق ما أَصْله مجموع في قضية الخَمْرَة الأزلية. ففي الحقيقة، الوجود كله

⁽١) جاء في كتاب الصحاح للشيخ إسماعيل الجوهري: «قال الفاء: والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها: الدراري.

مجموع، ذات واحدة، وبَحْرٌ واحد متصل أوله بآخِرِهِ وظَاهره بباطنه وإنما جَاءَ تَفْريقهُ في الظَّاهر من ناحية العَقل، لقصر إِذْرَاكه. فَإِنما أَدرك الفروقات الكونية الحسية. وفاته المعاني المتصلة القديمة الأزلية. وهي المراد بمجموع القضية، ففرقَهَا ظاهرة. وهي مجموعة في فَرْقِهَا.

ولهذا مغنى قَوْلِهِ: "وتجمع فَرْقاً" فالجملة حالية. وفَرْقاً حال من ضمير تجمع: أي يُفَرَّق مجموع الخمرة الأزلية ظَاهراً، والحال أنها تجمع في حال فَرْقِها، فهي مفروقة ظاهراً مجموعة باطناً. ومن أُجل تداخل فَرْقها في جَمْعِها وَجمعها في فَرْقها فُرْنَا بالمعرفة الكَامِلَة، حيث مَيَّزنا بَيْنَهما، فَأَنْزَلنا الفَرْقَ فِي مَحَلِّهِ، وهو عَالَمُ القُدْرةِ وعالَمُ الذَّاتِ. مَحَلِّهِ، وهو عَالَمُ القُدْرةِ وعالَمُ الذَّاتِ. وكثيرٌ مِنَ النَّاسِ التَبسِ الأَمْرُ عليهم، فَوقَفُوا مع الفَرْقِ المخضِ. وحجبُوا بِهِ عَنِ الجَمْعِ، وبعضهم غَرِقُوا فِي بَحْرِ الجَمْعِ، وحجبُوا عن الفَرْقِ وهو نقصان الجَمْعِ، وبعضهم غَرِقُوا فِي بَحْرِ الجَمْعِ، وبالله التوفيق. ثم قال النَّاظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَعَدَّدَ شَيْنًا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَاحِدٍ بِأَلْفَاظِ أَسْمَاءٍ بِهَا شَتَّتَ الْمَعْنَى

قلت: هذا تقرير لمَا قبله، وتتميم لهُ. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن شأن العَقل المعقول، أَنه عدَّدَ شيئاً؛ وهو الوجود الحقيقي، وكثَّر فُرُوعَهُ. مَعَ أَنَّه لَمْ يَكُنْ فِي الحقيقة إلا شيئاً واحِداً، أَوْ ذَاتاً واحدةً. قال الشَّاعِرُ:

هٰذَا الوجود وإن تعدد ظَاهراً وحياتِكم ما فيه إلا أَنْتُمُ

ومغنى قوله: وعدَّد: أي اعتقد تعديده وكثرته. مع كونه واحداً في الأزلِ. كَانَ اللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ، وهو الآن على ما عليه كَانَ. وإنما تعدَّد لهذَا الشيء الواحد عند الْعَقْل بسبب ظهور ألفاظ الأسماء لمسَمَّيَاتٍ متعددة، كالسَّماء والأرْضِ والعرشِ والكرسي، وأَسْمَاء أَنْوَاع الحيواناتِ، والجَمَادات، فلكل شخصِ جزئي من لهذَا الوجودِ اسم يخصّه، ليتميَّز بِهِ وفي الحقيقة إنما هي تجليات، ومظاهر، للواحد الأحدِ، وفروع وتلوينات للخمرَة الأزلية.

وَفِي ذٰلِكَ يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ: تَجلَّى حَبِيبِي فِي مَرَاثِي جَمَالِهِ فَفِي كُلُّ مَرأَى للحبِيبِ طَلاَثِعُ

فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مِتنوَّعاً تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَهُنَّ مَطَالِعُ

وقوله: بما شَتَّتَ المَعْنَى أي بسبب تَعَدُّد هذه الأشياءِ، مَعَ أَنَّ المسمَّى واحد. فرَّق العَقلُ المَعْنَى أي اعتقد تفرقها ظاهراً؛ وهي مجموعة متصلة باطِناً. فبحر المعاني متصل، وأمواجه متفرقة؛ وهي مِنْهُ، بل عينهُ. والمراد بالمغنى: السرّ الأزّلِي اللطيف القائم بالأشياء الحسية، السَّارِي فيها. والأشياء الحسية، إنما هي تكلف للمغنّى اللطيف، الذي هو الخمرة الأزّلية، فلولا الحسّ، ما ظهر المعنَى. ولولاً المغنَى، ما قام لِلأَشياءِ وجود فالأشياء الحسية، حاملة للمعاني، ولهذا قال النَّاظِم في بَعْض أَزْجالِهِ:

لاً تَنْظر للأَوَانِي، وخُضْ بَحْرَ المعاني، لعلكَ تَرَانِي. وقال ابن الفارض في خمريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المَعَانِي والمعانِي بِهَا تَسْمُو

والمعاني تَسْمُو أي تظهر وترفع بِالأواني، فلا ظهور لها منها فَافْهَمْ واصْحَبِ الرَجَالَ. حتى يُدْخِلُوكَ بِلاَد المَعْنَى، فتفُوزَ بالحِسُّ والمَعْنَى. وللشَّيخ زرُّوقَ هنا خبطٌ يدلُّ على أنَّه لم يدخل بِهِ المَعَانِي وما فتح عليه فيها إِلاَّ في آخِرِ عُمرهِ كما تقدُّمَ. وبالله التوفيق.

ثم قال النَّاظمُ:

وَيَسْفُرُجُ بِالْمِسْوَاجِ مِنْهُ لِلْاَتِهِ لَنَطُويرِهِ الْمُلْوِي بِالْوَسْمِ أَسْرَيْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن شأنِ العقل أيْضاً، إِذَا اتَّصلَ بالطبِيبِ المَاهِرِ أَن يَعْرُجَ، ويُرفعَ عن عَالَم الحسِّ إلى عَالَم الْمَعْنَى. ومن عَالَم الأشباح، إلى عَالَم الأزْوَاحِ. ومن شهودِ المُلْكِ إلى شُهُوَدِ المَلكوتِ والجَبَرُوتِ. وَذلك بسَبَبِ عروجه عن رؤية حسِّهِ، إلى شهودِ مَعْنَاهُ. فالعروجِ والازتقاء إنما هو منهُ إِليْهِ. وهذا معنى قَوْلِهِ: منهُ لذاتِهِ أي من شُهُودِ حِسِّهِ الظاهر، لِرؤية ذاتِهِ الحقيقية والمعنوية. فليس الأمْرُ عنك خارجاً كما قال النَّاظم فِي بَعْض أَرْجَالِهِ:

وَإِلْيِكَ وَأَنْتَ مَعْنَى الْخَبَرْ وما دونك غَيْرِياً محل الفقر

أي الذَّاتُ. وإنما جاءهُ هذا الرفع والعروجُ المذكورُ لتطويره بالمقام العلوي، وهو محل الشهود والعيّان الذي هو مقام الإحسان. وإذا حققت الأمر لا تجد ازتفاعاً وَلاَ عروجاً؛ لأن الحق كان وحدهُ؛ وهو باقي وحْدَهُ. لكنَّ الوَهمَ أَبْتَ الغَيْرية والإثنينية فإذا ارْتَفَعَ الْوَهْم، والجَهْلُ، لم تجد إلاَّ الواحد الأحد في الأزّلِ وفيما لاَ يزال. ما تجلّى بهِ في الأزلِ، هو ما تجلّى في الأبد، من غَيْر زيادة وَلاَ نقصانٍ. إذا وقعَتِ الغَيْبَة عَنِ الأشكالِ والرّسوم التي هي وَرَاءَ الْكِبْرِيَاءِ. وهذا مغنى قَوْله: بالوَهم أَسْرَيْنَا أي إنما أَسْرَيْنَا وارْتَقَيْنَا، وثبت لنا في بسبب الْوَهم، وأمّا لَو ارتَفَعَ الوَهمُ وثبت الحقُ، لم يَبْقَ لأَحَدِ ارتِقاءُ ولا عُرُوجٌ، وهذا الوهمُ وإن كَانَ عَدَميّاً فَهُو حاصل في عَالَم الحكمة، وثبوته حق عُرُوجٌ، وهذا الوهمُ وإن كَانَ عَدَميّاً فَهُو حاصل في عَالَم الحكمة، وثبوته حق عُرُوجٌ، وهذا الوهمُ عالمًا لينس. فهو نَوْع من قَهْرية الحق الذي قَهرَ بِهَا عبادهُ كما قال في الحِكمِ: "هِمًا يَدُلك على وجودٍ قَهْرِهِ. أَنْ حَجَبَكَ عنه تعالى بِمَا لَيْسَ بِمَوْجودٍ مَعَهُ». وَباللَّهِ التوفيق.

ثم ذَكَرَ النَّاظِم نُزُوله لِلْعُبُودية، بالقيام بوظائف الربوبية فَقَالَ: وَيَهْ خَمُولُ بِالذَّاتِ أُهْبِطْنَا

يغني أنَّ العقل تارة يَرْتَقِي علوياً بعروجِهِ، من أَرْضِ الأشباحِ، إلى عالم الأرواح، في مقام الفَنَاءِ، وتَارة يُجعل سُفلياً بنزولِهِ من سَمَاءِ الحقوقِ إلى أَرْض الحظوظِ. للقيام بِآدابِ العبودية، في مقام البقاءِ ويُوهم إِذَا نَزَل إلى السفليات أنه المَجْعول سُفلياً بالذَّات حقيقة. وليس كذلك. إنما هو تنزَل وإظهار للعُبُودية مع كُونه علوياً حقيقة ذاتية. لأنَّ هٰذَا إنما هو تلوين للخمرة الأزلية تظهر التنزيل منها إلّهِيًّا، فهي علوية في سفليًها رفيعة في وَضْعِهَا.

قال شيخ شيوخنا سيدي على الجَمَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انظر يا أَخِي وتَأَمَّلُ هَذه الخمرة كَيْف كَملت فيها الأوصاف، وتوفَّرَتْ فيها الشروط، وكيْف كَمُل نُقصانها، كما كَمُل كمالها. سبحان من أظهرهَا بالكَمالِ في النَّقْصِ والكمال حتى صار الكُل كَمَالاً وَلاَ نَقْصَ». وكذلكَ «أنظر يا أَخِي ما أقربَهَا فِي بُعْدهَا. وَمَا أَبْعدها في قُرْبِهَا، وما أَرْفعها في سُفليَّها. وما أوضعها في علويّها. وما أَضْعَفَها في صغرها. وما أَصْعَرها في كِبَرِهَا. وَمَا أَقواها في ضُعْفِهَا. وَمَا أَضْعَفَهَا

نِي تُوتِهَا. وَمَا أَغْنَاهَا فِي فَقْرِهَا. وَمَا أَفَقَرَهَا فِي غناهَا. وَمَا أَعَزُها عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا أَضْعَفَ عَجْزِها عَن نَفْسِهَا، وَمَا أَضْعَفَ عَجْزِها عَن نَفْسِهَا» وَمَا أَضْعَفَ عَجْزِها عَن نَفْسِهَا» إلى آخِرِ كَلامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والمراد إِنْها تُسْتَر في حَالِ تجلّيهَا فَتُظهر من نَفْسِهَا النَّقْصَ؛ وهي في غاية الكَمَالِ ليَبْقَى السَّرُ مَصُوناً. والكَنْزُ مدفوناً.

وقوله أُهْبِطْنَا لعله حذف قُل أي يُوهم أَنه المَجْعول بالذَّات سُفلياً، ويُوهم أنه قد أُهْبطنا من عُشِّ الحَضْرَة الْعلية إلى أَرْض الحظوظ السّفلية. مع أَنْنَا لَمْ يَقَعْ لَنَا هُبُوطٌ. إِنَّمَا هُوَ شَرَف، زيادة في الارْتقاء؛ كَأَنَّ المُرِيد كُلَّما نَزَل لأَدَاءِ الحقوق، ارْتفع وارْتَقَى إِلَى دَوَام الشهودِ، لأَنَّهُ يَنْزِل بِالإِذْنِ والتمكين، والرسُوخ في اليقين، لا فِي المُتْعة والشهوة، والله أعلمُ بمرادِ الشيخ بقولِهِ: أهبطنَا، وأظنه تَصْحيفاً. إِذْ لَيْسَ فِي يَدِنَا إِلاَّ نسْخة مصحّفة ومن ظَهَرَ لَهُ غيْر ما قلْنَا فليلحقه بِالطَّرَةِ (۱)، وأَجْرُهُ على اللهِ.

ثم قال النَّاظِمُ:

يُقَدُّرُ وَصْلاً بَعْدَ فَصْلِ لِلْآتِهِ وَفَرْضَ مَسَافَةٍ يُحذُّ لَهَا الدُّهْنَا

قلت: وفرض عطف على وضلاً. ويحذُ بالذَّالِ المعجمة يقطع، الدَّهُ أَنَّ وَمِن بِالْفَتْحِ وَالْمَدُّ ويُقَصِر: الفلات كما في القاموس. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن شأن الْعَقْلِ أنه يقدر الوصول إلى حضرة الحق بعد انفضالٍ، كان بَيْنَه وبَيْنَهَا. وَهُذَا مِن جُمْلة وَهْمِهِ. إِذ لاَ انفِصَال وَلاَ بينونَة بيْنَ العَبْد وَرَبّهِ، وإِنما جَهْله هو الذي بَعْدَهُ في حال وصلهِ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الذي بَعْدَهُ في حال وصلهِ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْذِي بَعْدَهُ مَنَ وَنَقْلَا مَا تُوسُوسُ بِهِ فَشَيْمُ وَغَنَّ أَوْرَى إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿ وَلَقَدْ حَلَقْنَا المَحجوب اللهِ عَنْكَ وبيئة حتى تطويهَا رحلتكَ. وَلاَ قَطِيعة بينك وبَيْنَهُ حتى الحق ليس بمحجوب عنك. إنما المحجوب تمكومَ النظر إليه. إِذْ لو حجَبَه شَيْء لسَتَرَه ما حَجَبَهُ. ولو كَان له سَاتر، لكَان لوجوده حاصِر. وكل حَاصِر لشَيْء فهو لَهُ قاهِرٌ: ﴿وَهُو اَلْقَاهِمُ فَوْقَ عِبَادِوْدِ ﴾.

⁽١) طُرَّةُ الثوب: موضع هدبه، وهي حاشيته التي لا هدب لها، وطُرَّةُ الأرض أحاشيتها. وطرة كل شيء: طرفه. ومراد المصنف هنا والله أعلم: الحاشية.

[الانعام: ١٨] وقال أَيْضاً: «كَيْفَ يَخْتَجِبُ الحقّ تَعَالَى بشيْءٍ. والذي اخْتَجَبَ بِهِ هُوَ فيه ظاهر، وموجود حَاضِرٌ. فتحَصَّل أَنَّ الحق تَعَالَى لاَ حَاثِلَ بيْنَكَ وَبَيْنَهُ. وَلاَ فَصْلَ وَلاَ بينونة، كما قال الْقَائل:

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنُ فَمَا ثَمَّ مَوْصُولٌ وَلاَ ثَمَّ بَائِنُ

فَالْعَقْل لضعفه هو الَّذِي يُقَدِّر الوصلَ، بعد الفَصْل لذاتِهِ عن حَضرة الحقُ. ويُقدر أَيْضاً: فرض مسَافات وَمَهَامِه بَيْنَهُ وبيْن الوصول إلى الحق، يقطع لأجلها الفلوات والمفاوز من الأرْضِ. وهذا كُلّه استعارة وكناية عن قطع مألوفَاتِ النَّفس وَعَوَائِدِهَا. والخروج عن الطبع البَشري الذي يحجب عن شهُودِ الحقّ، والنفوذ من شهُود حسِّ الكَائنات إلى مَسَافة المَعَانِي. قال الشطيبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شَرْح الحِكَم: واعْلَم أَنَّ طريق اللَّه تعالى، لَيْسَ فيه مَفَازة، وَلاَ متاهة، بل هي مَنَازلٌ وأُخوالٌ، قد جعل اللَّهُ لجميعها أغواناً وأنصاراً؛ هو سبحانه يصدق وَعْدَهُ، وَيَنْصُر عبْدهُ. ويَهزم الأحزابَ وحْدَهُ. وإنما المَفَاوزُ والمَسَافَات في الرّكُونِ إلى المَالوفاتِ واتباع العادات. وفي مسامحة النَّفس في الوقوف مع الحسِّ والحَدَس. وعن كشف الغطاء يتبيَّن ذلِك. وعن قطع هذه المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَازل والمَنَاهل، كما قال في المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَازل والمَنَاهل، كما قال في المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَازل والمَنَاهل، كما قال في المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَاذل والمَنَاهل، كما قال في المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَاذل والمَنَاهل، كما قال في المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَاذل والمَنَاهل، كما قال في المالوفات ورياضة النَّفْس عبْرُوا بالسَّيْر والمَنَاذل والمَنَاهل، كما قال في

وَإِنْهُ مُسَافِرُونَا فَاخْتُ مُسَافِرُونَا فَافْتَ فَسُرُوا فِيهِ إِلَى دَلِيلِ فَافْتُ مُسَافِدُ وَلَيلٍ قَد سَلَكَ الطَّريقَ ثُمَّ عَادَا

لِحَضْرَةِ الْحَقُ وَظَاعِنُونَا ذِي بَصَرِ بِالسَّيْرِ وَالْمَقِيلِ لِيُخْدِرَ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَفَادا

ومن شأنِ الْعَقْلِ أَيْضاً، إِثباتُ المَعِيَّةِ، وَالاِثْنَيْنِيَّةِ، بِمشْفعية الآثَارِ. كما قال النَّاظِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يُجَلِّي لَنَا طَوْرَ الْمَعِيَّةِ شَكُهُ وَإِنْ لَمَعَتْ مِنْهُ فَتُلْحِقُهُ الْمَيْنَا وَيُلْحِقُهُ الْمَيْنَا وَيُلْحِقُهَ الْمُنْنَا وَيُلْحِقُهَ الْمُنْنَا

قُلْتُ: شَكُهُ: فَاعِل يُجَلِّي. وأَطْلَقَ الشَّكَّ هُنَا عَلَى مُجَرَّدِ الْوَهْمِ، وَفَاعِلُ لَمَعَتْ مَحْذُوف. أي أنوار الخلائق. والمَيْن: الكذب الملوّح. اسم فاعل،

والمثنى بِضَمّ الميم اسم مفعول. والجملة حَالٌ. يقول رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: يُجَلّي أَيْ يُظْهِرُ نُورُ العَقل لنا طور المعية. أي وُجودها وثبوتها وذلكَ أَنهُ لمّا أثبتَ الأَثرَ، أثبت نَفْسَهُ مَعَ اللّهِ لزمَهُ وُجُود الْمَعِية، والأثنينية. وهي حَال عند المحققينَ من أهل التوحيد الْخَاصِّ. قال في الحِكَمِ: «ما حجبك عن الله وجودُ موجودٍ معهُ». وقال أيْضاً: هوجودٍ معهُ». إذ لا شيء مَعهُ. وإنما حجبك تَوَهمُ موجودٍ معهُ». وقال أيْضاً: «الأكْوان ثابتة بإثباتِهِ. ممحوة بِأَحدية ذاتِهِ». وإن لمَعت من العقل أنوار تلك الحقائق، مَحَتْ تلك المعية، وأثبَتَت الوجود لِلْواحدِ الأحَدِ. فَتُلْحِقه الْمَيْنَ والكَذب في اعتقاد المعية والإثنينية. وتثبت الْوَترية للوثر الْفَرْد. قال الناظمُ في بغض أَزْجَالِهِ:

وَبِــــرَوْحِ وَرَاحٍ عَادَ شفعي وتُري

أي وبرَوْحِ الوصالِ، وشُرْب خَمْرة الأزل؛ صار شَفْعِي؛ وهو اعتقاد وجودي مع الحق وتري، حتى امتحى وُجُودي فِي وُجُودِهِ. فنبتَتِ الوترية التي كَانَتْ ولم تَزَلْ وَوهْمُ الْعَقْلِ أَثبت ضِدَّهَا. فَإِن قلت: قوله تعالى: ﴿وَهُو مَعَكُمُ لَانَتْ ولم تَزَلْ وَوهْمُ الْعَقْلِ أَثبت ضِدَّهَا. فَإِن قلت: قوله تعالى: ﴿وَهُو مَعَكُمُ أَيْنَ مَا كُثُمُ ﴿ وَالْعِلْمِ قُلْنَا: الله عَالَم الحِكْمةِ وهو محلُ التشريع. وعالمُ الخطابُ وَارِدٌ من عَالَمِ القدرة، إلى عَالَم الحِكْمةِ وهو محلُ التشريع. وعالمُ الحِكمة هو عالمُ الأَشباحِ ويُسمَّى عالمَ الْفَرْقِ، وعَالَمَ الأَنْرِ، وعَالَم الحسّ، الحِكمة هو عالمُ الأَشباحِ ويُسمَّى عالمَ الْفَرْقِ، وعَالَمَ الأَنْرِ، وعَالَم الحسّ، وعَالَم المُلْكِ. أثبته تَعَالَى بِحِكمَتِهِ لتظهرَ فيه آثَارُ صفاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وتظهرَ فيه آداب العبُودية للرُبوبية إذ المَلِكُ بِلاَ رعية نَاقصٌ. فأثبتها فَرْقاً، ومحاها بِأَحدية المِلوثِ، فَلا يَرُونَ إلاَ اللّه.

وأَهْلِ الشرائع يَنظرون لِعَالَم الحِكْمَة، فَيُثْبَتُونَ الأَثَرُ والمُؤثِّر. وعليه وَرَدَ الخطاب بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَبْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾. [الحديد: ٤] قال العارف الرَّبًانِّي، الإمام الْوَرنْجبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما نَصَّهُ: في هٰذه الآية مَقَامَانِ: مقام الجمع، وَمقام إِفراد الْقِدَمِ عَنِ الحُدُوثِ. فَمن حيث الوَحدة والقِدَمُ، تتصاغر الأخوانُ، في عِزَّة الرَّحْمَن من سطوات عظمته، حتى لا يَبْقَى أثرها. ثم قال: ومن حيث الجمع، أثر نور الصفة، بنور العقل، ونُورُ الصَّفَةِ قائم بِالذَّاتِ.

فتجلّى بنورو لفعلهِ من ذاتِهِ وصفاته. ثم يتجلى من الفِعْلِ، فترى جميع الوجود مِرْآةَ وجودهِ، وهو ظَاهر بكلٌ شيءٍ، من كل شيءٍ، لِلْعُموم بالفعل، وللخصوص بِالاسمِ والنَّعْتِ، ولخُصُوصِ الْخُصُوصِ بالصفاتِ. وللقَائِمِينَ بمشاهَدة ذاتِهِ بالذَّات. وهو تعالى مُنَزَّة عن البَيْنونية، والحلول، والافتراق، والاجتماع، وإِنَّمَا هُوَ ذَوْق العشق، وَلاَ يَعلم تأويله إِلاَّ اللَّهُ.

وحاصلُ كَلاَمِهِ أَنَّ المعية بِذَاتِهِ لذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ. وَلاَ يَفْهَمها إِلاَّ العَاشقونَ، أَهُلِ الفناء والبَقاء. وقوله: ويلحقها بالشركِ؛ أي يلحق العقل المعية التي أثبتها بِوَهْمِهِ بالشركِ الجليّ عند أهل الفنّاءِ من أهل الباطنِ. وبالشرْكِ الخفي، عند أهل الظاهِرِ من مثنوية، أي من أجْل مثنوية الأثرِ؛ الذي أثبته مَعَ الحقّ. يُلوّح أي يُظهر بِها ويعتقدها وَهُما وجَهُلاً. وهذا في عَالَم الحِكْمة، وهُوَ عالمُ الْفَرْقِ، وعَالَم التَّشْريع. وأمَّا فِي الحقيقة؛ فهو المُلوِّح أي المُظهر للإثنينية سرَّ الأسرار رُبُوبيته. أن تُبْتَذَل بالإظهار. ويُنَادى عليها بِلِسَان الاشتهار؛ وهو أيْضاً المُثنّى، الذِي صارَ شفعاً بِاعْتبارِ الأثرِ؛ فهُو الظَّاهِرُ في بُطُونِهِ، والباطن في ظهورِه، وباللَّه التوفيق.

ثم ذَكَرَ النَّاظم حجاب العَقْل والرَّوح عن سِرَ الوحدة. بعد أن كَانَتْ عَارِفة بِهَا فَقَالَ:

فَنَحْنُ كَدُودِ الْقَرِّ يَحْصُرُنَا الَّذِي صَنَعَنَا لِدَفْعِ الْحَصْرِ سَذَنَّ لَنَا مِنًا

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فنخن كَدُود الْقَزُ أي دود الحرير؛ لأنها تبدو أولاً ظَاهرة مُطلقة لا حجاب عَلَيْهَا، ثم تنسِج على نَفْسها مِن حَريرهَا. كذلكَ الأَرْوَاحِ الإِنْسَانية، تبرز لهذا الْعَالَم على الفِطْرة الأصلية لاَ حجَابَ عَلَيْهَا. ولذَلِكَ نَرَى الصّبْيَانَ ينطقون بالمغيباتِ، وبالحكم الباهرة، فَإِذَا بَلَغت الرُّوحُ. وكمل عَقْلُهَا نظرت إلى هٰذَا الْعَالم السّفلِي. وعشقت فرُوقه. وتاهَتْ فِي حُظوظها وشهواتها، فكلما زَادَتْ فِي تياهِهَا تَرَاكم حجابُهَا. فمنها من يتراكم عليها حجاب الظلمة، كظلمة المعاصِي والمساوىء؛ وهم العَوَام. ومنها من يتراكم عليها حجاب الأنوار، كالإشتغال بِالعلوم النقلية والرَّسمية، والعقلية. يتراكم عليها حجاب الأنوار، كالإشتغال بِالعلوم النقلية والرَّسمية، والعقلية.

وكالوُقوف مع حَلاَوة الطَّاعاتِ، وظهور الكَرَامات، وتحقيق المقامات. كما هُوَ شَأْن العُبَّادِ والزُّهَّادِ، والمُسْتشرفينَ على علم الحقيقة، وهذا أَيْضاً حجاب عظيمٌ؛ ولذا قيلَ:

أَشدُ النّاس حجاباً عَنِ اللّهِ العلماءُ ثم العبّاد، ثم الزُهّاد، فَهُمْ يعملونَ في خلاصِ أَنفُسهِمْ مما يظنّونَ؛ وهم في الحقيقة يزيدون في حجَابها، وهذا مَعْنَى قوله: يحصرنا الّذِي صَنَعْنَا، لدَفْع الحَصْر. أيْ يَحْصُرُنَا عن مَيَادِينِ الغُيُوبِ وفضاءِ الشَّهُودِ الذي صَنَعْنَاه من الطاعاتِ لدفعِ ذلكَ الحصر. فهو أي ما صَنعْنَا سَدْن، أيْ حجاب لَنَا مِنًا لأَنفُسِنَا والخلاصُ من هٰذَا الحجاب، التضرّع إلى اللّهِ في العُثور على الطبيب؛ وهو شيْخ التربية النبوية فيلقي إليه زمام نفسه، ويَلْزَم خدمتَهُ وصحبَتَهُ، حتى يقول له: هَا أَنْتَ وَرَبكَ. فيخرجه من حَصْر الأكوانِ إلى فضاءِ العيَانِ فتخرج فِكرَته عن دَائرة الأكوان، ويسقط عنه الحجاب بالكلية. فَلاَ يزال في الترقي أَبداً على مُرُورِ السَّاعة والأيام. وَأَمَا مَن لم يَسْقُط على صاحبِ التربية، فَلاَ يزيد في مُرُور أيامه وأَنْفَاسِهِ إِلاَّ حجاباً، وغطاء عن أَسْرَار غوامضِ التوحيد. وكُلُّ ما يفعَلهُ في علاج نفسِهِ، عبَثُ وضَرْب في حديد بارِدٍ.

وتأمل بعض ما قَالَهُ بَعْضُ الفقرَاء، وأظنه الشيخ زروق بنفسِه. كما نقله عنه في كفاية المحتاج، في تَرْجمتِه، قال: طُفت المشارق والمغارب في طلبِ الحقّ، واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس، وتخيّلتُ بقدرِ الحقّ، واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس، وتخيّلتُ بقدرِ الإمكان في مرضاةِ الحقّ. فما طَلَبْت قرْبَ الحق بشيء، إِلا كَان مُبْعِدِي عَنهُ، لروية نَفْسِي، وَلاَ عَملت في معالجة النفس بشيء إِلا كَان معيناً لها عَليَّ. وَلاَ توجّهت لإِرْضَاءِ الخلقِ بشيء، إِلا كَانَ سَبَبَ عَدَاوَتِهِمْ لِي. فعدتُ إِلَى الاستشلام، فَخَرَجَ لِي منه رؤية وجودِي؛ وهو رَأْسُ الْعِلَلِ فطرحت نَفْسِي بين يَدَي الحقّ طرحاً لاَ يَصْحَبه حَوْلُ وَلاَ قوّةٌ فصحٌ عندي أنَّ السَّلاَمة في كل شيء، والتَّبري مِن كل شَيْء، وإنما الغنيمة مع كل شَيْء بالرجوع إلى اللَّه بكل شيء، اعتباراً بالقدرة وإثباتاً للحكمةِ، وقياماً مع الطّباع، بِشواهِدِ الانطبَاعِ إلى شيء، اعتباراً بالقدرة وإثباتاً للحكمةِ، وقياماً مع الطّباع، بِشواهِدِ الانطبَاعِ إلى تمام كَلاَمِهِ. نقله هنا الشيخ زروق عن بَغضِ الفقرَاءِ، وأَظنُه عَنَى نَفْسَهُ واللّهُ أَعلمُ. كما نقله الشيخ أحمد بابا السودانِي في ترجمتِهِ.

وإنما تعطّل الفتح على الشيخ زروق، لقلة صُحْبيهِ لشيْخهِ الحَضْرَمِي. فقد قال عن نَفْيهِ إِنما صحبه أَوَّلاً سَبْعَة أَشهُر، أَو نحوهَا، ثم انْفَصَل عنهُ، ثم رجع لزيارتِهِ. فبقي معه ثمانية أَشهُر. فكان المجموع من صحبته خَمْسة عشر شهراً أو نحوها. قال: وانتفَعْتُ بِهِ انتفاعاً لا يخفَى. قُلْتُ: هذه المدَّة لا تسلخ المريد من كلِّ طبْعِهِ، وَلاَ تخرجه عَنْ عِلْمِهِ وَعَوَالِمِهِ، لاَ سيَّمَا وقد كَان مُتَعَلغلاً فِي الْعُلُومِ النَّقلية والْعقلية. فلا يسلخه مِنها إِلاَّ طول الصحبة بِالصَدْقِ والخِدْمَةِ، والتجريد، كما هو مجرَّبٌ فِي شَأْنِ أَمْثَالِهِ. وقد كَان شيْخُهُ يكاتِبهُ بشيء من الحقائق؛ فلمَ يَهْتد إلَيْهَا؛ لأَنَّهَا لاَ تؤخذ بمجردِ الْعِلْمِ، إنما تُؤخذُ بالسراية مَعَ الصدق والتحقيق.

واعْلَمْ أَنَّ كثيراً مِنَ العلماءِ صحبُوا المشايخ العَارِفِينَ، ولم يَنَالُوا مِن حقائقهم شيئاً؛ لأَنهم كَانُوا يصحبونَهم على نَظَرِ نفوسِهمْ، على نَظَر المشايخ. فإذَا أَمرُوهم بشيءٍ، أَوْ نَهَوْهُمْ عن شيءٍ وزَنوهُ بميزَانِ شريعتهم. فما وافق نظرهم قبلوهُ. وما خَالَفَ ردُوهُ. فلم يغرقوا في بَحْرِ أَسْرَارهم والله تعالى أَعْلَمُ.

ثم ذَكَرَ النَّاظِم ما يفيده العقل من نَقْصِ وكَمَالِ، باغتِبَار صاحبِهِ فقال: فكَمْ وَاقِفِ أَرْدَى وَكُمْ مِنْ مُمْلِقِ أَغْنَى فَكَمْ وَاقِفِ أَرْدَى وَكُمْ مِنْ مُمْلِقِ أَغْنَى يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شأن العَقْل: إنه ظَهَرَتْ على الْخَلْقِ منْهُ آثار

مختلفة، فَمِنْهَا ما هو خَسْرَان ومِنْهَا ما هو رِبْحٌ، فكم واقف معَهُ، ولم يَنفذ إلى ما وَرَاءَهُ من الأَسْرَار الخارجة عن مَدَارك العقول.

أَرْدَاه: أي أَهْلَكَهُ وَأَوْقَعَهُ فِي الرَّدَى: وهو بقاؤه مَعَ الحِجَابِ، أو أوقعه فِي انجِلال حيث وقف معَهُ وحكمه على نفسه، ولم يقبل من العَقَائد والأخكَام، إلاَّ مَا أَذْرَكه عَقْله، كما فَعَلَتِ المغتزلة، وضَلُوا، وأَضَلُوا. فقدَّمُوا العَقل على صحيح النقل مِنَ الكتاب والسنَّة، فَرَدُّوا الأحاديث الصحيحة، لمَّا خَالَفَتْ قواعد عقلهم وأوَّلُوا الآيات الصريحة، لتطابق ما أدركته عقولهُمْ، وهو زَيْغ وَإِلحادً.

وكَمْ سالكِ هداه الله إلى طريق الوُصُول حيث ميَّزَ بِهِ مَا يضرَّه وما ينفَعُهُ،

فترك ما يَضره، وهو كل ما يُشغل عن ربِّهِ واشتغل بما ينفَعُهُ. وهو كل ما يُقرِّبُهُ مِن رَبِّهِ. وإِذَا لاَحَ شَيْءٌ مِنْهُ، وَزَنَهُ بِالكتابِ والسَّنَّة. فطبَّق بيْن المعقول والمَنْقُول وإِذَا تَعَذَّرَ الوفاقُ بيْنهُمَا، قَدَّمَ مَا وَرَدَ في الكتابِ والسَّنَّة، وحَكَم على العقل بِالضَّغفِ، وكَمْ حِكْمة أَبْدَى لصاحبِهِ، حيث نوره بطاعةِ ربِّهِ، ومخالفة هَوَاهُ فإن العَقل إِنَّما عَقَل صاحبَه عَنِ الْهَوَى، ونطق بينابيع الحِكمة.

وفي الحديث: «مَنْ زَهِدَ في الدَّنيا أَرْبَعينَ يوماً نَطَقَ بِالحِكْمَة» (١). وقال أَيْضاً عليه السلامُ: «مَنْ أُعْطِيَ زُهْداً وصمتاً حسَناً فاقرَبُوا منْهُ، فإنه يُلقَّى الحِكْمَة» (٢). أَوْ كَما قال عليه السَّلاَمُ.

والحِكْمَةُ الإصابة في الشيء. وقيل: إتقان الشيء وَإِبْداعهُ وَمَحلَّها القلْبُ وتظهر آثارها على الجوارح. ففي العبد مثلاً بالصَّنَائِع العجيبة، وفي اللسانِ بالمعانِي الغَريبة، ولذلك يُقال: نَزَلتِ الحِكْمَةُ عَلَى ثلاثة أَعْضَاءٍ في الجسد: على قلوب اليونانِ، وعلى ألسنة العَرَبِ، وعلى أيْدِي أَهْل الصَّينِ فَإِنَّ اليُونَان قَدْ أَعْطوا الأَنْظَارَ فِي العَقْليَّاتِ واسْتِخْراج البَرَاهِين المنطقيات.

والعَرَبُ قد أُعْطُوا الحِكمَة في أَشعارها وخطبِها، وأَهْل الصَّين قد أُعْطُوا الصَّنائع البَدِيعَة فِي البُنْيَانِ والنَّقْشِ والأوَانِي الرفيعة. وكَمْ من مُمْلِيّ أي فقير أَغْنَى أي صَيَّرَه غَنِيّاً؛ وذَلِكَ حيث دَلَّهُ على صحبة العارفينَ وَوَصَّلهُ اللّهُ إِلَيْهم، فإنهم يُغنُونَهُ بالنَّظرِ. وقَدْ قال الشيخ أبُو الحَسَن الشَّاذلِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «الخلوة معنا نفيسة توجب غِنَى الدَّاريْنِ». وقال أَيْضاً: «طَرِيقنا طريقُ الغِنَى الأَّكْبَر». وقال أَيْضاً: «طريقنا طريقُ الغِنَى الأَكْبَر». وقال الشيخ أبُو العبَّاس المرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما بيني وبين الرَّجُلِ الأَنْ أَنظرَ إليه وَقَدْ أَغْنَيْتُهُ». وكل زَمَان له رِجَال يغنون. فالْعَقل الذي جَرَّ صاحِبَهُ للدّخول مَعَ الأغنياءِ بِاللّه هو العَقْل المغني.

⁽١) أورد نحوه الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال، حديث رقم (١٤٥٧) [٥٠٧٠/٥] والذهبي في ميزان الأعتدال، رقم (٥٢٦٠ ـ ٥٣٦٥) [٤١٣/٤].

⁽٢) روي نحوه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٠٥٢٩) [٧/٣٤٦] وابن أبي عاصم في الزهد، حديث رقم (٢٣١) [١١٧/١] ونصه: ﴿إِذَا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة».

وقال بَعْضُ الحُكَمَاء: ﴿ خَيْرُ مَا أُعْطَى الْمَرْءُ عَقْلٌ يَزجُرُه، فَإِن لَمْ يكن، فمالٌ يسْترهُ، فَإِن لم يكُنْ فحيّاء يَمْنعهُ، فإِنْ لَمْ يَكُن فصاعقة تحرِقهُ ليستريح منه البلاد والعباد». ولأجل ما ظَهَر عليه من المنّافِع، اعْتَنَى بشأنِهِ كبار الفلاسفة وغيْرهم.

كما قال النّاظم:

وَتَئِيمَ أَلْبَابَ الْهَرَامِس كُلُّهُمْ وَجَرَّدَ أَمْشَالَ الْسَعَوَالِم كُلُّهَا وَحَامَ رُسُطُو حَتَّى مَشَى مِنْ هُيَامِهِ وَكَانَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ حَوْناً عَلَى الَّذِي

وَحَسْبُكَ مِنْ بُقْرَاطَ أَسْكَنَهُ الدُّنَا وَأَبْرَأَ أَفْلاَطُونَ فِي أَمْثَلِ الْحُسْنَى وَبَثَ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ وَمَا ظَنَّا تَبَدَى لَهُ وَهُمُ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: وَتَيْمَ الْعَقل أَلْبَابَ الْهَرَامِس؛ أي أَخَذَ قلوبَهُمْ، حيث صَرفُوا عَنان عِنايتهم لِشَانِهِ. والْهَرَامِس: الفلاسفة والكفَّار منهم، وجُلهم كَانُوا من اليونَانِ. وفي القاموس، الهِرْماسُ بِالكَسْرِ: الأَسَد الشديد الْعادِي على النَّاس كالهرمس والهَرَامس. ولعل تسمية الفلاسفة بِذلكَ لشدَّة عُقُولهم أو لعُدُوانِهِمْ، إذ جُلُهم كفَّار. وَحَسْبُكَ مِن بُقراطَ أَنَّهُ أَسْكَنه الدَّنَا أيْ ويكفيكَ في العَقْلِ أَنّهُ أَسْكنه الدَّنَا أيْ ويكفيكَ في العَقْلِ أَنّهُ أَسْكن بُقراط الحكيم الدَّنَا أي الجَرَّة: وهي الآنية الكِبِيرة التي تُغْرسُ في الأَرْضِ أَسْعُلها ضيقٌ وأَعْلاَهَا واسِعٌ ويُقَالُ لهَا: الرَّاقود، وفي القاموس: الدَّنُ: الرَّاقود العَظِيمُ. ثم قال: لا يَقْصد إلاَّ أَنْ يخصر لهُ. وظاهِر إطلاقِهِ، أَنَّهُ بفتح الدَّالِ كما هُوَ اصْطلاحُهُ وذٰلِكَ أَنْ بُقرَاط دَخلَ جرَّة وجَلَس فيها ليَخصر فِكْرَهُ لئلا يشوش عقلهُ. وتقدَّم أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ موسى عليه السلامُ، فقيل لهُ: لوْ ذَهنبَ يشوش عقلهُ. وتقدَّم أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ موسى عليه السلامُ، فقيل لهُ: لوْ ذَهنبَ يُقلِه ليَاخِد منه الشريعة. فقال: نَحْنُ قَوْمٌ مهذَّبُونَ لاَ نَحْتَاجُ إلى أَخْذِ. فَأَرْدَاهُ عَيْدُ صَرَفَهُ عنِ التَّمَسُكِ بِأَنوارِ الشريعة فَكَانَ مِنَ الضَّالِينَ.

وقَولهُ: وجَرِّ أَمْثَال العَوَالِم، يَحْتَمِلُ أَنْ يعود الضَّمير على العَقْل، ومِن شَأْنِ الْعَقْل، أَنَّهُ جَرَّد العَوَالِم العلوية والسّفلية، وَمَيَّزَ بَعْضَها مِنْ بَعْضِ. وَيَحْتَمِلُ أَن يَرْجِعَ لأَفْلاَطُون، فإنه تكلم عن العَوَالم الحسية بعقله وحَدْسِهِ. فَإِنَّ عِلْمَ النّجُوم والأفلاك جلّه مأخوذ عن الفلاسِفة القدماءِ. يُقال: إِنه كَان بعْدَ الطّوفانِ بِقَريبٍ. ولعَلّه تمسَّك بشريعة نوح عليه السَّلامُ أو غيْره من الأنبياءِ، فلذلِكَ قال

النَّاظِم في حَقِّهِ، وَأَبْرَأَ أي أَنشأ العقل أَفلاطونُ فِي أَمثل الحُسْنَى، أي فِي أَفضَل الحسْنَى أي بعنه الحسْنَى أي جعله ناشئاً فِيهَا وَمُلاَزماً لَهَا إِذَا كَانَ مُوافقاً للحقِّ باعتقادِهِ على ما ذكره بعض من عَرَّف بهِ. قاله زروق.

وذكر ابن خلدون في شفاء المسائل؛ أنّ أفلاطون شيخ الصوفية، قاله الشيخ زروق، وفيه نَظَر؛ لأنه لَمْ يَذْكُر في هٰذِهِ الأَبْيَاتِ إِلاَّ فلاسفة الأقدمين. قلت: ثم رأَيْت في الإِنالة للتجيبي، أنه شيخ أرسطُو. ونَصُّهُ: وأفلاطون قال بحدُوثِ العالم، وتلميذه أرسطُو بِقدمِهِ. وأرسطُو من كبار الفلاسفة، ويُقال له: أرسطو طاليس. وهو أَحد المَشَّائين الذينَ كان مشيهُمْ على ساحِل البَخرِ لطلب الزيادة فيما بدا لهُ. فَكَانَ مشيهُ وهيامه طرباً مِما حَصَّلَ وطالباً ما لم يحصُلُ وهو مغنى قوْلِهِ. وَهَامَ رسطُو حتَّى مشَى مِن هيامه. ويقرأها رسطو بِحذف الهَمْزَةِ لِلْوَرْنِ. والهيام نَوْع من القلق في طربٍ. وقال في القاموس: الهيام كالمجنونِ من العشق.

وقوله: وبَثَ الخ.. أي أَنَّ أَرِسْطُو بث ما أَلقَى إليه عقله من العلوم والحِكْمَة. فَعَلَّمَهَا للنَّاس وَمَا ضَنَّ أَيْ بَحَل بِشيءٍ مِنْهَا، له كُتب فِي الطُّبُ وَالحكمة. وكَانَ وزيراً لذي القرنيْن فكان ذُو القرنيْن يستعين بِهِ في أُمور الحِكمة، وتدبير المملكة. وهذا مَعْنَى قوله: وكَان لذي القرنين عوْناً على الَّذِي تَبَدَّى لَهُ. أي كَانَ عوناً لهُ على ما ظهر له من المُلك. ما خَصَّهُ اللَّهُ به من تبير الأسْبَاب المبلغة لما قصده مِنَ الأوَابِي جمع أَوْبة. فكان يستعين به فِي عَالَم الحِكمة، وإِن كَان على غَيْر دينِه؛ لأَنَّ ذا القرنيْنِ الأَكْبر قيلَ كَانَ نبياً، أو رجُلاً صالحاً. وذكر أهل التَّفْسِير، أنه حجَّ البيت، فلقي سيدنا إِبْرَاهيم الخليل، وأَخذَ عنه الشريعة الحنفية.

وقوله: «وهُوَ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَ». يَختمل أن يكون أَرسْطُوْ هو الَّذِي طَلَبَ عَيْن الحياة؛ وهي التي مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لم يمت إلى آخِرِ الدَّهْرِ. ويحتمل أن يكونَ ذا القَرْنَيْن هو المشهورُ. فقد كَان يطلبُ عَيْنَ الحياة هو والخضر عليه السلام، فَعَثرَ عليْها الخضر وحُرِمها ذو القرنيْن، كما قال بعض المفسرينَ. أي ردَّ بحثَهُ عَنْهَا غَيْناً. بل وهُو الذي كَان يَبْحثُ عن أَسْبَابِ ما قد سمعتم في

القرْآن من جولانِهِ فِي الأرضِ، شرقاً وغَرْباً. وجوفاً وقبلة. ويبْحَث أيضاً عن عين الحياة، وبِبَحثه عَنْهَا، وجِرْصِهِ عليها حُرِمَهَا، وتغطَّتْ عَنْهُ. وَلهذَا مَعْنَى قوله: وبالبَحْثِ غَطَّى العَيْن إِذ رَدَّه غينا». أي ردَّ بحثه عنْهَا غَيْناً. أيّ غطاء وسِتْراً عَنْهَا.

وقال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وبالبحث غَطَّى ذو القرْنيْن العَيْن، أي الكشف الذي حَصَلَ لَهُ. فَرَدَّه غيناً. أي غِطَاءً وَغِشاء. أي: بحيث ظن الجاهل أنَّ ملكَهُ كَان مقيداً بِالأَسْبَابِ، وما كان كذلك بل مؤيداً بالْوَحْي إن كَان نبيتاً وبالإِلْهَامِ إِن كَانَ وليَّا. ثم قال: تنبيه: ذَكَرَ رِجَالاً مُرَتَّبِينَ على المواقف الأربعة. فبقراط من الواقفين مع العَقْلِ، وأَفْلاطون من السَّائرينَ بِهِ، وأَرسطُو من أهْل الحِكمة وذو القرنيْن من أهْل الغِنَى الأَكْبَر سواء قلْنا إنه نبيَّ أَوْ وَلِيَ فَتَأَمَلُ ذَلِكَ.

ثم ذكر النَّاظِمُ رِجَالاً اهْتَدَوا بِعقولِهِمْ إلى الْحَقِّ، مِنَ المِلَّةِ المُحَمَّدِية فَقَالَ:

وَذَوَّقَ لِللْحَلاَّجِ طَلَعْمَ اتَّحَادِهِ
فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ مَقَالِكَ قَالَ لاَ
وَأَنْطَقَ لِلشَّبْلِيّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي
وَكَانَ لِلشَّبْلِيّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي
وَكَانَ لِلدَّاتِ النَّوْفَرِيّ مُولِّها
وَكَانَ خَطِيباً بَيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ
وَكَانَ خَطِيباً بَيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ

فَقَالَ أَنَا مَنْ لاَ يُحِيطُ بِهِ مَعْنَى شرِبْتُ مُدَاماً كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا غَنَى شرِبْتُ مُدَاماً كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا غَنَى أَشَارَ بِهَا لَمَّا مَحَا عِنْدَهُ الْكُونَا يُخَاطَبُ بِالتَّوْحِيدِ صَيَّرهُ خِذْنَا يُخَاطَبُ بِالتَّوْحِيدِ صَيَّرهُ خِذْنَا فَقِيراً يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي فِيهِ قَدْ خصنا مَعَ الأَمْرِ إِذْ صَارَتْ فَصَاحَتُهُ لُكُنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وِذَوَّق الْعَقل حينَ تَنَوَّرَ، واتَّصَلَ نورهُ بِالعَقْلِ الأَكْبَر لِلْحَلاَّجِ وهو أَبُو مغيثِ الحسين بن منصُور، صَحبَ الْجُنَيْدَ والنّورِي وغيرهُما؛ وهو من أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ المحققينَ، غيْرَ أَنَّه غلب عليه الوُجْدُ، فَعَرْبَدَ فِي الحقيقة، حتَّى مَاتَ عَلَيْهَا. فَقَد ذَوَق له عَقْلُهُ طُعْم اتّحادِهِ، أي طُعْم فَنَائِهِ، فالاتحادُ يطلق على مَعْنَيْئِنِ، أَحدهما اختلاط ذَاتَيْنِ، حتَّى تَصِير ذَاتا واحِدةً؛ ولهذَا محالٌ فِي حقّه تَعَالَى. وَمَنِ اعتقده كَفَرَ، والنَّانِي يطلق على الوحدةِ الحقيقية. يُقال: اتّحدَ الشّيء إذا صَارَ وَاحِداً؛ وهو الَّذِي يعَبُر عَنْهُ الصوفية، ويَذْكرُونَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ.

فَهُوَ كِنَايَة عَنْ سقوط الغَيْرِية الإثنينية، فيفْنَى مَن لَمْ يَكُنْ، ويَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ. فقال الحَلاَّجُ حينَ غَابَ عَنْ وُجُودِهِ فِي شُهُود محبوبِهِ، أَنَا مَنْ لاَ يُحِيط بِهِ مَعْنى. أي أَنَا اللَّهُ الَّذِي لاَ تَحصُرُه معْنى، وَلاَ يحيط بِهِ وهُمٌ وَلاَ فِكْرٌ. وقال أَيْضاً مِنْ جُمْلة الكَلاَمِ والَّذِي قُتِلَ بِهِ: أَنَا أَنْتَ بِلاَ شَكْ. سُبْحَانَك سبحاني. توحيدك توحيدي، وَعِصيانَك عِصْياني، وقال أَيْضاً: ما في الجُبَّة إِلاَّ اللَّهُ، والَّذِي تعبُدون تحت قَدَمِي. فقيل له: ارجع عن مَقَالِك، وإلاَّ قتلك سَيْف والنَّذِي تعبُدون تحت قَدَمِي. فقيل له: ارجع عن مَقَالِك، وإلاَّ قتلك سَيْف الشريعة. فقال: لا، لأني شرِبْتُ مُداماً، أيْ خمرة قوية. كُلْ من ذَاقهَا غَنَى. لاَ سَيْمَا إِذَا شَرِبَ وسكر، وفي هذا مَنْ عَبَرَ عَنْ حَالِهِ:

سقوْنِي وقالُوا لاَ تُغَنِّي وَلَوْ سَقَوْا جِبَال حُنَيْنٍ مَا سَقُوْنِي لَغَنَّتْ

والنُطْق بِالأَنَانية صَارَ مِن كثير من الأولياء، في حال فَنَاثِهِمْ. قال بَعْضهُمْ: لقد قال كثير من الأولياء في مقام الفَنَاء، أَنَا. وقال آخر في مقام البقاء: هُوَ. فَيُقال للأول صَدَفْتَ وَمَا كَذَبْت. ويُقال للثانِي: أَخسَنْتَ وَتَأَذَبْت. ولمَّا حبس للقتلِ، قال له الشبلِي، يا أَبَا المُغيث: ما مغنى التَّفرد؟ فقال له: «هُوَ أَنْ يَنفرد الْعَبْد بالواحِدِ الأَحَدِ الفَرْدِ. فَإِذَا رآه الحق انفَرَد عَنِ الخَلْق، أَمَّنهُ مِنْ عَذَابِ الطُرْدِ، فيصير للحق مشاهداً. والحق عَلَى لِسَانِهِ شاهداً. فحينئذ يتخلص لمَقَام المعرفة. ويُوحَى إلى خاطِرهِ. ويُحرس سرُه عمَّا سواهُ. فَلاَ يَرْشح منه غَيْرُ الحق، من حضرة الحق بالحقّ».

وقال الشبلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً لِلْحَلاَّجِ: ما المعرفة؟ فقال الحلاَّجُ:

«اسْتِهلاكُ الْحِسِّ فِي المغنَى». فقلت له: «مَا الوُجْد؟ فقال: لهيبٌ ينْشأ عَن الشوق فِي الأَسْرَارِ وتطرب به الجوارحُ، ثُمَّ يَزُولُ لأَنه مقرونَ بِالزَّوَالِ. وَيَبْقَى نتيجته العِرْفانية. لاَ تحول وَلاَ تزولُ. ثم قال يا شبلي مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ عِنْد خُطواتِ قلبِهِ عَصَمَهُ عند حركاتِ جوارحِهِ. ثم قال يا شبلي: ألسْتَ تحفظ كتاب اللهِ. فقال الشبلي بَلَى. فقال: قد قال لنبيه عليه الصَّلاة والسَّلاَمُ: ﴿وَمَا رَمَيْتُ وَلَكِكَ اللهُ رَمَيْتُ وَلَكِكَ اللهُ وَلَا نَوْمان بِلسانِ العِتَابِ. فقلْت له: ما المحبّة من حُبّهِ. نادى عليه مَدَى الأزمان بِلسانِ العِتَابِ. فقلْت له: ما المحبّة؟ فقال الحَلاَّج: الغَيْبة عَمًا سِوَى المحبوب. فقلْت له: مَا الأنش؟ فقال:

وجود الهيبة، مع ارتفاع الخشية وغلبة الرجاء على الخَوْف. ثم قتل شهيداً رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ببغداد، يوم الثلاثاء، لست بقين من ذي الحجة سنة ست وثلاثمائة هجرية (٣٠٦ هـ). وتأخّرت وفاته عن الجُنَيْدِ بتسْع سنينَ. أمّا ما ذكر بغضهم أنَّ الحلاج تصور به بيته، حتى ملا البيت فلم يقدر أَحَد على إخراجِه، فذكرُوا ذلك للجُنيْدِ، فَأَتَى إِلَيْهِ، وقال: يا حسَيْنُ، فتحت ثغراً لاَ يَسُدّها إِلاَّ فذكرُوا ذلك للجُنيْدِ، فَأَتَى إِلَيْهِ، وقال: يا حسَيْنُ، فتحت ثغراً لاَ يَسُدّها إِلاَّ مات سَنة سبع وتسعين ومائتين (٢٩٧هـ). في قول الأكثر ممَّن عَرَفَ بِهِ. مات سَنة سبع وتسعين ومائتين (٢٩٧هـ). في قول الأكثر ممَّن عَرَفَ بِهِ. فكيف يخضر قَتْلُهُ؟ وكذلك قول من قال في مخنة الصوفية إِنَّهُ الآمِرُ. قال للعلماء: قتلتم الحَلاَّج، وهو وليُّ اللهِ. وأنتم تريدون قتلَ الجنيْد فلا يصحُ أيضاً. إِلاَّ أن يكون وَقَعَ الغلطُ في مَوْتِ الحَلاِّجِ للشعرَانِي في طبقاته فإني نقلته أيضاً. إلاَّ أن يكون وَقَعَ الغلطُ في مَوْتِ الحَلاِّجِ للشعرَانِي في طبقاته فإني نقلته منه مُن شرايًت الشيخ ابن زكري وافق ما للشعراني. نَعَم ذكر الفقيه المستاوي في نصرته خلافاً ضعيفاً في وفاة الجنيْد، فالله تعالى أَعْلَمُ.

وقوله: أَنْطَقَ للشبلي. أيْ صيَّر العقل الشبلِي ناطقاً بالوحدةِ التي أشار في قولِهِ: أَنَا النَّقطة التي تحتَ البَاء كَمَا مَرَّ قريباً، لما مضى عن رؤية الكؤن. والإشارة بالباءِ إلى بَحْر الجَبَرُوتِ التي تدفقتْ منه نقطةُ الكَوْنِ. وفي مَعْنَى ذٰلِكَ قِيلَ:

بيْنَ السَّذَلُ والسُّدَلُ لنقطَة فِي فَهْمِهَا يَتَحَيَّرُ النَّحْرِيرُ هِي فَهُمِهَا يَتَحَيَّرُ النَّحْرِيرُ هِي نُقطَةُ الأَكْوَانِ إِنْ جَاوَزْتَهَا كُنْتَ الْمُرَادَ وَعِنْدَكَ الإِكْسِيرُ

والإِمَامُ الشبلي: هُوَ أَبُو بَكْرٍ، قيل اسْمُهُ جَعْفَر بن يُونُسَ؛ وهو شيخ الصوفية. وإمّام أهل الْبَاطِنِ. كَانَ صَالِحاً فقيهاً، على مَذْهَبِ مَالِكِ ذو الأنباءِ البَديعة، والأخبار الغريبة. وأَحَد المتصوفينَ في علم الشريعة والحقيقة. أصله من خراسان، من قرية يُقَال لها شَبْلَة. ونَشَأ بِبَغْدَاد. فَكتب الحديث، وَصَحب الجُنَيْد. ومَن فِي وَقْتِه مِن المشايخ، وَرَوَى عنه جماعة، كَالأَزْهَرِي والرَّازِي الجُنَيْد: هو وغيرهما. قال الرَّازِي: لَمْ أَرَ فِي الصوفية أَعْلَمَ مِنَ الشبلي، وقال الجنيدُ: هو عين الْعَيْنِ. خَلْف أَبُوه ستين أَلْف دينارٍ، سوى الضياع والعقار. قال: فَأَنفقتها عين اللهِ، ثم رجعت إلى الفقراء لا أرجع إلى داري وَلاَ أَسْتظهر

بمعلوم. وكان جَسيماً بَديناً. فقيل لهُ: إِنَّ المحبَّة تقضِي، فَأَنشأ يقول:

أَحَسُبُ قَـلْبِي وَمَـا دَرَى بَـدنِي ﴿ وَلَـوْ دَرَى مَـا أَقَـامَ فِي السَّمَـنِ وَرُبْيَ خارجاً من المَسْجِد يوم عيدٍ وهو يَقُولُ:

إِذَا كُسنْتَ لَسِي عِسِيداً فَسمَا أَصْنَعُ بِالْعِيدِ جَسرَى حُسبَكَ فِي الْعِيدِ جَسرَى الْسَمَاءِ فِي الْعُسودِ

وسُئل الشبلي عن الزُّهْد فقال: تحويلُ قلبكَ عَنِ الأشياء. وقال في التَّصَوُّف: ضبْط حواسُكَ، ومُرَاعاة أَنْفَاسِكَ: أي أَوْقَاتِك. توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٣٣٤ه (أَربعة وثلاثين وثلاثمائة).

وقوله: وكَان لذَات النوفري موَلها، أيْ وكان العَقْلُ لذَاتِ النَّوفري مُولِّهاً. أيْ مُغَيِّباً عَمَّا سِوَى الحقِّ. قال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النوفري لاَ أعرف اسْمَه، وَلاَ أَدري حقيقة ما كَان عليه تعريفاً، لكن ما قال هُنَا يدلُ على أنَّه كَان مستغرقاً في التوحيدِ، حتى تَولُهُ مِن أَجْل ذٰلِكَ، حتى لاَ يخاطِبَ وَلاَ يخاطَبُ إِلاَّ بِهِ. فَصَارَ لَهُ كَالْخَليل الملازم؛ وهو الخذن، واللَّهُ أَعْلمْ.

وكان النوفري أيْضاً خطيباً بيْن ذَاتَيْنِ، أَيْ بَيْن عَالَم الأَزْواح، وعَالَم الأَشباحِ. وَهُذَا مِن تمكنِهِ في مقام البقاءِ. وقَوْله: مَنْ لَمْ يكُن فقيراً إلخ. كَلاَم مسْتأنف، بيَّن فيه أنه لاَ يَفْهم كَلاَمَهُ، ويُذَوِّقهُ إِلاَّ مِن دَخَلَ البَحْرَ الَّذِي دَخَلَ فيه، أي مَن يكن فقيراً حقيقياً يَرَى البَحْرِ الَّذِي غُصْنَاهُ، ويَفْهَم الأَسْرَار التي أَشَرْنَا إِلَيْهَا في هذه القصيدة وغيْرها. وَهٰذَا كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ:

سِرِّي لاَ يَفْهَمْهُ إِلاًّ مَنْ هُوَ مِثْلِي.

قوله: واضمَت للجنّي: قال الشيخ زروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْنِي الْبَنْ جِنِّي اللَّهُ عَنْهُ: أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْنِي الْبَنْ جِنِّي النَّحْوِي. فإنَّهُ أَلَّفَ كِتَاباً سَمَّاه: تجريد خلق الإنسَان. فَذَكَر فيه ما يتعلَّق بالفَصَاحَة، والْعَقلِ. أي وَأَصْمَتَ الْعَقْلَ لاَيْنِ جنِّي، كتابُهُ الَّذِي سَمَّاه: تجريد خَلْق الإنسَان. وإنما أَصْمَتَهُ؛ لأَنَّ الأمر يقتضي أَوْسَع مما ذَكَر فيه. فلمًّا قَصَّ فيه أَصْمَتَهُ عَقْلُهُ.

وقَوْلُهُ: مَعَ الأَمِيرُ أَيْ مَعَ اقتضاءِ الأَمْرِ أُوسع من ذٰلِكَ لاختلاف اللُّغات

وَمَوَادُهَا. واختلاف أَسْباب الفَصَاحَة، والبَلاَغَة والبَيَان. فصَارِتْ فَصَاحة ابن جني أكناً ، أي عجمة. وَفِي جني أكناً ، أي خرساً. أو فصارت فصاحَة الكَلاَم أُكْناً ، أي عجمة. وَفِي القاموس: لكن كفرح، لكناً محرّكاً ، ولكنة ولُكُونَةٌ فَهُوَ لَكِنْ ، لاَ يفهم العربية لعجمة لِسَانِهِ. وحاصل الكَلاَم أَنَّ كتابهُ الذي أَلْفَهُ في الفَصَاحَة والعَقْلِ ، لَمْ يَبْلُغ منه المُرَامَ فَأَصْمَتَهُ عَقْلُهُ. وقال لهُ: ليْتَكَ سَكَتْ.

وابْن جني: هو أَبُو الفتح، عثمان بن جني، المُوصِلِي النَّحوِي، كَان إِماماً في العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي على الفارسِي، وَقَعَدَ لِلإِقْرَاءِ. فَرَآهُ شيخه أَبُو عَلَيّ في حَلَقَة، والنَّاس حوْله يأخذونَ عَنْهُ. فقال لهُ: أَترَبَّبْتُ وأَنت حِصْرمٌ. فتركَ حلقتهُ، وَلاَزْمَهُ حَتَّى تَمَهَّرَ. وكَان أَبُوهُ جِنِّياً رُومِياً، مملوكاً لسليمان الأُزدِي. توفي ابن جنيً سنة اثنتين وتسعينَ وثلاثمائة هجرية (٣٩٢هـ). ثم ذكر النَّاظِمُ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَنَنَّى فَضِيبُ الْبَانِ مِنْ شُرْبِ خَمْرَةِ وَقَدْ شَدَّ بِالشُّوذِيُ عَنْ نَوْعِهِ فَلَمْ وَأَصْبَحَ فِيهِ السَّهْرُودِيُّ خَائِفاً وَلاَئِنِ قُسِيٍّ خَلْعُ نَعْلِ وُجُودِهِ أَقَامَ على شَأْن الْمَسَرَّةِ نَجْلُهَا وَلاَحْ سَنَا بَرْقِ مِنَ الْقُرْبِ لِلنَّهَى

فَكَانَ كَمِفْلِ الْغَيْرِ لَكِنَّهُ ثَنَّى يَمِلْ نَحْوَ أَخْدَانِ وَلاَ سَاكَنَ الْمُدْنَا يُصِيحُ فَمَا يُلْقي الوُجُودُ لَهُ أُذْنا وَلُبْسُ إِحَاطَةٍ مِنَ الحِجْرِ قَدْ تُبْنَا لَمَّا رَمَّزَ الأَسْرَارَ وَاسْتَمْطَرَ الْمُزْنَا لِنَجْلِ ابْنِ سِينَاءَ الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنًا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَتَنَّى قَضِيبُ الْبَانِ: وهو رَجُل من أهْل الشَّامِ، مِنْ أَرْبَابِ الأَحْوَالِ، كَانَتْ تَظْهَرُ عليه عجائب وغَرَائِبُ. وهو ممَّن اختلف فيه بالقبول والرّدُ. وكان خَرَّبَ ظَاهِرَهُ. فكان يَجْلِس بِالْمَزَابِلِ، وربَّمَا تَجَرَّدَ مِنَ الثَّيَابِ، فَبَقِيَ عُرْيَاناً. وكان يتطور في صور متعددة. وَهٰذَا مغنى قولِهِ: تَثَنَّى: الثَّيَابِ، فَنَقِي عُرْيَاناً. وكان يتطور في صور متعددة. وَهٰذَا مغنى قولِهِ: تَثَنَّى: أيْ صَيَّر من ذاتِهِ اثْنَيْنِ، مِن شُرْبِ خَمْرة، فتجوهر عَقْلهُ، وخَرَجَ عَنْ طَوْرِ الفضلاءِ في الظَّاهِرِ، فكان إذا تطوَّر، يَرَى كَمِثل الغَيْرِ وهو بِعَيْنِهِ. لكِنَّهُ تَثَنَّى، أي رجَع اثنيْن. واللَّهُ أَعْلَمُ.

والشُّوذِي هو العفيف التُّلمِسَاني المعروف بالحالوي، قاله زروق. ولم

أَقِفْ عَلَى تَعْرِيفِهِ. ومعْنَى شَذَ، أي خرجَ العَقْل بالشوذيِّ عَنْ نَوْعِهِ وجنسِهِ من النَّاسِ. فكان مُنفرداً وخدانيًا، فَارَا مِنَ المُدُنِ والقرَى، لمَّا صقلت مرآة عَقْلِهِ تَأْنَسَ بِاللَّهِ، وفَرَّ مِمَّا سوَاهُ. فَلَمْ يمِلْ لأَصحاب وعشائر. وَلاَ سَاكن المُدن وكِبَار المَدَاشر؛ لأَنْ الخُلْطة تُشَوِّش الفِكْرَةَ. سَيَمَا هَرَج المُدُنِ فلا يقوى عَلَيْهَا إِلاَّ مَن قوي نُورُ معرفته، وباللَّهِ التوفيق.

والسهروري: قال الشيخ زُرُوق: المراد بِهِ المقتول، صاحب خواصً الأربعينَ الإدريسية وغيرهًا، أي صاحب العوارف، أي وأصبح السهرُودِيُّ خَائِفاً مِن جِهَة عَقْلِهِ، فَلَمْ يطقْ ما تجلّى لهُ من أشرار خواصٌ الأسْمَاءِ. فكان يصيح في العَالَم بما عنْدهُ، فلم يَسْمَع أَحَد نداءهُ. وَلاَ أَلقى إليه أَذْناً. وفي بعض النسخ: يصيخ بالخاءِ المعجّمة. يُقال: أصاخ للأمر: استمع لهُ. وهذا بعيد المُناسَبة:

وابن قسيّ: هو صاحب خلْع النَّعْلَين، واقتباس النُّوريْن مِن مَوْضع القَدمَيْن، قالهُ زروق، ولم يذكر له تعريفاً. غَيْرَ أَنَّهُ اغْتَرَفَ عَلَى النَّاظِمِ تشريعه بِلْلِكَ، لأَنَّ أهْل الطريق قد تكلمُوا فيه، أي ولائِن قسيّ خلْع نَعْل وجُودِهِ، وغابَ عنْهُ لمَّا تحققتُ معرفته بِاللَّهِ. ولعلَّ كَلاَم أَهْل الطَّريق، حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادهُ. كَمَا تَكَلَّمُوا في غَيْرِهِ مِنَ المحققينَ.

وقوله: ولبس إحاطة. أشار لكتاب سمَّاه بِذَلِك، أي ولهُ لبس إِحاطةٍ. وقوله: من الحِجْرِ قَدْ تُبنَّا: أي تُبنا من ثبوت الحِجرِ لثبوت الحزية لَنَا، والتَّرْشيد من أشياخنًا. ولعل ذلك الكتاب المسمَّى بِلبْس الإحاطةِ، تكلم فيه على التحجير، من جِهَة الشريعة، أو من جِهَة حصر الكَائنات. فقال النَّاظم: قد تُبنا مِنْ ذلِكَ، وخرجْنَا منهُ واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقولهُ: أقام عَلَى شَأْنِ المسَرَّة. قال الشيخ زروق: ابن المسَرَّة هو ابن سُرُور؛ وهو فقيه، صاحب يَد فِي العلوم القديمة، أي أقام ابن مسرَّة على منْن السَرور حيْث ظهر بما خفي على النَّاسِ من مكنونِ أَسْرار الرّموز؛ لأنَّه ممَّن اغتنَى بحلها وفكِّها، كما فَعَلَ المقدسي وإليه أشار بقولِهِ: لمَّا رَمْزَ الأَسْرَارَ.

واستمطر المُزْنَا أي دَامَتْ مسرّته، لما كشف الأسرار، وَاسْتَمْطَرَ: أي

اسْتَنْزَلَ أَمْطار المعاني من سحائب الألفاظِ، أوْ من سُحُب الآثَار؛ وَهي الأوانِي. وَقَوْلُه: وَلاَحَ سَنَا بَرْقِ إلخ. . أي ظَهَر ضَوْء بَرْق لايْن سينَاء، من حقيقة عقله المُقرَّبة للعقول ما كَان بعيداً عنهَا، فإنَّهُ شَرحَ مِن أَمْرِ العقل مَا لَمْ يشرخهُ غَيْرهُ.

وابْنُ سينَاء لهٰذَا، هو المتأخّر، وهو أَحَد فَلاَسِفَةِ الإسلام، وقد تكلُّم النَّاسُ فيه، واتهموهُ بِالكُفْرِ. قال الشيخ السنوسي في شرح الكُبْرِي، ولقد ضَلَّ ابن سينا، وتستُّر بالإِسلامِ، حيث قال في الطبائِع الأربعة:

وقولُ بُقْراط هو الصحيح ماءٌ ونَارٌ وَهَوَى وَرِيحٍ.

قلت: أمَّا مجرَّد هٰذَا القول، فَلاَ يَدُلُّ على كُفْرِهِ؛ لأَنَّ عالَمَ الحِكمَة مَبْنِيّ على الأَسْبَابِ، والعِلَل في الظَّاهِر. والباطنُ هو اللَّه. فقد يكون تَكَلَّم على ما هو مقررٌ فِي عَالَم الحِكْمَةِ من ترتيب الطَّبائِع والأسباب. نَعَم قد قيلَ عنْهُ إِنه كَان يَرَى أَنَّ الشَّرَيعة للعَقْلِ تابِعة، فتدور معهُ في عِلَل الأَخْكَامِ. قال الشيخ زروق؛ وهو مذهب فَاسِدٌ. وإليه أشار النَّاظم بقولهِ: الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنًّا. أي ظَنَّ أَنَّ الشريعة تَابِعَة لِلْعَقْلِ والحق أَنَّ العقل تابع للشِّزع في عِلَلِ الأَخكَام وأَسْرَارِهَا. فإِن أَدْرَكَ لَهَا عَلَّةً وحِكمةً كَانَ عَيْنِ الكَمَالِ، وإِنَ لَم يُدْرِك لَهَا حَكَمَ بتقصيرهِ وتَعبُّد بأَمْرِ سيَّدِهِ. وباللَّهِ التوفيق.

ثم ذكر النَّاظِمُ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ:

وَقَدْ قَلَّدَ الطُّوسِيُ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ ﴿ وَلَكِنَّهُ نَحْوَ النَّصَوْفِ قَدْ حَنَّا وَلانِنِ طُفَيْلٍ وَانْنِ رُشْدِ تَيَقُظُ رِسَالَةُ يَقْظَانَ اقْتَضَى فَتْحُهُ الْحَيْنَ

كَسَى لِشُعَيْبِ ثَوْبَ جَمْع لِذَاتِهِ يَجُرُ عَلَى حُسَّادِهِ الدُّيْلَ وَالرُّدْنَا

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقَدْ قَلْدَ الطُّوسِي؛ وهو الغَزَّالِي، أيْ قَدْ تقلَّدَ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ مِنْ تحكيمَاتِ الْعَقْل، واستحسّانَاتِهِ بِذلِكَ، من عجائب القلْبِ، وشرْح أَسْرَارهِ ما يقضي منه العَجب. وكذلك أسرار العباداتِ، والعاداتِ، وغَيْر ذلِك مما هو مذكُورٌ في كُتُبِهِ، لْكِنَّهُ نَجَا مِنْ وَبَالِ العَقْلِ؛ حيْث حَنَّ إلى التَّصوَّفِ، فصرفَ عَقْلَهُ في استخراج أشرار سرّ الشريعة، وحِكُّم الأخكَام.

والغَزَّالِي: هو حجة الإسلام، محمد بن محمد بن أحمد الغزَّالِي

الطُّوسي. وَيُكَنِّى أَبَا حَامِدٍ حبر هذه الأمَّة وَرَاهِبها. اشتغل أَوَّلاً بالعلوم وتدريسهَا بِبَغداد. ثم تركَ جميع ذلِكَ، وسلكَ طريق التجريد والانقطاع، وخَدَمَ الصوفية بنفسه سنينَ ثم قَعَدَ الحجِّ. فَلَمَّا رجع قَدِم إلى الشام، وأقام ببيت المقدِس مجاوراً، واجتهد في العبادةِ وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة. ثم عاد إلى دِمشق. واغتكف في زاوية مِنْ منار الجامع، وأخذ في التصنيف، لإحياء علوم الدِّين؛ وهو من أنفَس الكُتب، لا يستغني عنها طالب الآخِرة. وكَان يُرَوِّضُ نَفسهُ في المجاهداتِ، ويُكَلِّفها مشاق الطاعات. ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدَّة، ثم رجع إلى بَغْدَاد، وعقَدَ بِهَا مجالس الْوَعْظِ، وتكلُّم على لسَانِ أَهْلِ الحقيقة. ثم عاد إلى وطنِهِ بطوس. وزَّع أوْقاته على وَظَائِفِ الخَيْرِ، من خَتْم القرْآن، ومجالسة أَهْل القَبُولِ وإِدَامة العبَادة إلى أَنْ نَقله الحقُّ إلى دار الكَرَامة، في يوم الإثنين، رابع جمادى الثانية، سنة خَمْسِ وخمسمائة (٥٠٥هـ). بطوس وبها دُفِنَ. وقبْره بِهَا مشْهُورٌ. وذكر التالدي في كتابه المعزى: أَنَّ سبَبَ تجريد الغزَّالي وانقطاعه، هُوَ أَخُوهُ. وكَان من محققي الصوفية. وَقَفَ عليه في مجلس عِلْمِهِ فَقَالَ لهُ: إلى أَيْن تحتبس في هذه المعاقِل، وأنشده شعراً أنهضه إلى رَبِّهِ، وذكر غيرهُ، أنَّهُ وصَّلَهُ بشيخهِ، وكان خرازاً، فجذبه إلى ربِّهِ، وأُمَرَه بتخريب ظَاهره وبالتجريد. فحينئذ ذاق ما ذاقَتِ الرجال.

والغزّالي بتشديد الزّاي نسبة إلى الغزّالِ. على عادة أهْلِ خَوَارزم وجُرجان، فَإِنّهُم ينسبون إلى القصّار، القصّاري، وإلى العَطّار العَطَّاري. وقيل: إنّ الزّاي مخففة نسبة إلى غزالة. وهي قرية من قُرَى طُوس؛ وهو خِلاَفُ المشهور وطُوسٌ بِضَمّ الطّاء، وسكون الواو: قرية من قُرَى بُخُارى. وما يقال إنه مدفون بترعة، غلط فَاحِس. قال الدّميري في حياة الحيوان روينا بالسّنَدِ الصحيح عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنه قال: رأيتُ النبي عَيِّهُ في النّوْمِ. وقد بَاهَى موسى وعيسى بالغَزّالِي، فقال لهُمَا: فِي أُمتكما هذا الحَبْر؟ وأشار إلى الْغَزّالِي، فقالا: لاَ. قال الشيخ أبو العباس المِرْسِي: «إِنّا للتَشْهَد لَهُ بِالْغُوثِية العُظْمَى». وقيل القائل، هو الشاذِلي رضي الله عنهم أجمعينَ.

ثم قال النَّاظم: ولاين طُفَيْل وابن رُشد تيقظ. أمَّا ابن طفيلِ فهو من فلاسفةِ الإسلام له عَقل وتيقظٌ في الأمور العَقلية، وَلَمْ أَقِفْ على تعرَّيفِهِ. وأمَّا ابْنُ رُشْدٍ، فَالمَراد به الحفيدُ؛ وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رُشد، الإمام المشهور. ولد سنة عشرين وخمسمائة (٥٢٠هـ) قبل وفاة جدُّهِ أبي الوليد بِشهْرِ وَاشْتَهَرَ بِالْحَفِيدِ، وهو من أهل قرطبة. وقَاضِي الجماعة بِهَا. أَخَذَ الفقه عن المازري وغيرهِ. وأَخَذَ الطبّ عن أبي مزوان بن جريُونَ. وكَانت الدراية، أُغلب عليه منَ الرَّوَاية خلاف جدُّهِ. ولم ينشأ في الأندلس مثلهُ. حتى قيل فيه: كَانَ أَفْقَهَ من جَدّهِ. وصنَّفَ وَقَيَّدَ وذهب ومالَ إلى علم الأواثل. وكَانَتْ له فيها الإمامَة دُونَ أَهْل عصرهِ. وكان يفزع إلى فِتْبَاه في الطبِّ، كما يفزع إلى فتياهُ في الفقهِ. له تآليف جَليلة. منهًا: كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد. وذكر فيها أَسْبَابِ خلاف المذَاهب وعللهَا. وأَفاد وأَقْنَعَ فيه. وَلاَ يُعْلَم في وقتِهِ أَنْفَعَ مِنْهُ. وله كتب أُخرى ذكرها في الدّيبَاج. تُوفي رحمهُ اللّهُ سنَة خمس وتسْعين وخمسمائة (٥٩٥هـ) بمراكش. كَانَ قَدِمَ على السلطان فمات، ثم دفِنَ بِهَا، ثم نُقل إلى قبرسلة بقرطبة. وفي قَبْره دُفِنَ الولي الشهير أبو العباس السّبتي. وقيل في الحفيد، إنه اتُّهِمَ بالاعتزال وبالميل لمذاهب الفلاسفة، كما رمي بذلك ابن طفيل، ولذلك قرن مَعَهُ. ولم يَنْسُب لهما النَّاظم إِلاَّ التيقظ فِي أُمور العقل فقط. قال الشيخ زروق: وأمَّا ابن طفيل وابن رشد الحفيد فمن متفلسفة الإسلام. وقد رُمُوا بأكبر الكفر والله أغلَمُ. قلت: كتب الحديث موشحة بالأحاديث النبوية، ليس فيها شيء مما رُمِي بِهِ. وقد عرَّف به صاحب الدَّيباج وغيره، فلم ينسبُوا له شيئاً ممَّا يُنقصُهُ. وعند الله تجتمع الخصوم. ويقظان هو ابن يقظان، وله رسالة في العقليات. قال الشيخ زروق: وقد وقفت عليْهَا وهي مبنيّة على القول بالطبيعَةِ، وهو نوع من الكُفرِ، ولذلك قال الناظم: اقتَضَى فتح الحيْنَ؛ أي اقتضى فتح العَقْلِ لهُ الحَيْنَ؛ وهو الْهَلاَك.

كَسَى لشُعَيْبٍ: المراد أبو مَذْين الغوث الشهير بالولاية شرقاً وغزباً. كَان رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، من أغيان مشايخ المغربِ، وصدور المُقَرَّبينَ، واسْمُه شعيْب، وولده مَذْيَن مدفون بِمِصر، ببركة القرع، وقبْره مشهور يُزَارُ. وأَما أبو مذْيَنَ،

فهو مدفون بمدينَة تِلمسَان، في تربة العباد. مات وقد جاوز الثمانينَ سنَةً. كَان مقيماً ببجاية. ثم إنَّ سلطان تِلمسَان بلغهُ خَبَرهُ، وما كان فِيهِ من الشُّهْرَةِ، فأَمَر بإحضاره من بجاية ليتبرك بِهِ، لتعذُّر وصول السلطان إلى زيارته، خوفاً مِن اختلالِ رعيتهِ. فأَجَابَ بالسَّمْع والطاعةِ. ثم قال بخفض صَوْتِهِ: ما لنا وَللسلطان، الليلة نزورُ الإخوان، ثم نزور تِلمسَان، واستقبل القبلة ليلة دُخُولِهِ، وتشهَّد ثم قال: هَا قَدْ جِنْتُ وعجلْت إليك رَبِّ لتَرْضَى. ثم قال: اللَّهُ الحيُّ. وفاضت روحهُ. قال الشيخ عبد الرزَّاق: اجتمعت بِالخضر عليه السلام، فسَأَلته عن شيْخنا أبِي مَدْيَنَ. فقال: هو إمَامُ الصَّدِّيقِينَ في لهٰذَا الوقتِ. وقد أَعْطاه اللَّهُ مفتاحاً من السرِّ المَصُونِ. فما في هذه السَّاعةِ أَجْمَعَ لأَسْرَارِ المرسلينَ مِنْهُ. وقد أَجْمَعَتِ المشايخ على تعظيمِهِ وإجلالِهِ. وكَانَ جميلاً ظريفاً، متواضعاً زاهِداً، وَرِعاً محققاً. قَدِ اشتَمَلَ على كَرَم الأَخلاقِ. وَكَان يقول ليْسَ للقَلْبِ إِلاَّ جِهَة واحدة منى تَوَجَّهَ إليْهَا، غَابَ عَنْ غَيْرِهَا. وَقَالَ أَيْضاً: الفَقرُ نُورٌ مَا دُمْتَ تَسترُهُ، فَإِذَا أَفْشَيتُهُ ذَهَب نُورُهُ. وقال أَيْضاً: كل فقير كان الأخذ أَحَبُّ إليه من العطاءِ فهُوَ كَذَّابٌ، لم يشُمُّ لِلفَقْرِ رائِحَةً. وقال أَيضاً: مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِخِدْمَتِهِ، شَغَله بالدُّنْيَا. وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لمعرفتِهِ، شَغَلَهُ بالآخِرَةِ. وقال أَيْضاً: مَنْ لَمْ يَخْلَعْ له الْعُذَار، لم تُرْفع له الأسْتَار. ومكَثَ فِي بَيْتِهِ سنَّةً، لَمْ يَخْرُجْ إِلاَّ إِلَى الجُمُعَةِ فالجتمع النَّاس على باب دَارهِ، وطلبُوا منه أنْ يتكَلُّم عَلَيْهِمْ، فلمَّا أَلْزَمُوهُ خَرَجَ، فَرَأَته العصافير التي على سور في الدَّار، فَفَرَّتْ منه، فرجعَ، وقال: لوْ صلحتُ للحديثِ عليكم لَمْ تفِرّ مِنِّي الطّيرور. فَجَلَس فِي البينت سنَة أُخرى، ثم جَاوُوا إِلَيْه، فَلَمْ تَفِرٌ منْهُ الطيور، فتكلِّم على النَّاسِ. ونَزَلت الطُّيُورُ تَضْرِبُ بِأَجنِحَتِهَا، حتى مَاتَ منها طائفة، وماتَ رجل من الحَاضِرِينَ. وكَانَ الحق تعالى قد أُذَلُّ له الوحوشَ. فإِذَا رآه الوخش ارْتَعَدَ مِن هيْبَته. ومَرَّ يؤماً على حمارٍ، والسَّبعُ قد أكلَ نصفهُ، وصاحب الحِمَارِ ينظر إليه من بَعيدٍ لا يستطيع أن يقرب منه. فقال لصاحب الحمار: تَعَالَ. وذهب بِهِ إلى الأسَدِ. وقال: أَمْسِكْ بِأَذَنِهِ. واسْتَعْمِله مكَان حِمَاركَ حتى يمُوتَ. فَأَخَذَ بِأُذْنِهِ وركِبَ. وَصَارَ يستعمله مكّان حماره حتى مَاتَ الأسَدُ. تُوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (٥٩٣هـ) عن خمس وثمانينَ. وخرج مِنْ دائرته ثلاثمائة قطب دُونَ الصَّالحينَ. وأخَذَ الطريق عن أبي يَغزَى والشيخ عبد القادر وسيدي علي بن حزم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أَجمعينَ.

قال النَّاظم فِي مَدْحِهِ: كسَى لشعيب ثوب جمع لذات. أي كسَاهُ عَقْلُهُ ثُوباً جامعاً لذاتِهِ على رَبُّهِ. فكان دائماً مجموعاً على اللَّه، في بساطِ الحَضْرةِ. وكان كثيراً مَا يُنشد:

اللَّهَ قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى إِنْ كُنْتَ مُرْتَاضاً بُلُوغَ كَمَالِ يَجُرُّ الذَّيل أي طرفَ الإِزَار. والرُّدْنُ بِضَمَّ الرَّاءِ. أَصْل الكَمَ. أي يجُرُّ ذَيْله وكَمهُ افتخاراً لمَوْلاَهُ. وشكراً لمَا بِهِ أَوْلاَهُ. قال الشيخ زروق: تخرجَ على يده ألف وليّ، ولم يذكر عن أَحَدٍ من الأَثمَّة طعن فيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. ونَفَعَنَا بِهِ ؟ وهُو أَنْدَلسي.

ثم ذكر النَّاظِم جماعة أُخْرى فقال:

وَحَنْهُ طَوَى الطَّائِي بسُطَ كِيَانِهِ تُسَمَّى بِرُوحِ الرُّوحِ جَمْراً فَلَمْ يُبَلَلْ بِهِ حُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ النَّاظِم الَّذِي وَبَاحَ بِهَا نَجْلُ الْحَرَالِي حِنْدَمَا وَلِلْأُمَويَ النَّظْم والنَّشْرُ فِي الَّذِي

بِدَسْكَرَةَ الْخُلاَّعِ إِذْ ذَهَبَ الْوَهْنَا وَلَمْ يَرَ نَدَاً فِي الْمَقَامِ وَلاَ خِذْنَا تَجَرَّدَ لِلأَسْفَارِ قَدْ سَهلَ الْحَزْنَا رَأَى كَثْمَهُ ضُعْفاً وَتَلْوِيعَهُ غَيْنَا ذَكَرْنَا وإِعْرَابٌ عَمًا نَحْنُ أَعْرَبْنَا

المُراد بالطائي: ابن الْعَرَبِي؛ لأنه من ذرية حَاتَم الطَّائي، وكَان في زمانِهِ، يعرف بابن سُراقة. وعند المتأخرينَ مِنَ الصوفية: محيي الدِّين. وهو الإمَام المحقق، رأس العارفينَ، وإِمَام المُقرِّبِينَ، ذو النَّفحات القدْسية، والأنفاس الرّوحانية، والمعارف البَاهِرَة، والحقائق الزَّاهرة. له المحلّ الأرفع في مراتب القرْبِ، وَمَنَازِل الأنُس؛ وهو أَحَد أَرْكَانِ هذه الطريق. وأَجَلّ أَنمة أَهْل التحقيق. بحر زمانِهِ وفريد أَوَانِهِ، لقبه الشيخ أَبُو مَدْيَنَ بسُلطانِ العارفين. وكَلاَم الرجل دَليل على مَقَامِهِ، وكُتبه مشهورة بِأَيْدي النَّاسِ، إِلاَّ أنه مال فيها الإظهار الحقائق، وكشف غطائها. فَرُميَ بما رُمِي بِهِ غيرهُ ممّن أَظْهَرَ. وَمِن كشوفاته الحقائق، وكشف غطائها. فَرُميَ بما رُمِي بِهِ غيرهُ ممّن أَظْهَرَ. وَمِن كشوفاته

رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنه ذكر فِي بَعْضِ كُتُبِه صفة السلطان ابن سليمان الأول، وفئحه القُسطنطينية فِي الوقت الفلاني. فجاء الأمر كما قَالَهُ. وبيْنَهُ وبَيْنَ السلطانِ نَحْو مائتي سنة. فَبَنَى عليه قُبَّة عظيمة بِالشَّام، وَرَتَّبَ فيها طعاماً وخَيْرات. بَعْدَ أَن كَانُ له كَانُوا يبولُونَ على قَبْرهِ. وحكى الشيخ الصالح سيّدي أحمد الحَلَبِي، أَنَّه كَان له بيْتٌ مشرف على ضريح الشيخ محبي الذين، فجاء شَخْص مِن المُنكرين، بَعْد صلاةِ العِشاءِ بنارِ يريد أَنْ يحرق تابُوت الشيخ، فَخُسِفَ بِهِ دُونَ الْقَبْر بنسْعَة أَذْرع، فَغَابَ فِي الأرض وأَنَا أَنْظُرُ فَفَقَده أَهْله فِي تِلك اللَّيْلَةِ، فَأَخْبَرْتهم بِالقصَّةِ فَجَاءُوا وَرَدُوا فَرَدُوا وَرَدُوا وَرَدُوا النَّرَاب عَلَيْهِ.

وكَان رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: أولاً يكتب الإنشاء لبغض ملوكِ المَغرب، ثم تَزَهّدَ وتَعبّدَ. وسَاحَ ودَخل مصر والشام والحجاز والرّوم. ولهُ في كل بلدٍ دَخلَها مؤلفات. وكَان الشيخ عِز الدّين بن عبد السلام يحطُّ من قدره كثيراً. فلمًا صحب الشيخ أبا الحسن رّضِيَ اللهُ عَنهُ. وعَرَفَ أَخوَال الرّجَال، صار يترجمه بالولاية والعرفانية. مات شهيداً سنة ثمان وثلاثين وستمانة (٦٣٨ه). وله من المؤلفات نيف وأزبعمائة، منها التفسير الكبير الّذِي بَلغَ فيه إلى سورةِ الكهفِ عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَننهُ مِن لَدُناً﴾ [الكهف: ٦٥] ثم توفي ولم يكمل. وهذا التفسير، كتاب عظيم بَلغَ ثلاثين سِفْراً. كل سفر بَحْر لا سَاحِل لَهُ. فقال النَّاظِم في ترجمتِهِ: وعنهُ طوى الطَّائِي بَسُط كيانِه، أيْ وعن عَقْلِهِ طوَى الحاتمي الطَّائي بسط وجوده، فغاب عَقله عن إدراكِ حقيقته بخروج ما أذرك عن دائرة العُقُول. فالكيّان بِمَعْنَى الكَوْن، أيْ طوى عن عَقْله بسُط كَوْنِهِ. وكَان ابتداء ذلِكَ الطي بِدَسْكَرَةَ الخُلاع، أي بِحَضْرَة اجتماعِ أَهْل الخمرة؛ وهُمُ الّذِين يَخْلعونَ عُذَارَهُمْ في رضَى محبُوبِهِمْ، فيُخَرّبُونَ ظَوَاهِرَهُمْ، ويَهْتكون أَعْرَاضَهُمْ، وَلاَ يُبَالُونَ بِمَن في رضَى محبُوبِهمْ، فيُخرّبُونَ ظَوَاهِرَهُمْ، ويَهْتكون أَعْرَاضَهُمْ، وَلاَ يُبَالُونَ بِمَن

وفي القاموس الدَّسْكرةُ: القرية والصَّوْمعة، وبيوت الأَعَاجِم، يكونُ فِيهَا الْخَمْرُ والمَلاَهِي، كِنَايَة عَنِ الْخَمْرُ وَالمَلاَهِي، كِنَايَة عَنِ النَّعَرُلِ والمَلاَهِي، كِنَايَة عَنِ النَّعَرُٰلِ بالمحبُوبِ. وتُعَبِّرُ عنْهُ الصَوفية بِالخَانِ، أي كَان ذَا الفتح بمَحْضَر أَهْل

الأذواقِ الذين خَلَعُوا عُذَارهُمْ، إِذْ ذَهَبِ الْوَهْنَا: أي حينَ ذَهَبَ عنْهُ ضَعْفُهُ وكَسَلهُ، وفرْقه بخلع عُذَارهِ، وافْتِضَاحِ نَفْسِهِ؛ وهو الَّذِي تَسَمَّى بروح الرُّوح في شِعره المعلوم الذي قال فيه:

> أَنَى الْفُرْآنُ والسَّبْعُ الْمَثَانِي فُؤَادِي عِنْدَ مَعْلُومِهِ مُقِيمٌ فَلاَ تَنْظُرْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي فَأَسْرَارٌ تَرَاءَتُ مُبْهَمَاتٌ وَمَنْ فَهِمَ الإِشَارَةَ فَلْيَصُنهَا كَحَلاَّجِ الْمحبِّة إِذْ تَبَدَّتُ فَقَال: أَنَا هُوَ الْحَقُ الَّذِي لاَ

وَرُوحُ السرُّوحِ لاَ رُوحُ الأَوَانِسِي نُسناجِيهِ وَعِنْدَكُمُ لِسَانِي وَعُدْ عَنِ الشَّنَعُم بِالأَوَانِي مُسَشَّرةً بِأَنْوَاعِ المَعَانِي وإلاَّ سَوْفَ يُنْقَقَلُ بِالسَّنَانِ لَهُ شَمْسُ المحبَّةِ بِالشَّدَانِي يُنغَيِّر ذَاتَهُ مِنَ النَّرَمَانِ

وتأويله: أنّه غَابَ عن وجودٍه عنْدَ محسُوسِه، فَشَاهد العَيْن بِالْعَيْنِ. فَصَارَ عَيْنَ الْعَيْنِ فقال: أَنَا مُنَزِّل القرْآن، وأَنَا رُوح الرّوحِ والذي هو السرّ المَكْنون؛ الذي قام بالأرواح والأشباحِ. ومن كلاَمِهِ أَيْضاً: تطهَّرْ بماءِ الْغَيْب إِن كُنت ذَا سرّ إلى آخر الأبيات المشهورة على ما نسبه أبو المواهب التونسي حسبما ذَكَرَه الشعرانِي، ونسبها غيره للجنيْدِ؛ وهو المشهور، وقوله لَمْ يُبَالِ، هكذا في نسختنا أي لَمْ يُبَالِ بِمَنْ أَنكر عليه مَقَالتهُ. ولم يَرَ له نَدَا، أي شَبيها، وَلاَ معانداً في زمانِه في مقام الْعِلْم والدِّيَانَةِ.

وَقَوْلُهُ: وَلاَ خِدْناً، أي ولأَصْحَابِهِ يقرب من حَالِهِ، بل رأى نفسه منفرداً بما حَصَّلَ وأضل. وَلاَ يستغرب من هٰذَا فإِنَّ الباطن يقلُّ في كل زَمَانِ. ثم ذكر ابن الفارض فقال به: عُمَر بن الفارضِ، أي بالعقل تَجرَّد عُمَر بن الفارض الَّذِي اشتهر بالنظم للأشعارِ. فَسَهُلَ عليه الحَزْنُ، أي الصَّعْبُ منه، وتحمَّل مشاقه للمحبَّة التي اشتعلت في قلبِهِ التي هداه إليها عَقلهُ مع تقدم القدرة والاقتدار. وفي القامُوسِ: الْحَزْنُ: مَا غَلظ من الأرضِ، فإذا سَهُل ما غلظ منْهَا فأولى ما كان بسيطاً.

وابن الفارض: هو الوليّ الكبير والمحبّ الشهير إمام العُشّاق أبو حفص

عمر بن الحسن بن علي بن المرسف الحُمَيري الأصل المصري الدَّار والمولد والوفاة. له ديوان في الشعر رائق في أُسلوب غريب فائق. وله قصيدة مشتملة على ستمائة بيت على اصطلاحَاتِهم ومناهجهم. وله قصيدتان تائيتان، فيهما كَلاَم غامض شرح إحداهما أبو سَعِيد الفِرغاني شرحاً جيداً. وُلد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ سنة ست وسبعين وخمسمائة (٥٧٦ه)، وتوفي سنة اثنين وثلاثين وستمائة (١٣٧ه). فعمره ست وخمسون. وقد ذكرت في شرحي لخمريته، مناقبه ومَآثره وَمُلاَقاته بالشيخ البقال وسياحته في نواجي مكّة. وَرُجوعه لصَلاتِهِ على شيخه عند مَوْتِه، واستقراره في مضر فراجعه إن شئت.

والحُرَالي: قَالَ الشيخ زروق: هو أَبُو الحسن، علي بن محمد التجيبي الحُرَالِي بجائِي الدَّار. ترجمه صاحب عنوان الدراية: بِالعالم المطلقِ. وقال: مَا مِن فَنَّ إِلاَّ وَأَلَف فِيهِ.

ثم قوله: وباح بها: يحتمل أن يريد الحِكمة بل المعقولية أو فوائدها المقصودة، أو الموجودة، أو المشهورة أي وَبَاحَ بِالحِكْمَة أو بفَوائدِ العَقْلِ ابن الحُرَالِي، ولم يقدرُ على كتمها إذ رأى كتمه لها ضعفاً في الإيمانِ؛ إن كتمها على أَهْلها، لقوله عليه السلام: «لا تُؤتُوا الحِكمة غَيْر أَهْلها فتَظْلِمُوها، وَلاَ تَمْنَعُوهَا عَنْ أَهْلِهَا فَتَظْلَمُوهُمَهُ (١). وَرَأَى أَيْضاً تلويحه بِهَا، وإشارته بِهَا غَيْناً أي غطاء وسِتراً فما أمْكنه إلا التصريح نفعاً للعبَادِ.

والأموي: قال الشيخ زروق رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: كُنت أعرفه ثم غاب عن ذهني، وللأموي النّظم والنثر في شأن العَقْل الذي ذَكَرْنَا وإعراباً: أي بَيَاناً كَمَا نَحْنُ أَغْرَبْنَا أيْ بَيّنًا. واللّهُ تعالى أَعْلَمُ. ثم ذكر شأن شيْخه وشأن نفسه، وبهما وقع الختام. فقال:

وَكَشُّفَ عَنْ أَطْوَارِهِ الْغَيْمَ وَالدَّجْنَا عَنْ إِغْرَابِهَا لَمْ يَرْفَعُوا اللَّبْسَ وَاللَّحْنَا

وَأَظْهَرَ ابْنُ سَبْعِينَ لِي مِنهُ مَا خَفَى وَبَيْنَ أَسْرَادَ الْعُبُودِية الَّتِي

⁽۱) روي نحوه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأدب، حديث رقم (۷۷۰۷) [۱/ ٣٠٥] ورواه غيرهما.

ابن سبعين، هو الإمام العارف الرباني، المحقق القطب الصمداني، عبد الحيّ بن إبراهيم بن محمد بن سبعين. قال الغبريني: فقيه جليل، عارف نبيل فصيح، له حكمة ومعرفة، وبراعة وبلاغة. مشارك في المعقول والمنقول. أحد مشاهير الفضلاء، وله أتباع كثيرة، وموضوعات كثيرة في يد أصحابه، فيها ألغاز وإشارات، وله موشحات وأشعارٌ في طريق القوم.

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة تَسْع وستينَ وستمائة (٩٦٦هـ)؛ وهو ممَّن اختلف فيه أهْل الظّاهِر رداً وقبولاً. وأمَّا أهْل الباطنِ، فَأَجْمعُوا على تحقيق ولاَيته ومعرفته.

وفي طبقات الشعرانِي: كَان ابن سبْعين من المشايخ الأكابر، مات بمكَّة، عن خمس وخمسين سنة (٥٥ سنة). وقال فِي المُقدّمة: أخرجُوهُ من بلادٍ المغرب، وكتبوا فيه كتاباً. وقالوا فِيه: إِنه يقول: أنَّا هو، وهو أنَّا. ولمَّا قَدمَ مكة وجد السلطان الذي فيها مريضاً قد ظَهَرَ مُخْهُ؛ فَصَنَعَ له رَأْساً من القَرْع، وغَمَّ بِهِ مُخَّهُ فشفاه اللَّهُ فَقَرَّبَهُ وأَكْرَمَهُ وعظَّمَهُ. فما زال مُعظَّماً، حتى مات بُّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فقال النَّاظم فِي تَرْجمتِهِ. أَظْهَر ابن سبعين مِنْهُ، أي من أُمُورِ العَقْل فَأَخْفَى عن النَّاس، وأَضَافه إلى نفسه؛ لأنه شيخهُ. قال الشيخ زروق: وكَوْنُهُ أَظْهِرَ مِن حَقَائق العَقْل وفوائدها ما خفي ظاهر من كتبِهِ، لاَ سِيَمَا عنْدَ البَدْوِ وَمَا جَرَى مَجراهُ. وإِن كانت عبارته تحتاج إلى مُسَامحة في مَحَلُّهَا. فهي وإِنْ كَانت عَيْنِ التحقيق، فَلِلَّحْنِ نسبة في التعبير. وقوله: وبيَّن أَسْرار العبودية، يَعْنِي في كتابه البَدْوِ، الَّذِي تكلُّم فيه بِلِسَانِ المتكلم والفَيْلَسُوفِي، والفقيه والحكيم والمحقق. وأُغطى كل مسألة حَقَّهَا من كَلاَمِهِمْ. وكشَّفَ بِشَدَّ السّين للمبالغة أي كَشُّفَ عن إطارِ العَقْل وَمَرَاتبهِ الغيم، أي السحاب الرقيق الَّذِي يغطي الشَّمْس والدُّجْن: أي الظُّلاَم. وبيَّنَ أيْضاً أسْرار العبودية إذ هي شَرَف الإنسان، التي لم يرفّعُوا: أي النّاس والحكماء، عن إعرابِهَا: أي عن بَيَانِهَا، اللَّبْس أي الاختلاط والاشتباه. وفي القامُوس اللَّبْسُ بالفتح وَبِضَم: الشُّبهة. واللُّحْن بِسُكُون الحاءِ. ثم ذَكَرَ شَأَن نَفْسِهِ فقال:

كَشَفْنَا غِطَاءً مِنْ تَدَاخُلِ سِرِّهَا فَأَصْبَحَ ظَهْراً مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنَا

هَذَانَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مَا قَذْ تَوَلَّهَتْ لِحِزْيهِ ٱلْبَابُنَا وَلَهُ هُذْنَا فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السَّيْرَ لِلْجَانِبِ الَّذِي تَقَدَّسَ فَلْيَأْتِ لِيَأْخُذَهُ عَنَّا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قد كشفنا عن العبودية غطاءً كَان حَاصِلاً من تداخل سِرُهَا مع الحقيقة فبيَّنًا محلَّ العبودية، من محلِّ الحقيقة. فَمَحَلُّ العبودية الظَّوَاهِرُ، ومحلِّ الحقيقة؛ وهو شهود الرّبوبية البواطِن. وذلِكَ أَنَّ الحق تعالى تَجَلَّى بيْن الضِدَّيْن، فتجلَّى بمظهرِ الرّبوبية، في قوالِب الْعُبُودية، ليتحقق اسمه الظَّاهر، واسْمُه الباطِن.

قال في الحِكَم: السُبْحَانَ من سَتَرَ سِرّ الخصوصية بظهُور وصْف البشرية. وظَهَر بعظمة الرُّبوبية، فِي إظهار العُبُودية». فَمَنْ نظر لمطلق التجلِّي، رأى رُبُوبِية ظَاهِرة أَزلية، وَمَن نَظَرَ للقوالب رأى قوالب العبودية، فالعبْد مأمور بالقيام بحق القوالب؛ وهي آداب العبودية. وبحق الظواهر، وهي شهود عظمة الرَّبوبية. فَظَهر التمييز بيْن العبودية والرُّبُوبيَّة. فَأَصبح ظَاهِراً مَا كَانَ بَاطناً خفياً. وهذا معنى قوله: فَأَصْبَح ظَهْراً مَا رأيتم له بَطْناً. فظهراً خبرُ أصبح. وَمَا اسمُها. وبطناً مفعولٌ ثانِ لِرَأَيْتُمْ؛ أي فَأَصبح ما كنتم رأيتمُوهُ من العبودية بَطْناً ظهراً. لهذَا وَلَمْ نَرَ للنَّاظِم كَلاَماً مُسْتَوْفي فِي العبودية. بل جلَّ كلامه في أنظامه في أشرار الحقيقة. فَلْنَتَكِّلْمْ على شيءٍ مِنْهَا؛ فنقول، وباللَّهِ التوفيق: العبودية هي شَرَف الإنسَان وعزه، وسبب ترفيه إلى كَمَالِ الكَمَالِ؛ وهي مِفتاحُ الفتوحاتِ كُلَّهَا. فبقذر مَا يتحقق الظَّاهر بالعبودية يُشْرقُ على الباطِن أنوار الحقيقة. ومَرْجعها إلى تحقُّقِ الذُّلُّ في الظَّاهِر، يُظْهِر ذلِكَ بَيْنَ الأقران؛ كالمشي بالحَفَا، وتعرية الرأس، والجلوس على التراب، وغير ذلكَ مما يثقل على النَّفسِ، ويجمع ذلك كله السُّؤال في الأسواق؛ فهو يجهز عن النفس مرَّة واحدة إن كَان بِإِذْنٍ، ولغَيْر طمع، ويلحق بذلك التخلق بالأخلاقِ الحسَنَة، كالتواضع، والسَّخَاء، والكَرَم، وسعَة القَدْر، وترْك الغضب للنَّفْس، وغَيْر ذلِكَ. وإن أُردتُ أَنْ تعرف العبودية، فانظر إن اشتريْتَ عَبْداً من مَالِك، كيف تحب أنْ يكون معكَ، فكن أنت مع سيّدكَ كما تحب أن يكون عبدك مَعَكَ.

فَالعَبْد لاَ يكون بيْن يَدَي سيّده حتى يُحَرِّرَهُ سيّده إِلاَّ فقيراً ذليلاً، وَلاَ

يلبَس إِلاَّ لباس الذلَّ؛ وهي ثياب الخِدْمَة والمِهنَة. فالعبد المتأذَّب لا يتحلَّى بِحِلية سَيِّدِهِ حتى يحرَره سَيِّدُهُ. والعَبْد أَيْضاً لاَ يُدَبِّر أَمْر نَفْسِهِ؛ وهو في مَمْلكة سيِّدِهِ. إِذْ لاَ يَنْفَعه ذَلِكَ أَيْضاً.

وإِذَا أَراد العَبْد أَيْضاً أَن يَحْظَى عند سيِّدِهِ، يكون عند أَمْره ونَهْيِهِ، سَميعاً مطيعاً بالفَهْم عَنْ سيّدهِ فيَهْعَل ما يشتهي سيّده قبل أن يأمره بِهِ.

وأيضاً: العبد المحبّ لسيّده، لا يخدمه عن غرَض، إِذ لا يستحق على سيده شيئاً بل يخدمه عَبُودية ومحَبَّة. وفي الحديث: ﴿لاَّ يكُنْ أَحَدُكم كالأجِير السُّوءِ، إِذَا أَعْطِي عمل وإِلاَّ لَمْ يَعْمل ه. أو كما قال عليه السَّلامُ. ثم قال النَّاظِمُ: هَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى أو العقل بإذْنِ اللَّهِ لقولِ الحقُّ. فقلناه فيمَا نَظَمْنا؛ وَهُوَ شَرْحُ مَا تَوَلَّهَتْ، أَيْ تَحَيَّرَتْ لِعِزْتِهِ، أَي لأَجْل صُعُوبَتِهِ وغَلَبته أَلبَابُنَا؛ أي عُقولُنَا. وله هُذْنَا؛ أي رَجعْنَا. بَعْدَ نُفُورِنَا عَنْهُ لصُّعُوبَتِهِ، أي وَللَّهِ تُبْنَا ورجَعْنَا إِن لَمْ نُصَادِف الصَّوَابِ. ثم قال: فَمَن كَان يَبْغِي السَّيْرَ والنُّهُوض إلى الجانِب الأَقْدَس؛ وهو حضرة القُدْس، محلّ الأنُّس فَلْيَأْتِ إِلَيْنَا ليأخذه عنًّا. فَإِنَّ طريق السُّيْرِ لَا تَوْخَذَ إِلاَّ عِن أَرْبَابِهَا؛ وهم الذين سَارُوا مَعَهَا. وعَرَفُوا وَعْرَهَا وَسَهْلَهَا. والمُرَادُ: تَرْبِيَة النفوس وتهذيبهَا، فَلاَ تؤخذ إِلاَّ مِمَّنْ أَخَذَهَا عَنْ غيْرهِ. وسَلَكَها بنفسِهِ. وخاف مَقَامَ الجذب والسُّلُوكِ، وحازَ مقام الفَّنَاء والبقاء. وَمَنْ لَمْ يسْلك ذَلِكَ فلا يقتدى بِهِ فِي سُلُوكِهَا وبالله التوفيق. وهو الهادي إلى سَواء الطريق. هٰذَا آخِرُ ما قصدناه من شرح النونية الششترية، على تصحيف في مَثْنِهَا. فَمَن وَقَفَ على خَلَل فَليصلحه مِنْهَا وَمِن شَرْحِهَا. إِذْ قُلُّ مَا يَخلصُ مُصَنِّف مِنَ الْهَفُواتِ. أو يَنْجُو مؤلِّفٌ من العَثَرات. كما قال الشيخ خليل رحمه اللَّهُ. وكَان الفراغُ من تَبْيِيضِه، ضَحْوة يوم الخميس، فاتح رجب سنة عشرين ومائتين وألف هجریة (۱۲۲۰هـ) علی ید جامعه، العبد الفقیر أحمد بن محمد بن عجیبة الحسني.

شرح صلاة القطب ابن مشيش رضي الله عنه

لسيدي أحمد بن عجيبة رضى الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ اللَّهِ النَّهُ إِلنَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلنَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلَّهُ إِلْكُ إِلَّهُ إِلّا إِلَّهُ إِلَّهِ إِلَّهُ إِلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّهُ إِلَّلَّا أَلَّهُ إِلَّ إِلَّا أَلَّا أَلَّهُ إِلِّ

وصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدنا مُحَمَّد وَآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم تَسْلِيماً

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ، العَالِمُ العلاَّمة، الوليّ الصَّالح، العارف الربَّاني: سيّدي أحمد بن محمَّد بن عجيبة الحَسني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَعَنَا بِهِ آمِين.

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ تَجَلَّىٰ لِقُلُوبِ أُولِيائِهِ، بِكَمَالِ جَمَالِهِ وَبَهَائِهِ، فَتَنَزَّهَتْ فِي رِيَاضٍ مَلَكُوتِهِ الْأَفْكَارُ. ونشكرك يَا مَنْ تولَّى أَسْرَارَ أَنبيائِهِ وأَصْفِيَائِهِ، فخاضَتْ فِي بِحَادِ جَبَرُوتِهِ الْأَسْرَارُ. ونُصَلِّى ونُسَلِّم عَلَى بَذْرَةِ الْوُجُودِ، ومَطلع شَمْسِ السَّعُود، سيِّدنا ومَوْلانَا مُحَمَّد، الَّذي من سرَّ ناسُوتِهِ انشقَّت الأسرار. ومن لاهُوتِ صِفَاتِهِ انفَلَقَتِ الأَنْوَارُ. صَلاَةً وسَلاماً يَلِيقانِ بِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمٍ جَاهِ ومِقْدادٍ. وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَصْحابِهِ الأَبْرادِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَار.

وَبَعْدُ: فَهٰذَا شَرْحٌ لَطِيفٌ، عَلَىٰ تَصْلية القطبِ الجامع، لسيّدي عبد السّلام بن مشيش نَفَعَنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِ. وأفاضَ عَلَيْنَا مِن صيب فيضه آمين. نَدَبني إليه شيخنا العارف، الربّاني، قدوة السائرينَ. ومُربّي الواصلينَ، سيّدي محمّد بن أحمد البوزدي الحسني. فأجَبْتُهُ إِلَى ذلِكَ. رجَاءَ التحقيق بِمَحَبّّتِهِ، والشُّرب مِنْ أَحمد البوزدي ولْنقدُمْ بَيْنَ يدي الكلام، ترْجمة الشَّيْخ. وَذِكْر شَيْء مِنْ كَلاَمِهِ.

أما ترجمته: فهو الشيخ الإمام، العارف الواصل، الولي الكبير، والقطب الشهير، شمس زمانِهِ، وفريد عصره وأوانِهِ. سيّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش بالميم، وربما قيل بالباء. وإبْدَالُ البّاءِ بالميم، لغة مازنية، ومَغناهُ الخَادم الخفيف؛ الحاذق اللبيب، ابن أبي بكر بن علي، بن حُرْمَة، بن عيسى، بن سلام، بن مِزْوار. ومغناه بلغة البّربر، بكر أبيه. ويستعمل في رئيس القوم، ابن علي بن حيْدَرَة. وهو في الأصل، اسم الأسد، ابن محمد بن إدريس

الأزهر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنَّى، بن الحسن السبط، بن علي كرَّم الله وَجْهَهُ، رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِين. توفي رضي الله عنه شهيداً سنة ٢٢٢هـ، أو فيما بعده بقليل. قال ابن خَلْدُون: قَتَلَهُ في جَبَل العَلَم قَوْم، بَعَثهم لِقَتلِهِ، ابن أبي الطواجِنِ الكتامي الساحر، المدَّعي النبوَّة. وبسَبَبِّ هذه الدُّعوة، زُحَفَتْ إليه عَسَاكر سبنة. وكَان عند بني سعيد فقتل. ثم قلت: أُخْبَرني مَنْ أَثْقُ بِهِ من بني سعيدٍ، أنَّهُ قتلهُ شابٌّ مِنْهُمْ، وذلكَ أنَّ الظالمَ كَانَ فَاسِقاً. يتعمَّد بَنَاتِ النَّاس كرهاً، فتزيَّا شابَ بِزَيِّ النِّسَاءِ، فلمَّا اختلطَ بهِ فِي خَلْوَتِهِ قَتَلَهُ؛ لأنَّ الظَّالِمَ كَانَ أَرَادَ أَن يَدْخُلَ بِأُخْتِهِ، فتزيًّا بِزيِّ النِّساءِ وأُهْديُّ لَهُ، عَلَى أَنَّهُ بِنْتُ. فَقَتَلَهُ بِخُنْجَارِ. وَكَانَتْ وَفَاته سَنَة خمس وعشرين وستمائة ٦٢٥هـ، أي القطب ابن مشيش، على قَوْلِ ابن خلدون. وَدُفِنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَمَّةِ الجَبَل، المُسَمَّى بالعلم. قَالَ فِي المِيرَاثِ: وَآثاره هُنَا كثيرة، من مغارة للخَلْوَةِ والعبادة، ومسجده، جُدرانه قصيرة، ومَوْضع لاِزْتقابِ الْفَجْر، وتحت ضَرِيحهِ بِنحْوِ الْمِيل، عَيْن كَان يتوضّأُ فيها، ومقتلهُ فَوْقَهَا بقريبُ يُقالُ: إِنَّهُ توضًّا فيهَا عِنْدَ الفَجْرِ. وقَصَدَ الصُّعُود لمَحلِّ العِبَادَةِ، وارْتقابِ الْفَجْرِ، فَقَتَلُوهُ هُناك. ومِنَ الشَّائِع، أنَّه ألقي عليهم الضباب الكثيف، ودُفِعُوا إلى شَواهِقِ الجِبَالِ. فَتردوا مِنْهَا فِي مَهَاوِي سحيقة. فمُزْقوا كلُّ مُمزَّقٍ، ولَمْ يَرْجع منهم مُخبر. وتَحْت لهٰذِهِ العيْن، بمسافة أخرى، رسوم داره التي كان يسْكنُها. قلْتُ: وقد وصَلْتُهَا، وصلَّيْتُ فِي إثرِ مسْجِدِه، قُرْبِ العَيْنِ الَّتِي يُسمُّونَهَا عَيْنِ القشور عن يمينها، ولا سَاكِن هناك اليوم، وإنَّما العُمْران في سَفْح الجبل، دائراً به، في مداثر وعُمْران، يسكنها أهل هذا النُّسَبِ الشريف، ومعهم غَيْرهم. وكانَ لَهُ مِنَ الأَوْلادِ أَرْبَعَةً: محمَّدٌ، وأخمَدُ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ، وعلاَّل. ومن بني ولده محمد: بنو عبد الوهَّاب، وطائفة يسمُّون الرَّحمونيين، بقرْبِ شفشاون. ومن وَلَده علاَّل أَوْلَادَ الْفِجْفَجِ، مِنْهُمْ فرقة بمرَّاكش.

ولَهُ أَخَوَانِ: مُوسىٰ ويمُلاح. ومن بني موسَىٰ: الشفشاويّون القاطنون بفاس. ومن بني يمُلاَح: سيّدي عبد الله بن إبراهيم، نزيل وزَّان. ولَهُ مِنَ الأعمام ستَّة: يُونس، وعليج، وملهى، وميمون، والفتوح، والحاج. ومن

أولادِ يُونُسَ: أولاد ابن رئيسون. وأولاد ابن رخمُون، وأولاد مَرْحُو. ومن الممنقول عن سيدي عبد الله الغَزْواني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَوْضَةَ مَوْلاَنَا عَبْد السَّلام، مشتملة على ثلاثة قبور، الوسط منهم هُوَ قَبْرُ الشَّيخ، والذي خَلْفَ ظَهْرِهِ، قبر ولدِهِ، سيّدي محمَّد، والذي بيْن يَدَيْه، قبر خديمه ابن خدرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. ويُرْوىٰ أَنَّ الشَّيخ كَانَ يوماً بإزاءِ خَلْوَتِهِ، يتلو القرآن، ومعه تلميذه، الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي، حتى وصل سورة الأنعام، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَمْيلُ عَدْلِ لَا يُؤْخَذُ مِنْمَا هُو الله المناه، إلى الشقاء عن التعليم عن الشاذلي، والنعام: ٧٠] فَورَد عليه وارد إلهي، اقتطعه عن عَمْد واستغرق فيه مدَّة، فلمنا أفاق رفَعَ يده إلى السَّماء داعِياً. فكان مِن دُعَائِهِ: اللهُمَّ من سَبَقَ لَهُ الشَقَاءُ مِنْكَ فَلاَ يصِلْ إليَّ، وَمَنْ وَصَلَ إليَّ أكونُ له شَفِيعاً يَوْمَ القِيَامَة. اللَّهُمَّ لاَ تَبْعَتْ لَنَا مَنْ حَكَمْتَ بِشَقَائِهِ.

وأمَّا علو قدرهِ، وجَلاَلة مَنْصِبِهِ، فذلِك أمرٌ شَهِيرٌ. وقَدْ تَعْلَعْل في علوم القوم؛ التي مدارها علم التحقيق بأخلاقِ النبي ع الله عُلَام من ذلك الحظُّ الأَوْفَر، وطريقه طريق الْغِنَىٰ الأَكْبَر. قال الشَّيخ أبو الحسَن الشاذلي: دَخَلْتُ العِراقَ، واجتمَعْت بالشَّيْخ الصَّالح، ابن الفتح، فما رأيْت مِثْلَهُ، وكُنْتُ أَطْلَب الْقُطب. فقال لي بعض الأولياء: تطلب القطبَ وهُوَ بِبلادِكَ. ارجع إلى بِلاَدِك تَجِدْهُ. فرجَعْتُ إلى المَغْرِب، إلى أن اجتمعْتُ بأسْتاذِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال أَيْضاً: كُنْتُ يَوْماً بَيْنَ يَدَيْ أَسْتاذِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيْتَ شِعْرِي، هل يَعْلَمُ الشيخ اسمُ الله الأغظم. فقال ولد الشيخ: يا أبا الحسَن: لَيْس الشأن مَنْ يعلمُ وإنَّما الشَّأَن من يكون هو عين الاسم. فقال الشيخ: أصَّابَ وتفَرَّسَ فيكَ ولدي يا أبا الحسَن. وقيل: كان الولدُ المذَّكور من ثلاث سنين. وقال أيْضاً: كنْتُ في سياحَتِي في مَبْدأ أَمْرِي، حصل لي تردد، هل أَلْزَم البراري والقفار لأتفرُّغُ للطاعة والأذكار أو أرجع إلى المُدن، لصحبة العلماءِ والأخْيَار. فَوُصف لي وليُّ هُناك، وكان بِرَأْسِ جَبَلِ، فَصَعدت إليه ليلاً، وقلت في نَفْسي: لا أَدْخل عليه في لهٰذَا الوَقتِ: فسَمعتهُ وهو يقول: مَنْ دَخَلَ المَغَارة؟ اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْماً سألُوكَ أَنْ تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقك فَسَخَّرْتَ لَهُم خَلْقك فَرَضُوا بِذَٰلِكَ مِنْكَ، اللَّهُمَّ وإنِّي أَسْأَلُكَ اغُوجَاجَ الخَلْقِ عليَّ، حتَّى لاَ يَكُونَ مَنْجَا إلاَّ إلَيْكَ.

والْتَفْتُ إلى نَفْسِي، وقلتُ: يَا نَفْسِي، انظري مِنْ أَيّ بَحْرِ يَغْتَرِفُ هٰذَا الشَّيْخ؟ فلمَّا أَصْبَحْت، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَارْتَعَبْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ. فقلت: يا سيدي، كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله مِنْ بَردِ الرِّضى والتَّسْليم، كَمَا تَشْكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التدبير والإختيار، فقد ذُقْته، حَرِّ التدبير والإختيار، فقد ذُقْته، وإني الآن فِيهِ، أمَّا شكواك من بَردِ الرِّضَى والتَّسْليم فما ذقتهما. فقال: أخاف أَنْ تشغلني حَلاَوتهما عَنِ اللَّهِ. فقلت: يا سَيُدي سمعتُكَ البارحة تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْ تشغلني حَلاَوتهما عَنِ اللَّهِ. فقلت: يا سَيُدي سمعتُكَ البارحة تَقُولُ: اللَّهُمَّ إنْ قوماً. . إلخ. . . فتبسَّم ثم قَالَ: يا بني عوضَ أن تقول: سَخر لي خَلْقَكَ، قل: يَا رَبْ كُنْ لي . أترى إذا كانَ لَكَ أيفوتك شيء؟ فما هذه الجبانة؟ اهـ .

وأمَّا كَلامه في الحقائق والوصايا، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض كَلاَمِهِ: «الْزَم الطُّهارَةَ مِنَ الشُّكُوكِ، كُلِّما أَخْدَثْتَ تَطَهَّرْتَ، ومن تَدَنَّس الدُّنيا، كلَّما مِلْتَ إلى شهوةٍ، أصلحت بالتوجه ما أفسَدت بالوَّهْم، أو كدت، وعليك بمَحَبّةِ اللَّهِ عَلَى التَّوْقِيرِ والنَّزاهةِ، وأدمن الشرب بكأسها، مُع السُّكْر، كُلُّما أَفَقْتَ أَو تَيَقَّظْتَ شَرِبْتَ، حتَّى يكونَ سُكركَ وصحوكَ بِهِ. وحتى تغيب بجماله عن المحبَّة وعن الشَّرابِ. والشُّربِ والكأسُ بما يَبْدُو لَكَ مِنْ نُورِ جَمَالِهِ، وقُدْس كَمَال جَلاَلهِ، ولَعَلِّي أُحَدِّثُ مَنْ لاَ يَعْرِف المحبَّة، وَلاَ الشُّرب، وَلاَ الكَأْسَ، وَلاَ السُّكُر وَلاَ الصَّحْوَ». قال له القائل: أجَلْ، وَكُمْ مِن غَريق في الشيء لا يَعْرِفُ بِغُرَقِهِ. فَعَرَّفني ونَبَّهني على مَا أنا بِهِ جَاهِلٌ، أَوْ مَا مَرَّ عليٌّ وأنا عَنْهُ غَافِلٌ. قلت: لكَ نَعَمْ. المَحَبَّة آخذةً مِنَ الله. قُلْتُ: مَن أَحَبُّ بما يكشف له من نور جمالِه، وتُدْس كمالِ جَلاَلِهِ. وشُرْبُ المحبَّة: مَزْجُ الأوصَافِ بِالأَوْصَافِ، والأخلاقِ بالأخلاقِ، والأنوارِ بالأنْوَارِ، والأسماءِ بالأسماءِ، والنُّعُوتِ بِالنُّعُوتِ، والأفعالِ بالأَفْعَالِ. وَيَتَّسعُ فيه النَّظر ولِمَنْ شَاءَ الله عَزَّ وَجلَّ. والشُّرْب: سَقي القلوب، والأوصال والعُرُوق مِن لهٰذَا الشراب، ويكُونُ الشربُ بِالتَّذريب بَعْدَ التَّدريب، والتهذيب بعد التهذيب، فيسقى كل على قَدْرِهِ، فمنهم مَنْ يُسْقَى بِغَيْر واسِطةٍ، والله يتولَّى ذلك، ومنهم من يُسقى مِن جِهَةِ الْوَسَائِطِ، كَالملائِكَة والعُلماء، والأكابِرِ مِنَ المُقَرِّبِينَ، فمنهم من يسكر بشهودِ الكأس، ولَوْ لَمْ يَذُقْ بَعْدُ شيئًا. فمَا ظنَّك بَعْدُ بالذُّوق، وبعدُ بالشرْب، وبَعْدُ بالرِّي، وبَعْدُ بالسُّكُر، وبعدُ

بالمشروبِ. ثمُّ بالصحوِ، ثم بعدَ ذلك على مصادر شتَّى. كالسُّكُر أيْضاً كذلك.

والكأس: مِغرفة الحقّ، يُغرفُ بِهَا مِن ذلكَ الشَّرابِ الطهور المحضِ الصَّافي، لمَن شاءَ من عِبَادِهِ المخلصينَ من خَلْقِهِ. فتارة يشهد الشراب بذلكَ الكَأْسِ صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها عِلْمية. فالصُّورة حَظُّ الأبدانِ والنُّفوس، والمعنوية حظُّ القلوب والعُقول، والعلمية حَظُّ الأرواحِ والأُسْرَار. فَيَا لَهُ مِن شَرَابٍ ما أَعْذَبَهُ! فطوبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ ودَامَ وَلَمْ يُقْطَعُ عَنْهُ. نسأل الله من فضله، ذَلِكَ فضل الله يؤتيه من يشاء. وقد تجتمع جَمَاعة من المُحِبِّينَ، فَيُسْقَوْنَ مِن كَأْسٍ واحدة، وقد يُسْقَوْن مِن كُؤُوسٍ كثيرة، وقد تختلف الشُّربُ من كأس واحدة. وإن تختلف الشُّربُ من كأس واحدة. وإن شرِبَ مِنْهُ الجَمُّ العَفِيرُ مِن الأحِبَةِ اهد. قُلْتُ: وَقَدْ شَرَحْت هٰذَا الْكَلام، في شَرْحِنَا لخمرية ابن الفارض اهد.

"ومِنْ وَصَايَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لتلميذهِ أَبِي الحَسَنِ، قال له: الله الله والنّاسَ نَزّهُ لسَانَكَ عَنْ ذِكْرِهِمْ، وقَلْبكَ عَنِ التّمَاثل مِن قِبَلِهِم.. وقل: اللَّهُمَّ ارحَمْنِي مِنْ ذِكْرِهِم، ونَجْني مِن شرّهم، واغنني بِخَيْرِكَ عَنْ خَيْرِهِم، وتَوَلّني بالخُصُوصية مِنْ بَيْنهِمْ. إنَّكَ على كل شيءٍ قدير وقال الشَّيخ أَبُو الحَسَن رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَوْصَانِي حَبِيبِي، أَي أُسْتاذي مَوْلاَنَا عَبْد السَّلام بن مشيش، فقال: يَا اللّهُ عَنْهُ: أَوْصَانِي حَبِيبِي، أَي أُسْتاذي مَوْلاَنَا عَبْد السَّلام بن مشيش، فقال: يَا أَب الحسَن: لا تَنْقُلْ قَدَمَيْكَ إلا حَبْث تَرْجُو ثَوَابَ الله، وَلا تَجْلِسْ إلا حَيْث تَأْمُن عَالمًا مِنْ مَعْصِية الله. وَلا تَصْحَبْ إلا مَن تَسْتعينُ بِهِ عَلَى طَاعَةِ الله. وَلا أَمْن عَالمَهُ عَلَيْكَ، فَإِنّهُ لئيمٌ، وَلا مَنْ يَوْثُركُ على أَسْتاذي فَقَالَ: "لا تَصْحَبْ مَنْ يُوثِر نَفْسَهُ عَلَيْكَ، فَإِنّهُ لئيمٌ، وَلا مَنْ يَوْثُركُ على أَشْهَا فَقَل ذِكْرهُ، واصحبْ مَنْ إذا ذُكِرَ، ذُكِرَ الله، فإنَّه يُغنى بِهِ إذا شُهدَ، وينوب عَنْهُ إذا فُقد ذِكرهُ نور القلب، ومُشاهدته مِفتاحُ الغيوبِ».

وقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا الْحَسَن «اهربْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَهْربَ مِنْ شَرِّهِمْ، فَإِنَّ خَيْرَهُمْ يصيبكَ فِي قَلْبِكَ، وشَرَّهُمْ يصيبُكَ فِي بَدَنِكَ، ولأَنْ تُصَابَ فِي قَلْبِكَ، ولعَدُوَّ تصِلُ بِهِ بَدَنِكَ خَيْرٌ مِن أَن تصابَ فِي قَلْبِكَ، ولعَدُوَّ تصِلُ بِهِ إِلَىٰ رَبِّكَ، ولعَدُوَّ تصِلُ بِهِ إلىٰ رَبِّكَ خَيْرٌ مِنْ حَبِيبِ يقطَعُكَ عَنْ رَبِّكَ».

وَقَالَ أَيْضاً: سَأَلْتُ أُسْتَاذِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلامُ: «يَسُّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشُّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا». فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دلُّوهُمْ عَلَى الله، وَلاَ تَدُلُّوهُمْ على غَيْرِهِ، فإنَّ مَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ الدُّنْيَا فَقَدْ غَشَّكَ، وَمَنْ دَلِّكَ عَلَىٰ العمل فَقد أَتْعَبَكَ، ومَنْ دَلَّكَ عَلَىٰ الله فَقَدْ نَصَحَكَ.

وَقَالَ أَيْضاً: فَقَدْ سَأَلَنِي أُسْتَاذِي فَقَالَ: يَا أَبَا الحَسَن: بِماذَا تَلْقَىٰ الله؟ فَقُلْتُ بِفَقْرِي، فَقَالَ: لَيْن لَقيت الله بِفَقْرِكَ لتَلْقِينَهُ بالصَّنَم الأغظم. وإنّما يُلْقَى الله بِهِ سُبْحَانَهُ، لاَ بشَيْءٍ سِوَاهُ. وقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا سيّدِي وَظُفْ عليَّ وظائف وأوراداً أغمَلُ بِهَا. فَقَال لَهُ: أَرَسُولٌ أَنا؟! الفرائض مشهورة، والمحرمات معلومة، فَكُن للفَرَائضِ حَافِظاً، وللمعاصِي رَافِضاً، واخفَظْ نَفْسَكَ مِن حُبً النّباء وحُبّ النّباء وحُبّ النّباء وحُبّ النّباء وحُبّ النّباء وحُبّ المُخاهِ، وإيثار الشهوات، واقنع بِما قسمَ الله لك. إذا أخرج لك مخرج السّخطِ، فكن فِيهِ شَاكِراً، وإذا أخرج لك مخرج السّخطِ، فكن عليه صَابراً.

وحبُّ الله قُطْبٌ تَدُور علَيْهِ الخَيْراتُ، وأَصْلٌ جَامعٌ لأنواعِ الكراماتِ وَحَصْرُ ذلك كلّه في أَرْبَع: الوَرَع، وحُسْن النَّيَّة، وإخلاص العمل، وصُحْبة العلم؛ ولا تَتِمُّ لهُ هذه الجملة إلاَّ بِصُحْبَةِ أَخِ صالح، أو شَيْخِ نَاصِحِ.

أَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي محمَّد، سَيِّدي عَبْد الرَّحمٰن المَدني، المُلقَّب بالزيَّات، لسُكناه بحارة الزَّيدتين، وكَانَ الشَّيخ سيَدي عبد السَّلام بن مشيش في صُغْرِه، انقطع للعبادة في مغارة بِجَبَلِ العَلَمِ، بَعْد أَن أَذْرَكَهُ الجَذْب؛ وهو ابْن سبع سنين. فَدَخل عليه بعد مُدَّةٍ رجلٌ عليه سيما أهل الخَيْر والصَّلاح، فقال: أنا شيخُكَ الَّذي كنت أمُدَكَ من وقت الجذبِ إلى الآن، ووصَفَ لَهُ ما وَصَلَ إلَيْه عَلَى يَدَيْهِ ومن المُنازَلاتِ والمَعَارِف، وَفَصَّل لَهُ ذلِكَ مقاماً مقاماً، وحالاً حالاً، وعين لكل حالٍ زَمَنهُ، ثم سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ بعد ذلِكَ، هَلْ كَانَ يأتيكَ أَوْ كُنْتَ تأتيه؟ فقال: كل قد كان. فقيل لهُ: أطباً لمسافة المكان، أو سفراً. فقال: طياً. وأخذ شيخه المذكور، عن عارف وقْتِهِ: القطبُ تقي الدِّين الفقير فيهما، وهو من أرض العِراق، وهو عن القطب فَخْر الدِّين، عن القطب نور الدِّين أبي الحسين، عن القطب تاج الدِّين، عن القطب شمس

الدِّين بأرض الترك، عن القطب زين الدِّين القزويني، عن القطب أبي إسحاق، إبراهيم البَصْري، عن القطب محمَّد أبى القاسم أحمد المِرْواني، عن القُطْب أبي محمَّد سعيد، عن القطب سَعْدِ، عن القطب محمد فتح السعود، عن القطب سعيد الغزواني، عن القطب أبي محمد جابر، عن أوَّل الأقطاب، سيَّدنا الحسَن، عن أبيه سيَّدنا علي بن أبي طالب، عن سيَّد الأولين والآخرين، سيَّدنا ومَوْلاَنا محمد ﷺ، ويتَّصل نَسَبُنَا بِلهٰذَا الشَّيخ، من طريق شَيْخنا العارف البُزَيْدي الحسنى، عن شيخه العارف، مَوْلاي العربي الدرقاوي الحسني، عن شيخه العارف، سيدي على العمراني الحسني، عن شيخه العارف سيدي العربي بن أحمد، بن عبد الله، عن أبيه سيدى أحمد بن عبد الله، عن سيدى قاسم الخصاصي، عن العارف بالله، سيدي عبد الرحمٰن الفاسي، عن سيدي محمّد بن عبد الله الكبير، والد سيدي أحمد، وهما عن القطب سيدي يوسف الفاسي، عن العارف سيّدي عبد الرحمٰن المجذوب، عن شيخه سيّدي على الصنهاجي؟ المشهور بالدوار، عن شيخه سيدى إبراهيم أفحام، عن سيدي أحمد زروق، عن شيخه سيّدي أحمد بن عقبة الحَضْرَمي، عن سيدي يحيى القادري، عن القطب سيدي علي بن وفا، عن والده سيدي محمَّد بحر الصفا، عن سيدي داود الباخلي، عن سيدي أحمد بن عطاء الله، عن القطب سيدي أبي العباس المرسي، عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن القطب الكبير العارف الشهير صاحب التصلية؛ الَّذي قال في أوَّلِهَا:

«اللّهُمّ». أي يا الله، حذفت الياءُ إزالة للبُغدِ الذي تدلّ عليه، وعُوضَتْ عنها الميم، دلالة على الجَمْعِ، ولذلكَ قال الحسَنُ: مَن قال: اللهمّ، كأنّما دَعَا الله بأسْمَائِهِ كُلّها؛ لأنّ الميم تدلّ على الجَمْعِ كهُمْ (صَلّ) أي ترجّم وتعطف (عَلَىٰ سيّدنا ومَوْلاَنَا محمّد (مَنْ) أيْ الذي (مِنْهُ أيْ من نورِهِ؛ الذي هو بَذْرة الوجود، والسبب في كل مَوْجُودٍ. ويحتمل أن تكون مَنْ تعليلية، أي من أجله على الأَخْتُ وظَهَرَتْ، أوْ نَبَعَتْ وَانْفَجَرَتْ (الأَسْرَارُ) أي أَسْرار الذَّات العالية، وقد كانت قبل ظهور نوره محجوبة باطنية، تجلّى فيها الحق تعالى باسمه الباطن، فلمًا أراد أن يتجلّى باسْمِهِ الظّاهِرِ، أظهر قبضةً مِنْ نوره،

فقال: كُوني محمَّداً، فَمن تلك القَبْضَة المُحمَّديَّة، تكوَّنَتِ الأكوانُ، منَ العَرْش إلى الفرْش، فما ظهرت أشرار الذَّاتِ، إلا من تلك القبْضة النورانية، فَظَاهِرُهَا ذات، وباطنها صفات، وبتلك الصفات، وقع التكثيف والتصويرُ، والتعبيرُ، والتشكيل والتحيير. وإلى ذلك أشار بقولِهِ: «وانْفَلَقَتْ، أي من نورِهِ ﷺ، انفلقَتْ أي انفلقَتْ، أي انفلقَتْ، أي انفلقَتْ وظَهَرَت «الأنوارُ» أي أنوار الصفاتِ، وأنوارُهَا: أي آثارها؛ التي ظهرتُ على ظاهر التجليات. مِنْ تكثيفٍ وتلطيفٍ، وتقييدٍ وتخصيصٍ، وتشكيل وتمييز، وإغزاز وإذلالٍ، وخَفْض وَرَفْع، وقبْض وبَسْط، وغَيْر ذلِكَ مِن اختلافِ الآثار، وانتقالات الأطوار، فهذه كلها من آثار الصفات الأزلية، التي هي القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة. والصفات لا تفارق الموصوف، لكِنْ الصفات، والصفات عين الذَّات، أي مَحَلَها واحِدٌ، فَحَيْث تجلَّتِ الذَّاتُ تجلَّتِ الصّفات، والعنات، والعنات، ظَهَرتِ الذَّات، فَعَبْروا عن هٰذَا الكلام الصّفات، والعيْن.

فأهلُ الفَرْق وهُمْ أهل الحجابِ، لا يشهدون إلاَّ الصفات، أي أثرها؛ وهم محجوبون عن شُهُودِ الذَّاتِ. فكُلُّ مَن دَخَلَ عالم التكوين، فهُوَ من تِلكَ القَبْضةِ، فَظَاهِرها الخ... وأهلُ الجمْع؛ وهم أهل الجَذْبِ والفناء، لا يشهدونَ إلاَّ الذَّات، ويغيبُونَ عن أثر الصفاتِ، وأهل البقاءِ؛ وهم أهلُ الكَمَالِ يشهدونَ الذَّات فِي الصّفاتِ، والجمْعَ في الفَرْقِ، لا يحجبُهُمْ جَمْعهم عن فَرْقِهِمْ؛ ولا قرْقُهُمْ عن جَمْعِهم، يعطون كل ذي حقَّ حقَّهُ، ويُوفون كُلَّ ذي قِسْطِ قِسْطَهُ. فَرَقُهُمْ عن جَمْعِهم، يعطون كل ذي حقَّ حقَّهُ، ويُوفون كُلَّ ذي قِسْطِ قِسْطَهُ. فَكَلام الشيخ رضي الله عنه مِنْ بابِ التَّرقي، فانشقاق الأَسْرَارِ؛ لأهل الفَنَاءِ فِي الذَّاتِ؛ وهم أهل الجذبِ والسكر. وانفلاق الأنوار لأهلِ البقاءِ؛ وهو الرجوع إلى شهودِ الأثرِ بالله، وهم أهل السلوكِ بَعْدَ الجذبِ والفناء.

ويحتمل أن يريد بقوله: منه انشقت الأسرار. أي أسرار الجبروت، ومنه انفلقت الأنوار، أي أنوار الملكوت. أو تقول: منه انشقت الأسرار. أي أسرار، الحقيقة، وانفلقت الأنوار، أي أنوار الشريعة. أو تقول: منه انشقت الأسرار، أي أشرار الإحسان، وانفلقت الأنوار، أي أنوار الإيمان والإسلام. أو تقول:

منه انشقت الأسرار: أشرار عالم الغَيْب، وانْفَلَقَتِ الأَنْوَار: أنوار عالم الشَّهَادَةِ. أَوْ تَقُولُ: مِنْهُ انشقت الأشرار: أَسْرَار القدرة. وانفلقَت الأنوار، أنوار الحِكمة.

ويحتمل أن يكون كلامة من باب التّدلّي، فيكونُ قدّم أوّلاً مقام أهل الإحسان، من أهل الشهود والْعِيَان. ثم نَزَل إلى مقام أهل الدّليل والبُرْهان، وهم أهل شهود أثر الصّفَات، قبل شهود الذّات، فيكون قولهُ: انشقّتِ الأسرار لأهل الفنّاءِ في الشّفات؛ قبل الفنّاءِ في الشّفات؛ قبل الفنّاءِ في النّات. فإنّ عامّة المتوجّهينَ، يَبْتدئون بِشهودِ الأثرِ، ثم يَرْتقُونَ إلى شهودِ المُؤثّرِ بالشريعة، ثم بالحقيقة وبالإسلام والإيمان، ثم بالإحسان، وبعالم الشّهادة، ثم عالم الغينب، وبالحِكمة ثم القدرة، فيكون أوّلاً في توحيد الأفعال: لا فاعل إلا الله؛ وهو نهاية الصالحين، ثم في توحيد الصفات: لا حَيّ ولا قادِر وَلا مُريد، وَلا سَمِيعَ، وَلا بَصِير، ولا متكلّم إلاّ الله، ثم في توحيد الدّاتِ، الذّاتِ: لا موجود إلاّ الله، ثم يزيدون إلى مقام البقاءِ، وإلى ذَلِكَ أشار بعضهم بقولِهِ:

ويَفْنَىٰ ثُمَّ يَفْنَىٰ ثُمَّ يَفْنَىٰ فَكَاذَ فَسَاوُه عَيْنَ البقاءِ

ولقَدْ سمعتُ شيخنا البوزيدي رضي الله عَنهُ يَقُولُ: طريقنا ليْس فيها إلا فَنَاءانِ: فناء الأفعال، وفناء الذات. وأما فناء الصفات فهو معنوي في فناء الذّات؛ وهو كما قال رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، لأن طريق الشاذلية مختصرة، صاحبها أول قدم يضعه في مقام الإحسان فيفنئي أوّلاً في الاسم، ثم في الذّاتِ فنهاية الصّالحين، بداية العارفين، وكلامنا كله مع مَنْ وجد شَيخ التربية، أمّا من لم يجد فَلاً كَلاَم مَعَهُ، إذ لا سِرٌ لَهُ.

تنبية: إنما خصّ تجلّي الذَّات بالأسرار، وتجلّي الصفات بالأنوار؛ لأن تجلّي النَّات لا يدركه إلاَّ الخواصّ، أو خواصّ الخواصّ. ومن شأن السرّ أن لا يُذركه إلاَّ الأفراد، نجد في تجلّي الصفات؛ وهو الأثر، فيُدركه العام والخاصّ. كما أنَّ النور كذلِكَ، لا يخفى على أحدٍ، وإنما خصَّ أيْضاً السرّ بالشقّ، والنُّور بالفلقِ، لأنَّ الشق يكون أوّلاً، ثم يقع الفلق ثانياً. تقول: انشقّت الإناءُ إذَا لَمْ تَنْفَصِلْ. فاحتجبَت بِلاَ حجاب، ولله درّ القائل:

وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الظُّهُورَ تَسَتُّرُ وَمَا احْتَجَبَتْ إلاّ بِرَفْع حِجَابِهَا وفي مشاهدتها على ثلاثة أقسام:

قسم يشهدونها بعد مشاهدة الأكوانِ؛ وهم أهل.

فإذا انْفَصَلَ، تقول انفَلَقَ، كذلِكَ انشقّت الأشرار، يكون أوَّلاً لأهل الفناء، وانفلاق الأنوار يكون ثانياً لأهل البقاء بعد الفناء. واعلم أن الأنوار الحسية ثلاثة: نورُ النجوم، ونور القمر، ونور الشمس. والأنوار المعنوية كذلك: نور الإسلام، كَنُورِ النُّجُوم، ونور الإيمان كنور الْقَمَرِ، ونور الإحسان كَنُورِ الشَّمْسِ، أَوْ تقول: نور الفَنَاءِ في الأفعالِ كنُور النجوم، ونُور الفناءِ في الصفات، كَنُور القَمَر، ونور الفناء في الذَّاتِ، كنُور الشَّمْسِ. فأوَّلُ ما يَحْشَفُ للمُرِيد، نور ضعيف كُنور النجوم، فتراه يسقط ويقوم، لخفاءِ الطريق، تختفي. ثم يَبْدُو لَهُ قَمَرُ التوحيد. فيقل عِثارُهُ. ثم تطلع عليه شمس العِزْفان، فلا يخفى عليه مكانٌ، وفي ذلك يقول المجذوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

طَلَعَ النَّهارُ على الأقمارِ ولا يَبْقَى إلاَّ رَبِّي ﴿ النَّاسْ زَارَتْ مُحَمَّدُ وَأَنَا سَكَنْ لِي فِي قَلْبِي

وقال أيضاً:

وقال آخر:

طَلَعَ النِّهارُ عَلَىٰ قَلْبِي

حتئى نظرته بعينيا

إِنَّ شَمْسَ النَّهَادِ تَغْرُبُ بِلَيْل وقُلْتُ فِي قصيدتي الرَّائية، في سِرِّ الرُّوح:

وشَمْسُ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ

لطيفة نُورِ في كَثَافَةِ ظُلْمَةٍ فَإِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَغَيَّبَتْ ألا إِنَّ شَمْسَ الحِسِّ تَغْرُبُ لَيْلُهَا

ولكِنَّ بَدْرَ التَّام في لَيْلِهِ يَجْرِي غَيَاهِبُ لَيْل عَنْ سَمَا قَلْبِكَ الدُّرِّي ولَيْسَ لِشَمْسِ الحَقِّ مِنْ أَفُل يَجْرِي

واعْلَمْ أَنَّ هَذَهُ الْأَنُوارِ؛ التي انفلقت مِن نُورِهِ عليه السَّلام، انحجَبَتْ بِسِرِّ الحِكْمَةِ في حَالِ ظهورها، إذْ لا بُدُّ لِلْحَسْنَاءِ مِنْ نِقَابِ، وللشَّمْسِ من سَحَابٍ، فَاحْتَجَبَتْ بِلاَ حِجَابِ، ولله درُّ القائِل:

وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الظُّهُ ورَ تَسَتُّرُ

وَمَا احْتَجَبَتْ إِلاَّ بِرَفْعِ حِجَابِهَا

والنَّاسُ في مُشاهدتها على ثلاثة أقسام:

قسم يشهدونها بعد مُشَاهَدَة الأَكْوَانِ؛ وهم أهْل الجَذْبِ والفَنَاءِ، مِنْ أهْلِ مقام الإِحْسَانِ، وإليه أشار بعضهم بقوله: ما رَأَيْت شَيْئاً، إلاَّ رأَيْت الله قبله، ولَمْ أَره حَدِيثاً، وإما هو من قول بعض العارفين، كالذي قبْلَهُ. والله تعالى أَعْلَمُ.

وقَالَ الشَّيْخُ مَوْلاَنَا عَبْد السَّلام لِتِلْمِيذِهِ أَبِي الحسَنِ: ﴿ حَدُدْ بَصَرَ الإيمَانِ ، تَجِدِ الله تَعَالَىٰ في كُلِّ شَيْءٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَعَ كل شيْء ، وَتَحْتَ كل شيْء ، وقريباً من كلِّ شيْء ، ومحيطاً بكلِّ شيْء ، بِقُرْبٍ هُوَ وَضْفُه ، وبِإِحَاطَةٍ هِي نَعْتُهُ . وعُدِّ عَنِ الظَّرْفِيةِ والحدودِ ، وعن الأماكِنِ والجِهَاتِ ، وعن الصحبة ، والقرْب في المَسَافَاتِ ، وعن الدُّور بالمخلوقاتِ ، والمُختَّ الكلّ ، بوضفه الأول والآخِر ، والظَّاهر والباطِنُ ، وهُو هُو هو . كَانَ الله وَلاَ شَيْء مَعَه ، وهو الآن على ما عليه كان . وقوله : حَدَّد بحاءِ مهمَلة ، أي صِف ، وقوله : وامحَق ، هو بالميم من المحقِ ؛ وهو المخق والإضمِحْلالُ ، وبَاقِي كلامِه ظاهر عِنْد أهل الأَذْوَاقِ ، نَفَعَنَا الله بذكرهِمْ ، وخَرَطَنَا فِي سِلْكِهمْ آمينَ .

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: ﴿وَفِيهِ الْهُ عَنهُ الْهِرْفَانِية وَالْأَسْرِارِ الرَّبَانِية والعلوم التفَعَث وأشرقَت شُمُوسُ ﴿الحَقَائِق العِرْفَانِية والأَسْرِارِ الرَّبَانِية والعلوم اللَّدُنية . شبَّه قَلْبَهُ عليه الصَّلاة والسَّلام ، بِسَمَاء صاحِبَة ، أشرقت فيها شموس كثيرة ، فامتَلاَّت بِالأَنْوَارِ . ولذلك جمع الحقيقة ، وإن كَانَت في الأصل واحدة ولأنه عليه الصَّلاة والسلام ، اجتمع فيه من الحقائق ، ما افترَقَ في غَيْره . فكان باطنه عليه الصَّلاة والسلام ، معموراً بِأنوار الحقائق ، وظاهِرُهُ معموراً بأنوار الخائق من الجِهتين : ظاهره الشَّرائع ، فكان عليه الصَّلاة والسلام ، أعطاه الله القوة مِنَ الجِهتين : ظاهره معمور بالحقائق . وَلاَ يكون هذا إلاَّ له عليه الصلاة والسلام ، أوْ لِمَن كَان على قَدَمِهِ ﷺ ، مئن أهّلهُ الله للاقتِداء بِه . ويكون هٰذَا والسلام ، أوْ لِمَن كَان على قَدَمِهِ ﷺ ، مئن أهّلهُ الله للاقتِداء بِه . ويكون هٰذَا لاَ تجتمع مجاهدة ومشاهدة ، إلاَّ في رَجُلٍ واحدٍ ، على قَدمِه ﷺ ، واعترف قول الشيخ اليوسي في بعض أدعيته : وزيّن الظاهر بالمجاهدة ، وزيّن الباطن

بالمشاهدة. إذ لا مُجاهدة في الظَّاهِرِ، قبل مشاهدة الباطِنِ، كما تقدُّم.

وقال شيخ شيوخنا سيدي على الجمل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الوليُّ الكامل؛ هو الَّذي يكون ظاهره معموراً بالشَّرائع، وباطنهُ معموراً بالحقائق. قُلْتُ: وهذا قليلٌ. وعلى تقدير وُقوعِهِ: تكون عِبَادة الله معمولاً فيها بالقدرةِ، فلا مجاهدة له فيها البتَّة. والغالب على أهل الباطِن خفاء أغمَالِهم؛ لأنَّها قَلْبيَّة بين فِكُرةٍ ونَظْرةٍ، وشهودٍ وعِبْرةٍ، لا يزيدون على الفرائض إلاَّ ما تَيَسَّرَ. ثم يستغرقن في الفِكرة والنظرة التي هي أفضل العبادات، ساعة منها تَفْضل عبادة سنَةٍ، كما في الحديث. وفي رواية سَبْعين سَنَة. والجمع بَيْنهما، أنَّ الأول في فِكْرة أهل الحجابِ، والثاني في فِكرة أهْل العِرْفان. وفيه قال الشاعِرُ:

كُلُّ وقْتٍ مِنْ حَبِيبِي قدرُهُ كَالْفِ حَجَّةٍ

أي: سنة. وقال أبو العبَّاس المُرْسي، رضي الله عنه: قَوْمٌ أقامَهُمُ الله لخِدْمتِهِ، وقَوْمٌ اخْتَصَّهُمْ لِمَحَبَّتِهِ. ﴿ كُلَّا نُمِدُّ هَتَوْلَآهِ وَهَكَوْلآةٍ مِنْ عَطآهِ رَبِّكٌ وَمَا كَانَ عَطَآهُ رَبِّكَ مَعْلُورًا ۞﴾ [الإسراء: ٢٠] فأهْلُ المَحَبَّة، هم أهْلُ الفِكْرَة، وأهْلُ الخِدْمَة، هم أهْلُ العبادة الظَّاهرةِ. أوْ تقول: أهْلُ المحبَّة هُمْ أهْل العِبَادة القلبية. وأهلُ الخِدْمَةِ؛ هم أهل العِبَادَةِ الخارجية. أوْ تقول: أهْلُ المحبَّة، هم أَهْلِ العِبَادَةِ المَعْنَويَّةِ، وأَهْلِ الخِدمَةِ هُمْ أَهْلِ العِبَادةِ الحِسِّيَّةِ.

والحاصلُ: أنَّ عمل الشريعة، لا بُدُّ لهُ أنْ يغتبرَ الحقيقة. والحقيقة لا بُدُّ أَنْ تَعْتَبِرَ الشريعة. إلاَّ مَا لا بُدُّ مِنْهُ. وَمَنْ قال خِلاَفَ هٰذَا، فهو جَاهِل بِعِلْم الباطِنِ. وقد رأيْت فِي قوتِ القلوب؛ لأبي طالب المكِّي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ بعض العَارفينَ قال لَهُ المَلَكُ الَّذي يكْتُبُ أَعْمَالَهُ: يَا سَيِّدي، فَرَّحْنَا بشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالكَ، أي ظهَّرْهُ لَنَا، نتقرَّب بِهِ إلى رَبِّنا. فَقَالَ له: أمَا يكفيكَ الصلوات الخَمْسُ. وانظر قول الشاعر؛ وهو الحَلاَّج:

تَغِيبُ عَنِ الكرّام الكَاتِبينَ إلَىٰ مَلَكُوتِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

قلوبُ العادفينَ لهَا عُيُونٌ تَرَىٰ مَا لاَيُرَىٰ للنَّاظِرِينَ والسيئية بباشراد تُستَاجِي والجنحة تبطير بغنير ديش وقد ذَيَّلْناهُ بِبَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ فقلت:

وأَفْسُدةً تَهِيبُمُ بِعِشْق وُجُدٍ إَلَىٰ جَبَرُونِ ذِي حَقَّ يَقَيِنَا فَجَدُلُ رُوحِكَ قبليلاً فِينَا

فَ إِنْ أَرَدت دَرْكَ ذي الْسَسَعَ انِسِي

فهذه عبادة العارفينَ المحققينَ، باطنية خفية. ولذلكَ اخْتَفُوا عن كَثير مِنَ النَّاسِ. فَلاَ يَعْرِفْهُمْ إِلاَّ مَنْ أَرَادَ الله أَن يُعَرِّفَهُمْ بِهِمْ.

ثمَّ أشَارَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الْعِلْمِ الظَّاهِرِ؛ الذي علمه عليه السلام فقال: «وتَنَزَّلَتْ» فِي قَلبِهِ عليه السَّلام، بالوحي والإلهام «عُلُومُ آدَمَ» عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَعَلَمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلُّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] أي ألهَمَه الله، وألقَىٰ في فطريه مَعْرِفةَ الأشياءِ كُلُّها، ولغات الألسُن كُلُّها، مِنْ عَرَبيَّة وسِرْيانية وغيرهما، مما تكلم به أوْلاَدهُ، وكَذَلِك نَبِيتنا عليه الصلاة والسلام، علمَهُ الله أسماءَ الأشياءِ ومسمياتها وزَادَ معرفة خواصها ومَنَافعها. وكان عليه السَّلامُ، يَعْرف لغات العرب والْعَجَم وغَيْرهما، فَكَانَ يُخَاطِب كل قَوْم بِلُغَتِهِم، ويكْتُبُ إلَيْهم بعُرْفِ كَلامِهِمْ. وقد أطلعه الله تعالى، على عُلوم المتقدمين، وشرائعهم الدَّارسة، وأخبارهم الماضية، وعَلِمَ ما يكونُ في أُمَّتِهِ مِنَ الأَخْدَاثِ والوقائِع. وما يَلْقَوْنَ من المصائِبِ والفَجَائِع، وخَصُّهُ الله بِأَسْرارِ، لَمْ يطَّلْعْ عليها أَحَدٌ مَن خلقِ الله. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، يخصّ قوماً بأَسْرَارٍ لَمْ يَفْشِهَا لغَيْرِهِمْ. حتَّى قال الفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْت أَدْخُلُ على النبيِّ ﷺ، ومَعَهُ الصدِّيق رضي الله عنه، وهما يتكلمَانِ في عِلْم السرِّ، وفي عِلم التوحيد، فأكون بينهما كالزُّنجي، لا أعرف ما يقولانِ. قال سيدي عبد الوارث، في شَرْح المَبَاحِثِ: كَانَا أَوَّل مرَّةٍ يتكلمَانِ فِي عِلْم السرِّ، فإذا دَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكَا. ثم أَشرَكَاهُ في المذاكرةِ. فإذا دَخَلَ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكُوا، ثم أشركوهُ في المُذَاكرةِ، فإذَا دَخَلَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمْسَكُوا، ثم أَشركُوهُ في المُذَاكَرَةِ. وقال غيرهُ: كَانَ عليٌّ رضي الله عنه، يَفْهَم تِلك الأسرار، قبل أن يشركوه فِي المُذَاكَرَةِ. والله أغْلَمُ.

وهذه الأسرار لَيْسَت من علم الظَّاهر، وإنَّما هِيَ من عِلْم الباطِنِ، فحقها أَن تُذْكر عِنْدَ قَوْله: ﴿ وَفِيهِ ارْتَقَتِ الْحَقَائِقُ ﴾ . لكن انْجَرُّ الكلاَم إلَيْها فِي لهذَا الْمَوضُوعِ. فالأَمْرُ قَريبٌ، إذ إنَّ عِلْمَ الباطِنِ، لاَ يتحقق إلاَّ بعد الْعِلم الظَّاهر؛ وهو ما يتعلُّق بإضلاًح الجوارح الظَّاهرة.

فالعلومُ ثلاثة: علمٌ يتعلَق بإصلاحِ الظَّاهِرِ، ويُسَمَّى علمَ الشريعة، وعِلْمُ الحِكْمَة، وعِلْمٌ يتعلق بإضلاحِ الْبَاطِنِ؛ ويُسمَّى عِلمَ التَّصَوُّفِ، وعِلْمٌ الطريقةِ. وهما كَسْبِيّانِ، وعِلْمٌ مَوْهُوبٌ، ويُسمَّى علم الحقيقة؛ وهو الثمرة والغاية. فكُلِّ علم لا يُبَلِّغ صاحِبَهُ لِعِلْمِ الحقيقةِ؛ فَهُو ناقِصٌ. إِذْ نَمرَةُ العِلمِ العمل، وثمرة العمل الحال. وثمرة الحال الذَّوق والوُجْدَان؛ وَهُو نِهَايَةُ الْعِرْفَانِ. وَلاَ بُدَّ مِن السيخ مُربِّي، ينقل المُريد من عِلْمِ الشريعة، إلى عِلْمِ الطريقة، مع تحقيق السريعة. وإلا بَقِيَ في أحدهما عَلَىٰ الدَّوامِ. والشريعة تُصْلِحُ الظُّواهر، والطريقة تصلح السَّراثر. أَوْ تقول: الشريعة أَن تَعْبُدَهُ. والطريقة أَن تشهدَهُ. أَوْ تقول: الشريعة للطالِبينَ. والطريقة المسائرينَ. والحقيقة لرَفع السُّنُورِ. أَوْ تقول: الشريعة للعالِبِ الأَجُورِ. والطريقة لطالبِ الحُضُورِ. والحقيقة لرَفع السُّنُورِ. أَوْ تقول: الشريعة للعوامُ. والطريقة للخواصُّ. والحقيقة لخواصٌ الخواصُّ.

ومَرْجع الشريعة إلى امتثالِ الأمْرِ، واجتنابِ النَّهْي. ومَرْجع الطريقة، إلى تخلية وتحلية. فالتخلّي: التطهير من الرَّذائِلِ. والتَّخلية: الاتصافُ بالفضائلِ. وإنْ شئت قلت التخلية: هِيَ التَّنَزُهُ عَن أَخْلاَقِ البَهَائِم والشياطين. والتحلية: التخلّق بأخلاقِ الرُّوحانيينَ. فأخلاق البَهَائِم: الاِهتمامُ بالأكلِ والشرْبِ والنكاح، وأخلاق الشياطين: الحسَدُ والمَكْرُ، والخديعة، والغِشُ، والكِبْرُ، والْغَضَبُ، والحدة، والقلق، والشَّحُ، والفظاظة والقسوة، وحبّ الجاه، والمال، والرياسة وغيرُ ذلِكَ مما لاَ يُحْصَى. حتَّى قال بَعْضهُمْ: «للنَّفْسِ مِنَ النَّقائِصِ، مَا لله مِنَ الكَمَالاتِ». والله أعْلَمُ.

وأخلاق الرُّوحانيين: سلامةُ الصَّدْرِ، وسخاوة النَّفس، وحُسْنُ الحُلُق، والتواضعُ، والحِلْمُ، والتَّانِّي، والسكينة، والطمأنينة، والشفقة والرَّخمة، والسَّهُولة والليُونة، وغَيْر ذلِكَ من الكَمَالاَتِ. فَمَن جَمَعَ لهٰذِهِ العلوم؛ فَهُوَ النَّجْم الثَّاقِبُ. وَمَنِ اكْتَفَىٰ بِأَحَدِهَا فَهُوَ ناقِصٌ وسَاقِطٌ. فَمَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يتحَقَّقْ فَهُوَ فاسِقٌ. إذْ لاَ يَخْلُو مِنْ مُنَازَعة المقادير، واعتراضه على الواحد القادِر، ومَن

تحقق ولَمْ يتشرّعُ، فَهُو زَنْدِيق، بإبطالِهِ الأحكام، وتعطيل الحِكمة، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَذْ تحقق، لقيامه بالقدرة مع الأدب والحِكمة.

وفي التحقيق: ما ثَمَّ إلاَّ الحقيقة. إذْ لاَ فَاعِلَ إلاَّ الله، وَلاَ مَوْجُود سِواهُ. غَيْرَ أَنَّ مَا يَبْرُزُ مِنْ عُنْصُرِ القدرة، إن كَان موافقاً للحكمة، سُمِّي شريعة وطاعة، ويسمَّى أيْضاً حقيقة نُورَانية، وإن كَان مخالفاً، سُمِّي معصيةً. ويُسمَّى أيْضاً حقيقة ظلمانية، فالكُلِّ مِنْهُ وإلَيْهِ. قال تعالى وهو أَصْدَق القائلينَ: ﴿ وَلَوْ شَاتَهُ رَبُّكَ مَا مَنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الانعام: ١١٢]. وقال تَعَالىٰ: ﴿ وَلَوْ شَلَة رَبُّكَ لَاّمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الانعام: ١٦]. وقال تَعَالىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَقُ مَا يَشَاهُ وَيَغْتَارُ ﴾ [يونس: ٩٩]. وقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَاهُونَ إِلَاّ أَن يَشَاهُ اللهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] فالحقيقة عين الشريعة، والشريعة عين الحقيقة. إذ كُلاً مِنْهُمَا مَأْمُور بِهِمَا، ولله فالحقيقة عين الشريعة، والشريعة عين الحقيقة. إذ كُلاً مِنْهُمَا مَأْمُور بِهِمَا، ولله فالحقيقة عين النبي ﷺ حيث قال:

يًا زَيْنَ الْخَلاَئِقِ يَا عَيْنَ الحقيقة حققت الحقائق وَكَانَتْ وثيقة

فالإنسان كلّه، باطِنهُ قدرة، وظاهره حكْمة، فإن بَرَزَ مِنَ القدْرةِ ما يُوافق الحِكمة كَان حقيقة نورانية، وكَانَتْ علامة على سعادة العَبْدِ، وإنْ بَرَزَ مِن القدرة ما يخالف الحِكْمة كَان حقيقة ظلمانية، وكان علامة على عقوبة العَبْدِ، إلا أن يظهر حِلْمُهُ، وبالله التوفيق. وحَيْث الجُتَمَعَ مع نبينا عليه الصَّلاة والسَّلامُ الحقائق، وعلم التشريع، وعلوم الأولين، والآخِرين، عَجزَ النَّاس عن معرفته، ولذلكَ قال: «فأعجز الخلائق» أي: صَيَّرهُم عاجزين عَنْ فَهْمِهِ. فَوَجَب الإذعَانُ والأَنْقِيَاد لِحكْمِهِ، كَمَا انقادَتِ الملائكة بالسجودِ، حيث عجزَتْ عَنْ إذرَاكِ عِلْمِهِ. وقد قالت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، لمَّا رأوا الغَنَم سَجَدَتْ له في قِصَّة البُسْتَانِ: يا رسُول الله، نَحْن أَحَق بالسُجُودِ لكَ مِنْهَا. فقال ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ الْمَرْأَةُ أَن تَسْجِد لِزَوْجِهَا» (۱). فالسُجُود إنَّما يكُونُ الْحَد، والمقصود بالسجودِ هو الله الذي أمَرَ بِهِ. ثم قرَّر العَجْزَ المتقدم وبيَّنهُ بِقُولِهِ «وَلَهُ» أي وَعَنْهُ «تَضَاءَلَت» أي تقاصَرَتْ وتَصَاغَرَتْ، العَجْزَ المتقدم وبيَّنهُ بِقُولِهِ «وَلَهُ» أي وَعَنْهُ «تَضَاءَلَت» أي تقاصَرَتْ وتَصَاغَرَتْ،

⁽١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب البر والصلة، (٥/ ٧٣٢) [١٩٠/٤] وابن ماجة في سننه، باب حق الزوج على المرأة، حديث رقم (١٨٥٢).

أو تلاشَتْ واضمحَلَّتْ «الْفُهُومُ»: جمع فَهُم. أيْ فُهُوم العِبَادِ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدُّ أَن يَفْهَمَ ما خَصَّهُ الله بِهِ مِنَ الأَسْرَارِ الإلهيَّة، والمواهب الباطنية؛ لأنهم لَمْ يَرَوْا إلاَّ خَيَالهُ الظَّاهِر. وأمَّا الباطن فَلَمْ يَعْلَمه إلاَّ خالقهُ الَّذي خصَّه الله بِه. وفي بَعْضِ الأحاديث: «والله ما عَرَفَنِي حقًّا غَيْر رَبِّي». ولله در البوصيري حيث قال:

وكَيْف يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقتَهُ قَوْمٌ نِيامٌ تَسَلُّوا عَنْهُ بِٱلْحُلم

ولذلِكَ قال الشَّيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ فَلَمْ يُلْرِكُهُ مِنًّا ﴾ مغشر الخلائق. «سَابِقٌ» عَلَيْهِ في مظهرهِ الشخصي. «وَلاَ لاَحِقٌ» بَعْد وجودهِ الحِسِّي. بل كلهم كلُّتْ فُهُومُهُمْ، وتَقَاصَرَتْ عُلُومُهُمْ عَنِ الإحاطَة بالحقيقة المحمديّة. ويحتمل بالسباق: مَن سَبَق في زمانه عليه الصَّلاة والسلامُ. كالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. باللاَّحق. مَنْ أَتَىٰ بَعْدَهُمْ. إذ كلهم سواء في العَجْز عن إدراكِهِ ﷺ. ولذلكَ قال أويس القرنِي: «والله ما رأى أصحاب محمد من محمد ﷺ، إلاَّ قشرة الظَّاهِر، وأما الباطِنُ فلم يعرفْهُ أَحَدٌ. فقيل لهُ: وَلَوْ ابن أبي قحافة. قال: ولو ابن أبي قحافة. والمرادُ: نَفْيُ الإِحَاطَةِ بمعرفة سرِّهِ عليه الصَّلاة والسلامُ. وأمَّا إدراك البَعْض، فَلَهُمْ فِي ذلِك نَصِيب، على قدر تَفَاوُتهم في معرفَةِ الله. وكذلك الأولياء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمنهم من يُذرك شيئاً مِنْ سِرِّه عليه السلامُ، ومنهم مَن يُذرك رُوحَهُ. ومِنْهُمْ مَن يُذرك عَقْلَهُ، ومنْهُمْ مَنْ يُذرك نَفْسه عليه الصلاة والسلامُ. فأهْل الرسُوخِ والتمكين، يُذركون سرَّه عليه الصَّلاة والسلامُ. وَلاَ يغيب عَنهم طرفة عيْنِ. كَالْمُرْسِي وأمثالِهِ. وأهْلُ الشُّهُودِ والعيَانِ مِنَ السَّائرينَ، يذركون روحَهُ عليه الصلاة والسلامُ. وأهل المُرَاقبة مِنْ أهل الاستشراق، يُذركُون عَقْلهُ عليه الصلاة والسلامُ. وأهل الحجاب من أهل الدَّليل والبُزهان، إنَّما يُدْركُونَ نَفْسَهُ ومَظْهَرَهُ الشخصي. فيرونه مُحَيِّزاً في صُورتِهِ التي كَانَ عليها ﷺ في الدُّنيا، مناماً أو يقظةً، على قَدْرِ فَنَائهم فيه ﷺ؛ وهُمْ على مراتب: وأما تمثيل بُعْضهم له، كالخروفي، ومن تبعهُ لهذا الحديث، بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. فلعَلَّ ذٰلِك كان في زمانِهِ عليه الصَّلاة والسلام. والله أغلَمُ.

وقَدْ سَمِعْت شيخ شيخنا مَوْلاَي العربي يقول: لقِيَنِي عالِمَانِ من علمَاءِ فاس بِمَسْجِدِ الْقَرَويين. فَقَالاً لي: كَيْف يقول أَبُو العباس المُرْسي: «مَا غَابَ

عَنّي رسُولُ الله ﷺ طرفة عَيْنِ». كَيْف يكون ذلِكَ؟ فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلتُ لَهُمْ: فيَا لَهُولاءِ، أُولَئِكَ السادة، كَانَتْ أَفكَارُهم فِي عَالَم الملكوت، وهو عالَمُ الأرواح، وفيه أزواح الأنبياء وغَيْرهم، ولَمْ تَكُنْ أَفْكَارُهُمْ فِي عَالَم الأشبَاحِ، وهُو عَالَمُ المُلك. قال: ثم قلتُ لهُمْ: وهَلْ تَذْرُونَ أَيْنِ هو عَالَم الأرواح؟ عالم الأزواحِ هو حَيْث عالم الأشباح، ثم قمتُ عَنْهُمْ اهد. قُلْتُ: الآن المحلّ واحد، وإنما تختلف النَّظرة، فأهل البصيرة لا يَرَوْن إلا الملكوت؛ وهو عَالَمُ الأرواح؛ وهو عَالَمُ الأشباح.

وقد أشار إلى ذلِكَ الشيخ بِقولِهِ: ﴿فَرِيَاضُ ا جَمع رُوضٍ ؛ وهو محلَّ النزهة، لا شتماله على نُوَّار وأزهار، ومياه وخضرة. «المَلَكُوتِ» هو في اصطلاح الصُّوفية، ما يُدرَكُ بِٱلبَصِيرَةِ والعلم. كما أنَّ المُلْكَ ما يُذركُ بٱلبَصَر والْوَهُمْ أَوْ تَقُولُ الملكوتُ: مَذْرِكُ أَهُلِ الجَمْعِ. والمُلْكُ: مَذْرِكُ أَهْلِ الْفَرْقِ. أَوْ تَقُولَ: المُلكُ مَا ظَهَرَ والمَلكُوتُ مَا بَطَنَ. فَالْمَلَكُوت: مَذْرك أَهْلَ الشهود والعيانِ. والمُلْكُ: مَدْركُ أَهْلِ الدُّليلِ والبُرْهَانِ. ﴿بِزَهْرِ ۗ جَمْع زهرة؛ وهي النَّوار التي تُفْتِحُ فِي زَمانِ الرَّبيع. ﴿جَمَالِهِ، ﷺ (مُونِقَةً، أَيْ مُعجبَة، ورياض الملكوت، مِن إضَافَة المشبِّهِ بهِ لِلْمُشَبِّهِ. شَبَّهَ الملكوت الَّذي هو محلِّ نزهة العارفين بِرِياضٍ مشتملةٍ على أزْهارٍ ونُوارٍ وخُضْرَة وجَمَال، لا يَتِمُ جَمَالُهَا، وَلاَ يظهرُ نوارها إلاَّ باتباع الشريعة المحمَّدية. وإلاَّ كَانَتْ حقيقة ظلمانية، فالكَوْن الَّذي هو المُلْك كُلُّه ظلمة، وإنما أناره ظهور الحقُّ فيه، فَصَارَ كُلُّهُ نوراً. وَمَنْ لَمْ يَدْرِك نُورَ الحقِّ فيه، صار في حقِّهِ ظُلْمَةً. وكَانَ مُلْكاً. وَلاَ يُمْكِن أَنْ يَظهر الحق فيه إلا بالسلوك على الشريعة المحَمّدية على يَد شينخ عارف بدقائقها وأسرارها وحقائقها الظَّاهرة والباطنة. وإلاَّ بقي مع ظُلْمَة الأكْوَان. وسِجْن الأَوْهَام. اوَحياضُ، جَمْعِ حَوْض؛ وهو محلُ اجتماع الْمَاءِ كَالصَّهْرِيج. «الْجَبَرُوت»: وهو ما يُذركُ بِٱلْعَقْل والفَهْم، أو بالبصيرة وَالْعِلْم. لكن في ثاني حَال، أَيْ بَعْدَ مَعْرِفة المَلَكوت.

والحاصل: أنَّ المُلْكَ والمَلَكُوتَ والجَبَرُوتَ مَحَلُّهَا واحِدٌ؛ وهو الوجود الأضلي؛ الْفَرْعِي، لكن تختلف النَّظْرة،

باختلاف التَرَقي في المَعْرِفة. فمَن نَظَر الكَوْن ورَآه كَوْناً مُسْتقِلاً بنَفْسِه قَائِماً بِقدرة الله، ولم يُكْشَفْ لَهُ عَنْ رُؤْيَةِ صَانِعِهِ فيه سُمّيَ فِي حَقّه مُلْكاً؛ لظُهُور تصرُّفِ الْقُدْرَة فيه، ووجُودهِ؛ وهما لا حقيقة لَهُمَا عِنْدَ المحققينَ. ولذلكَ لَمْ يُدْرِكُهُ الشيخ رضي الله عَنْهُ. وَكَانَ صَاحِبِ هذه الرُّؤيَّةِ مَحْجُبوباً لِوُقُوفه مَعَ الْوَهُم، وَمَنْ فَتَحَ الله بصيرتَهُ، ونفَذَ إلى شهُودِ المُكَوِّنِ فِي الْكُونِ، أَوْ قَبْلُهُ، سُمِّيَ في حقَّه مَلَكُوتاً. وَكَانَ صَاحِب هذه الرُّؤْيَةِ عَارِفاً مفتوحاً عَلَيْهِ. فإن نَفَذَتْ بصيرتُهُ، إلى شهود أضل الأصُول والْفُرُوع؛ وهي العظمَة الأزلية اللطيفية، قَبْل أن تتجلَّى وتُعْرف. وقد أشار إلَّيْهَا ابن الفارض بقولِهِ:

صَفَاءٌ وَلاَ مَاءٌ وَلُطُفٌ وَلاَ هَوَى ونُورٌ وَلاَ نَارٌ، وَرُوحٌ وَلاَ جِسْمُ تَقَدُّمْ كُلُّ الْكَاثِنَاتِ حَدِيثُهَا قديماً وَلا شَكُلٌ هُنَاكَ وَلا رَسْمُ وقَامَتْ بِهَا الأشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةِ بِهَا اختجبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لا لَهُ فَهُم

سُمِّيَ ذلِكَ جَبَرُوتاً، وَمَنْ نظر إلى نفوذ الرَّحْمَةِ السَّابِقة، فِي الأشياءِ كلُّها، وهِي نِعْمة الإيجاد ونعمة الإمداد. سُمِّيَ ذلِكَ رحموتاً. فصارت العوالم أزبعةً: مُلْكاً ومَلَكُوتاً، وجَبَرُوتاً، وَرَحَمُوتاً. وقَدْ نَظمْتُ قَصيدة تليق هُنَا، ولهذَا بَعْضٌ مِنْهَا، فَقُلْتُ:

> إِذَا سُجِنت نَفْسٌ فِي سِجْن الْهَوَىٰ الَّذِي وأشغكها علم الصوان لجخمة فَذَلِكَ عَيْنُ الْمُلْكِ وَهُمُ ثُبُوتُهَا وَإِنْ نَسَفَسَذَتْ رُوحُ الْسَمُسَقَّدُس سِسرُهُ وَنَعْنِي بِهَا سِرُ الْمَعَانِي الَّذِي سَرَى فَذَا مَلَكُوتُ الله يُسَمِّي لِوَسْعِهِ وَإِنْ سَبَحَتْ بَحْرَ اللَّطَافَة والْهَنَا فَذَا بَحْرُ مَا لاَ يحيطُ بِهِ الْفَتَىٰ

تَقَيُّذَ بِهِ الْعَقْلُ فِي قَهْرِ قَبْضَةِ فَلَمْ تَرَ إِلاَّ الْكَوْنَ فِي كُلِّ وِجْهَةِ وَنَاظِرُهُ المَحْجُوبُ فِي سِجْن ظُلْمَةِ إِلَى دَرُكِ سِرِّ النَّاتِ خَلْفَ الْأَنِيَةِ فِي كُلِّ الْأُوَانِي عِنْدَ أَهْلِ الحقيقةِ وعادفه يخظئ بفنع بصيرة وأضل الأصول والفروع بفكرة ولْكِنْ يخوفُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ لُجَّةٍ

ملكاً وملكوتاً، وجبروتاً، والهوتاً، والعَوَالِمُ إِنْ حققتها خمسة: ورَحمُوتاً. بإضافةِ الْفُرُوعِ إلى الأصول وفي ذلك يقول القائل:

وَإِنْ أُلْحِقَتْ كُلُّ الْفُرُوعِ بِأَصْلِهَا فَذَاكُ الَّذِي يُسمَى بِلاَهُوتِ سِرُهِ وَإِنْ نَظَرَتْ أَهْلَ الإلحَادِ بِرحْمَةٍ فَذَاكَ رَحموناً فيه يَذْريه عَارفٌ

وَخَاضَتْ بِحَارَ الْجَمْعِ فِي كُلِّ لَحْظَةِ
وَعَادِفُهُ حَفًّا يُهَنَّأْ بِمِكْنَةِ
وَجَرْيَهَا فِي الأَشْيَاءِ طُرَّا بِنِعْمَةِ
تَخَلَّقَ بِاسْمِ الْحَقِّ فِي كل نِسْبَةِ

والتّحقيق: أنَّ مَن دَخَلَ عَالَمَ التكوين؛ ما ظَهَرَ مِنْ حِسِّهِ، يُسَمَّى مُلْكاً، وَمَا بَطَنَ مِنْ أَسْرَادِ الْمَعَانِي يُسَمَّىٰ مَلَكُوتاً. وما لم يَدْخُلْ عَالَمَ التكوينِ مِنَ الأَسْرَادِ الباقية على أَصْلِهَا يسمَّى جَبَرُوتاً، وَلاَ يَفْهَم لهٰذَا إلاَّ من دَخَلَ مَقَامَ الإحْسَانِ، وخاضَ بَحْرَ الْمَعَانِي، وإلاَّ فحسبُهُ التَّسْلِيم لأَرْبَابِهِ. واعْلَمْ أنَّ شهودَ عالم الجَبروت يحجب عن شهودِ عَالَم المُلْكِ، وشهود عالم الجَبروت يحجب عن شهودِ عَالَم المُلْكِ، وشهود عالم الجَبروت يحجب عن شهود عَالَم من ترقى إلى مقام، غابَ عَمًّا قَبْلَهُ، إلاَّ الرَّحموتُ، فيمكن شهوده مع العَوَالم كُلُهَا. والله تعالى أَعْلَمُ.

والحاصل: أنَّ بَحْرَ الجَبَروت، فَيَاضٌ بِأنوارِ الملكوتِ. وأنوار الملكوت، أصلُها القبْضة النورانية المحمدية. فكل من بَرزَ مِنَ الجَبَروتِ، فالنور المحمدي واسطة فيه، وأصل فيه. ولهذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: "وَحِياضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ عَلَيْ وَاسطة فيه، وأصل فيه. ولهذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: "وَحِياضُ الْجَبَرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ عَلَيْ مُتَدَفِّقَةٌ»: أيْ مُنْصَبَّة بِقُوَّةٍ. فالتدفق: هو الإنصِبابُ بِشِدَّةٍ، شَيْئاً فشيئاً، إنَّه شَبَّة بَحْرَ الجَبَرُوت بحياض مملوءة بِمَاءِ الْعَيْبِ. تنصَبُ إلى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، شَيْئاً فشيئاً، على حَسَب الإرادة والمشيئة. ولمَّا كان نبينا عَلَيْ، هُوَ سبَبْ فِي إبرانِ يَلْكَ الأَنُوارِ، أُضِيفَتْ إليه عَلَيْ، إضافَةَ المُسَبِب إلى السَّبَبِ. وإن كان الكل جبروتياً الاهوتياً؛ الأنَّ مَنْ لَمْ يشكرِ الواسطة، لم يشكرِ الموسوط، وَمَنْ لَمْ يشكر النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ الله.

فأهل الجَذْبِ والفَنَاءِ يَغيبُونَ عَنِ الواسطةِ فَلاَ يَشْهَدُونَ إِلاَّ الجَبَروت. وأهْل البقاء لكمالهم، يشْهَدُونَ الواسطة والموسوط، وَيُعطونَ كلَّ ذِي حَقَّ حَقَّهُ، وَلاَ يحجبهم فَرْقُهُمْ عَنْ جَمْعِهِمْ، وَلاَ جَمْعُهم عَنْ فَرْقِهِمْ نَفَعَنَا الله بِهِمْ، وخَرَطَنَا فِي يحجبهم قَرْقُهُمْ عَنْ جَمْعِهِمْ، وَلاَ جَمْعُهم عَنْ فَرْقِهِمْ نَفَعَنَا الله بِهِمْ، وخَرَطَنَا فِي يحجبهم آمين. إنما اختارَ التشبُّة بالحياضِ، ولم يشبه بالبحارِ، مُنَاسَبة لِلرِّياضِ؛ لأنَّه لمَّا شَبَّه الملكوت بالرياض، نَاسَبَ أن يشبُّة الجَبَرُوت بالحياضِ إذ لاَ يقوم الرياض إلاَّ بالجبروت، بل هو عنه كما الرياض إلاَّ بالجبروت، بل هو عنه كما

تقدِّم، لكنَّ السالك يترقَّىٰ بِهِ إلى الجبروت. فَوَجب إثباتهُ ثُمَّ مَحْوُهُ. الأَكْوَان ثابتة بإثباتِه، مَمْحوَّة بأَحَدية ذَاتِه.

وإلَى إثبات واسطَتِه ﷺ، أشَارَ بِقَوْلِهِ: «وَلاَ شَيْءَ» مِنَ الكَائِناتِ «إلاَّ وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ» أي متعلق وَمُتَّصِل اتصال الْمَوْسُوطِ بِٱلْوَاسِطَةِ، فكُلُّ مَن بَرَزَ من عَالمِ الْغَيْبِ، فنبينًا وَمَوْلاَنَا محمَّد ﷺ واسطة فِيهِ. كما وَرَدَ في بعض الأخبار: «لؤلاَ محمَّدٌ مَا خَلَقْت عَرْشاً وَلاَ كُرْسِبًا، وَلاَ سَمَاءَ وَلاَ أَرْضاً، وَلاَ جَنَّةً وَلاَ نَاراً» (١). وفي بُرْدَةِ البوصيري: لَوْلاَهُ لَمْ تُخْرَج الدُّنيا مِنَ العَدَمِ. ثم ذكر علة تعلق الأشياءِ بِهِ ﷺ فَقَالَ: «إِذْ لَوْلاَ الْوَاسِطَةُ» الَّذِي هو نبيننا ﷺ. «لَلْهَبَ كَمَا قِيلَ الْمَوْسُوطُ»: أي لَوْلاَ توسُطهُ ﷺ، بين الله وخلقِهِ؛ للْهَبَ المَوْسُوطُ الذي هُوَ الكَوْنُ. أي لَبَقِيَ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْه مِنَ العَدَمِ. فإذ تعليلة، والموسوطة فاعل الكَوْنُ. أي لَبَقِيَ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْه مِنَ الغِعَل والفاعِلِ، لأَجْل القافية. إذ لَوْ لَذَهَبَ المَوْسُوطُ الذي هُو قَلْ معترضة بين الفِعل والفاعِلِ، لأَجْل القافية. إذ لَوْ لَذَهَبَ المَوْسُوطُ. كما هو قول مشهورٌ. ولولا الواسطة لذَهِبَ المَوْسُوطُ. كما هو قول مشهورٌ.

ثم ذكرَ معمول قوله ﷺ، وهو المصدر النّوعي فقال: (صَلاةً) أي صَلّ صلاةً عظيمة كاملةً (تَلِيقُ) أي بعظمتِكَ وكمالكَ؛ وهذه الصَّلاة لا يعلم قدرَهَا إلا الله سبحانه وتعالى، وتكونُ هذه الصَّلاة وَاصِلَةً (بِكَ مِنْكَ إِلَيْهِ) بِلاَ واسِطةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ وَلاَ شَكَّ أَنَّ الهدايا والتُّحَف الّتي تَصِلُ إلى الوُزَراءِ بِلاَ واسطةٍ، بل مِن يَدِ المَلِكِ إلى الوَزِير، أغظَمُ وأتَمُ مِمَّن تَصِل على يَدِ الوَسَائِطِ.

ثم ذكر عِلَّة تعظيم هذه الصَّلاة فَقَالَ: «كما هُوَ أَهْلُهُ»: أَيْ لأَجْلِ ما هو مستحقه ﷺ مِنَ التعظيم والإجلالِ، فَالْكَافُ تعليلية كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰ الْتَعْظَيم والإجلالِ، فَالْكَافُ تعليلية كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كُمَا هَدَىٰ الْبَعْمُ ﴾. [البقرة: ١٨٩] ثم ذكر وجه استحقاقه ﷺ، لهذه الكرامة فقال: «اللَّهُمُ النِسَت هي للدّعاءِ، إنّما هي مُبَالغة في الإقرارِ. كقوله في الجواب: اللَّهُمُ نَعَمْ. مبالغة في تمكين الجواب في ذِهْنِ السَّامِع. فكأنه قال: أُقِرُ

⁽١) روى نحوه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، باب الياء، حديث رقم (٨٠٣١) [٥/ ٢٢٧].

وأنحقق، أنه ﷺ «سِرُكَ» الحفي الذي اختصَصْتَ بِمَعْرِفتِهِ، أَوْ سَرَكَ الَّذِي أَوْدَعْتهُ فِي هٰذَا الْكَوْنِ، إِذَ هُو عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، سرُّ الأسرار، وَمَنْبَع الأَنُوارِ؛ ومنه انشقت الأَسْرَار، وانفلقت الأَنُوار. «الجامِعُ» لِما افترق في غيرهِ. فكَانَتْ روحانيته ﷺ، جامعة لأَنُواع المحاسِنِ، وبشريتُه جامعة لأَنُواع المحاسِنِ، وشريعتُهُ جامعة لجَميع الشَّرائِعِ. وكتابُهُ جامعاً لسائر الكتب؛ وهو أَيْضاً: يجمع النَّاس على الله، ويَدُلُهُمْ على الجمع، ويحذِّرهُمْ مِنَ الفَرْقِ؛ «الذَّالُ عَلَيْكَ» بأقواله وأَفْعَالِهِ وَأَخُوالِهِ ﷺ، فكَانَتْ خُطَبُهُ ومَوَاعِظهُ تَرِقُ مِنْهَا القُلُوبُ، وتَذْرِفُ مِنْهَا العُيُونُ. وَمَا بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلاَّ دَالاً على الله. ومُعَرَّفاً بِهِ تَعَالَى. فَمَا تَرَك شَيْهَا العُيُونُ. وَمَا بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلاَّ دَالاً على الله. ومُعَرِّفاً بِهِ تَعَالَى. فَمَا تَرَك شَيْهَا العُيُونُ. وَمَا بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلاَّ دَالاً على الله. ومُعَرِّفاً بِهِ تَعَالَى. فَمَا تَرَك شَيْهَا العُيُونُ. وَمَا بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلاَّ دَالاً على الله ومُعَرِّفاً بِهِ تَعَالَى. فَمَا تَرَك شَيْهَا العُبُونُ. وَمَا بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلاَّ دَالاً على الله ومُعَرِّفاً بِهِ تَعَالَى. فَمَا تَرَك شَيْهُ اللهُ عَنْهُ السَّامِ اللهُ عَنْهُ أَخْسَنَ مَا جَزَىٰ رَسُولاً عن قَوْمِهِ، ونبيّاً عن أُمْتِهِ. الرَّشَادِ، فَجَزاهُ الله عَنْهُ أَحْسَنَ مَا جَزَىٰ رَسُولاً عن قَوْمِهِ، ونبيّاً عن أُمْتِهِ.

وبعد أن كَان عليه الصلاة والسلام دالاً على الله، كَانَ حَاجِباً من حُجُوبِ المَحْضَرَةِ، لاَ يدخُلُهَا أَحَد إلاَّ عَلَى يَدَيْهِ. فلذلِكَ قَالَ: ﴿وَحِجَابُكَ الذي يتوسَّطُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الدَّاخِلِينَ إلى حضرتِكَ. فكلُّ مَن دَخَلَ عَلَىٰ يَدَيْه عليه السَّلامُ، وعظَّمَهُ، واتَّبَعَ سُئْتَهُ. أَدْخَلَهُ الحَضْرَة عَلَى نَعْتِ الْهَيْبَةِ والْوَقَارِ والأَدَبِ، فَاسْتَقَرَّ فِي الحَضْرَة عَلَىٰ مَنْ دَخَلَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ﷺ، طُرِد وعُوقِب، وفي ذلك يقول القائل:

وأنست بسابُ الله أيُ المسرى وأفى مِنْ غَيْرِ بَابِكَ لاَ يَدْخُلُ وأَيْنِ مِنْ غَيْرِ بَابِكَ لاَ يَدْخُلُ وأَيْضاً: هو ﷺ، حجاب الأرواح عَنِ الهَلاَكِ، إذ مِنْ شَأْنِ الرُّوحِ أن تتطلع الخَوْفَ فِيمَا لا تقْدِرُ عليه مِن بَحْرِ الجَبَرُوتِ، فَكُلَّمَا هَمَّتْ بالخَوْفِ فيهِ، وَالجَرها عليه السلام، وعَاقَلَهَا بعِقَالِ الشِّرَائِع، ولذلكَ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: وتَقَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ، وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي مَاهِية ذَاتِهِ، (۱). إذ كُنْه الرّبوبية محجوبٌ عَنِ العقولِ. فَلاَ سَبِيلَ إلى إذراكِهِ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الرُّسُلَ عليهم الصلاة والسلام،

⁽۱) روى نحوه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (۲۳۱۸) [۵٦/۲] وابن السري في الزهد باب التفكير..، حديث رقم (٩٤٦) [٢/٤٦٩] وروى نحوه غيرهما. ونصه: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره».

حُجُبٌ لقَوْمِهِمْ، ولكنَّ المصطفى ﷺ، هو أغظم منهُمْ، كَمَا قال الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم وصَفَه بشدَّةِ القرْبِ والأدبِ فقال: «الأَضْظَمُ الْقَائِمِ، لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ» أَدَبًا وتغظيماً، وَوَاسِطةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلْقِكَ، وتَرْجُمَاناً فِي تبليغ أَخْكَامك.

ثم شَرَعَ فِي الدُّعَاءِ بِاللَّحْقِ بِهِ؛ يكون على قَدَمِهِ، وهو أَعْظُمُ الوِلاَيَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمُ الْحِقْنِي بِنَسَبِهِ الطَّيني والدِّيني، وأراد دَوَامه على مُتَابَعتِهِ عليه السلام، وإلاَّ، فَلاَ يَنْفَعُ النَّسَبُ، مع عَدَم الأدَبِ، «وَحَقَّقْنِي» أي خَلَقْنِي السلامُ، وإلاَّ، فَلاَ يَنْفَعُ النَّسَبُ، مع عَدَم الأدَبِ، «وَحَقَّقْنِي» أي خَلَقْنِي وَمِحْسَبِهِ أي بِخُلُةِهِ الحَسَبِ؛ وهُو مَا يَفْتَخِرُ بِهِ الإِنْسَانُ مِن مَكَارِمِ الأَخلاقِ، وَمِنهُمْ مَنْ يَكُونَ على قَدَمِهِ يَقِيْهِ، فإنَّ الأولياء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم، وَأَرَاد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم، مَنْ يكونَ على قَدَمِهِ يَقِيْهِ، فإنَّ الأولياء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم، ومِنْهُمْ مَنْ يكونَ إَبْراهِيميًا، ومِنْهُمْ مَنْ يَكُونَ مُوسَويًا، ومِنْهُمْ مَن يكون محمَّدياً؛ وهو أعظمهُمْ لِجَمْمِهِ ما افترقَ فِي غَيْرِهِ. وقَدْ حَقِّقَ الله رَجَاءَهُ، وأَجَابَ دُعَاءَهُ. فَقَدْ تغلغل رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ افترقَ فِي غَيْرِهِ. وقَدْ حَقِّقَ الله رَجَاءَهُ، وأَجَابَ دُعَاءَهُ. فَقَدْ تغلغل رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ افترقَ فِي غَيْرِهِ. وقَدْ حَقِّقَ الله رَجَاءَهُ، وأَجَابَ دُعَاءَهُ. فَقَدْ تغلغل رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ افترقَ فِي عَيْرِهِ. وقَدْ حَقِّقَ الله رَجَاءَهُ، وأَجَابَ دُعَاءَهُ. فَقَدْ تغلغل رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ افترقَوْمِ التي مَدَارها على التخلق بِأَخلاقِ الرَّحْمُن، ونَالَ من ذٰلِكَ الحَظُ الْوُفَرَ.. وقَدْ تقدَّم فِي تَرْجَمَتهِ مِنْ كَلاَمِهِ مَا يُحَقِّقُ ذٰلِكَ، نَفَعَنَا الله بِمحبَّتِهِ الرَّفُونَ التخلق يكون مُجَاهدة وكَسْبًا، والتحقق يكون غَرِيزة وتَمَسُّكاً.

ثم طَلَبَ معرفَتَهُ عليه السَّلام، المعرفة الخاصَّة فَقَالَ: ﴿ وَعَرُّفْنِي إِبَّاهُ ﴾ . طَلَبَ معرفَتَهُ عليه السَّلام، قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَ مَغْرِفَةَ الله ؛ لأنه الواسطة، فَلاَ يَذْخُلُ على الله إلاَّ مِنْ بَابِهِ ؛ لأَنَّ مَنْ عَرَفَهُ عليه السَّلام، المعرفة الخاصَّة، بادَرَ إلى خِدْمَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ، فَيُدْخِلَهُ عَلَى رَبّهِ بِنَفْسِهِ ، أَو بِشَيْخ يَهْدِيهِ إليه ، وأتَى الشَّيخ رَضِيَ خِدْمَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ، فَيُدْخِلَهُ عَلَى رَبّهِ بِنَفْسِهِ ، أَو بِشَيْخ يَهْدِيهِ إليه ، وأتَى الشَّيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بضمير النبي ﷺ مُنفَصِلاً ، وإنْ كَان الاتّصَالُ أَرْجِع عِنْد النّحَاة ، أَدباً مَعْ النّبي ﷺ ، إذ لَوْ قَالَ: وَعَرّفْنِيهِ ، كما هو الأرجَحُ ، لكَان ضَمِيره عليه السَّلامُ ، مُتَّصِلاً بِضَمِيرِ الشَّيْخ ، فيفوتَهُ الأدَبُ ، إذ المصطفى يَنْبَغي أَنْ يكون غَيْرُهُ مُتَصِلاً بِهِ ، لاَ هُوَ متصلاً بِغَيْرِهِ . فَمَا أَحْسَنَ أَذَبَهُ ! وأَدقٌ نظرَهُ !

ثم ذَكَر نتيجة المعرفة بِهِ عليه السُّلام فَقَالَ: «مَغْرِفَةٌ كاملة، «أَسْلَمُ بِهَا» أي بِسَبَبِهَا «مِنْ مَوَادِدِ الْجَهْلِ»: أي من الوقوع في شيء مِنَ الْجَهْلِ. أي جَهْلِ

كَانَ. فَٱلْوُرُودُ هُوَ الشَّرْبُ، والْمَوْرد هو محلُ الشرب، ويُجمع على مَوَارد. شبَّه رضيَ الله عَنْهُ الجَهْلَ بِمَاءٍ قبيحٍ، وسَألَ الله تَعَالَىٰ أن يُسَلِّمَهُ بمعرفَتِهِ عليه الصَّلاة والسَّلامُ، مِنَ الوُقُوعِ فِي مَشْرَبِهِ، أوْ فِي القُرْبِ مِنْهُ؛ وهو الشَّرْبُ مِنْ مَوَادِدِ الْعَلْمِ النَّافِع.

ثم ذَكرَ ضِدًه فَقَالَ: فَوَاكُورَعُه: أَي أَشْرَبُ على فَمِي مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ. فَالْكَرْعُ: هو الشُّرْبُ على الْفَمِ، بفعل المتعطش اللهفانِ فيها أَيْ بِتِلْكَ المَعْرِفَةِ فَمِنْ مَوَارِدِه جَمَع مَوْرِدٍ؛ وَهُوَ مَحَلُّ الشُّرْب. أَي بتلك المعرفة مِنْ مَنَاهِل الفَضلِ اللّه فَسْلِ اللّه اللّه هي العُلومُ اللّه نية، والأَسْرَارُ الرّبانية؛ اللّي تكونُ بالفَضلِ والْمِنْةِ، لاَ بِالْكَسْبِ والْمِذْمَةِ، وَلاَ شكَّ أَنْ مَنْ عَرَفَهُ وَقَامَ بِوَاجِبِ حَقِّهِ، لاَ بُدُ أَنْ يَنْهَلَ مِنْ مَنَاهِلهِ وَيَرِدَ مِنْ مَوَارِدِهِ، ويأخُذ قِسْطهُ من الْعُلومِ التي عَلِمَها عليه السّلامُ، بالْوَحي أَوْ بِالإلْهَامِ لاَنْ هَمَا عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ، أَوْرَقُهُ الله عِلْمَ مَا لَمْ وَطَلَبَ مِنْ الله أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا بِلاَ وَاسِطَةٍ، غَيْر واسطيّهِ عليه السّلامُ، حتّى يَشْبَعَ مِنْهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا بِلاَ وَاسِطَةٍ، غَيْر واسطيّهِ عليه السّلامُ، حتّى تمتلىءَ عُرُوقُهُ وأَضْلاَعُهُ وأَوْصَالُهُ. ﴿إِذَ الْقَنَاعَةُ مِنَ الله حِرْمانٌ والْعِلْمُ لاَ حَلَّ تمتلىءَ عُرُوقُهُ وأَضْلاَعُهُ وأَوْصَالُهُ. ﴿إذَ الْقَنَاعَةُ مِنَ الله حِرْمانٌ والْعِلْمُ لاَ حَلَى يُشْبَعَ مِنْهُ. ﴿ وَقُل رَبْ زِذِنِي عِلْماً ﴾.

ثمَّ طَلَبَ السلوكَ إلى حَضْرَة الْقُدْسِ، مَحَلَّ الْأُنْسِ فَقَالَ: ﴿وَالْحَمِلْنِي عَلَىٰ سَبِيلهِ ﴾: أي طريقه الأقوم، ﴿إلىٰ حَضْرِتِكَ ﴾: أي العكوفِ فِي مشاهدة جَمَال حَضْرَتِكَ . أرَاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن يَكُون فِي سَيْرِهِ محمُولاً على كَاهِلِ السُّنَّةِ المُمحمَّدية، لا حامِلاً مَنْعُوباً ﴾ لأنَّ من حَمَلتُه العِنَاية الرَّبَانية، قَطَعَ فِي سَاعَةِ وَاحِدَةٍ مَا لاَ يَقْطَعُهُ غَيْرُهُ فِي سِنينَ، وهُوَ لاَ يَشْعُرُ. وَلَيْسَ مَنْ كَانَ مخبُوباً، كَمَنْ كَانَ مُحبُوباً، كَمَنْ كَانَ مُحبُوباً، وَلاَ مَنْعُرُه وَلَيْسَ مَنْ كَانَ مَحْبُوباً، كَمَنْ كَانَ مُحبُوباً، وَلاَ مَنْ كَانَ مَحْبُوباً كَمَنْ كَانَ سَالِكاً. ﴿ اللّهِ يَعْدِهِ مَن يُشِبُ ﴾. [الشورى: ١٦] ﴿ اللهِ كُنْتَ لاَ تَصِلُ إلَيْهِ إلاَّ بَعْدَ مَحْوِ مَسَاوِئِكَ، وقطع دعاويكَ، لاَ تَصِلُ إلَيْه أَبَداً، ولْكِن إذا أَرَاد أَنْ يُوصَلكَ إلَيْهِ، مَسَاوِئِكَ، وقطع دعاويكَ، لاَ تَصِلُ إلَيْه أَبَداً، ولْكِن إذا أَرَاد أَنْ يُوصَلكَ إلَيْهِ، فَوَصَلَكَ بِمَا مِنْهُ إلَيْكَ، لاَ بِمَا مِنْكَ أَلَهُ مَلْكَ اللهِ مَنْ يُسِبُ ﴾ وقطع دعاويكَ، لاَ تَصِلُ إلَيْه أَبَداً، ولْكِن إذا أَرَاد أَنْ يُوصَلكَ إلَيْهِ، عَلَى مِنْ اللهُ مِنْ لِكَانَ مَا مِنْهُ إلَيْكَ، لاَ بِمَا مِنْهُ إلَيْكَ، لاَ بِمَا مِنْكَ إِمَا مِنْكُ أَلَهُ مَنْ يُولِكُ إِلَا مَا مَنْكُ إِلَىٰهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه اللّهُ اللهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُو

⁽١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٥٤٢) [٢/٣٤٧].

إِنَيْهِ (١). والحَضْرَةُ: هِي حضُورُ القَلْبِ مَعَ الرَّبِّ، أو حُضور الرُّوحِ أو السرِّ مَعَ الحقّ، فهي إذاً على ثلاثةِ أقْسَام: حَضرة القلب للطالبين، وحَضرة الرُّوحِ للسَّائرين، وحَضْرة الأسرار للواصلينَ. أوْ تقول: حضرة القلوب لأهل المُرَاقبة، وحضرة الأسرَارِ لأهل المُكَالمَةِ. أوْ تقول: حضرة الأرواحِ لأهل المُكالمَةِ. أوْ تقول: خضرة القلوبِ لأهل البُرْهَان، وحَضْرة الأرْوَاحِ لأهل الْعِيَانِ، وحضرة الأسرَارِ لأهل التمكين.

والحاصِلُ: أنَّ المُرِيدَ ما دَامَ محجوباً على شُهُودِ نَفْسِهِ، وهو يُجاهِد في حُضُور قَلْهِهِ مَعَ رَبُهِ؛ فهُو فِي حَضرةِ القُلُوبِ، وإذا افتتح عليه، غابَ بِشُهُودِ رَبُهِ عن شُهُود نَفْسِهِ. أوْ تقول: غَابَ بِجمعِهِ في فَرْقَهِ؛ فَهُو فِي حَضْرة الأرواح. وإذا تمكِّنَ ورَجَعَ إلى البَقَاءِ بحَيْثُ لاَ يحجبُهُ جمعه عَنْ فرقِهِ، وَلاَ فَرْقهُ عن جَمْعِهِ فَهُو في حضرةِ الأسرَارِ، وحِكْمَةُ ذلِكَ، أنَّ الرُّوحَ ما دَامَتُ مُنهمكةً فِي الْغَفْلَةِ سُمَّيَتُ نَفْساً. وَلَمْ تدخل الحضرة قط. فإذَا تَيقظتُ أو اسْتَقَامَتْ، وجَعَلَتُ تُجَاهِدُ نفسها فِي الْحُضُورِ، سُمِّيَتْ قَلْباً، لتقلبها مِنَ الغَفْلَةِ إلى الحضرة، ومِنَ المُعصية إلى الحضرة، ومِنَ الطَّاعةِ، وإذا وصَلَتْ إلى مقام الإحسَانِ، وَفْتِحَ عَلَيْهَا فِي مَقَامِ الْعِرْفَانِ، سُمِّيتُ الطَّاعةِ، وإذا وصَلَتْ إلى مقام الإحسَانِ، وَفْتِحَ عَلَيْهَا فِي مَقَامِ الْعِرْفَانِ، سُمُّيتُ الطَّاعةِ، وإذا وصَلَتْ إلى مقام الإحسَانِ، وَفُتِحَ عَلَيْهَا فِي مَقَامِ الْعِرْفَانِ، سُمُّيتُ الطَّاعةِ، أوْ لتقلبها عن الطاعة إلى المعصية، ومِنَ المعصية إلى رُوحاً، لراحتها مِنْ تَعَبِ الحجابِ، وَدُخُولِهَا مَعَ الأَخْبَابِ، وإذَا تأذّبَتْ وتهذّبَتُ وتهذّبَتُ وتهذّبَتِ عنين بصيرتها، مِن غَبْشِ الحسِّ، شمَّيتُ سرّاً لحَفْرة الولْنِ، إلا مَوْلاً، العُقُولِ، أوْ لخفاءِ صَاحِبِها عن فَهُمِ النَّاسِ. إذ لاَ يعرف حَقِيقَة الولْنِ، إلاَ مَوْلاً وَسُلَتْ الحَضْرة الولْنِ، إلا مَنْ مَنْ ذَخلَ مَعَهُ فِي الولاَيَةِ، فأَضِيفَتْ الحَضْرة الولْنِ، إلى الرُوحِ، مَعَ الخَيلافِ تَسْمِيتها، باختلافِ تطورها وتَرَقَيهَا. فقيلَ حَضْرة الأسُوار، ما دَامَتْ سِرَاً.

ولمّا كَانَ الْحَمْلُ إِلَى الحَضْرَةِ لاَ يَكُمُلُ إِلاَّ إِذَا صِحبَتْهُ النُّصْرَةُ، سألَ ذلكَ الشَّيخُ فَقَالَ: «حَمْلاً مَحْفُوفاً بِنُصْرَتِكَ»: أيْ يكون ذلِك الحملُ مُدَوَّراً بنُصْرَتِكَ. أيْ يكون ذلِك الحملُ مُدَوَّراً بنُصْرَتِكَ. أي حُفَّتْ بِهِ النُّصْرة مِن كُل جَانِبِ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الْعَبْد إِذَا صحبتْهُ النَّصْرَةُ

⁽١) حكمة من حكم الشيخ ابن عطاء الله السكندري.

والمعرفة فِي سَيْرِهِ، بَلَغَ القصد والمَامُولَ، ورَتَعَ في أقرب سَاعَةٍ فِي حَضْرة الْوُصُولِ. ولله دَرُ القائِل:

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْمَزِءِ قَاصِراً تَيَسُّرَلَهُ مِن كُلِّ عَوْنٍ مُرَادُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ الله لِلْفَتَىٰ فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ الْجَبِّهَادُهُ

ثُمَّ ذَكَرَ ثمرة الوُصُولِ؛ وهِيَ الْغَيْبَةُ عَنِ السَّوَى، فَقَالَ: ﴿وَاقْذِفْ ۗ: أَي ارْمِ ﴿بِي عَلَىٰ الْبَاطِلِ ۗ ؛ وهو ما سوى الحق تعالى. وفي الحديث: ﴿أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ ، كَلِمَة لَبِيدٍ:

الْاَكُلُ شَيْءِ مَا خَلاَ الله بَساطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِل (١)

شَبّة السّوى الذي هو الباطِل، بحيوانِ له دمّاغ، فَإِذَا أُصِيبَ دِمَاغُهُ ماتَ. ولذلكَ قَالَ: ﴿ فَأَذْمَغُهُ ﴾: أي فأصيب دمّاغهُ. فَيَتَشَتّتُ ويَضْمَحِلُ. وإِذَا زَهَقَ السِاطِلُ قَالَ: ﴿ فَأَلْ جَآءَ إِلَحَقُ وَزَهَقَ ٱلْكَطِلُ إِنَّ ٱلْكَطِلَ كَانَ زَهُوقًا السِاطِلُ جَاءَ السحقُ (فَوَلًا جَآءَ إِلَحَقُ وَزَهَقَ ٱلْكَطِلُ إِنَّ ٱلْكَلِكُ كَانَ زَهُوقًا فَلَاسِراهِ: ٨١] ﴿ فَلَالِكُمُ ٱللّهُ رَبُّكُمُ ٱلمُنَّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقْقِيلُ إِلَّا ٱلفَلَكُ ﴾. [يونس: ٣٦] وَلاَ شَكُ أَنَّ مَا سِوَى الله تَعَالَىٰ مفقود عِندَ المحققينَ، أبى المحققونَ أَنْ يشهدوا مَعَ الله غَيْرهُ. إِذْ مُحَالٌ أَنْ تَشْهَدَهُ وتَشْهَدَ مَعَهُ غَيْرهُ. مَا حَجَبَكَ عَنِ الحق وجود مَوْجودٍ مَعَهُ، إِذْ لاَ شَيْء مَعَهُ، وإنْما حَجَبَكَ تَوَهُمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ.

مُذْ عَرَفْتُ الإِلَّهَ لَمْ أَرْ غَيْره . . . وكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ مُذْ تَجَمُّعتُ مَا خَشيتُ افْتِرَاقاً فَانَا الْيَوْمَ واصلٌ مَجْمُوعُ مُذْ تَجَمُّعتُ مَا خَشيتُ افْتِرَاقاً

وإذا ذَهَبَ عن القَلْبِ شُهُود السَّوَى، غَرِقَ فِي بِحَارِ الوحدة. ولذلِكَ قال: ﴿وَزُجَّ بِيِ»: أي أَدْخِلَنِي. ﴿فِي بِحَارِ الأَحَلِيَّةِ»، فَٱلزَّجُ فِي اللَّغَةِ: هُوَ الإدخالُ، قَالَ الشَّاعِر:

أَنْ حَلَنِي الْسُحُبُ فَلَوْ زُجْ بِي فِي مُقْلَةِ النَّاائِم لَمْ يَنْقَبِهُ كَانٌ لِي فِيهِمَا مَضَىٰ خَتْمٌ والآنَ لَوْشِتْتُ تَمَنْطَقْتُ بِهُ والأحدِية مُبَالغة في الوحدةِ، أي أذخِلْنِي فِي بِحَارِ أحدية ذَاتِكَ وصفاتكَ

⁽١) رواه الطبري في تهذيب الآثار مسند على، حديث رقم (٩٧٢) [٢٥٨/٢].

واْفْعَالِكَ، ولذلِكَ عَبْرَ بالجَمْعِ، إذ كلّ بَحْرِ مسْتقلٌ بِنَفْسهِ، فَمَنْ غَرِقَ فِي بَحْرِ توحيد الذَّاتِ، غَابَ عَنْ نَفْسِهِ عن شُهُود السَّوَى، وبقي بجودِ رَبِّهِ، وَمَن غَرِقَ فِي بَحْرِ تَوْحِيدِ الصَّفَاتِ، غَابَ عن صفة نفسِهِ، وصفة غيْرهِ، وبقي بصفاتِ ربِّهِ، ومَن غَرِقَ في بَحْرِ وحْدة الأَفْعَالِ غَاب عَن فِعْله وفِعْل غَيْرهِ، وجرجَ من تدبيرهِ واختيارِهِ. إذ لا يدبر الإنسان مَا يَفْعَل غَيْرهُ. وإنَّما عَبْرَ بالأحدية التي هي أبلغ من الوحدانية؛ لأنَّ المراد هنا مِنَ التوحيد، ما كَان ذوقاً وحالاً ومقاماً، لا مَا كَانَ علماً واعتقاداً، إذْ ذلِكَ من شأنِ أهل الحِجَابِ: أهل الدَّليل والبُرْهانِ. وفي هٰذَا المقام، قال شيخ شيخنا، سيّدي عبد الرحمٰن المجذوب رضي الله عنه:

يَا قَارِئِينَ عِلْم التَّوْجِيدُ هُنَا الْبُحُودُ إلى تِغْبِي هُنَا الْبُحُودُ إلى تِغْبِي هُنَا الْبُحُودُ الْمُعَامُ أَهْل التَّخْرِيدُ الْسَوَاقِدِينِ مَسِعَ دَبِّسِي

إذْ لا يخوف لهذِهِ البُحُورَ، إلا أله التَّجريد والحُضُور. وأمًّا مَن تنشب ظاهره بكثرة الأسْبَابِ، فَلاَ يَطْمَع أَنْ يُفْتَحَ لهُ هذِهِ الأبواب. وقد سَمِغْتُ شَيْخَنَا البُوزَيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: معرفة المتَسبِّب، لاَ تَقْرُبُ من مَغْرِفَةِ المُتجرِّد. وقال أيضاً: المتجرِّد النَّاقِسُ، أفضل من المتسبِّب الكامل، يغني المتهذِّب. إذِ المتسبِّبُ لاَ يَخْلُو بَاطِئهُ مِنْ تَكْدير. وسَمِغْتُ شيخ شيخنا مولاَي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: فكرة المتجرِّد، أَمْنَعُ مِنْ فِكْرَةِ المتسبِّب. أي المُلَّرِقاوي رضي الله عنه يقول: فكرة المتجرِّد، أَمْنَعُ مِنْ فِكْرَةِ المتسبِّب. أي أَصْفَىٰ وَأَبْلَغُ؛ لأنَها ناشئة عَنِ الصَّفَاءِ، إذ صَفَاءُ الباطِنِ، من صَفَاءِ الظَّاهِرِ، وتَكْدِيرُ الباطن، مِن تَكديرِ الظَّاهِرِ. ولهذَا كُلَهُ فِي حَقِّ السَّائرينَ.

وأمَّا الواصلونَ المتمكّنُونَ فَلاَ كَلاَمَ عَلَيْهِم. إذْ أمرهم كُلّه بالله. وعليه يُحْمَل حَالُ الصحابة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُم. إذْ كَانَ فيهم المتسبّبونَ، كالصّديق، والفاروق، وغَيْرهما. والإجماع على تفضيلهما، فَيُحْتَمَلُ ذٰلِكَ، على أنّهُ كَانَ بَعْدَ كَمَالِ حَالِهِمْ. وأَيْضاً: مُشاهدَتُهُمُ لنور النبوءة، مَنَعَتْهُمْ مِنَ الرُّكُونِ إلى شَيْءٍ سِوَاهُ. فنظرة واحدة مِنَ الرَّسول ﷺ، تخرجُهُ مِن عَوَالِمِهِ وعَوَائِدِهِ فِي سَاعَةٍ واحِدَةٍ، والله ذو الفضل العظيم.

ولمًّا كَان راكب البحر على خَطَرٍ، إمَّا أن يَسْلَمَ، وإمَّا أنْ يغرقَ، طلبَ

النجاة من الغَرَقِ فِي بَحْرِ الأَوْهَامِ، أَوْ فِي بَحْرِ الشُكُوكِ والخواطِرِ، أَو في بَحْرِ الشُكُوكِ والخواطِرِ، أَو في بَحْمِ النَّوْنَدَةِ والإلْحَادِ فَقَالَ: قَوَانْشُلْنِي،: أَيْ خَلَصْنِي وَانْقِلْنِي قَمِنَ أَوْحَالِ، جَمْعِ وَحُلِ؛ وَهُوَ الخَضْخَاضُ. أَيْ سلمني من وغيض التَّوْحِيدِ، من إضافة المشبه به إلى المشبّه. أي أَنقِلْنِي مِن توحيد كَالْخَضْخَاضِ، بأن يَضحبَه تكدير وتخليط، إمَّا برُؤْية السَّوى مَعَهُ؛ وهو توحيد العوامِّ؛ وهو مكدَّر بالأوْهَامِ والشكوكِ والخواطِر، وإمَّا بِأَغْتِقَادِ الحلولِ والاتحادِ. فإنَّ بَعْضَ الجَهلة، اعتقدوا والشوى، وادَّعَوْا حلول الألوهية فيه. وهو مَذْهب النَّصَارى، وبَعْضهم ادَّعَىٰ وجود السَّوَى، لكنّه اتُّحِدَ وامتزج مَعَ الألوهية. وهو كفر حَرَامٌ. جاء في الحكم يا عجباً كَيْف يظهر الوجود في الْعَدَمِ؟ أَمْ كَيْفَ يثبُت الحادِث مَعَ مَنْ لَهُ وضفُ القِدَم؟

ُ أَهْلِ التحقيق لم يثبتُوا مَعَ الحقِّ سِوَاهُ، ورَأُوا الكُلِّ مِنْهُ وإلَيْهِ، فالكُلُّ دُونَ الله ، إِنْ حَقَّقَتُهُ عَدَمٌ على التفصيل والإجمالِ. وإلى ذَلِكَ أَشَارَ القائِلُ بقولِهِ:

مَنْ لا وُجُودَ لِلذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوُجُودُهُ لَوْلاً هُ عَيْنُ مُحَالِ (١)

فَإِنْ لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَهُ الرِّجَالُ، فَحُطَّ رَأْسَكَ لأَقْدَامِ الرِّجَالِ حَتَّى يَسْقُوكَ مِنَ التوحِيدِ خَمْرة صافِية زُلَلٍ، وإلاَّ فَسَلِّمْ لأَهْلِ الكَمَالِ

وقَدْ شَبَّهُوا رَاكِبَ بَحْر التوحيدِ، بِرَاكِبِ البَحْر الحسِّي، فإن كَان صاحبُ السَّفينةِ رئيساً مَاهِراً آوى به إلَى جَبَلِ السنة المحمَّدية، فَكَانَ من الناجحينَ

الله قبل وذر الوجود وما حوى في الله قبل دون الله إن حققت واعلم بأنك والعوالم كلها من لا وجود لفاته من ذات فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ورأو سواه على الحقيقة هالكأ فالمح بعقلك أو بطرفك هل ترى وانظر إلى علو الوجود وسفله تجد الجميع يشير نحو جلاله

إن كنت مرتاداً بلوغ كمال عدم على التفصيل والإجمال لولاه في محو وفي اضمحلال في محو وفي اضمحال شيئاً سوى المتكبر المتعال في الحال والماضي والاستقبال شيئاً سوى فعل من الأفعال نظراً تؤيده بالاستدلال بلسان حال أو لسان مقال

⁽١) هذا البيت من قصيدة للقطب شعيب بن الحسن الاندلسي التلمساني أبو مدين المتوفي سنة ٥٩٤ هجرية والقصيدة هي

النَّاجِينَ، وإن كَانَ صَاحِبُ السَّفينة جَاهِلاً بالبَحْرِ، آوَىٰ بِهِ إِلَى جَبَل عَقْلِهِ وَحَدْسِهِ، فَٱلتَطَمَتْ بِهِ الأَمْوَاجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ.

ولمًّا طَلَبَ النَّجاة مِنَ الغَرَقِ فِي بَحْرِ التخليطِ، طَلَبَ الغَرَقَ فِي بَحْرِ السَّفَاءِ؛ وهي الوحدة الحقيقية، فقال: «وأغْرِقْنِي فِي عَيْنِ»: أيْ في حقيقة «بَحْرِ السَّفَاءِ؛ وهي وسَطِ بَحْر الوحدةِ، والمراد أن يَغيبَ في شهودِ الذَّات وحدها. فيكون مُنهمكا في الحقيقة، غائباً في وُجوده بوجودِ مشهودِه، كَمَا قَالَ الجُنَيْد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وُجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشَّهُ ودِ

وإِنْ غَابَ فِي الحقّ، كَانَ أَمْرِه كله بِهِ لاَ بِنَفْسِهِ. ولذلكَ قَالَ: "حَتّى لاَ أَرَىٰ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ ا

ثم رَجَع إلى مَقام الفناءِ فقال: ﴿وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ ﴾. هو النبي ﷺ.

⁽١) رواه البخاري في صحيحه، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم (٦١٣٥) [٥/ ٢٣٨٤] وابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يجب على المرء..، حديث (٣٤٧) [٨/ ٥] ورواه غيرهما.

والمُرَاد بالواسِطَةِ: القَبْضَة النُّورانية التي تكثفَتْ وبَرَزَتْ مِنَ الجَبَرُوت، وسُمِّيَتْ محمَّداً ﷺ. فَمَنْ أَلْحَقَها بِأَصْلِهَا، ولم ينظر إلى حِكْمَةِ إظهارها، أَنكَرَ الواسطة، وكَان ناقصاً أو ساقطاً، ومن نَظَرَ إلى حكمة إظهارها، وأنها ثابتة بإثباتِهِ، مَمْحوَّة بأحدية ذَاتِهِ، أقرَّها بالله، وأقامَ بحقوقها، وهي أخكام الشريعة، فلا بُدَّ مِنْ إثباتِهَا وُجُوداً، والغَيْبَة عَنْهَا شهوداً.

والواسطة مِنْ عَيْن المَوسُوط. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الواسطة، وحُجب عن المموسوط، كَان جاهِلاً بالله، غَيْر عارف بِهِ، وَمَن حُجِبَ بالوَاسِطةِ عَنِ المَوسُوطِ، فإنْ كَانَ مَجْدُوباً غائباً، كَان ناقصاً، وإن كَان صَاحياً كَانَ سَاقطاً. ومَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا كَان محققاً كَامِلاً، وبالله التوفيق.

ولمَّا طَلَبَ حياة رُوحِهِ، بِشهودِ ظاهِرِ الحِجابِ الأغظَمِ؛ وهو النَّبيّ ﷺ؛ طَلَبَ تصفيتها، حتَّى تنقلِبَ سرًّا بشهودِ باطنِهِ عليه السَّلامُ. وهو روحه فقال: ﴿وَرُوحَهُ سِرَّ حَقِيقَتِي، أَيْ وَاجْعَل شهود روحِهِ، سَبَبَ سِرَّ حَقَيقتي، أَيْ سَبَبَ انقلابِ روحي سِرًّا، فَحَقيقة الإنسان هِيَ رُوحُهُ.

والحاصل: أن النظر إلى ظَاهِرِهِ عليه الصَّلاة والسَّلامُ يُفيد تحقيق الشريعة؛ وهو سبب حياة الرُّوحِ. والنَّظر إلى باطِنِهِ عليه السلام، يُفيد تحقيقَ الطريقة، وبها تكون تصفية الرُّوح، حتَّى تكون سِرّاً، بعد أن كَانَتْ نَفْساً، ثم عقلاً، ثم قلباً، ثم روحاً، فإذا تَهَذَّبَتْ صارت سِرًا.

وأما النظر إلى جُمْلَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلامُ يَعْنِي ظَاهره وباطِنُهِ، فَيُفِيدُ تحقيق الحقيقة، وبِهَا يكون تصفية السَّر، وإليه أشار بقولهِ: «وَحَقِيقَتُهُ وجَامِعَ عَوَالِمِي»: أي والجعل شُهُود حقيقتِهِ كلها، بِظاهِرِهَا وبَاطِنِهَا، بجميع عَوَالمي الباطنية؛ وهو العلم والفَهْمُ، والفِكْر والعَقْلُ، والنظر والاغتبار، فتكون عوالمي كلها مُنحصِرةً فِي الحقيقة المحمَّدية؛ وَهِيَ القبْضة الجَبروتية، أو المظهر الجَبرُوتي، مَعَ النظر إلى الجَبروت الأصْلِي، كما يأتي بَعْدَهَا.

والحاصل: أنَّ ظاهرهُ عليه السلامُ مُلكَ، وباطنَهُ مَلكُوتُ والجمع بَيْنَهُما جَبَروتُ. فطلب أولاً النظر إلى مُلكِ ظاهِرِهِ عليه السَّلامُ، لتحقيق شريعته. وطلبَ ثانياً النَّظَرَ إلى مَلكُوتِ باطِنِهِ عليه السَّلامُ؛ لتحقيق طَريقتِهِ، فتكون سُلَّماً للإشراق نُور حقيقته، وطَلَبَ ثالثاً النَّظَرَ إلى جَبَرُوتِ جُمْلته عليه السَّلامُ، لتكمل حقيقته.

وإن شِنْتَ قُلْتَ: طَلَبَ أَوْلاً بِقولِهِ: والجَعْلِ الحِجَابَ الأَعْظَمَ، حَيَاةً رُوحِي ـ الاَفْتِدَاءَ بِظَاهِرِهِ. إِذْ هُوَ سَبَبُ لِحَيَاةِ الرُّوحِ حسّاً ومَعْنى؛ وهو محل التشريع، فيكونُ كَلاَمُ الشيخ حينئذِ على حَذْفِ مُضَافَيْنِ. أَيْ والجُعَل شُهُودَ ظَاهِرِ الْحِجَابِ الأَعْظَم، لَكِن إِذَا أُطلِقَ الكَلاَمُ، إِنّما ينْصَرِف إلى الظاهِرِ، فلا نحتاج إلى تقدير المُضاف الثاني، وطَلَبَ ثالثاً بِقَوْلِهِ: وروحه سِرَّ حقيقتي الاقتداء ببَاطِنِهِ عليه السَّلامُ. وَهُو مَحَلُ تصفية الرُّوحِ. إذ كُلُّ مَن نَظَرَ إلى بَاطِنِهِ عليه السَّلامُ ورَأى ما كَانَ عليه مِن كَمَالِ الأَخلاق، انجَرَّ إلى الاقتداء بِهِ عليه السلامُ. وهو عَمَل الطريقة، وطَلَبَ ثالثاً بقولِهِ: «وحقيقته جَامعَ عَوَالِمِي». السلامُ. وهو عَمَل الطريقة، وطَلَبَ ثالثاً بقولِهِ: «وحقيقته جَامعَ عَوَالِمِي». الجمعُ بَيْن الاقتداءِ بِالظَّاهِر والباطِنِ، وبذلكَ تتَنَوَّرُ الحقيقة، ويظهر سِرَها.

أو تقول: طلبَ أوَّلاً تحقيق مقام الإسلام، بشهودِ ظَاهِرهِ عليه السَّلامُ، وطَلَبَ ثالثاً تحقيق وطَلَبَ ثالثاً تحقيق

مقام الإحسَانِ، بشهودِ حَقيقته عليه السَّلامُ.

أو تقولُ: طلبَ أوَّلاً شهوده عليه السلامُ مِن جِهة مُلْكهِ. وثانياً: شهوده مِن جِهة مَلكويةِ، وهذا أحسن من ذلك إن مِن جِهة مَبرويةِ، وهذا أحسن من ذلك إن شاء الله، لأنَّ الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لمَّا طَلَبَ الرّجوع إلى البقاءِ، بِشهودِ الواسطةِ، طلب أن يكون رجوعه إلَيْهَا بِشهود مُلْكها ومَلَكُوتها وجَبروتها، ولذلك ضَمَّ جَبرُوت الواسطة، إلى جَبروت المَوْسُوطِ فقال: «بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ الأولِ» الباء للتّغدية، والحق الأول: الشهود السَّابق في عَالَم الأرواح يَوْمَ اللّشَتُ بِرَبّكُمْ»: أي حَقَّقُهُ الآنَ حتى أستحضرهُ، أستَعِينُ بِهِ على ذَوَامِ الشهودِ، أو الباء للمعية. والحق الأول: هو شهود الرُّبوبية والاستغراق في الوحدانية. أو الباء للقسم، والحق الأول هو الله تَعَالَىٰ، إذ هو السَّابق على كل حقّ، ومنه كان كل حقّ.

وأعودُ إلى الْمَعْنَىٰ: بتحقيق، أي مع تحقيق الحقّ الأوّل؛ وهو الجبروت الأصلي، فالبّاءُ بِمعْنَىٰ مَعَ. كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَد ذَخُوا إِلْكُفْرِ ﴾ [المائدة: ٦٦] أي مَعهُ. فَطَلَبَ أن تكونَ عوالمهُ مُنْصَرفة إلى جَبَروت الواسطة مع النظر إلى جَبَرُوتِ الموسوطِ؛ الَّذي هو الأصل؛ وهو الحقّ الأولُ. والفَرْق بَيْن جَبَرُوتِ الواسطة، وجَبَرُوت الأولُ. والفَرْق بَيْن جَبَرُوتِ الواسطة، وجَبَرُوت الأولك، والفَرْق بَيْن جَبَرُوتِ الفراءِ الجور والمقهرية، فظاهره حِكمة، وباطنه قدرة، فَمَنْ ضَمَّ جَبرُوتِ الفرْعِ، المن عَيْر مُرَاعاةِ الحكمة، ورداءِ القهرية، وقع في الزُنْدَقةِ؛ لإبطالِهِ الأحكام والحِكْمةِ، وخزقه رداء العِزَّة القهرية. ومَن ضَمَّهَا مَعَ الزُنْدَقةِ؛ لإبطالِهِ الأحكام والحِكْمةِ، وخزقه رداء العِزَّة القهرية. ومَن ضَمَّهَا مَعَ مُرَاعاةِ الحِكْمة، ورداء الكِبْرياءِ والعِزَّةِ، كَانَ إماماً كَامِلاً جَامِعاً، يَصْلح للتربية والترقية، جعلنا الله منهم، بِمنّهِ.

اِيَا أَوَّلُ، قَبْلَ كُلَّ شَيْءٍ. اِيَا آخِرُ، بَعْدَ كُلُّ شَيْءٍ. اِيَا ظَاهِرُ، فَرْقَ كُلِّ شَيْءٍ. اِيَا أَوْلُ، فَرْقَ كُلِّ شَيْءٍ. اِيَا طَاهِرُ، فَرْقَ كُلِّ شَيْءٍ. اِيَا بَاطِنُ، دُونَ كُلِّ شَيْءٍ. الْمَالِكُ فَي حديث أخرجَهُ مَالِكُ في المُوَطَّأ. وَلَفْظهُ: اللَّهُمُّ أَنْتَ الأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءً، وأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وأَنْتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءً، بَعْدَكَ شَيْءٌ، وأَنْتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءً، وأَنْتَ الباطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءً، أَقْضِ حَنِّي البَقاءِ، وبالظهورِ عن أَقْضِ حَنِّي البَقَاءِ، وبالظهورِ عن الْقِضِ حَنِّي البَقَاءِ، وبالظهورِ عن

التجلِّي، وبالبطونِ عَن الحجابِ بالحِكْمَةِ وَرَاء القهرية؛ فهو ظَاهِرٌ فِي بطونِهِ، باطِنٌ فِي ظُهُورهِ، فَاسْمُه الظَّاهر يَمْحُو ظُهُورَ السَّوَى ويبطنهُ. إذ لاَ ظَاهِر مَعَهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ، واسْمه الباطِن، يقتضي ظهور تجلياته، ليكُونَ بَاطِناً بالنِّسْبَة إلى حِسُّهَا الظَّاهِرِ. فَلَوْ بَقِيَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِن البُطُونِ، مَا عُرِف وَلاَ عُبِدَ. وفي الحِكَم(١): لا أَظْهَرَ كُلُّ شَيْءٍ بأنه الباطن، وطَوَىٰ كُلُّ شَيْءٍ بأنه الظَّاهر.

وقال في آخِر المُنَاجَاة: كَيْفَ تخفّي وأنْتَ الظَّاهر، أَمْ كَيْفَ تغيبُ وأنت الرقيب الحَاضِرُ. والحاصل: أنَّ الْحَصْرَ فِي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآيِرُ وَالظُّنهِرُ وَٱلْبَالِمَنَّ ﴾ [الحديد: ٣]. يقتضى انفراده بالظهور دُونَ غَيْرهِ، لأنَّ التَّقْدِير: هو الأوَّلُ، هو الآخِر، هو الظَّاهر، هو الباطن دون غَيْرهِ. فكُلُّ مَا ظَهَرَ فَهُوَ هُوَ، وكل ما بطن فَهُو هُوَ. أَوْ تقول: هو ظَاهر كل ما بطنَ، وباطن كل ما ظَهَرَ من الألوهية، إذ لا شَيْءَ مَعَهُ، أوْ تقول: هو الظَّاهِرُ مِنْ جِهَةِ التعريف، والباطن من جهَةِ التكثيف. إذ إن كُنْه الرُّبوبية لا يُكَيُّفُ. أوْ تقول: ظاهرٌ بقدرتِهِ، باطِنٌ بحكمتِهِ. أي سبب حِكمتِهِ، فَقَدْ أظهر الحكمة، وأبْطَن القدرة، إليه أشار بعض العارفين بقولِهِ:

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَلاَ تَحْفَىٰ على أَحَدِ إلاَّ عَلَىٰ أَكِمَهِ لاَ يُبْصِرُ الْقَمَرَا

لَكِنْ بَطَنَتْ بِمَا أَظْهَرتْ مُحْتَجِباً وَكَيْفَ يُبْصَرُ مَنْ بِٱلْعِزَّةِ اسْتَتَرا

واغلَمْ أنَّ الحِكْمَة عَيْنِ القُذْرةِ، والقُذْرَة عَيْنِ الحِكْمَةِ، إذِ الفاعِل واحِدٌ. وسأذكر لكَ شيئاً من بَحْرِ القُذْرة، وشيئاً من بَحْرِ الحِكْمَة، ليَظهر لكَ الْفَرْق بَيْنَهُما، مع اتَّحادِهما مَحَلاً، فنقول: وبالله التوفيق:

بَحْرُ الْقُدْرَةِ، بَحْرِ زَاخِرٌ، وأَمْرِهُ قاهِرٌ، لَيْسَ له أَوَّلُ وَلاَ آخِرٌ، يُظهر ويبطن، ويحرك ويسْكن، ويقبض ويذفع، ويعطي ويمْنع، ويَحْفَظُ ويَرْفَعُ، بِيَدِهِ مَقَادِير الأمور، وعلى قُطْب دائرته الأفلاك تدور، أصل الفروع، وفروع الأصول، وإليه ينتهي الوصول. تطير إليه قلوب المشتاقين، وتعوم في طرف لجَّتِهِ أرواح السائرين، وتخوض في بَحْرِ لُجَّته أَسْرَارُ الواصلينَ، وَلاَ تعرف كُنْهَ

⁽١) العطائية للشيخ. أحمد بن عطاء الله السكندري.

عظمته قلوبُ العارفين؛ غايّةُ مُنْتَهَاهَا الدَّهش والحَيْرَة، ثم العكوف فهي الحَضْرَة.

وأمَّا بخرُ الحِكْمَةِ؛ فَهُو أَيْضاً: بَخرٌ زَاخِرٌ، وأَمْره ظَاهِرٌ، يُظْهِرُ الأَسْبَابَ، ويُسْدلُ الحجابَ، يَرْبط الأحكام بالْعِلَلِ، ويُقرّرُ الشَّرَاتع والمِلَلَ، يُغَطِّي مَا يَبْرُزُ مِنْ عُنْصُرِ الْقُدْرَةِ بِرِدَاثِهِ، ويسْتر ما يَبْدُو من أَسْرَار الرّبوبية بِعِزِّ كِبْرِيَائِهِ، يُنَوِّرُ الطَّرِيقة، ويصونُ الحقيقة، يُظهر العبودية، ويبطن الحرية، مَنْ وَقفَ معه كَانَ الطَّرِيقة، وَمَنْ نَفَدَ مِنْهُ إلى بَحْرِ الْقُدْرَةِ، كَانَ وَاصِلاً مجذوباً، ومَنْ نَظَرَ إلَيْهما معاً، كَانَ كَامِلاً محبوباً، وبالعناية مصحوباً.

واعلم أنَّ القُدْرَة والحِكْمَة، كل واحدة تنادي على صَاحِبَتِهَا، بلسَانِ حَالِهَا. أمَّا القدرة فتقول للحِكمَة: أنْتِ تَحْتَ قَهْرِي ومشيئتي، لاَ تَفْعَلِي إلاَّ مَا أُرِيدُ، فإن أردت خِلافِي رددتك، وإن سَبَقتني أشاءُ، وَلاَ يَصدُر مِنْكِ إلاَّ مَا أُرِيدُ، فإن أردت خِلافِي رددتك، وإن سَبَقتني أَدْرَكْتُكِ. وتقول الحكمة للقدرَةِ: أنْتِ تحت حُكْمِي، وعِنْدَ أمْرِي وَنَهْبِي، فإنْ عَصَيْتنِي أَذْبتُكِ، ورُبُّما قتلتُكِ، فإن بَرَزَتِ الْقُدْرَةُ مُوافِقة لِلْحِكْمَةِ، كَانَ ذَلِكَ علامة الجمالِ عاجِلاً أوْ آجِلاً، وإن بَرَزتِ القدرة مخالفة للحِكمَة، كَانَ عَلاَمة الجلالِ عاجِلاً أوْ آجِلاً؛ لأنَّ الحِكمَة منوطُ الشريعة، والقدرة محلُ الحقيقة. المجللِ عاجِلاً أوْ آجِلاً؛ لأنَّ الحِكمَة منوطُ الشريعة، والقدرة محلُ الحقيقة. فإذا خَلَفَتِ الحقيقةُ الشريعة، كَانَ معصية؛ وهي سبب الجمال، والإنسان دائر بين حقيقة وشريعة، والله تعالى أغلَمُ.

ثمَّ ذكر الشيخ مطلوبَهُ بالنَّذَاءِ فَقَالَ: «اسْمعْ نِدَائِي» سَمَاع قبول، أي أجِبْ دعائِي. «بِمَا سَمِغْتَ»: أي بِٱلْوَجْه الَّذِي سَمِغْتَ (بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ رَكَرِيًاءَ»؛ وهو سُزْعَة الإجَابة، على وَجْهِ خَرْقِ الْعَادَةِ، فَقَذْ وَهَبَ لَهُ وَلَداً مِنْ صُلْبِهِ، مَعَ يَأْسِ سُزْعَة الإجَابة، وفيه إشارة لطلبِ الوارث الرُّوحَانِي، فكَانَّ الشيخ خَافَ أَنْ يَنْقَطعَ الانتفاع بِهِ بَعْدَ المَوْت، حَيْث لَمْ يترك وارثاً لِسرَّهِ، فأَجَابَ الله دُعَاءَهُ، بأبي الحسن الشاذلي، فأخذَ سِرَّهُ، ونشرَه فِي المشرقِ والمَغْرِب، فقد انتشرتِ بأبي الحسن الشاذلي، فأخذَ سِرَّهُ، ونشرَه فِي المشرقِ والمَغْرِب، فقد انتشرتِ الطريقة الشاذلية، انتشار الشَّمْس في أُنْقِ السَّمَاءِ، وكثر أتباعها شرقاً وغَرْباً، كل ذلك فِي صَحيفَةِ الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمَرْءُ فِي مِيزانِهِ أتباعُهُ. فَاقْدُرْ بِذَٰلِكَ فَيْ مَيزانِهِ أَتباعُهُ. فَاقْدُرْ بِذَٰلِكَ فَيْ مَيزانِهِ أَتباعُهُ. فَاقْدُرْ بِذَٰلِكَ فَيْ مَعْرَانِهِ أَتباعُهُ. فَاقْدُرْ بِذَٰلِكَ

ثم كَمَّلَ مطلوبَهُ فَقَالَ: «وانْصُرْنِي»: أَيْ قَوْنِي وأَعِنِّي فِي الظَّاهِر بِكَ، لاَ بِوَاسِطة شَيْء، لأكون عَبْداً خالصاً لكَ؛ لأَنْ النَّصْرَ إِذَا كَانَ بِوَاسِطة، رُبَّمَا تميلُ النَّفْسُ إلى مَحَبَّةِ الْوَاسِطَة، فَتُحْجَبُ عَنِ الْمَوْسُوطِ، بِخلافِ ما إِذَا كَانَ بِلاَ وَاسِطة، أَوْ غَانِباً عَنْهَا، كَانَ عَبْداً حقيقياً، لانحصار المحبَّة فِي النَّاصِر الحقيقي. واسِطة، أَوْ غَانِباً عَنْهَا، كَانَ عَبْداً حقيقياً، لانحصار المحبَّة فِي النَّاصِر الحقيقي. ﴿وَالْيَذْنِي ﴾ أَيْ قَوْنِي فِي الْبَاطِنِ «بِكَ » لاَ بِرُوْية غَيْرِكَ «لَكَ»: أَيْ لأكُون عَبْداً خَالِصاً لكَ، فتقرر أَنَّ النَّصْرَ فِي الظَّاهِرِ، بموافقة الأسباب، والتَّأْييدَ فِي الباطِنِ، بِرَفْعِ الْجَجَابِ، وَمُوَافقة الصَّوَابِ. وقيل: النَّصْر والتأييد مُتَرَادِفَانِ، والجَمْع بِرَفْعِ الْجِجَابِ، وَمُوَافقة الصَّوَابِ. وقيل: النَّصْر والتأييد مُتَرَادِفَانِ، والجَمْع التَالِيد: الوفيق. العبارَةِ. والتحقيق: الأولُ. ويُوافق النَّصْر: الهِداية. ويُوافق التَّايد: التوفيق.

والحاصل: أنَّ النَّصْرَ والهداية والتأييد والتوفيق محلّها القلوب. لكن النصر والهداية، يظهر أكثرهما على الجوارح الظَّاهرة. فتهدي إلى الطهارة والاستقامة، وتقوِّي على المُواظبة على العبادة. والتأييدُ والتوفيق: يظهر أثرهما على الْعَوَالم الباطنية، فتتخلَّى عن الرَّذائِل، وتتحلَّى بأنواع الفَضَائِلِ؛ التي هِيَ عَلَى الْخُلاَقِ، والرُّضى والتسليم، والمحبَّة والمعرفة. وغَيْر ذلِكَ مِمًا تقدَّم ذِكْرهُ. والله تعالى أعْلَمُ.

ثم ذكر ثمرَة النَّصْرِ، والتأييد؛ وهو الجمع على الله، والغَيْبَةُ عَمَّا سواهُ، على سبيل الاستغراقِ والدَّوام فقال: «وَالجَمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» طلبَ دوامَهُ واتَّصَالهُ، وإلاَّ فالجمع حاصِلٌ لهُ، فَهُو كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلنَّيَىُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الاحزاب: ١].

والجمع: شهود الرّبوبية متصلةً على الدَّوامِ. والْفَرْقُ: شهود العبودية مُنفصِلةً على الدَّوامِ. أو تقول: الجمْعُ، شهود القدرة وحدها. والفَرْق: شهود الحِكْمَة وحْدَهَا. فَأَهْلُ الجَذْبِ والفَنَاءِ: لاَ يشهدون إلاَّ الجمع، وأهْل السلوك قبل رفع الحجاب، لا يشهدون إلاَّ الفَرْق، وأهْلُ البقاء يشهدون الجمع فِي عَيْنِ الفَرْق. والفَرْق فِي فَرْقِهِمْ، مَهْرُوقون فِي الفَرْق. والفَرْق فِي عَيْن الجَمْع، فَهُمْ مَجْمُوعُونَ فِي فَرْقِهِمْ، مَهْرُوقون فِي اللهُ عَرْقهم، لا يحجبُهُمْ جَمْعهم عَن فَرْقِهِمْ، وَلاَ فَرْقهم عن جَمْعهم، رضي الله عَنْهُمْ.

ولمَّا طلبَ الجمع على الدُّوامِ، طلبَ نَفْيَ ضِدُّهُ؛ وهو الفَرْق فَقَالَ:

﴿ وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَيْرِكَ اللّه وَبَيْنَ الْغَفْلة ؛ التي تُثبتُ الغَيْرية ، أو الحيلولة بَيْنَهُ وبَيْنَ الْغَفْلة ؛ التي تُثبتُ الغَيْرية ، أو الحيلولة بَيْنَهُ وبَيْنَ الْوَهْم ، إذْ هو الَّذِي يثبت الغيرية ، ولقد سمعت شيخنا البُوزيدي رضي الله عنه كثيراً ما يقول: ﴿ والله مَا حَجَبَ النَّاسَ عَنِ الله إلاَّ الْوَهْم ، والْوَهُم : أَمْرٌ عَدَمِيً لاَ حَقِيقة لَه الله . يَغنِي أَنْهم تَوَهّمُوا وُجُود السَّوَى ، وَلاَ وُجُود لِلسَّوى . ﴿ الله الله هذا المتحقيق للجمع الذي طلبَ . وحذف النداء لدلالته على البُغد ، لاَ بُغد مع البَحمْع . وكرَّر (الله) ثلاثة ، على عَدَدِ الْعَوَالِم الثلاثة ، ﴿ المُلكُ ، والمَلكُوث ، والْجَبَرُوت ، فَكُلُّ مَرَّة يُفْني بِهَا عَالَما ، ويرْتَقِي إلَى آخَرَ . حَتَّى يَسْتَقِرُ بِالثَّالِثَة نِي عَالَم المُلكِ ، وإذا قالَها ثانيا ، وأنى عَالَم المُلكِ ، وإذا قالَها ثانيا ، أَفْنَىٰ عَالَم المُلكِ ، وافتقر فِيه ، وسَمِغت في عَالَم المُلكِ ، وافقصَم به الكون كله إذا تلقاه أَنْ الشيخ نا رضِيَ الله عَنْهُ يَقُول : إذا قال الإنسان : الله ، قصَم به الكون كله إذا تلقاه من الشيخ . والقَصَمُ : الهَلاكُ والذَهابُ . وكان شيخ شيوخنا سيّدي علي يقول : من الشيخ . والقَصَمُ : الهَلاكُ والذَهابُ . وكان شيخ شيوخنا سيّدي علي يقول : من الشيخ . والقَصَمُ : أن الكؤن يذوب إذا ذكر اسْم الله عليه .

قلت: وما قاله الشيخان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما صحيحٌ، فإذا قُلْتَ: الله، وتوجَّهتَ بقلبك إلى الكَوْنِ، من العَرْشِ إلى الفَرْش ، ذابَ وتلاشى، ولم يَبْقَ لَهُ أثَرٌ، فَجَزَاهما الله عنّا خَيْراً، ويؤخذ مِن تِكرار الشيخ لهذا الاسم العظيم، جواز تكرار هذا اللفظ، والاقتصار عَلَيْه في الذَّكر؛ وهو التحقيق، خِلافَ ما ذكر الحطاب، عن عزّ الدِّين بن عبد السَّلام، ولعَلَّهُ قبل أن يلتقي بالشيخ.

وفي المسألة ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً في البِدَاية والنهاية. والمنع مطلقاً. والتفصيل يجوز في النهاية، ولا يجوز في البداية. والمشهور الأول. قال في لطائف المِنَنِ: وكَان الشيخ أبُو العبّاس المرْسي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَحُضُّ عليه كثيراً، ويقول: هو سلطان الأسماء. وقال اليوسي: ثمرة هذا الاسم، معرفة الذّات، وقد تولاً، أبو الحسن النوري، فبقي أياماً يقول: الله. الله. الله لا يفتر. ولا يأكل، ولا يشرب، فَذَكَرَ ذلِكَ للجُنَيْد، فقال لَهُ: إن كنت تقوله بنفسكَ فأنت مُشْرِك، وإن كنت تقوله بنفسكَ فأنت مُشْرِك، وإن كنت تقوله بنله فلَسْتَ أنْتَ الْقَائِل. فَمَا لهٰذَا التّولُهُ؟ فسَكَت، وقال: نِعْمَ الطبيبُ أنْتَ.

ولمّا كَان الجمع الحقيقي، الذي تَصحبُهُ النَّضْرة والسُّرور، وَلاَ تَعْتريه على عَفلةٌ وَلاَ فتورٌ، إنَّما تَكُونُ بعد البَعْثِ والنُّشُورِ، تَلاَ عَلَىٰ رُوحِهِ هٰذِهِ الآية، على مَذْهَب تَفْسِير أهل الإشارة، تشلية لَهَا فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْفُرْءَاكَ الْفُرْءَاكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] أي إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ أَحْكَام القرآن، والعمل بِهِ لرَادَك إلى مَعَادٍ عَظِيم، فتتصِل بمحبوبكَ على الدَّوَامِ، وأمَّا دار الدُّنْيَا فَهِي دَارُ أَهُوالِ ومَنْزِل فرْقةٍ وانتقالِ، لاَ تَسْتَغْرِبُ وُقُوع الأكدار، ما دُمْتَ فِي هٰذِهِ الدَّار. فإنما أَبْرزَتُ ما هو مُسْتحِقٌ وَصْفَهَا، وواجب نَعْتها.

ثم ذكر دعاء أهل الكهف، تشبيها بِهِم في النّبتُلِ والانْقِطَاعِ إلى الله والفِرار مما سواه ، فقال: (رَبّنا آتِنَا»: أي أغطنا وامْنَحْنا المِنْ لَدُنْك ، أي من مستبطن أمُورك ؛ لأنْ لَدُنْ ، تدلُ على الاتصال والْقُرْبِ أكثرَ مِن عِنْد . أي هَبْ لَنَا من خَزَائِن فَيْضك (رَحْمَة عظيمة تضمنا وتوحشنا مِنْ غيرك . (وَهَيْعَي ه اي والْجُعَل ؛ (لَنَا مِن أَمْرِنَا» كُلِّهِ (رَسُداً»: أي صواباً . والمعنى ، واجْعَل أمْرنَا كُلّه رَسُداً ، وصواباً . والمعنى عِنْدَ أهل البَيَانِ : رسداً ، وصواباً لمُوافقتهِ لمحابتك ومَرْضَاتِك ؛ وهٰذَا يسمّى عِنْدَ أهل البَيَانِ : التّجريد . ومعناه : أنهم إذا بالغوا في الشيءِ ، جَرَّدُوا مِنْهُ نوعاً آخَرَ مِنْ جِنْسِهِ . كقولك : لي من فُلانِ صديق كقولك : لقيتُ من زَيْدِ أسَداً . مُبالغة في شجاعتِه . وقولك : لي من فُلانِ صديق حميم . ومنه قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَمُمْ فِيهَا دَارُ الْمُنْلِدُ ﴾ [نصلت : ٢٨] . وكأنه أراد أن يكون أمره كلهُ رشداً . حتى كأنه جَرَّد مِنْهُ رشداً آخَرَ . والله تعالى أغلَمُ .

و لهذَا آخرُ التَّصْلية في النُّسَخِ العتيقة، وزَادَ بَعْضُهُمْ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَتِكَنَهُ يَمْلُونَ عَلَ النَّيِّ يَكَأَيُّا الَّذِيكَ ءَامَنُوا صَلُوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الاحزاب: ٥٦] وفي الآية ما يَدُلُ عَلَىٰ تَعْظِيمِ أَمْرِ الصَّلاَةِ على رسول الله ﷺ. حَيْث بَدَأ الحق سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ. وثَنِّى بِمَلاَئِكَةِ قُدْسِهِ. وثلَّتَ بالمؤمنين من جِنِّهِ وإنْسِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ. وثَنِّى بِمَلاَئِكَةِ قُدْسِهِ. وثلَّتَ بالمؤمنين من جِنِّهِ وإنسِهِ، فَهُوَ الْمُعْمِ مِنَ الأَمْرِ بالسُّجُودِ لآدمَ عَلَيْهِ السَّلام. ﴿إِنَّ الله يرحم آدم فاسْجِدُوا لَهُ ». وفي الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، فوائد كثيرة، ولها ثمرات عديدة، ذكرها ابن فرحون وغيره، فلا نظيل، بذكرها.

فلا يَنْبَغِي للفقير أن يُهْمل نَفْسه مِنْهَا. فإن كَانَ سَاثِراً خَتَمَ ذِكرهُ بِهَا، وبدأ بِهَا، وإن كَان متمكّناً اسْتغرقَ أوْقاتهُ فيها بالفِكْرَةِ، ثم امتثل أمْر الخالق فقال: «صَلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وصحْبِهِ وسلَّم تَسْلِيماً».

وفي وجوب الصَّلاة على النبيِّ ﷺ ونَدْبِهَا خِلاف المشهور. والمشهور أنَّها واجبة مرَّة في الْعُمُرِ، ثم يبقى الاستحباب، فلا يهمل نفسه منها إلاً محروم.

ثم خَتَمَ بذكر وَرَدَ عن سيّدنا عليّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنه قال: "مَنْ أَرَادَ أَن يَكْتَالَ بِٱلْمِكِيَالِ الأَوْفَى، فَلَيْكُنْ آخِر دعائِهِ: سُبْحَانَ رَبّكَ رَبّ الْعِرَّةِ عَمّا يَصِفُون، وسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، والْحَمْدُ لِلّهِ رَبّ الْعَالَمِين، أي تنزيها لِرَبّك، رب العِرَّة عمّا يصفه بهِ الكفرة، مِنَ الشريكِ والْوَلدِ. وفيه إشارة إلى عِزَّه ونَضرِهِ عليه السلامُ، لأنَّ ربّ العِرَّة، لا بُدَ أن يُعِزَّ عَبْدَهُ المختص بِهِ. وسلامٌ، أي طيب وتحية، وإكرام على المرسلين المختارين لسِرِّ وخيهِ، والحَمْدُ لله ربّ العالمين، على نَضرِ أحبَّائِهِ وجنودِهِ، جَعَلْنا الله من جُنْده المنصورين؛ أهل الخبرة والسرور على نَصْرِ أحبَائِهِ وجنودِهِ، والحمْدُ لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيّدنا محمَّد خاتم النبيين، وإمام المُرْسَلين، وعلى آلِهِ وصحيهِ وسلَّم.

شرح قصيدة «يا من تعاظم» للإمام الرفاعي

لسيدي أحمد بن عجيبة رضى الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بنسم ألله النَعْنِ الرَحِيدِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تَسْليماً

يقول العبد الفقير إلى مَوْلاَهُ الْغَنِيّ بِهِ عمَّا سِوَاهُ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني. لطف الله به وحَبَاهُ، ولحضْرَتِهِ الجُتبَاهُ.

الحمد لله. نحمدك يَا مَنْ تَعاظمَتْ أَنْوَار جَمَالِهِ وبهائه. حتى حفيت من شدة ظهورها معاني صفاته وَأَسْمَائِهِ. ونشكركَ يَا مَنْ تَردَّى بِرداءِ عِزَّتِهِ وكِبْرِيَائِهِ. حمداً وشكراً يقتضيان المزيد منْ عَظِيم نوالِهِ وآلاَئِهِ. ونصلِّي ونُسَلَّم على مَن انشقت من ناسُوتِهِ الأَسْرَارُ وانْفَلَقَتْ مِنْ صِفاتِ لاَهوته الأَنْوَار سيدنا ومولانا محمد مَنْبع الأَنوار ومَعْدن الأَسْرَار. وَرَضِيَ اللَّه تَعالى عَنْ أَصْحَابِهِ الأَبْرَار وأهل بيئتِهِ الأَطْهَار.

أمّا بَعْدُ. فقد سألني بعض أهل المَحبّة والوداد مِن أهل النّسليم والاغتِقَادِ أن أضَعَ تقييداً على قصيدة تنسّب للإمام الرفاعي رضي الله عنه؛ وهو أحمد بن أبي الحسن الرفاعي. نسب إلى بني رفاعة قبيلة من العرب. وسكن بأحواز مصر قرية يقال لها: أمّ عبيدة. بِأرض البطائح إلى أنْ ماتَ بِهَا رضي الله عنه وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأولى سنة سَبْعِينَ وخمسمائة، وكان شافعي المَذْهَبِ. وله أخوال غريبة في التواضع، وتعاطي السّفليات، وتحمّلِ الأذَى. كان رضي الله عنه يمشي إلى حارة المجذومينَ، وأهل الأوساخ، فيغسل ثيابَهُم، ويَفلِي رؤوسَهُمْ ولِحَاهُمْ. ويحمل لهم الطعام ويأكل معهم اللّبن، ويجالسهم ويسألهم الدعاء، ويقول: زيارة هؤلاء واجبة لا مسْتَحبّة. ورأى مَرّة كلباً أَجْرَبَ أخرجه أهل أم عبيدة وقذروه، فخرجَ معه إلى البرية، وضرب كلْباً أَجْرَبَ أخرجه أهل أم عبيدة وقذروه، فخرجَ معه إلى البرية، وضرب مظلة، وجعل يطلبه بالذهنِ، ويُطعمه ويسقيه، ويحك الجربَ بخرقة. فَلَمًا مظلة، وجعل يطلبه بالذهنِ، وقال: خِفْت أن يؤخذ حُمَيْد بهذا الكَلْبِ يوم برىء، سخن له ماء وغسَلهُ. وقال: خِفْت أن يؤخذ حُمَيْد بهذا الكَلْبِ يوم

القيامة. ويقول الحق لِي جَلَّ وَعلاَ يا حُمَيْدُ أما علمْتَ أَنَّه خَلْق من خَلْقِي، أما أَمَرتك بالرَّحمة أَطْل مبتلى.

وكان يخرج إلى الطريق ينتظر الْعُمْيَانَ ويقودُهُمْ إلى مكَانِهِمْ. وإذا رأى شخصاً كبيراً يذهب إلى أهل حارة، ويُوصيهم عليه. ويقول: قَدْ وَرَدَ في الحديثِ: «مَنْ أَكْرَمَ ذَا شَيْبَةٍ، سَخَرَ اللَّهُ تعالى مَنْ يُكْرِمه عِنْدَ كِبَرِهِ»(۱). وكَان إذا قَدِمَ من سَفَر، وقرب مِنْ بَلَدِهِ يشِدُ وسَطَهُ، ويخرج حَبْلاً ويجمع حَطَباً ثم يَحْمِلُهُ على رأسه إلى الدَّارِ، ويفعل كذلك الفقراء. فإذا دَخَلَ البَلَد، فَرَقَ ذَلِكَ عَلى الأَرَامل والْعُمْيَانِ والمساكين. وَكَانَ يَتَحَمَّلُ أَذَى النَّاسِ ما لا يَحْمِلُهُ غَيْرُهُ.

وَيَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ. لَقِيهُ مَرَّة جماعة فسبُوهُ. وقالُوا لهُ: يا بِدَّاع. يا مستحلاً للحرام، يا مبَدُلاً للقرْآنِ، يا ملحد يا كُلْب. فكشف رأسهُ، وقبل الأرض. وقال: اجْعَلوني في حلَّ. وجعل يقبل أيْديهم وأرجلهُمْ. فلما أعجزهُمْ قالوا: ما رأينا مثلكَ في الفقراءِ تحتمِلُ منًا لهذَا الشَّتْم. فقال: لهذَا بِبَرَكَاتكُمْ. وأَرْسل إليه الشيخ البوصتي كتاباً يُعاتبه، ويحطُّ مَرْتبته. فقال للرسول اقرأهُ، فإذا فيه: يا مبتدع، يا كلب، يا جامعاً بين النساءِ والرُّجَال، ونحو ذلكَ. فلمنًا فَرَغَ الرسول من قراءة الكتاب أخذه سيّدي أحمد وَقَرَأَهُ، وصار يقول: صدق أخِي فيما يقول وجزّاه الله عَنْي خَيْراً. ثم أَنشَدَ:

فَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ رَمَانِي بِرَمْيَةٍ إِنْ كُنْتُ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ مُرِيبٍ

وَكَانَ كَثيراً ما يتجلّى الحق له بالعظمةِ، فيذوب حتى يصير نُقْطة. ثُمَّ يَتَداركه اللطفُ، فيصير نُقْطة. ويَقُولُ: يَتَداركه اللطفُ، فيصيرُ يكبَر شيئاً فَشَيئاً، حتَّى يردَّ إلى جِنْسه المعتادِ. ويَقُولُ: لَوْلاَ لُطْف اللَّه تَعَالَى ما رَجعْتُ إِلَيْكُمْ. ولهُ كَلاَمْ طويلٌ فِي الحَقاثق. فَمِنْ كَلاَمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«الزُّهْدُ أَسَاسُ الأَحْوَال الْمَرْضية، والْمَرَاتِب السَّنية». وهو أَوَّل قَدَم القاصدين إلى الله عَزَّ وَجَلَّ. والمنقطعينَ إلى الله. والرَّاضين عنه، والمتوكلين

⁽١) روى نحوه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٣٥٣٤) ولفظه: «من أكرم ذا شيبة فقد أكرم نوحاً في قومه ومن أكرم نوحاً في قومه فقد أكرم الله.

عليه. فكل مَنْ لم يُخكم أسَاسه في الزُّهْدِ لَمْ يصلحْ لَهُ شَيْء مِنْ هٰذَا الطريق.

ومن كَلاَمِهِ أَيْضاً: «الفُقَرَاء أَشْرافُ النَّاسِ؛ لأَنَّ الفقر لبَاسُ الْمُرْسَلينَ. وجَيْب الصالحينَ، وتَاج المتقينَ، وغنيمة العارفينَ، ومُنية الْمُرِيدين، وَرِضَى رَبِّ العالمينَ، وكرامة الأولياء وأهل ولاَيَتهِ، وسأَلَهُ شخص أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فقالَ: «يَا أَخِي إِنَّ عِنْدي الْيَوْم قُوتُ يَوْمِي. ومن كَان عنده قوت يَوْمِهِ، لَمْ يُقْبَلْ له دُعَاءً. فإذَا بَلَغَكَ يا أَخِي أَنه ليْس عِنْدِي مَا يَأْكُلُه ذُو كَبِدٍ. فَسَلْنِي الدُعاءَ. فإنَّ لي حينتذٍ إسوة برسول الله ﷺ.

وكَان يقول: «لا يَصح الأنس باللّهِ تَعَالى. إِلاَّ لمَن كمُلتُ طهارتهُ، واستوحش مما يشغله عن اللّهِ تَعَالَى. فعندَ ذَلِكَ يُؤنسُهُ الله به». وكَان يقول: «الشفقة على الإخوان، ممّا يُقرّبُ إلى الله تعالى».

وقَالَ لخادِمِه: «يا يَعقوبُ كُنْ ذَنباً وَلاَ تَكُنْ رَأْساً. فإِنَّ الضَّرْبة أول ما تقع تقع في الرأس. وإِيَّاكَ ورؤية نفسكَ على الإخوَانِ. فإنه لاَ يُقالُ لَكَ عَثرة، وَلاَ يساعدك أحد. وانظر إلى النخلة كلما ارتفعت وأَشرفَتْ على الجيران، جعل الله يُقل حملها عَلَيْهَا وَلَوْ حَملَتْ مَا حَمَلَتْ لا يساعدها أحد. وانظر إلى شجرة اليقطين: «شجرة القرْع، لما ارتفعَتْ، أَلْقَتْ خَدَّهَا على الأَرْضِ، كَيْفَ جَعَلَ الله يُقْل حملِهَا على الأَرْضِ، كَيْفَ جَعَلَ الله يُقْل حملِهَا على الأَرْضِ. ولو حَمَلَتْ مَا حَمَلَتْ لاَ تَحُسُّ بِهِ.

وكَانَ يقولُ: «أَفْضَلُ العبَاداتِ الْبَدنية: الصَّدَقة». وكَانَ يَقُولُ: «التَّوحِيد وِجُدَانٌ عَظِيمٌ، والْقَلْبُ يمْنَعُ مِنَ التعطيل والتشبيه» (وكَانَ يكرَهُ لأَصْحَابِهِ الخَوْفَ فِي الذَّات والصفاتِ». كَان يقول: «إِذَا صَلْحَ الْقَلْبُ صَارَ مَهْبِطُ الْوَحِي والأَسْرَار، والأنوار، والملائكة. وإذا فَسَدَ صار مَهْبِط الأباطيل والظُلْمِ والشياطين». وكَانَ يَقولُ: «إِذَا صَلْحَ الْقَلْبُ أَخْبَرَكَ عَمًّا وَرَاءَكَ وَأَمَامَكَ. وإِذَا فَسَدَ حَدَّثَكَ بِأَبَاطِيلَ، يغيبُ مَعها الرَسْدُ، وينتفي مِنْهَا الْهُدَى».

وكَانَ يَقُولُ: "مِنْ شَرْطِ الْفَقِيرِ أَنْ يَرَى كُلَّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِه أَعَزَّ مِن الْكِبْرِيتِ الأَخْمَرِ، فَلاَ يَضَع في كل نَفَس إلا ما يَضلح لَهُ». وكَان يقول في حديث: "مَنْ تَزَوَّج لِلهِ كَفَى وَوَفَى». مَعْناه أَنْ يَتزَوَّجَ امتثالاً للأَمْرِ. لاَ بِحكم الشَّهْوة البهيمية. وكَان يقول: "طَرِيقنا على ثلاثة أشياء لاَ يَسْأَلُ، وَلاَ يَرُدُ، وَلاَ يَدُّخِرُ». وكانَ يَقُولُ: اسعادة المريد أَنْ يفتخر بِهِ شيخهُ لِشدَّةِ مُجَاهَدتِهِ». وكَانَ يقولُ: المَنْ غَضِبَ لنَفْسِهِ تَعِبَ. وَمَنْ سَلَّمَ أَمْرَهُ إلى مؤلاه نصره من غَيْر أَهْلَ وَلاَ عَشِيرة». وَكَانَ يقول: اواللَّهِ ما كَانَ لِي خَيْراً إِلاَّ فِي الوَحْدَةِ. فيَا لَيْتَنِي لَمْ أَعْرِفْ أَحْداً، ولم يعرفني أَحَدٌ».

كان يقول: «مِنْ شَرْطِ الْفَقِيرِ أَلاَّ يكُونَ له نَظَرٌ في عيُوبِ النَّاسِ». وكَانَ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وتعاطِي أَسْباب الشُّهْرَةِ، والفرحِ بالمحبِّين والمعتقدينَ». وكَان يقول: «ما مِنْ لَيْلةٍ إِلا ينزِل فيها نورٌ مِن السَّمَاءِ يُقذف في قلوب المُسْتيقظين».

وكَانَ يقول لأَصْحَابِهِ: "مَنْ تشيِّخَ عَلَيْكُمْ فَقَدُمُوهُ وَمَنْ قَدْمُ لَكُمْ يَدَهُ لِتقبلُوهَا فَقَبْلُوا رِجلَهُ". ومعنى تَشَيِّخَ عَلَيْكُم: نَصَّبَ نَفْسَهُ للشَّيْخوخَةِ. وكَانَ يقول: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرَقِّي عَبْدَهُ إلى مقامات الرِّجَالِ؛ كَلَّفَهُ بِأَمْر نَفْسِهِ أَوَّلاً. فَإِذَا أَدُّبَ نَفْسَهُ واسْتَقَامَتْ معهُ كَلَّفهُ بِأَهْلِهِ. فَإِنْ أَحْسَن إِلَيْهِم وَسَاسَهُمْ كَلَّفه اللَّهُ بِأَهْلِ بَلَدِهِ. فَإِنْ أَحْسَن إِلَيْهِم وَسَاسَهُمْ كَلَّفه جِهةً مِنَ البلادِ فإِن هُوَ نصحهم وَسَاسَهُمْ، كَلَّفه جِهةً مِنَ البلادِ فإِن هُوَ نصحهم وَسَاسَهُمْ، أَصْلَحَ سَرِيرتهُ مَعَ اللَّهِ، كَلَفَهُ رُثْبَةً مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض. فَإِنَّ لِلهِ خَلْقاً لاَ يَعْلَمُهم إِلاَّ اللَّهُ. ثم لاَ يَزَالُ يَرْتَفعُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، حَتَّى يَرْتَفعَ وَيَصِلَ إلى مَحَلَّ القطب الغوثِ؛ وَهُنَاكَ يُطلعه الله تعالى على غَيْبِهِ، فَلاَ تَنْبُثُ شَجَرَةً، وَلاَ تَخْضَرُ وَرَقَةً إِلاَّ بِعِلْمِهِ. وهُنَاكَ يَطلعه الله تعالى على غَيْبِهِ، فَلاَ تَنْبُثُ شَجَرَةً، وَلاَ تَخْضَرُ وَرَقَةً إِلاَّ بِعِلْمِهِ. وهُنَاكَ يتكلم عن الله بِكَلامٍ لاَ تَسعه الله بِكَلامٍ لاَ تَشْعُولُ، وَرُبَّمَا ذَهَبَ بِهِ إِيمَان جَمَاعَةٍ مِنَ المُنْكِرِينَ».

وكَان رضي الله عنه، إِذا صَعِدَ الكرْسي، يسْمع كلامه القريب والبعيد، حتى أَهْل الْقرى، حَوْل أُمْ عبيدة. ويعرفُونَ جميع ما يتحدَّث بِهِ. مَعَ أَنْ صَوْتَهُ كَان ضعيفاً. وكَانَ الأَطْرَشُ والأصَمُّ، إِذا حَضَرَا يَفْتَحُ اللَّهُ أَسْمَاعَهُمَا لِكَلاَمِهِ.

وَكَانَ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ يحضرونَهُ. وكَانَ جُلُّهُمْ يبسُط حُجْرَهُ. فإِذَا فَرِغَ مِنْ وَعْظِهِ، ضَمُّوا حُجُورهم إلى صُدُورِهِم، وقَصُّوا الحديث إِذَا رَجَعُوا إلى أصحابِهِمْ على حليته. قال خادمه يعقوب: قلْتُ يا سيِّدِي: أَنْتَ الْقُطْبُ. فقال: نَزْهُ شيخكَ عن القطبّانية، فإِنْ مَنْ كَانَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ لاَ مَقَامَ لَهُ.

وَسُئِلَ مَرَّة كَيْفَ كَانَ سُلوكك. فقال: مَرَرْتُ وأَنا صَغِيرٌ على الشيخ عبْد المملك الجَرْبُوفي، قال: يا أَحْمَد. اسْمَعْ ما أَقُولُ لَكَ: «مَنِ الْتَفَتَ لا يَصِلُ.

وَمِثْلُهُ لاَ يُفْلِحُ. ولم يعرف من نفسه النقصان. فكل أوقاته نقصانٌ ٩. فخرجت من عنده. وجعلت أكرَّرُهَا سَنَةً. ثم رجَعْت إليه، فقلت: أوْصِني. فقال: المَا أَقْبَحَ الْجَهْلِ بِالْأُولِياءِ والعِلَّة بِالْأَطْبَاءِ، والجفا بِالْأَحْبَة. ثم خرجت وصرت أُكَررها سنَةً. فانتفَعْت بكلامه لكؤنه اخْتَصَرَ لِي الطريق؛ قلت: لم نطلغ له على شيخ لَهُ في طريق التربية غيْر لهٰذَا. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وهذا أول القصيدة التي أرَّدْنَا الكلامَ عليها:

يَا مَنْ تَعَاظَمَ حَتَّى رَقُّ مَعْنَاهُ وَلاَ تَردِّى رِدَاءَ الْسَكِبُ رِالاً هُو

قُلْتُ: يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا مَنْ تعاظمَ فِي شدة ظهورِ أنواره، وتجلّيات أَسْرَاره، فما زال يظهر للبصائر، ويتجلِّى للسرائر، حتى خَفَا مَعْناهُ، ورق عن مدارك العقول نور جماله وسَنَاهُ. فما احتجب إلاّ من شدّة ظهوره، وما منَعَ الأبصار أن تدرِكَهُ إلا قهارية نوره. ولله درّ الْقَائِل:

لقَدْ ظَهَرَتْ فِما تَخْفَى عَلَى أَحَدِ إِلاَّ عَلَى أَكْمَه لاَ يُبْصِر الْقَمَرا لكن بطنت بمَا أَظْهَرَتْ مُحْتجِباً ﴿ وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْتَتَرا

قال آخر:

وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الظُّهُورَ تَسَتُّرُ

وَمَا احْنَجَبَتْ إِلاَّ بِرَفْع حِجَابِهَا وقول الششتري في لهذًا الْمَعْنَى:

يَا مَنْ بَدَا ظَاهِراً حِينَ اسْتَقَرْ ثُمُّ اخْتَفَى بَاطِناً لَمَّا ظَهَرْ

ظَهَرْتَ لَمْ تَخْفَ عَلَى أَحَد وَغِبْتَ لَمْ تَظْهَرْ لِكُلُّ أَحَد

وفي الحِكَم العطائية: ﴿ يَا مَن احْتَجَبَ فِي سُرَادِقاتِ عِزُّهِ عَنْ أَنْ تُذْرِكَهُ الأبصار. وَيَا مَنْ تَجَلِّى بِكَمالِ بَهَائِهِ، فتحققتْ عظمته الأسرار، كيف تخفّى وأَنت الظَّاهِرِ. أَمْ كَيْفَ تَغْيَبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرِ». وقال أَيْضاً: إلْهِي: «كَيْفَ يُسْتَدَلُ عَلَيْكَ بِمَا هُو فِي وَجُودِهِ، مَفْتَقُر إليك. أَيْكُونَ لَغَيْرِكُ مِنَ الظُّهُورَ مَا لِيْسَ لَكَ. حتى يكون هو المُظْهر لَكَ. مَتَى غَبْت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليكَ. وَمَتَى بعدتٌ حتَّى تكون الآثار هي التي تُوصل إليك. إِلَّهِي عَمِيَت عين لا تراك عليْها رقيباً. وخسرت صَفْقة عَبْدِ لم تجعَلْ من حبكَ نصيباً». فالعارفُونَ لاَ يشهدُونَ سِوَى اللَّهِ. وَلاَ يَرَوْنَ في الكَوْنَيْنِ إِلاَّ إِيَّاهُ. قال بَعْضُهُمْ: لَوْ كُلُفْتُ أَنْ أَرَى غَيْرهُ لَمْ أَسْتَطعْ، فَإِنَّهُ لاَ غَيْرَ مَعَهُ، حَتَّى أَشهده.

وقال الشاعرُ:

مُذْعَرَفْتُ الإِلَهَ لَـمُ أَدَ غَيْرَهُ وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشيتُ افْتَرَاقاً فَالَا البيومَ وَاصِلْ مَجْمُوعُ مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشيتُ افْتَرَاقاً فَالَا البيومَ وَاصِلْ مَجْمُوعُ

وبالجُمْلَةِ: فاسْمُه الظَّاهر، يقتضي بُطُونَ الأشياءِ، وتلاشيهَا. إذ لاَ ظَاهِرَ مَعَهُ، بِدَلِيلِ الحَصر في قولِه تعالى: ﴿هُو ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآيِمُ وَٱلْاَلِيْ ﴾. [الحديد: ٣]

واسْمُه الباطن: يقتضي ظهورَ الأشياء بِهِ، ليتحقَّقُوا من اسمه الباطن بالنسبة إلى ظَاهِرِ حِسُّهَا؛ فَهُو الظَّاهِرُ في حالِ بُطُونِهِ. والْبَاطِن في حالِ ظهورِه. قال في الحِكَمِ: أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَنه الباطِن، وطوى وجود كُلَّ شَيْءٍ بأَنه الظاهر. وَلاَ يَدُوقَ هٰذَا على الكَمَالِ، إلاَّ مَنْ مَنَّ اللَّه عَلَيْهِ بِصُحْبَةِ الرِّجَالِ. ومَن لطَّاهر. وَلاَ يَدُوقَ هٰذَا على الكَمَالِ، إلاَّ مَنْ مَنَّ اللَّه عَلَيْهِ بِصُحْبَةِ الرِّجَالِ. ومَن لم يصحب الرِّجَال، بقي خفاشياً. كُلَّمَا اشْتَدَّ النُّورُ. انطمسَ بصرهُ. وَهَا هُنَا احتمالٌ آخَرَ أَرَقَ مِنَ الأول وهو أن يقول:

يَا مَنْ تَعَاظُمَ في ظهور أَسْرار ذاتِهِ، وأَنُوار صِفَاتِهِ فِي مَظَاهِرِ تجلباتِهِ. حَتَّى رَقَّتْ ولطُفَتْ مَعَانِي الذَّاتِ في أَنْوَارِ الصفاتِ. فأَنْوَار الصفاتِ أَوَانِي، وأَسْرَار الذَّاتِ مَعَانِي. فَالْمَعَانِي قائمة بالأوَانِي، والأواني حاصلة للمَعَانِي. فَلاَ قِيَامَ للأَوَانِي، إِلاَّ بِالمعاني وَلاَ ظهور للمعاني في مظاهر الأواني. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِ الأَوانِي، حُجِبَ عَنْ شُهُود المعاني. وَمَنْ نَفَذَ إِلى شُهُود المعاني، عَابَ طَاهِرِ الأَوانِي، حُجِبَ عَنْ شُهُود المعاني، عَابَ عَنْ شهود حسّ الأواني، ولذلك قَالَ الششتري رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ:

لاَ تَنْظُرْ إِلَى الأَوَانِي، وَخُضْ بَحْرَ الْمَعَانِي، لَعَلَّكَ تَرَانِي. فَكُلَّمَا تَلَطَّفَتِ الأَوَانِي بِالغَيْبَة عَنْ حِسِّها ظهرتْ معاني الذَّات في أنوار الصفات. وكُلَّمَا تكشَّفَت الأواني باشتغال القلب بحِسِّها الظاهر، حجبَتِ المعاني، ورقَّتْ وخَشْيتِهِ:

وَلُطْفُ الأَوَانِي في الحقيقة تابع لِلُطفِ المعانِي، والمعانِي بِهَا تَسْمُو. ولمَّا سُئِلَ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن التُّوحِيدِ أَنْشَأَ يَقُولُ:

رَقَّ السَرُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْمُخَمِّرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ الأَمْرُ وَقَلْتُ اللَّمْرِية :

لِرِقَّةِ خَمْرٍ فِي الأَوَانِي تَلَطَّفَتْ فَطُوراً تَغِيبُ الْخَمْرِ فِي جِزْمِ كَأْسِهَا وَغَيْبُ الأَوَانِي فِي الْمَعَانِي مُحَقَّق

أَوَانِي مَعَانِي الْخَمْرة فِي أَصْلِ نَشَأَةِ وَطُوْراً تَعْيِبُ الْكَأْسُ فِي خَمرة نَشْوَةِ فَنَاءُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ

وقد حققنًا لهذَا المعنى في شرحنا على الحِكَمِ. فَانْظُرْهُ إِنْ شِئْتَ. وفِي الْحَديث الْقدسي ما يُشِيرُ إِلَى لهذَا المَعْنَى. قال ﷺ: يقول اللَّهُ تبارك وتَعَالَى:

هيَا عَبْدِي مَرِضْتُ فَلَم تَعُذْنِي. فيقول يَا رَبّ كيف أَعُودُكَ وأَنْتَ رَبّ العالمينَ، فيقول الله تبارك وتَعَالَى: لَقَدْ مَرِضَ عَبْدِي فلان فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا إِنك لَوْ عدته لوجدَّتَنِي عِنْدهُ اللهُ إلى مَا فِي بَعْضِ الرَّوَاياتِ. وَلاَ يَفْهم لهذِهِ الأَسْرَارَ إِلاَّ مَنْ خَافَ مَقَامَ الفَنَاء والبقاء. وَتَرَبَّى عَلَى يَدِ شَيْخِ كَامل مُحَقَّق. وإلاَّ فَحَسْبُهُ التسليمُ لِمَا رَمَزوهُ، وأَشَارُوا إِلَيْهِ:

إِنْ لَـمْ تَـرَ الَـهِـكَالَ فَـسَـلُـمْ لأنُـاسِ رَأَوْهُ بِـالأَبُـصَـارِ وَإِنْ لَـمْ يَعْرَفْ مَقَامَهُمْ، وَلَمْ يَسُربْ مِنْ وَإِنَّاكَ أَنْ تَرْمِيَهُمْ بِمَا رَمَوْهُمْ بِهِ مَنْ لَمْ يعرفْ مَقَامَهُمْ، وَلَمْ يشربْ مِنْ مشربِهِمْ، كالاتحاد والحلولِ، فإنَّهُم منزَّهُونَ عَنْهُ. إِذْ لَمْ يَبْقَ للسَّوَى عِنْدَهُمْ

⁽۱) رواه مسلم من صحيحه، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه. . ، حديث (۲۵۹۹) [٤/ ١٩٩٠].

وُجُودٌ. حتَّى يصحُّ الاتحاد والحلول، إلى ذلِكَ أَشَرْتُ فِي تَانيتِي الخمرية، في وصف الخمرة الأزَلية بِقَوْلِي:

تَنَزَّهَتْ فِي حُكْمِ الْحُلُولِ فِي وَصْفِهَا فَلَيْسَ لَهَا سِوَى فِي شَكْلِهِ حُلَّتِي قَالَ في الحِكَم: (يَا عجباً كَيْفَ يَظْهَرُ الوجودُ فِي الْعَدَم. أَمْ كَيْفَ يَغْبُت الحديثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقِدَم». وقال رَجُلٌ بين يَدَي الجُنَيْدِ: الْحَمْدُ لِلهِ، ولم يزد رب العالمينَ. فقال له الجُنَيْدُ: كَمُلْه يا أخي، فقال له الرَّجُلُ: أَيُّ قَدْرٍ للأشياء حتى تُذْكر مَعَهُ. فقال الجُنَيْدُ: كَمُلْه يَا أَخِي. فَإِنَّ الحادثَ إِذَا قُرِنَ اللَّهِيم تَلاَشَى الحَادِث وبقي الْقديمُ. انتَهَى وبالله التوفيق.

وقَوْلُه: وَلاَ تَرَدُّى رِدَاءَ الكِبْرِ إِلاَّ هُو. يُشير إلى اختصاصه تعالى بالكِبْرياء، وغاية التَعَالِي كما اخْتَصَّ بالعظمة وكمّال التجلِّي، وكَأَنَّهُ يشير إلى الحديث الْقُدْسي: «يقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْعَظَمَةُ إِزارِي، والكِبْرياء رِدَائِي الحديث الْقُدْسي: «يقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْعَظَمَةُ يَرْجع إلى كَمَالِ أَنْوَارِ فَمَنْ نَازَعَنِي فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ (١). فَالْعَظَمةُ تَرْجع إلى كَمَالِ أَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِياء تَرجعُ إلى تغظيم أَسْرار الجبروت؛ لأَنَّ المَلكوت ظَهَرَتْ الْمَلكوت ظَهَرَتْ أَنُواره في التجليات؛ وهو ما ظَهَرَ فِي عَالَم الشهادة على وَجْهِ الجَمِيع. وَالجَبَرُوتُ: مَا لَمْ يظهَر فِي عَالَمِ الشَّهَادَة؛ وهو من عَالَم الْغَيْبِ؛ وهو الَّذِي كَان كَنْزاً لَمْ يُعْرَفْ. وإليه أشار ابن الفَارِض بِقَوْلِهِ:

صَفَاءٌ وَلاَ مَاءٌ ولُطْفٌ وَلاَ هَوَى وَنُورٌ وَلاَ نَارٌ وَرُوحٌ وَلاَ جِسْمُ تَقَدَّمَ كُلُّ الْكَاثِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيماً وَلاَ شَكُلٌ هُنَاكَ وَلاَ رَسْمُ

ولذلك خصصت العظمة بالإزار؛ لأنَّ من شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ لِلأَسْفَلِ. والردَاء لِلأَعْلَى. وأَنْوَارُ الجَبَروت أَحَاطَتْ لِلأَعْلَى. وأَنْوَارُ الجَبَروت أَحَاطَتْ بِهَا، وارتَفَعَتْ عن مَدَاركِ العُقُولِ؛ فهي أَرْفَعُ وأَعْلَى مِنْهَا مَعَ كَوْنِهَا لاَ تَنْفَكُ عَنْهَا، إِذْ عَالَمُ الملكوتِ قائم بِأَسرارِ الجبروت. فمَا احْتَجَبَتْ أَسْرار الجَبَروت إِلاَّ بِأَسْرَارِ المَبَرُوتِ؛ وهما في إلاَّ بأنوارِ المَلكُوتِ إلاَّ بأَسْرَارِ الجَبَرُوتِ؛ وهما في

⁽١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث رقم (٢٦٥٧٨) [٣٢٩/٥] والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٤٦٤) [٢/ ٣٣١]، ورواه غيرهما.

الحقيقة شَيْءُ واحِدٌ؛ وَمَا افْتَرَقا إِلاَّ باغْتِبَارِ مَدَارِكِ السَّالِكِينَ:

فَأَوَّلُ مَا يُفْتَح لِلْمُريد عن أَنُوارِ الْمُلْكِ الْحِسِّي، فَإِذَا تَفَكَّرَ فِيهِ واغْتَبَرَ أَذركَ عَظَمَة الصَّانِع، فَإِذَا تَفَرَّغَ مِنَ الشَّواغِل، وتَطَهَّرَتْ مِرْآة قَلْبِهِ مِنَ الصَدَأ، أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْمَلْكُوتِ. فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ، وبَلَغَتِ الرُّوحُ غَايَةَ الصَّفَاء. أَشْرَقَتْ عليه أَسْرَار الجبروت. فيحجَبُ حينثذِ عَنْ عَالَم المُلْكِ والملكوتِ. وصَارَ لاَ يُشاهِدُ إِلاَّ أَسْرَارِ الجَبَرُوتِ. فَرِدَاءُ الكِبْرِياءِ: هُوَ الاخْتِجَابُ لحجابِ الْقَهْرِية عن مَدَارِكِ العُقُولِ مَعَ كَمَال ظهورهِ. وفي الحديث الصحيح في صِفَة أَهْلِ الجنَّة: «مَا بَيْنَ القوم، وبَيْنَ أَنْ يَنْظُروا إِلَى رَبِّهِم، إِلا رِدَاءَ الكِبْرِياءِ على وَجْهِهِ فِي جَنَّاتِ عَدْنِ ١٥٠٠. والْمُرَاد بِهِ: إِسْدَال حجابِ الحسِّ والقهرية، على وَجْه مَعَانِي أَسْرَارِ الذَّاتِ الْعَالِية. إذْ لا حِجَابَ بين اللَّهِ، وبين خَلْقِهِ إِلاَّ قَهْرِية نُورهِ، وشِدَّةِ ظُهُورِهِ. وتَوَهُّم وجودُ الْغَيْرِيةِ. ولقد سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْبُوزيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «واللَّهِ مَا حَجَبَ الخَلْقَ عَنِ اللَّهِ إِلاَّ الْوَهْم، والْوَهْمُ أَمْرٌ عَدَمِي، لاَ حقيقَةَ لِوُجُودِهِ». أيْ ما حَجَبَهُمْ عَنِ الشُّهُودِ، إِلاَّ وُجُود الغَيْرِية. وَهِيَ في الحقيقة مُنْتَفية. وفِي الحِكَم: قَمَا حَجَبَكَ عَن اللَّهِ وُجُودُ مَوْجُودٍ مَعَهُ. إِذْ لاَ شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوَهُّمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ ، وقالَ أيضاً: «الحَقُّ ليْسَ بِمَحْجُوبِ عَنْكَ. إِنَّمَا المَحْجُوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظُرِ إِلَيْهِ. إِذْ لَوْ حَجَبَهُ شَيْءٌ لَستَرَهُ مَا حَجَبَهُ . ولَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرْ، لكان لِوجوده حاصِرْ. وكل حَاصِر شيءٍ فَهُوَ له قاهِرْ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ». قال أَيْضاً: "مِمَّا يَدُلُكَ على وُجُودِ قَهْرِهِ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ

وقَدْ أَشَرْتُ إِلَى لَهٰذَا في تاثيتي، في وَضْفِ الخَمْرَة الأزَلِية، فَقُلْتُ: تَجَلَّتْ عَرُوساً فِي مِرَاثِي جَمَالِهَا وَأَرْخَتْ سُتُورَ الْكِبْرِيَاءِ لِعِزَّة وَلاَ يَذُوقُ لهٰذِهِ إِلاَّ مَنْ كَحُلَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ بِإِثْمَدِ التَوْحِيد الخاصِّ، حَتَّى

⁽۱) رواه مسلم في صحيحه، باب إثبات رؤية المؤمنين..، حديث رقم (۱۸۰) [۱۹۳/۱] والترمذي في سننه، باب ما جاء في صفة غرف الجنة) حديث رقم (۲۵۲۷) [٤/٣٧٣] ورواه غيرهما.

تَنْفَتِحَ بَصِيرَتُهُ، فَيُبْصِرَ أَنُوار الْمَعَانِي، خَلْفَ رداءِ الأَوَانِي. وإِلاَّ بَقِيَ أَرْمَدَ الْعَيْنِ، كُلِّمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ انْطَمَسَ بَصَرُهُ كَمَا قَالَ الْبُوصِيرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَد تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ وَيُسْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواءِ الطريق.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَـاهُـوا بِحُبُكَ أَقْـوَامُ وَأَنْتَ لَـهُـمْ لِغُمَ الْحَبِيبُ وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَاهُوا

قُلْتُ: النّيهُ هُنَا: هو التلف، والخروج عن الطريق المعتاد. والحبّ هُوَ المَيْلُ الدَّاثِم بِالقَلْبِ الْهَاثِم، وأقوام: فاعل تاهوا على لغة أزد شَنُوءَة. وَهَامَ عَلَى وَجُهِهِ: إِذَا صَارَ على غَيْرِ قَصْدٍ. يقول رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: إِنَّ أقواماً مِنْ خَوَاصُّ المحبّين، لمَّا أطلعهم الله عَلَى أَسْرَارِ عَظَمَةِ ذَاتِهِ، وكَشَفَ لَهُمْ شيئاً مِنْ رِدَاءِ كِبْرِيَائِهِ، تَاهَتْ عُقُولُهُمْ، وَهَامَتْ قُلُوبُهُمْ. وطاشَتْ أَزْوَاحُهُمْ في مَحَبَّتِهِ. ففارَقُوا الأَوْطَانَ والدِّيَارَ، وأَلِفُوا البراري وَالْقِفَارَ. وتَأَنَّسُوا بالحبيبِ، وَاشْتَعْلُوا بِمُنَاجَاةِ القَرِيب. فَهُمْ بَيْنَ سَالِكِ وَمَجْذُوبِ، وَمُحِبُ ومحبُوبِ.

فمنهُمُ العُبَّاد والزُّهَّاد. ومنهم الأَبْدَالُ والأَوْتادُ، عَمَّرُوا قُلُوبهم بمحبَّة المحبُوبِ. وَرَفَضُوا مَا سِوَاهُ مِنْ كُلِّ مَرْغُوبٍ. وهذه مَحَجَّة الطالبينَ، أو السَّائِرينَ، مِنَ الْمُرِيدينَ.

وَأَمَا الْوَاصِلُونَ إِلَى الْمَحْبُوبِ مِنَ الْعَارِفِينَ الْمُقَرَّبِينَ، سَكَنَتْ قَلُوبُهُمْ. واطمَأَنَتْ بِمُشَاهَدَةِ الْحَبِيبِ، ومُنَاجَاة القريب؛ فهم يشاهدون الحبيب في مَرَائي تجلياتِهِ، وآثار صِفَاتِهِ، فَلَمْ يحجبْهُمُ الخلق، عَنْ مُشَاهَدَة الحق. بَلْ هم مَحْجُوبُون بالجمْعِ عَنِ الفَرْقِ، وبمُشَاهَدَةِ الحَق، عن رُؤْية الخلق. بَلْ، لَوْ كُلُّهُوا أَنْ يشاهِدُوا غَيْرهُ، لم يستطيعُوا. فَهَوْلاءِ يَرُدُهُمُ الحق تعالى إلى مُرَافَقَةِ للخَلْقِ ومخالطتهم ليقع الانتفاع بِصُحْبتهم. فَهُمْ مُسْتَأْنِسُونَ بالحَقِّ في حَالِ الخَلْقِ، ولَخُلُقِ؛ لأَنْهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ فِي كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا مِنْ شَيْءٍ.

أَشْبَاهُهُمْ بِيْنِ الْخَلاَثِقِ تَسْعَى، وَأَرْوَاحُهُمْ فِي أَنْوَارِ الملكُوتِ تَرْعَى، وإلى حَالِ الْفَرِيقَيْنِ أَشَارَ فِي الحِكَمِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا اسْتُوحَشَّ العَبَّادُ والزُّهَادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَغَيْبَتِهِم عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا اسْتَوْحَشُوا مِن لِغَيْبَتِهِم عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا اسْتَوْحَشُوا مِن

شَيْءٍ . وقال أَيْضاً: امَنْ عَرَفَ اللَّه رآهُ فِي كُلُّ شَيْءٍ. وَمَنْ فَنَى بِهِ غابَ عَنْ كُلِّ شَنِّيمٍ. وَمَن أَحَبُّهُ آثَرَهُ عَلَى كُلِّ شَيْمٍ..

والحاصل: أَنَّ المَحَبَّةَ لَهَا بِدَايَات؛ وهي ما ذَكَرَه الشيخ في حالِ التَّاثِهِينَ والْهَائِمِينَ. وَنِهَايَاتُ: وهي السُّكُون والطُّمَأْنِينة فِي حَضْرَةِ ٱلْمحبُوبِ. ولذلِّكَ قال بَعْضُهُمْ: المَحَبَّة: أَوَّلُهَا جُنون، وَوَسَطُها فنُونٌ، وآخِرها سُكُونٌ وإلى لهٰذَا المَعْنَى، أَشارتْ رابعة العدوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا:

أَحِبُكَ حُبُينِ حُبُ الْهَوَى وَحُبُ أَنْسَتَ^(١) أَهْلُ لِسِذَاكَ فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشُغُلِي بِذِكْ رِكَ حَتَّى ٱلْقَاكَ

وَأَمِّسا الَّسِذِي أَنْسِتَ أَحْسِلٌ لَسِهُ فَكَشْفُكَ الحِجَابَ حَتَّى أَرَاكَ

أَشَارَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا إِلَى ذِكْرِ المَقَامَيْنِ: بِدَايَةً وَيْهَايَةً أَوْ نقولُ: محبَّة المحبِّينَ ومَحَبَّة المخبُوبينَ. أو نقول: محبَّة السَّائرينَ، ومحبَّة الواصلينَ. وإنها سلكَتِ الأَمْرَيْنِ مَعاً. فَحُبُّ الْهَوَى هُوَ حُبُّ الْعِشْقِ والتَّمَلُّقِ مِنْ وَرَاءِ الحجابِ. وَعَلاَمَتُهُ: اللَّهْجُ بِذِكرِ المحبُوبِ، والاشتغال بِخِدْمَتِهِ، والفرار من الخلق للقاءِ الحقِّ. وأمَّا حُبُّ الوَاصِلِينَ، فَتَمَرَتهُ كَشْفُ الحِجَابِ. والدَّخُولُ مَعَ الأخبَابِ، ومُشَاهَدَة الحبيبِ فِي كُلُّ شَيْءٍ من تجلِّيَاتِهِ. كَمَا قال صَاحِبُ العَيْنية: (٢)

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مِرَاثِي جَمَالِهِ فَفِي كُلُّ مرأَى لِلْحَبِيبِ طَلاثِعُ فَلَمَّا تَبَدِّي حُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَهِيَ مَطَالِعُ

وَعَلاَمَة صاحب هذا المقام، سكون ظاهره من تَعَبِ الخِدْمَةِ. وعِمَارة قُلْبِهِ بنورِ الكِبْرِيَاءِ والْعَظَمَةِ أو تقول: علامتُهُ: سُكون الْقَلْبُ وَطُمَأْنِينَتُهُ عِنْدَ هَيَجَانِ رِيَاحَ الْأَقْدَارِ وَوُرُود التَّعْرِيفات مِنَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلاَمَةُ المَحَبَّة أَ نَعَةُ أَشْبَاءَ:

الإكثارُ مِنْ ذِكْرِهِ، وامتثال أَمْرِهِ واجتناب نَهْيِهِ وَالاسْتِسْلاَمُ لِقَهْرِهِ.

⁽١) وفي نسخة [لأنك] بدل [أنت].

⁽٢) هو الشيخ عبد الكريم الجيلي المتوفي سنة ٨٠٥ هجرية.

وَاعْلَمْ أَنَّ الباعِثَ عَلَى المَحَبَّةِ أَمْرَانِ: إِمَّا الذَّاتِي، أَو الإِحْسَان الْفِعْلِي. وقد اجْتَمَعًا فِي ذَاتِ الحقِّ تَعالى. وَأَمَّا الجَمَالُ، فَلاَ أَجْمَلَ مِنْ جَمَالِهِ تَعَالَى وَلاَ أَعْظَمَ إِذْ جَمَالُهُ يُسْبِي الْعُقُولَ وَيُدْهِشُ الأَلْبَابَ. وقَدْ وَرَدَ أَهْلَ الجنَّة إِذَا تَجَلَّى لَهُمُ الحقُّ سُبْحَانَهُ. ذُهِلُوا وَغَابُوا عَمَّا كَانُوا فيه مِنَ النَّعِيم الحِسِّي، فَلَوْلاَ أَنَّ اللَّهَ لَهُمُ الحقُّ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ فَلَوْلاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرُدُهُمْ إِلَى حِسِّهِمْ بِإِسْدَالِ الحِجَابِ فيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم مَا تَنَعَمُوا بِشَيْء مِنَ النَّعِيمِ الحسي. وَمَا ظَهَرَ فِي عالم الشهادة مِنَ الجَمَالِ. فَإِنْمَا هو رشحَة من النَّعِيمِ الحسي. وَمَا ظَهَرَ فِي عالم الشهادة مِنَ الجَمَالِ. فَإِنْمَا هو رشحَة من رشحَاتِ جَمَالِهِ الأَصْلِي. كَمَا قال ابن الْفَارِضِ:

عَيْنِي لِغَيْر جَمَالِكُمْ لاَ تَنْظُرُ وَسِوَاكُمْ فِي خَاطِري لاَ يَخْطُرُ

وَبِقَدْرِ مَا تَصْفُو الرّوحُ مِن غَبَشِ الحِسّ، وتترقَّى إِلَى عَالَمِ المَلكُوتِ، يُكْشَفُ لَهَا عَنْ جَمَالِ الْحَضْرَةِ. وتتنَعَّمُ بِجَمَالِ الحبيب. وبقدْرِ مَا تَتَعَلَّقُ بهذا الْعَالَم الحِسِّي وَيُكْثِرُ شُغْلها بِهِ، تحجبُ مِنْ شهُود جَمَالِ الحَضْرَةِ. ولذلك قال بَعْضهُمْ: حَضْرَةُ القُدُوسِ مُحَرَّمَةٌ عَلَى أَهْلِ النَّفُوسِ. وقال الشاعِرُ:

أَيُّهَا الْعَاشِقُ مَعْنَى حُبُنَا جَسَدٌ مُضْنى وَرُوحٌ فِي الْعَنَا وَفُوَّادٌ لَيْسَ فِيه غَيْرُنَا وَافْنَ إِنْ شِفْتَ فَنَاءً سَرْمَداً وَاخْلَع النَّعْلَيْنِ إِنْ جِفْتَ إِلَى وَعَنِ الْكُونَيْنِ كُنْ مُنْخَلِعاً وَإِذَا قِيلَ لِيمَنْ تَهْوَى فَقُلْ

مَهُرُنَا عَالٍ لِمَنْ يَخْطَبُنَا وجُهُ فُونٌ لاَ تَدُوقُ الْوَسَنَا وَإِذَا مَا شِهِ فُتَ أَدُّ الشَّمنَا فَالْفَتَا يُدُنِي إِلَى ذَاكَ الْفِئَا فَالْفَتَا يُدُنِي إِلَى ذَاكَ الْفِئَا ذَلِكَ الْحَيِّ فَفِيهِ قَدْسُنَا وَأَذِلْ مَا بَيْنَنَا مِنْ بَيْنَنَا أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

وَأَمَّا الباعث الثاني: وهو الإحسَانُ، فَلاَ شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ تميلُ إلى مَنْ أَخْسَن إِلَيْهَا. وَلاَ إِحْسَانَ إِلاَّ مِنْهُ تَعَالَى. وَلاَ نِعَم ظاهِرَة وبَاطنة إِلاَّ مِنْ فَضْله تَعَالَى وَثُوابه. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِن نَعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾. [النحل: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَالْمِهُمُ ظُلِهِرَةُ وَيَاطِئَةً ﴾. [لقمان: ٢٠] أَنْعَمَ أَوَّلاً بِنِعْمَةِ الإِيجَادِ، وَأَنْعَمَ ثَانِيَةً بِتَوَالِي الإِمْدَادِ. وأَفْضَل النِّعَمِ وَأَعْظَمَهَا الْهِدَايَة إلى الإيمان والإسلام. والوصول إلى معرفته تعالى والأطلاع إلى جَلاَلِهِ وجمالِهِ، فهذه

النَّعمة المغتبرة عند الأكْيَاس.

وَأَمَّا النَّعَمُ الحسية فقد اشتركَ فيها الْبَهَائِمُ وسَائر النَّاس وَباللَّهِ التوفيق.

وقوله: «وَأَنْتَ لَهُمْ نِعْمَ الحبيبُ»، يغني أَنْ أقواماً تَاهُوا فِي حُبُ الحبيبِ. وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ بقرْبِ الْقَرِيب. وَخَرْبُوا ظَوَاهِرَهُمْ، وعَمَّرُوا بَوَاطِئَهُمْ. وَغَابُوا عَنِ الأَسْبَابِ بمشاهدة مُسَبِّ الأَسْبَابِ. كَانَ الحق تعالى نِعمَ الحبيبُ، والمُؤْنِسُ. أَنسَهُمْ فِي بَوَاطِنِهِمْ. وَقَدمَ لَهُمْ بِمَا يحتاجُونَ إِلَيْهِ فِي ظَوَاهِرِهِم، وَالمُؤْنِسُ. أَنسَهُمْ فِي بَوَاطِنِهِمْ. وَقَدمَ لَهُمْ بِمَا يحتاجُونَ إِلَيْهِ فِي ظَوَاهِرِهِم، وَالمُؤْنِسُ، أَنسَهُمْ فِي بَوَاطِنِهِمْ. وَقَدمَ لَهُمْ بِمِا يحتاجُونَ إِلَيْهِ فِي ظَوَاهِرِهِم، قَامُوا بِخِدْمَتِهِ. وقَامَ لَهُمْ بِإِيصَالِ قِسْمتِهِ. مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللّهِ كَفَاهُ اللّهُ مؤونَتُهُ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْتَسِبُ وَقَالَ تعالى: وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْتَسِبُ السلامُ. وَقَالَ تعالى: ﴿ وَمَن يَتِي اللّهُ يَعْمَل لَهُ مُعْمُوع فِي كَلِمَتَيْنِ: لاَ تَتَكَلّفْ بِمَا كُفِيتَ. وَلاَ تضيع مَا مُعْمُوع فِي كَلِمَتَيْنِ: لاَ تَتَكَلّفْ بِمَا كُفِيتَ. وَلاَ تضيع مَا اسْتَكْفَيْتَ الفَرْضِ المحتوم، وَلاَ تُضَيّعُ مَا المُقْرِقِ الْمَقْسُومِ، وَلاَ تُضَيّعُ مَا السَتَكُفَيْتَ الفَرْضِ المحتوم.

وقَوْلُهُ: «وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَاهُوا» نُشِير إلى مَنْطُوقِهِ ومَفْهُومِهِ إِلَى حَالِ الْفَرِيقَيْنِ. أَغْنِي حَال أَهْل البِدَاية؛ وهُمُ الْهَاثِمُونَ التَّائِهُونَ؛ ويُسَمُّونَ أَهْل الشَّكُرِ، وأَهْل الخَمْرَةِ؛ وَهُمُ المجذوبُونَ. وَحَال النِّهَايَة: وهُمُ السَّالِكُونَ السَّكُر الجَذْب. فَأَخْبَرَ أَنَّ الحقَّ المُطمَئِنُونَ: وَهُمْ أَهْلُ الصَّحْوِ السَّالِكُونَ بعد السُّكْر الجَذْب. فَأَخْبَرَ أَنَّ الحقَّ تعالى هُو حَبِيبٌ. ونعم الحبيبُ لِلْجَمِيع. أي وَأَنْتَ لَهم نِعْمَ الحبيبُ هٰذَا إِنْ سَكَنُوا وَاطْمَأَنُوا. بَلْ وَإِنْ هَامُوا، وَإِنْ تَاهُوا. وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَا قَبْلَ المُبَالَغَة أُوكَدُ وَأَعْظُمُ مِمَّا بَعْدَهَا. كما هُو مَفْهُومٌ مِن تَرَاكِيبِ الْعَرَبِ. تقولُ: أَكْرِمْ زَيْداً وإِنْ جَاءَ عَاصِياً. وَلاَ شَكَ أَنْ مَا عَبْل المُبَالَغَة أَوكُدُ جَاءَ عَاصِياً. وَلاَ شَكَ أَنْ الأُولِينَ جَاءَ عَاصِياً. وَلاَ اللّهُ أَعْلَمُ والسَّلُونَ. والآخِرين سَايْرُونَ. واللّه أَعْلَمُ عند الله مِنَ العاشقينَ التَّايْهِينَ: لأَنَّ الأُولِينَ وَاصِلُونَ. والآخِرين سَايْرُونَ. واللّه أَعْلَمُ.

واغلَمْ أَنَّ المخصصينَ بالمحبَّة على ثلاثة أَقْسَام:

قِسْمٌ سالكُونَ فقط. وَقِسْمٌ مَجذوبونَ فقط. وقِسْم سالكون مَجْذُوبُونَ: الجَذْبُ فِي بَوَاطِنِهِمْ، والسلوكُ فِي ظَوَاهِرِهِم. فالأوَّلُونَ لا يصلحون للتَّزْبِية. إِذَ لاَ جَذْبَ فِي قُلُوبِهِمْ يَجْذِبُونَ بِهِ قَلْبَ المُرِيد إلى الحَضْرَةِ. وَلاَ هِمَّةَ عِنْدَهُمْ

تنْهَضُ إلى الخِدْمَةِ. قال فِي الحِكَمِ: ﴿ لاَ تَصْحَبْ مَنْ لاَ يَنْهَضكَ حَالُهُ، وَلاَ يَدُلُكَ عَلَى اللّهِ مَقَالُهُ ﴾ .

والقسم الثاني أيضاً، لا يَصْلحُ للتَّرْبية؛ لأنَّهُ مَطْمُوسُ الأَثْرِ غَرِيقِ الأَنْوَادِ. غَلَبَ سُكْرُه على صَحْوِهِ. فَلاَ يَعْرِف سُلُوكِ الطَّرِيقِ لغَلَبةِ سُكْرِهِ.

وَأَمَّا الثالث؛ وهو الجامع بين جَذْبٍ وَسُلُوكِ؛ فهو الَّذِي يصلح للتَّزبيَة لِكَمَالِهِ. لِكَوْنِهِ سَلَكَ الطَّرِيق. وَعَرَفَ وَعْرَهَا وَسَهْلَهَا وَجَذْبهَا وَخَصْبَهَا. سَلَكَ طريق الجَذْب، وَذَاق أَسْرَارَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إلى طَرِيقِ السُّلُوكِ، وَحَقَّق آثَارَهَا. الجَذْبُ فِي باطنِهِ لاَ يَزُول. والسلوك في ظَاهِرِهِ لاَ يَحول؛ فَهُوَ جَامعٌ بَيْنَ جَذْبٍ وَسُلُوكِ. معتدل فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا. لَمْ يَغْلَبْ سُكُره على صَحْوِهِ. وَلاَ صَحْوُه على سُكْرِهِ. وَلاَ جَمْعُه على فَرْقِهِ. وَلاَ فَرْقه على جَمْعِهِ. وَلاَ حَقِيقَتُه عَلَى شَرِيعتِه. وَلاَ شَرِيعتُهُ عَلَى حَقيقتِهِ. يُعْطِي كُلُّ ذِي حَقَّ حَقَّهُ. وَيُوفِي كُلُّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. وَلاَ مَبْوي كُلُّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. وَلاَ مَبْرَكَاتِهِ. وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِن سره.

وقد أذركنَاهُمْ والحمْدُ لِلَّهِ، وشهدنَاهُم، وأَخَذْنَا عَنْهُمْ وَصَحِبْنَاهُمْ. فلله المِئَة والفَضْل والعجب كل الْعَجب، مَنْ يُنْكِرْ وُجُودهُمْ وَيَسُدُ بَابَ الرَّحمة على عِبَادِ اللَّهِ. ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَدُرُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلضُّدُورِ ﴾. [احج: ٤٦] ولِلَّهِ دَرُّ القائِل:

وَكُمْ عَائِدٍ لَيْلاً وَلَمْ يَرَ وَجُهَهَا فَقَالَ لَهُ الْحِرْمَانُ حَسْبُكَ مَا فَاتَ

وحقيقة الجَذْب: هُوَ شُهُود حَقِّ بِلاَ خَلْقٍ، وَحَقِيقة السُّلُوك المَحْض: هو شُهُود خَلْقٍ بِحَقَّ أَوْ شُهُود خَلْقٍ بِحَقَّ أَوْ شُهُودُ خَلْقٍ بِحَقَّ أَوْ شُهُودُ خَلْقٍ بِحَقَّ أَوْ شُهُود خَلْقٍ بِحَقَ أَوْ شُهُود حَقَّ مَعَ خَلْق. وَلاَ يَذُوق هٰذِهِ المعاني إِلاَّ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيق على أَيْدِي الرَّجَال؛ ذَوْقاً وَكَشْفاً، وإِلاَّ فَشَأْنَهُ الإِيمَان بالْغَيْبِ. وبِاللَّهِ التَّوْفِيق.

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ولِي حَبِيبٌ صَزِيزٌ لاَ أَبُوحُ بِهِ ﴿ أَخْشَى فَضِيحَةَ وَجْهِي يَوْمَ أَلْقَاهُ

الحبيبُ هُوَ المحبوبُ. إِلاَّ أَنَّ فَعيل، أَبْلَغ من مَفْعُولِ والعَزيز: يُطلقُ على القليل الْوُجُودِ الَّذِي لاَ نَظِيرَ لَهُ. ويُطلَقُ على الْغَالِبِ الْقَاهِرِ. ولعلَّ المراد هُنَا عَيْر هذيْن. وإِنَّمَا أَرَاد بالعَزيز هُنَا البَالِغ فِي المعزَّة والْمحبُوبية؛ كما تقول

العامَّة: فُلأَنَّ عِنْدِي حَبِيبِ عَزِيزٌ قَدْ بَلَغَتْ مَحبَّته فِي قَلْبِي الغَايَةَ القُصْوَى. فَلَمَّا عشقته وأَخْبَبْتُه، أَطْلَعَنِي عَلَى مَكْنُونِ سِرُّهِ، وَكَشَفَ لِي عَنْ أَسْتَارِ غَيْبِهِ. فَلاَ أَبُوح بِسِرٌه. وَلاَ أُطْلِعُ أَحَداً عَلَيْه مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، فإنَّنِي إِنْ بُحْتُ بِسِرُّهِ، وَكَشَّفته لغَيْرِ أَهْلِهِ. أَخَافُ أَن يفضحني يَوْمَ لِقَائِهِ: فيقول: يا عَبْدي، قَدْ أَطْلَغْتُكَ عَلَى سِرِّي، وَأُمُّنْتُكَ عَلَى غَيْبِي، ثُمُّ أَفْشَيْتُهُ لِغَيْرِي فاليوم أحرمك من نَعِيم حَضْرَتِي، لكَوْنكَ لمْ تَكْتَفِ بِعِلْمِي. وَلَمْ تَصُنْ سِرِّي. قُلْتُ: والغَالِبُ أَنْ لهٰذَا الْعِتَابَ يَقَعُ قبل اللَّقَاءِ فِي دَارِ الدُّنْيَا. فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَفْشَى سِرَّ الرُّبوبية، سَلَّط اللَّهُ عَلَيْهِ سَيْفَ الشَّرِيعَةِ. فَيُبَاحُ دَمُهُ، وَيُهْتَكُ عِرْضُهُ. كما وَقَعَ لِلْحَلاَّجِ وغَيْرِهِ وفِي ذَٰلِكَ يقول الشَّاعِرُ:

مَنْ شَهِدَ الْحَقِيقَةَ فَلْيَصُنْهَا وَإِلاَّ سَوْفَ يُتَقْتَلُ بِالسِّنَانِ وَفِي السِّرُ أَسْرَارٌ دِقَاقٌ لَطِيفَةً تُرَاقُ دِمَانَا جَهْرَةً لَوْبِهَا بُحْنَا

كَحَلاَّج الْمَحَبَّةِ إِذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ بِالتَّدَانِي بِالسِّرُ إِنْ بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاوْهُمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْبَائِحِينَ تُبَاحُ

قال بَعْضُ الصالحينَ: رَأَيْت رَبِّ العِزَّةِ فِي النَّوم، فَقُلْتُ: يا رَبّ. كيف سَلُّطتٌ عِبَادكَ عَلَى وَلِينُك الحلاج حَتَّى قَتَلُوهُ؟ فقال: ﴿ يَا عَبْدِي إِنِّي أَظْلَعْتُهُ عَلَى سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي فَأَفْشَاهُ لِغَيْرِي. فَسَلُّطتُ عليه عِبَادِي فَقَتَلُوهُ انتهى بالمَعْنَى.

ومِن كَلاَمِهِ الذي قُتِلَ بِسَبَبِهِ: «أَنا أَنْتَ بِلاَ شَكٌّ، فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانِي. فَتَوحيدكَ توحيدي وعِصْيَانُكَ عِصْيَانِي». وَكَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اسُبْحَانَ مَن أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سِرُ سَنَا لأَهُوتِهِ الشَاقِبِ. ظاهراً فِي سورة الآكِل والشَّارِب ثسم بسدا فِسي خسلسقسه كلحظة الحاجب بالحاجب حثى لقدعاينه خلقه

وَلَمَّا تَقَدَّمَ لَهُ السَّيَّاف، ليَضْربَ عُنْقَهُ. وَجَده يقول ويَضْحَكُ:

سَفَانِي مِنْ شَرَابِ الْحُبّ كَسَفْي الضَّيْفِ لِلضَّيْفِ كَذَاكَ مَنْ يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ الأَمِيرِ فِي الصَّيْفِ نَدِيمِي غَيْرُ مَنْسُوبِ إِلَى الْحَيْفِ فَلَمَّا دَارَتِ الأَكْوَاسُ دَعَا بِالنَّطعْ وَالسَّيْفِ ثم قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ مُتَوَدِّدٌ لِمَنْ يُؤْذِيكَ. فَكَيْفَ لاَ تَتَودِّد لِمَنْ يُؤذَى فِيكَ. فَهَا أَنَا

فِي دَارِ الْعَجَائِبِ أَتَعَجَّبُ فِي الْغَرَائِبِ. ثم قَالَ:

يَسا لاَيْسِمِ فِسِي هَسوَاهُ كَسمُ تسلُسوم لِلنَّاسِ حَجُّ ولِي حجِّ إلى سَكَنِي

فَلَوْ عَايَنْتَ مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتَ لَمْ تَكُم تُهْدَى الأَضَاحِي وَأَهْدِي مُهْجَتِي وَدَم يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَوْمٌ بِلاَ جَارِحَةٍ بِاللَّهِ طَافُوا فَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْحَرَمُ

قال له الشبلي: يا أَبَا المغيث: ما مَعْنَى التَّفرُد؟ فقال له: هو أَن ينفرد الْعَبْد بِالواحِدِ الْفَرْدِ. فإذَا رآه الحقّ قَدِ انفرد عَن الْخَلْقِ أَمَّنَهُ مِنْ عَذَابِ الطُّرْدِ. فيصير للحقُّ مشاهداً، والحق على لسَانِهِ شاهِداً. فحينئذٍ يتخلُّفُ لمَقَام الْمَعْرِفَةِ. ويوحي إلى خَاطِرِهِ ويَخْرس سره مِمَّا سِوَاهُ. فَلا يَرْشُحُ فيه غَيْر الحق مَن حضْرَة الحق بالحق. قالَ الشبلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقلْت له: مَا المَعْرِفَة؟ قال: اسْتِهْلاَكُ الحسِّ في المَعْنَى. فَقُلْتُ له: ما المَحبَّةُ؟ قَالَ: الْغَيْبَة عَمَّا سِوَى المحبُوب. فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْوُجُود؟ فقال: لَهِيبٌ يَنْشأُ مِنَ الشَّوْقِ فِي الْأَسْرَارِ. تَضْطَرب بِهِ الْجَوَارِحُ ثم يَزُولُ؛ لأنَّهُ مَقْرُونَ بَالزَّوَالِ، وتنبقى نَتيجَتُهُ الْعِزفَانية لاَ تَحُولُ وَلاَ تَزُولُ. فَقُلْتُ لَهُ مَا الأَنْسُ؟ فَقَالَ: وُجُودُ الْهَيْبَة مَعَ ارْتِفَاعِ الخَشْية وَغَلَبَة الرَّجَا على الْخَوْفِ. ثم قال يَا شَبْلِي: «مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ عِنْدَ خَطَرَاتِ قَلْبِهِ، عَصَمَهُ عِنْدَ حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ". ثم قال يا شبلي: أَلَسْتَ تَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ. فقال الشبلي نَعَمْ. فَقَالَ: ﴿قَدْ قَالَ لِنَبِيَّهُ عَلَيْهُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِكُ ٱللَّهَ رَمِّنً ﴾ [الانفال: ١٧] يَا شَبْلِي: إِذَا رَمَى اللَّهُ قُلْبَ عَبْدِهِ بِحَبَّةٍ مِنْ حُبِّهِ نَادَى عَلَيْهِ مَدَى الأَزْمَانِ، بِلِسَانِ الْعِتَابِ، وَأَيْضاً: «مَنْ أَفْشَى سِرُّ الْمَلِكِ كَانَ خَائِناً وَمَنْ كَانَ خَائِناً لاَ يُؤْمَنُ عَلَى السُّرُّ، فَهُوَ حَقِيق أَنْ يُنْزَعَ مِنْهُ إِنْ أَفْشَاهُ لِغَيْرِ أَهْلِهِ. وإِنَّمَا يُؤْمَنُ على السِّرُّ أَهْلِ النُّقَّةِ والصِّيَانَةِ». كما قال الْقائل:

لاَ يَسَخُستُ السِّرُ إِلا ذُو يُسقَدِ فَالسَّرُ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ

وقَالَ آخُو:

وَلاَ أَنْشُرُ الدُّرُّ النَّفِيسَ عَلَى الْبَهْم وَلاَقِيتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحُكُم وَإِلاَّ فَسَدِّرُونٌ لَسَدِّيٌّ وَمُسَخَسِمُ وَقَالَ سيِّدنا علي كَرِّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: ﴿ حَدَّثُوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ أَثْرِيدُونَ أَنْ

سَ أَكْتُمُ عِلْمِي عَنْ ذوِي الْجَهْل طَاقَتِي فَإِنْ قَدَّرُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِلُطْفِهِ بَذَلْتُ عُلُومِي وَاسْتَفَدتُ عُلُومَهُمْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». وقال رسول الله على: «أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَذْر عُقُولِهِمْ)(١). وقال رجل لبعض العلماءِ، وقد سألهُ وَلَمْ يُجبُهُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رسول الله على قال: «مَنْ كَتَمَ عِلْما الْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةُ بِلجَامِ مِنَ النَّارِ». فَقَال له الْعَالِمُ: «اتْرُكِ اللَّجَامِ وَاذْهَبْ. فَإِنَّ مَنْ جَاءَ يَسْتَحِقُّه وَكَتَمْتُه فَالْجِمْنِي. وقولُنَا لغَيْرِ أَهْلُهِ. وَأَمَّا مَنْ كَأَنَ أَهْلاً لَهُ، فَلاَ بَأْسَ بِاطِّلاعِهِ عَلَيْهِ؛ وهُوَ مَنْ بَذَل نفسَهُ وفلُسهُ، وزهد في جنسه. وخَطُّ رأْسَهُ لأَقْدَام الرِّجَالِ. كما قال سيدي عبد الوارث الْيَلْهُوتِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَذْل النفُوس، وحطّ الرؤوس، وصفّاء الكُؤُوس. لاَ إِلَّه إلاَّ اللَّهُ. وقال الشَّاعِرُ:

يَا مَنْ يَلُومُ خَمْرَ السحبُّهُ فَحُدُوا عَسَنْسِي هِسِي حَسَلَالُ وَمَنْ يُرِد يُسْقَى مِنْهَا غِبًا خَدَّه ينضع لأَقْدَام الرِّجَالُ

رَأْسِي حَطِطتُ بِكُلُّ شَيْبَاهُمْ الْسَمَوَالِسِي سَسَقَوْنِسِي زُلاَلُ

فَكُلُّ مَنْ لَمْ يحط رأسهُ لأَهْلِ السِّر، وَلَمْ يَتَحَكَّمْ لَهُمْ، فَاطَّلاَعُهُ عَلَى سِرَ الرُّبُوبية حَرَامٌ. والْمُرَاد بِسِرِّ الرُّبُوبِية: التوحيد الخاص: الذي هو الشهود والعيانُ المخصُّوص بِأَهْلِ الْعِرْفَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ونَفَعْنَا بِهِمْ. وَهُو الَّذِي أَرَاد النَّاظم بقولِهِ: لاَ أَبُوحُ بِهِ. أَيْ لَا أَبُوحُ بِسِرٌه وَلاَ أُطلِعُ عليه أحداً غَيْرَ أَهْلِهِ. واللَّهُ تَعَالَى أَغْلَم.

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أُخَالِطُ النَّاسَ طُرَآ فِي مَحَبِّتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ إِلاَّ هُو

المُغَالطَةُ: إِظْهَارُ الْغَلطِ، وإيقاع الْغَيْرِ فِيهِ، مَع إِخْفَاءِ الصَّوَابِ. وتسمَّى عندَ الصوفية التلبيس. كَإِظْهَار الرُّغْبَةِ وَإِخْفَاءِ الزُّهْدِ. وإِخْفَاءِ المحبَّة وإظْهَارِ السُّلْوَان، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ صِيَانَةً لِلسِّرّ. وتُحقيقاً لِمَقَام الأَخْلاَقِ. ومِنْهُ تَخْرِيبُ الظَّاهر، وتَعْمير الباطِنِ، إلى غَيْر ذٰلِكَ مِنْ أَحْوَال الصوَفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

والمحبَّةُ: أَخْذ جمال المحبوب، بِمَحَبَّةِ الْقَلْبِ. حتَّى لاَ يُمْكنه الالْتِفات إِلَى غَيْرِهِ، وَلاَ العمل بما فيه رضاه، إِيثَاراً لهُ عمَّا سِوَاهُ، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّنِي أَخَالِط النَّاس جميعاً في مَحَبَّة المَحْبُوبِ. فَأَظْهِر لَهُمُ السَّلوانَ عَنْهُ،

⁽١) أورد نحوه العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٩٩٢) [١/٢٢٥].

والاشتغال يِغَيْرِهِ. وَأُخْفِي عَنْهِم الاستغراق فِي شُهُودِهِ، ودوام ذِكْرِهِ. اكتفاءً يِعِلْمِهِ. وغَيْرةً عَلَى سِرُه. أَنْ يَظْهَرَ لِغَيْرِ أَهْلِهِ. وأَظْهِرُ لَهُمُ الْجَهْل، وأُخْفِي عَنْهُم الْجِلْمَ، والمَعْرِفة لَهُ، وأُظْهِر لَهُم الرَّغْبة فِي الدُّنْيَا، وأُخْفِي عَنْهُم الزَّهْد فيها. وأُظْهِر لَهُم الحُمْق والسَّفة. وأُظْهِر لَهُم مخالطة وأَظْهِر لَهُم الحُمْق والسَّفة، وأُخْفِي عنهم العقل والسكينة. وأُظْهِر لهم مخالطة أَهْل الدُنْيَا، وأُخْفِي عَنْهُمُ الْعُزلَة فِي قَلْبِي. فَالْقَلْبُ مَعَ الحقّ. والجِسْمُ مَعَ الْخَلْقِ. وَأُظْهِرُ لَهُمْ مَحبَّة الْمُلُوكِ ومخالطتهم. وَأُخْفِي عنهم الْغَيْبة عَنْهُم بِشُهُود الْخَلْقِ. وَأُطْهِرُ لَهُمْ مَحبَّة الْمُلُوكِ ومخالطتهم. وَأُخْفِي عنهم الْغَيْبة عَنْهُم بِشُهُود مَلِكِ المُلُوكِ. وَفِي هٰذَا الْمَعْنَى قال الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِي أَرْبَعُونَ سَنَة مَلِكِ المُلُوكِ. وَفِي هٰذَا الْمَعْنَى قال الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِي أَرْبَعُونَ سَنَة أَنَاجِي الْحَلْق، إِلَى غَيْر ذلِكَ مِنْ أَخُوال الْمَحبَّة والمَعْرِفَةِ. وقَدْ تَكَلَّمَ النَّاس فِي المَحبَّة، وأكثرُوا الكَلامَ فِيهَا. كُلُّ عَلَى قَدْرِ وَشَرْبِهِ.

قال القطبُ ابن مشيش رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: «المحبَّة أَخْذَة من اللّه قَلْبَ مَنُ أَحَبٌ بِمَا يَكْشَف من نورِ جَمَالِهِ. وقُدْسِ كَمَالِ جَلاَلِهِ. وشرَابُ المحبَّة: مَرْجُ الأَوْصَافِ بِالأَوْصَافِ وِالأَخْلاَقِ بِالأَخْلاَقِ. وَالأَنْوَارِ بِالأَنْوَارِ وَالأَسْمَاءِ بِالأَسْمَاءِ وَالنُعُوتِ بِالنَّعُوتِ، والأَفْعَال بالأفعالِ وَيتَسع فيه النَّظر لمَن شاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. والشَّرَابُ سَقْيُ الْقُلُوبِ والأَوْصَالِ، والعُرُوق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشرب بالتَّدريب، بَعْد التذريب والتهذيب. فَيُسْقَى كُلُّ على قَذرِهِ. فَمِنْهُم مَن يُسْقَى بِغَيْر وأسِطةٍ. واللَّهُ سُبْحَانَهُ يتولَى ذَلِكَ. ومنهم مَن يُسْكُر بِشْهُودِ يُسْقَى بِغَيْر وأسِطةٍ. واللَّهُ سُبْحَانَهُ يتولَى ذَلِكَ. ومنهم مَن يُسْعَى مِن جهة الوَسَائِطِ، كالملائكة والعلمَاءِ، والأَكَابِرِ من المقرَّبينَ. فَمِنْهُم مَن يَسْكُرُ بِشُهُودِ الْكَأْس ولم يَذُق بَعْدُ شَيْناً فَمَا ظَنْكَ بَعْدُ بِالذَّوقِ، وبَعْدُ بالشرابِ، وبَعْدُ بالرَّيِّ، الكَأْس ولم يَذُق بَعْدُ شَيْناً فَمَا ظَنْكَ بَعْدُ بِالذَّوقِ، وبَعْدُ بالسكر بالمَشْرُوبَاتِ. ثُمَّ الصَّحْوُ بَعْدَ ذٰلِكَ على مَقَادِرَ شَتَى. كَمَا أَنْ السُّحْر أَيْضاً كَذْلِكَ المَشْرُوبَاتِ. ثُمَّ الصَّحْو بَعْدَ ذٰلِكَ على مَقَادِرَ شَتَى. كَمَا أَنْ السُّحْر أَيْضاً كَذْلِكَ المَّرَابِ الطهور المَخْصُوصِينَ مِن خُلْق. فَتَارة يشهد المَشَابُ ذٰلِكَ الكَاس صورة، وتارة يشهدها عِنْهِة. وتارة يشهدها عِلْمِية. الشَّارِبُ ذٰلِكَ الكَاس صورة، وتارة يشهدها مَعْنَوية. وتارة يشهدها عِلْمِية.

فَالصَّورة حَظَّ الأَبْدَانِ والنَّفُوسِ، والمَعْنَوِية حَظُّ القلوب والعُقول. والعلمية: حَظُّ الأَزْوَاحِ والأَسْرَار. فَيَا لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَعْذَبَهُ فطوبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْ فَضْلِهِ، ﴿ وَلَا نَشْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَن يَشَآهُ مِنْ فَضْلِهِ، ﴿ وَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَن يَشَآهُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ ﴾ [المائدة: ٥٤] وقَدْ تَجْتَمَع جَمَاعَةٌ مِنَ المحبَّين، فَيُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كثيرةٍ. وقد يُسْقَى الواحِد بِكَأْسٍ وَبِكُؤُوسٍ، وقَدْ يُسْقَى الأَشْرِبَة على حَسَبٍ عدد الأَكُواسِ. وقد يَخْتَلِف الشَّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَبِكُؤُوسٍ، وأَدْ يَخْتَلِف الشَّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنَ الأَحِبَّةِ». انتهى كَلاَم القطب ابن مشيش.

وقال تلميذُهُ: الشيخ أَبُو الحسن الشاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المحبَّة أَخْذة مِنَ اللَّهِ قَلْبَ عَبْدهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ. فَتَرَى النَّفْسَ مَاثِلة لطَاعَتِهِ. والعَقْلَ مُتَحصناً بمغروفه، والروح مأخُوذة فِي حَضرتِهِ، والسُّرُ مَغْمُوراً فِي مُشَاهدتِهِ، والعَبْد يَسْتزيد مِنْ حُبِهِ، فَيُزَاد وَيُفَاتِح بِمَا هُوَ أَعْذَب من لذيذٍ مُنَاجَاتِهِ. فَيُكْسَى حُلَل التقريب، عَلَى بِسَاطِ الْقُرْبَةِ، ويمس أَبْكَار الحقائق. وثَيَبَات العلوم. فَمِنْ أَجْل ذَٰلِكَ قَالُوا:

الأَوْلِيَاءُ عَرَائِسُ وَلا يرى العرائس المجرمون. ثم قال: الشَّرَابُ: هو النُّورُ السَّاطع مِن جَمَالِ الْمَحْبُوبِ. وَالكَأْسُ: هو اللَّطف الْمُوْصلُ ذٰلِكَ إِلَى أَفْوَاهِ الْمُلُوبِ، والسَّالِينِ، والسَّالِينِ، وَمَصَالِح العِبَادِ. فَمَن كُشِفَ لَهُ عَنْ لهٰذَا الْجمَال، وهو اللَّهُ المَّالِم بالمَقَادِيرِ، ومَصَالِح العِبَادِ. فَمَن كُشِفَ لَهُ عَنْ لهٰذَا الْجمَال، وحُظِي بشيءٍ مِنْهُ نَفَسا أَوْ نَفَسَيْنِ أَو أُرْخِي عليه الحجاب؛ فَهُو الذَّائق المشتاق. وحُظِي بشيءٍ مِنْهُ نَفَسا أَوْ نَفَسَيْنِ أَو أُرْخِي عليه الحجاب؛ فَهُو الذَّائق المشتاق. ومَنْ تَوَالَى عَلَيْهِ الأَمْرُ، وَمَا لَهُ الشَّرْبُ، حَتَّى المَتَلاَثُ عَرُوقَهُ وَمَفَاصِلُهُ، مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ المَخْرُونَةِ؛ فَلْلِكَ هو الرَّيُ وَرُبَّمَا عَابَ عَنِ المَحْسُوسِ والمَعْقُولِ، فلا يَدْرِي مَا يُقَالُ وَلاَ ما يَقُولُ ، فَلْ لِكَ هُو السَّكُ. وقَدْ تَدُور عليهم الكَاسَاتُ. وتختلف لدَيْهم الحالات، ويمورُونَ إلى الذَّي والطَّاعَاتِ، وَلاَ يُخْجَبُونَ عَنِ الصَّفَاتِ، مَع تَزَاحِم يَقُولُ، فَلْلِكَ هُو الشَّكِر. وَقَدْ تَدُور عليهم الكَاسَاتُ. وتختلف لدَيْهم الحالات، ويردُونَ إلى الذَّي والطَّاعَاتِ، وَلاَ يُخْومِ ويردُونَ إلى الذَّي وقت صَخوهم، واتساع نَظَرِهِمْ. ومَزِيد عِلْمِهمْ، فَهُمْ بِنُجُومِ المَعْلُونَ إلى الذَّوجِيدِ يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِهِمْ. وبشُمُوس الْمَعَارِفِ يسْتَضِينُونَ فِي الْعِلْمِ وَقَمَرِ النَّوْجِيدِ يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِهِمْ. وبشُمُوس الْمَعَارِفِ يسْتَضِينُونَ فِي الْعَلْمِ مَنْ الشَّوْلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال أبو عبد الله القُرَشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«حقيقة المحبَّة أن تَهَبَ كُلكَ لِمَن أَخبَبْتَ، حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٍ، وقال أَبُو الحُسَينِ الوَرَّاقِ: «المحبَّة سُرُور بِاللَّهِ مِنْ شِدَّة المَحَبَّة لَهُ، والمحبَّة فِي الْقَلْبِ نَار تحرق كُلُّ دَنَسٍ. وقال بَعْضُهُمْ:

«مَنِ ادَّعَى محبَّة اللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَوَرُّع مَحَارِمِه؛ فَهُوَ كَذَّابٌ. وَمَنِ ادَّعَى محبَّة الجَنَّة مِن غَيْرِ إِنْفَاقِ مُلْكِهِ فَهُوَ كَذَّابٌ، وَمَنِ ادَّعَى حُبٌّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ حُبُّ الْفُقَرَاءِ فَهُوَ كَذَّابٌ، وكَان كرابعة تُنشِدُ:َ

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ﴿ لَمَا مُحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبُّ لِمَنْ يُحبُّ مُطِيعُ وقال بَعْضُ الشعراءِ في لهٰذَا المَنزع:

قَالَتْ وَقَدْ سَأَلَتْ عَنْ حَالِ عَاشِقِهَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ رَهْنُ الْمَوْتِ مِنْ ظَمَإِ وَقُلْتِ قِفْ عَلَى وَرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدِ وَقَالَ آخُرُ:

> وَلَوْ عَذَّبْتَنِي فِي النَّارِ حَتْماً وقال آخُرُ:

إِذَا كَانَ الْجَحِيمُ رِضَاكَ عَنِّي فَمَا ذَاكَ الْجَحِيم سِوَى نَعِيمِ إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَرَ مُرَادِكُم فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمَ

لِلَّهِ صِفْهُ وَلاَ تَنْفُصْ وَلاَ تَزدِ

دَخَلْتُ مُطَاوِعاً وَسَطَ الْجَحِيم

وقال سَحْنُون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذَهَبَ المُحِبُّونَ لِلَّهِ بِشَرَفِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ؛ لأَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبُّ. فَهُوَ مَعَ اللَّه تعالى». وقال أبو يعقوب السوسي: لا تصلح المحبَّة، حتَّى تخرِّجَ عن رُؤية المحبَّة، إلى رُؤيَّةِ المحبُوبِ بفناءِ علم المحبَّة، من حَيْث كَانَ المحبُوب فِي الْغَيْبِ. ولم يكُن لهٰذَا بالمحبَّة. فإِذَا خَرَجَ المُحِبُ إلى هٰذِهِ، كَانَ مُحِبّاً مِن غَيْر مَحَبّة. وسُثِل الشبلي عن المحبّة فقال: كَأْسٌ له وَهَجْ إِذَا اسْتَقَرَّ فِي الحواسِ، وسَكَنَ فِي النَّفوس تَلاَشَتْ.

وقيل: للمحبَّة ظاهرٌ وبَاطِنٌ. ظَاهِرُهَا اتباع رِضَى الْمحبُوبِ. وَبَاطِنُهَا أَن يكُونَ مَفْتُوناً بالحبيب عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلاَ تبقى فيه بَاقية لِغَيْرِهِ وَلاَ لِنَفْسِهِ.

وقال فِي المعارف: كَانَ رسول الله ﷺ بَدْعو: ﴿ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبُّكَ أَحَبُّ

إِلَيْ مِنْ نَفْسِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي، وَأَهْلِي وَمَالِي، وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ» (١). فَكَأَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ طَلَبَ بحكم العلم والحيلة تتعاضده بِضِد العلم. مثل أَنْ يكون راضياً. والحيلة قَدْ تنكرهُ، ويكُونَ النَّظر إلى الانْقِيَادِ بِالعِلم، وإلى الاستقصاءِ بالحيلة. فَقَد يحبّ الله ورسوله بحكم الإيمان. ويحبّ الأهل والولد بِحُكم الصَّبغ المُرَاد منهُ. فَأَشَار إلى أَنَّ محبَّة الْعَوَامِ بِالْعِلْم والإيمان بِالْغَيْبِ. ومحبّة الخواص بِالذّوق على نَعْتِ مُشَاهدة الْحَبِيب. والله تَعَالَى أَعْلَمُ.

وقوله: "وَلَيْسَ يَعْلَم فِي الْقَلْبِ إِلاَّ هُوَ". هٰكَذَا فِي جُلِّ النَّسَخِ بَعْد السّطر أَيْ لاَ يَعْلَم مَا فِي قَلْبِي مِنَ الشغفِ والمحبة إلا المحبوب. وفي بَعْضِ النُسخ بَعْد السّطر أَيْ لاَ يَعْلَم مَا فِي قَلْبِي مِنَ الشغفِ والمحبة إلا المحبوب. وفي بعضِ النُسخِ: وَفِي الأغاليط سِرَّ رقَّ مَعْنَاهُ. يشير إلى مقام الإخلاص. فَالسرّ الذِي خَفِي مَعْنَاهُ هُوَ الإِخلاَصُ، إذ لاَ يتحقق ذوقاً، إلاَّ بِإِظْهَار ما يُنَافيه مِنَ الأَغاليظِ، ومَرْجعهَا إلى تخريب الظَّاهِر. إذ بِقَدْر مَا يخرَّبُ الظاهر، يُعَمَّر الباطن. وبقدر مَا يُزيِّنُ الظاهر، يُعَمَّر الباطن. وبقدر مَا يُزيِّنُ الظاهر، يُقَبَّحُ الباطن. وبالعكسِ يَتَنَوَّر الظَّاهِرُ بِالتَّانُّقِ فِي الثيابِ، وتحسين الهيئة وبه يتظلم الباطِن. وهذَا مُجَرَّبُ عِنْدَ أَهْلِ الْفَنَّ. لاَ يُنكِرُه إلاَّ الجاهل بالطريق.

وَالإِخْلاَصُ: إِفْرَاد الْحَقَّ بِالطَّاعَةِ بِالْعَقْلِ، وَهُوَ أَن يريدَ بِطاعَتِهِ الْقُرْبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، دُون شَيْءٍ آخَر؛ مِنْ تَصَنَّع لِمَخْلُوقِ أَوِ اكتِسَابٍ مَخْمَدةٍ عِنْدَ النَّاسِ ومحبَّة مذح الخلق. أَو مَعْنَى من الْمَعَانِي. سوى التقرّب إلى الله تعالى. قاله الفشيري. وَأَخْسَن منه تفسير الحق تعالى في الحديث القُدْسي، قال الحسن: سَأَلتُ حُذَيْفة عن الإِخلاصِ فقال: سَأَلتُ النَّبِيِّ ﷺ عن الإِخلاصِ ما هو؟ فقال: سَأَلتُ النَّبِيِّ ﷺ عن الإِخلاصِ ما هو؟ فقال: سَأَلتُ رب العِزَّةِ عن الإِخلاصِ ما هُو فَقَالَ: «سِرَّ مِنْ أَسْرَادِي أَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مِن أَخْبَبْت مِن عِبَادِي» (٢)

⁽١) رواه الترمذي في سننه، حديث رقم (٣٤٩٠) [٥/ ٥٢٢] والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٤٨١٠) [٣/ ٢٧١] ورواه غيرهما.

⁽٢) رواه أبو الفيض الفاداني المكي في العجالة في الأحاديث المسلسلة، المسلسل بالسؤال عن الإخلاص [١/ ٨٨].

وقال الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإخلاصُ سِرَّ بيْن اللَّهِ تعالى وبيْن الْعَبْد. لاَ يعلمه مَلَكَ فَيَكتُبَهُ، وَلاَ شَيْطَانُ فَيُفْسِدَهُ وَلاَ هَوى فَيُبْطِلَهُ». وله درجات: إخلاص العوامِّ: وهو إِفْرَاد الحقِّ بالطَّاعة، مع ملاحظة الجزاء في الدنيا والآخِرة. وإخلاص الخواصّ: وهو إفراد الحقِ بالطاعة، مع ملاحظة الجزاء الأخروي فقط وإخلاص خواص الخواص وهو إفراد الحق بالطَّاعة، مع الغيبة؛ بَلْ مَحبَّة وتعظيماً وعبودية.

قال محُحول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبِعِينَ يَوْماً إِلاَّ ظَهَرَتْ ينابيع الحِكْمَة مِن قَلْبِهِ على لسَانِهِ (١) ، وهو مَوْقُوف عليه. واللَّهُ أَعْلَمُ. ويُجَودُ فِي بَعْضِ النُّسَخِ: أُرِيهِم أَنْنِي بِغَيْرِه كَلِفٌ؛ أَي أُظْهِرُ للنَّاسِ أَنْنِي بِغَيْرِ المحبوب بَعْضِ النُّسَخِ: أُرِيهِم أَنْنِي بِغَيْرِه كَلِفٌ؛ أَي أُظْهِرُ للنَّاسِ أَنْنِي بِغَيْرِ المحبوب كِلِفٌ؛ أي مُولَعٌ ومتكلف بِهِ، ومشغول بمَحبَّتِهِ. وليس يعْلَمُ ما في قلبِي مِن كِلفُ الحبيب إِلاَّ هُو، لأَنْنِي لمَّا عَرفتُه، وكَشفَ الحجاب بيني وبيئنه، قلت: لاَ يحجبني عنه شيء من تجلياتِهِ. فيظهر للناس أَنِي أُشاهد الخَلْق. ونُعظَّمهُم، وتأذّب معَهُمْ. وَأَنَّا فِي الباطِنِ لاَ نُشِاهِد إِلاَّ الملك الحقّ. وَلاَ نَتَأَذّبُ إِلاَّ مَعَهُ. وَلاَ نَتَكَلف إلاَّ بِهِ، فَللَّهِ الحَمدُ وَلَهُ الشكر.

قال الشيخ أَبُو الحسَن الشاذِلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّا لِنَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ بِبَصَرِ الإِيمَانِ والإِيقَانِ، فَأَغْنَانَا ذٰلِكَ عن الدَّليل والبُرْهَانِ. وَأَنَّا لاَ نَرَى أَحَداً مِنَ الخُلْقِ. فَهَلْ فِي الوُجُودِ سِوَى المَلِكَ الحقِّ. فَإِن كَانَ وَلاَ بُدَّ كَالْهَبَاءِ فِي الْهَوَى إِنْ فَتَشْته لم تَجِدْه شَيْنًا ﴾ وَبِاللَّه التوفيق. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالُوا أَتَنْسَى الَّذِي تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ يَا قَوْمِي مَنْ هُوَ رُوحِيَ كَيْفَ أَنْسَاهُ وَكُيْفَ أَنْسَاهُ وَكَيْفَ أَنْسَاهُ وَالْأَشْيَا بِهِ حَسُنَتْ مِنَ الْعَجَائِبِ يَنْسَى الْعَبْدُ مَوْلاَهُ

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال لي قَوْمي: أَتنْسَى المَخبُوبَ الَّذِي تَهْوَاه وتعْشقَهُ حتى تغيب عن ذِكْرِه ومشاهدة سِرُّه. فقلْتُ لَهُمْ: يَا قَوْمِي مَنْ هُوَ رُوحِي وَبِهِ

⁽۱) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، حديث رقم (٣٤٣٤٤) [٧/ ٨٠] والقضاعي في مسند الشهاب، [باب] ٣٢٥ من أخلص لله أربعين..، حديث رقم (٤٦٦) [٢٨٥/١] ورواه غيرهما.

قِوَامِي وَنشأَتِي، قَدْ سَرَى سِرُهُ فِي سِرِّي، ونوره فِي كُلِّية ذَاتِي، وتَخَلَّلْتُ محبَّته جميع أَجْزَائِي كَيْف أَنْسَاهُ وَأَغِيبُ عَنْهُ، وَالْأَشْيَاء كُلُّها بِهِ قَامَتْ، وبنور جماله حَسُنَتْ وابْتَهَجَتْ. فَمَا ظَهَرَ فِي الكَوْنَيْنِ إِلاَّ نور بَهَائِهِ وَجَمَالِهِ. فَلَيْسَ فِي الوجودِ قَبِيحٌ، وَلاَ بَشِعٌ؛ لأَنُ الوجود كلَّهُ بقدرة الحكيم البديع. وإلى لهذَا، أشار صاحب العينية (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله:

وَكُلُ قَبِيَحٍ إِنْ نَسَبْتَ لِحُسْنِهِ أَتَتْكَ مَعَانِي الحُسْنِ فِيهِ تُسَارِعُ لُكُمُّلُ نُقْصَانٌ وَلاَ ثَمَّ بَاشِعُ لُكُمُّلُ نُقْصَانٌ وَلاَ ثَمَّ بَاشِعُ

ثم تَعَجَّبَ بِسْيَان العَبْد مَوْلاهُ وَهُوَ معه أَقْرَب إليه من حَبْلِ الْوَريدِ. فَمِن أَعْجَبِ العجائِبِ، أَن يكون الحقُّ قَائماً بِأَمْرِ عَبْدِهِ، لاَ يَنْساهُ مِنْ إِحْسَانِهِ وَرِفْدِهِ. وَالْعَبْدُ عَافِلٌ عَنْ ذِكْرِهِ. مشغول بِذِكْرِ غَيْرِه. فَالواجبُ على الْعبدِ، اسْتفراغ طاقته وجُهْده في ذِكر سيّدهِ؛ ومشاهدة إِحْسَانِهِ وَرِفْدِهِ. قال تعالى: ﴿فَاذَلُونِ وَجُهْده في ذِكر سيّدهِ؛ ومشاهدة إِحْسَانِهِ وَرِفْدِهِ. قال تعالى: ﴿فَاذَكُرُونَ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الله التوفيق. فَلاَ نطِيل بِسَرْدِهَا؛ لأَنها مقرّرة فِي مَحَلّها مِنَ المُطَوَّلاَتِ. وبالله التوفيق.

ثم صَرَّحَ بِحَالِهِ مع مَحْبُوبِهِ؛ وهو الاستغراق فِي شهودِهِ فقال:
مَا خَابَ حَنِّي وَلَكِنْ لَسْتُ أَبْصُرهُ إِلاَّ وَقُـلْتُ جِـهَـاراً قُـل هُـوَ الـلَّـهُ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما خَاب عَنِّي مَحْبُوبِي طَرْفَة عَيْنٍ؛ لأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيًّ
مِنْ كُلُّ شَيْءٍ؛ وَبِهِ حَيَاتِي، وقيام ذَاتِي كَمَا قال ابن الفارض^(۲) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

⁽١) العارف بالله تعالى الشيخ عبد الكريم الجيلي، وقد سبقت الإشارة إليه.

⁽٢) القائل هو القطب أبو مدين التلمساني شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني المتوفى في

سنة ٥٩٤ هجرية. وتتمة الأبيات هي:
يا من بهم قد طابت حياتي
أنتم شموسي وعين ذاتي
خرجت عني وعن صفاتي
وحقكم لم أزل عبيداً
بكم أنادي رخاً وشدًة

وتسهت فخراً على الوجود ووجمهكم قبيلة السنجود وجنتكم اشتهى ورودي حول حماكم مأوى الفقير با سادتي فاجبروا كسيري

أَنْتُمْ شُمُوسِي وعَيْنُ ذَاتِي وَرْجُهُ كُمْ قبلة السجود

فَمَحْبُوبِي لاَ يغيب عَنِّي قط. ولكن لست أَبْصرهُ، وَأُشاهده فِي مِراثي جماله، وتجلَّياتِ ذَاتِهِ، إلاَّ وقُلْت جهاراً بلِسَانِ الحَالِ. قل هو اللَّهُ. إذ لاَ نُشَاهِد سِوَاهُ. وَلاَ نَرَى إِلاَّ إِيَّاهُ؛ لأنَّني مَحْجُوب بالجَمْع عَن الْفَرْقِ. وبِشُهودِ الْمُؤَثِّر عَلَى الْأَثَرِ. وَإِن كَانَ وَلاَ بُدِّ مِنْ رؤية الأَثْر، فَيَراَّهُ قَائَماً بِهِ، ونوراً من أَنوارهِ. لاَ وُجُودُ لَهُ مَعَهُ. لثبوتِ أَحَدِيتهِ. فَالأَكُوَان ثابتة بِإِثْباتِهِ. مَمْحوة بِأَحَدِية ذَاتِهِ :

> مَنْ لا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَالْعَادِفُونَ فَنَوا ولمَّا لَمْ يَشْهَدُوا

فَوُجِودُهُ لَوْلاَهُ عَنِينٌ مُحَال شيثأ سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِي ورَأُوا سِوَاهُ على الحقيقة هَالِكا في الحالِ والمَاضي وَالاسْتِقْبَالِ

قَالَ الْقُطْبُ ابن مشيش لأبى الحسن الشَّاذِلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: يَا أَبَا الحَسَن: «حَدَّدْ بَصَرَ الإيمَانِ. تَجِد اللَّه فِي كُلِّ شيءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلُّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلُّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلُّ شَيْءٍ، وتَحْتَ كُلُّ شَيْءٍ، وقريباً مِنْ كل شيءٍ. ومُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ. بِقُرْبِ هُوَ وَصْفُهُ. وبحيطةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وعُذْ عَن الظرفية والْحُدُودِ، وعن الأَمَاكِن والجَهَات، وعن الصحبة والْقرْب فِي المَسَافَات، وعن الدور بالمخلوقاتِ. وامحق الكُلُّ بوصفه الأول والآخر، والظَّاهر والباطن؛ وهو هُوَ، هو. «كَانَ اللَّهُ وَلاَ شَيْء مَعَهُ. وهُوَ الآن عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». وَأَشَارَ بقولِهِ، وعُدُّ الخ. إِلَى أَنَّ مَا جَرَى فِي كَلاَمِهِ من الظُّرُوفِ ليُسَت بزَمَانية وَلا مَكانية؛ لأنَّهَا مِن جُمْلَة الأَكْوَانِ. وَإِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ ذَوْقية. فَاغْتَقَد كَمَالَ التَّنْزِيهِ، وبُطْلاَن التشبيه، وتمَسُّكْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزٌّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَيِثْلِهِ، شَى يَ مُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وَسَلَّم ذٰلِكَ لأَهْلِهِ. فَإِنَّهُمْ عَلَى بصيرة فيما رَمزُوا إِلَيْهِ، فيما ذاقوهُ وَوَجَدُوهُ. بل هي مِن محضِ الإيمَانِ، وخالِص العِرْفَانِ؛ وهو حقيقة التوحيد. وَصَفُو الإيمَان؛ كما قال بعض العارفينَ. قال بعض المحققين مِنَ العارفين:

الحقُّ تَعَالَى مُنَزُّهُ عَنِ الأَيْنِ، والجِهَةِ والكَيْفِ، ولا جِسْمَ وَلاَ جَوْهَرَ، وَلاَ عَرَض؛ لأَنه لِلُطْفِهِ سَار فِي كُلُّ شَيْءٍ، ولنوريته ظَاهِر فِي كُلُّ شَيْءٍ. وَلإِطلاقه وإحاطتِهِ مُتَكَيِّفٌ بكُلِّ كَيْفٍ غَيْر متقيِّد بذٰلِكَ. وَمَنْ لَمْ يَذُقْ لهٰذَا، ولم يشهده؛ فَهُوَ أَعْمَى البصيرة. مَحْرُوم من مُشاهدة الحقِ. وَمِن كَلاَم الشيخ ابن الفارض:

> هُوَ الْحَقُّ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ هُ وَ النُّورُ الْمُبِينُ بِغَيْرِ شَكَّ هُوَ المَشْهُود في الشَّاهِدِ يَبْدُو هُ وَ الْعَيْنِ العيانِ لِكُلِّ غَيْب جَمِيعُ الْعَالِمِينَ لَهُ ظِلاَلُ وَهٰذَا الْقَدْرُ فِي التَّحْقِيقِ كَافٍ

ولابْن عطاءِ اللَّه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَالنُّورُ يَظْهَرُ مَا تَرَى مِنْ صُورَةِ لْكِنَّهُ يَخْفَى لِفَرْطِ ظُهُورِهِ وَإِذَا طَلَبْتَ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِهِ فيزيد جهلكَ لا تَزَال مُعَثُرا

إلاَّ بِهِ وُجُودُ الْكَاثِنَاتِ بِلاَ امْتِرا حِسْاً ويُذركهُ الْبَصِيرُ مِنَ الوَرا فَإِذَا نَظَرْتَ بِعَيْنِ عَقْلِكَ لاَ تَجِد شيئاً سواه عن الذَّاتِ مُصَوِّرا

هُوَ الرَّحْمٰنُ ذُو الْعَرْشِ المَجِيدِ

هُوَ الرُّبُّ الْمَحْبُوبُ فِي الْعَبِيدِ

فَيُخْفِيه الشَّهُود عَن الشَّهِيدِ

هُ وَ الْمَفْعُودُ فِي بَيْتِ الْقَعِيدِ

سُجُودٌ فِي القريب وَفِي الْبَعِيدِ

فَكُفُّ النَّفْسَ عَنْ طَلَبِ الْمَزِيدِ

ولهذِهِ الأَسْرَارِ لا يَذُوقهَا، إِلاَّ مَنْ صَحِبَ أَهْلَ الفناء والبَقَاءِ. وَمَنْ لَمْ يَصْحَبْهُمْ، فَحَسْبُهُ الإِيمَان بِالْغَيْبِ، واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

ثُمَّ اعْلَم أَنَّ من عَادة الشعراءِ أَن يَتَغَزَّلُوا فِي مَدْح الحبيب. بذكر الرقبا والْعَوَاذِلِ إِذ لاَ تَحْلُو المَحَبَّة إِلاَّ بِوُجُودِهِمْ، فَمَنْهُم مَّنْ يَذْكُر ذٰلِكَ فِي أَوَّلِ مَدْحِهِ. كما فَعَلَ كَعْب بن زُهَيْر، والإِمَام البوصيري فِي بُرْدتِهِ؛ وغيرهما. ومِنْهم مَن يَسْتعمله في آخِرِ مَدْجِهِ، كما فعل النَّاظم حيث قال:

مَاذَا يَقُولُ اللَّوَاحِي ضَلَّ سَغِيْهُمُ وَمَاذَا تَقُولُ الْأَصَادِي زَادَ مَغْسَاهُ هَلْ غَيْرُ أَنِّي أَهْوَاهُ وَقَدْ صَدَقُوا لَا نَعَمَ نَعَمَ أَنَّا أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ لَا عَلَم

قلتُ: التَّلاحِي: هو التَّخَاصُم. وَتَلاَحَى فُلاَنٌ وفُلاَنٌ تَخَاصَمَا. واللَّوَاح: جمع لاثحة أي مُخَاصَمَة وَمَاذًا: إِمَّا أَن تكون اسْتِفْهامية بُرُمَّتِهَا. أَوْ ذَا مَوْصُولة. وَمَا اسْتفهامية. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى طريق التَّشْبِيبِ والنَّسيبِ: مَاذَا: أَيْ أَيُّ شَيْءٍ تقول اللَّوَاحِي. فِي لَوْمِي وَعِتَابِي على مَحَبَّة الْحَبيب. أَوْ مَا الَّذِي تقولُهُ الْعَوَاذِلُ والرقبًا فِي عَذْلِي ولوْمِيْ عَلَى فَرْطِ مَحَبَّتِي، والتَّهَالك في عشقِي أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ، وَخَيِّب قَصْدَهُمْ. فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا سُلْوَانِي مِنْ عشقِي، وبُعْدي من حَبِيبِي. فَلاَ أَسْمَعُ قَوْلَهُم. وَلاَ أَقْبَلُ نصحَهُمْ. وما تقول الأعَادي، أيْ أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُهُ الأُعَادِي والحُسَّاد فِي دُخُولهم بَيْنِي وبين مَحْبُوبي؛ بِالتَّخْلِيظِ والتَّخْوِيفِ. فَمَا وقَعَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ. إِلاَّ لِمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّة إِقبال الْمَحبُوبِ عليَّ. وتقريبه إيَّاي، واغْتِنَاثِهِ بِشَأْنِي. فاللَّهُ يزيدنِي مِنْ تِلكَ الْمَعْنَى ويحققنِي بِذْلِكَ الْمَقْصِد الأَسْنَى. وهل يَقُولُونَ شيئاً؛ غَيْرِ أَنِّي أَهْواه وأُحِبُّهُ. أَي لاَ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَعيبُوا عَليَّ شيئاً. إِلاَّ أَنِّي أُحِبَّهُ وَأَهْوَاهُ. ولَقَدْ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهِم. فَإِذَا أَقَرَّ بِذَٰلِكَ، وَأَفْصَحَ بالجَوَابِ. فنقول: نَعَمْ نَعمْ. أَنَا أَهْوَاهُ. ثم أَهْوَاهُ وَلاَ نَسْلُو عنه أَبَداً. وهذا الذي ذَكَره الشيخ من ذِكر الخُصُوم والأَعَادي، لاَ يشترط تحققه فِي الخارج. بل ذْلِكَ مِن فِعْلِ الشعراءِ. أَوْ يُسَمَّى التَّغَزُّل والتشبيب والنَّسيب. يَحْسُن ذِكرهُ فِي أَوَّل المَدْح، أَوْ فِي أَثْنَاثِهِ كما تَقَدُّم. ويمكن أَنْ يُقْصد بِذَٰلِكَ مَنْ يلومه عَلَى التجريد، وتزك الأَسْبَاب، والانقطاع إلى المحبوب لا سِيَمًا إِنْ كَانَ لَهُ مَنْ يتعلُّق بِهِ مَنْ أَهْلَ وَأَوْلاَد. فَإِنَّ أَهْلَ الظَّاهِرِ لاَ يُسَلِّمُونَ لأَهْلِ الباطِنَ فِي هٰذَا المَعْنَى، وكذلك تخريب الظاهر، وإتلاف المال الذي يشغل الباطنَ. فَإِنَّ غالبَ النَّاسِ يَعيبُون على من يفعل ذٰلِكَ.

وقَذْ فسَّر بعضهم العواذل والرقبا، والأعادي بالنفس والشيطان والهَوَى والذّنيّا؛ وكل ما يشغل عن اللهِ. ذكره في شرح تائية ابن الفارض وقال: هذا مراد الصوفية بِالعواذِلِ والرقبا وهو حَسنٌ. ثم إِنَّ هذه العواذِل؛ وهي القواطع التي تقطع عن الله تعالى؛ هي في الظّاهر قواطعُ. وفي الباطِنِ محسُوساتٌ. ومُوَصِّلاتٌ إلى اللهِ تَعَالَىٰ وعلى هٰذَا الوجه ذَكرَهُمْ صاحِب الحِكم العطائية رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فقال في شأنِ النّفسِ: «حَرَّكَ النّفسَ عليْكَ ليدُومَ إِقْبَالكَ عليْهِ». وقال في شأنِ النّفس: ﴿ وَقَالُ في شَأْنِ الشّيطانَ لاَ يَعْفل عَنْكَ، فَلاَ تَعْفَلْ أَنْتَ عَمَّنْ نَاصِيتُكَ بِيَدِهِ». وقال في شأنِ الدُّنيّا: ﴿ إِنّما جَعَلَهَا مَحَلاً لِلاَّكَدَارِ تَزْهيداً عَمَّنْ نَاصِيتُكَ بِيَدِهِ». وقال في شأنِ الدُّنيّا: ﴿ إِنّما جَعَلَهَا مَحَلاً لِلاَّكَدَارِ تَزْهيداً

لكَ فِيهَا». وقال في شَأْنِ النَّاسِ: إِنَّمَا جَرَى الأَذَى عَلَيْهِمْ كَيْ لاَ تَكُونَ سَاكِناً إِنَيْهِم. أَرَاد أَنْ يُزْعِجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، حتى لاَ يُشغلكَ عَنْهُ شَيْءٌ».

وقد كَانَ شَيْخِ شَيْخِنَا مَوْلاَي العَربِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فَى شَأْنِ النَّفْس إِذَا اشْتَكَى لَهُ أَحَدٌ بِنفْسِهِ. جَزَاهَا اللَّهُ خيراً عَنِّي. واللَّهُ مَا رَبِحْنَا إِلاَّ مِنْهَا. يَغْنِي أَنَّهُ جَاهَدَهَا وَرَيَّضَهَا حتى انْقَادَتْ، وَأَسْلَمَتْ وَتَرَوْحَنَتْ. فَجَعَلَتْ تَأْتِيهِ بِالعلوم والْمَوَاهِبِ مِنْ أَسْرَار الْغَيْبِ، فَإِنَّ الرُّوحِ كَانَ أَصْلَهَا عَلاَّمَة دَرَّاكَةً. فَمَا حَجَبَهَا إِلَّا الشَّهَوَات، والعوائد التِّي تَعَوَّدَتْ بِهَا حَتَّى تَظَلَّمَتْ. فَسُمِّيَتْ نَفْساً. فإِذَا مُنِعَتْ مِن شَهَوَاتِهَا وعوائِدهَا، رجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا. وَإِلَى لهٰذَا الْمَعْنَى، أَشارَ ابْن البنّا في مَبَاحِثِهِ حيث قال:

> وَلَهُ تَسَزَلُ كُسلُ نُسفُوسِ الأَحْسِبَا وَإِنَّسَا تسعسوفُهَا الْأَبْسِدَانُ فَكُلُ مَن أَذَاقَهُمَ جِهَادَهُ ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَإِنْ يَقُولُوا بِأَنَّ الْحُبِّ مَعْصِيَةً فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُلْقَى بِهِ اللَّهُ

غلامة دراكة للأشيا وَالْأَنْفُسِ السنرَّاعُ وَالسُّيْطَانُ أظهر للقاعد خزق العاده

أَسْتَغْفِرُ اللَّه إلا مِن مَحَبَّتِه فَإِنْهَا حَسنَاتِي يَوْمَ أَلْقَاهُ

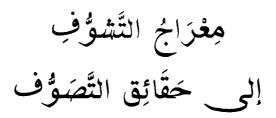
يَقُول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّه: أَيْ أَطلُبُ مَغْفِرَتهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ يَصْدُرُ مِنْي، قَوْلاً وَعَمَلاً وعقداً. إلاَّ مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَإِنها لاَ يَدْخلها خَلل؛ لأَنها محمودة في كل حَالٍ. فلا تحتاج إلى اسْتغفار فَتَقُولُ له: الحبُّ أَحْسَن ما يُلْقى بِهِ اللَّهُ. لقوله ﷺ: «مَنْ أَحَبُ لَقَاءَ اللَّهِ، أَحَبُ اللَّه لِقَاءَهُ﴾(١). وَلاَ يُحِبُ لقاء اللَّهِ، إِلاَّ مَنْ تَمَكّنت مَحَبَّة اللّه فِي قَلْبِهِ. فَظَهَرَ أَنَّ المحبَّة أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ، وَأَكْمل الحالاتِ، فَلاَ تَفتقِرُ إِلَى اسْتِغفَار ولذلك قال القطب ابن مشيش: «واعْلَمْ أَنَّ حُبُّ اللَّهِ قُطْبٌ تَدُورُ عليه الخيْرات. وَأَصْلُ جَامِع لجميع الكَرَامَاتِ"، إلى آخِرِ

⁽١) رواه البخاري في صحيحه، باب من أحب لقاء الله..، حديث رقم (٦١٤٢) [٥/ ٢٣٨٦]. ومسلم في صحيحه باب من أحب لقاء الله..، حديث رقم (٢٦٨٣) [٤/ ٢٠٦٥] ورواه غيرهما.

كَلاَمِهِ فِي بَعْضِ وَصَايَاهُ.

ثم اغلَم أنَّ لهذِهِ المحبَّة الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ المَقَامَات؛ إِنما تكون مَعَ تمام المعرفة، إِذ المحبَّة بلا مَغْرِفَةٍ، قد يَصْدُرُ من صَاحِبهَا سُوءُ أَدَبٍ بِمَا يَصْحَبُهَا مِنَ الْقَلَقِ، أَو الإِذْلاَل في غَيْرِ مَحَلِّهِ. فيُطرَدُ وهو لاَ يشْعُرُ بخلافِ مَنْ تَرَقًى إِلَى الْقَلَقِ، أَو الإِذْلاَل في غَيْرِ مَحَلِّهِ. فيُطرَدُ وهو لاَ يشْعُرُ بخلافِ مَنْ تَرَقًى إِلَى مَقَامِ المَعْرِفَةِ، بَعْدَ كَمَال المحبَّة. فالأدب مُحَقَّقٌ لَدَيهِ. إِذ المعرفة لا تكونُ إِلاَّ بَعْدَ التَّهْذِيب وَالتَّاديب. فيلزَمُهُ الرَّضى والتَّسْليمُ. والصَّبرُ والتوكل. وغَيْر ذٰلِكَ مِنَ المَقَامَاتِ؛ لأَنْ الْمَعْرِفَةَ ضَمَّتُهُ لجميع ذٰلِكَ. إِذ لاَ يَسْلك لَهَا إِلاَّ وقطع هذه المقامات. بخلاف المحبَّة وَحُدَهَا: فقد توجد مَعَ الحجاب. فيكُون صَاحبُهَا غَيْر كَامِل، كما هُوَ شأن كثير من العُبَّادِ والزُّهادِ، والعُشَّاق.

وَأَمَّا المعرفة فلا تَحْصُل إِلاَّ بَعْدَ التَّرْبِية والتأديب، والتهذيب بعد التدريب والتَّهْذيب. فصاحِبُها مَأْمُون من سُوء الأَدَبِ فِي الْغَالب. مَنَحَنَا اللَّهُ مِن معرفته الكَامِلَةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ، إِنه سَمِيع قريبٌ مجِيبٌ. بِجَاهِ سيّدنا ومَوْلاَنا محمَّد، الكَامِلَةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ، إِنه سَمِيع قريبٌ مجيبٌ. بِجَاهِ سيّدنا ومَوْلاَنا محمَّد، أَفْضَل كُل مُحِبّ وَحَبِيب. صَلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعِتْرَتِهِ وَأَحْزَابِهِ وسلم تسليماً. والحمد لله رب العالمين.



لسيدي أحمد بن عجيبَة رضى الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرفاوي

بنسمه ألقو النخن التحسير

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

١- الشرح الأول: مِعْرَاجُ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ.

قال الشيخ الإمام، بحر الهُمَام. الصوفِي الكَامِل، والعارف الواصل بحر الحقائق العِرْفَانِية، وشمس المعارف العِيَانية، أَبُو العباس سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه وأَرْضاهُ. وجَعَل في حضرةِ القُدْسِ مُتَقلبه ومثواهُ.

الحمْدُ للَّهِ الذي حَقَّقَ الْحَقائِق، وأَوْضَحَ الطرائق. والصَّلاَة والسلام على مَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ سيّد الخلائق. المخصوص بتواتر المُعْجِزَاتِ. وتظاهر الخوَارق، ورضي الله تعالى عن أضحابه الأَعْلاَم، الذين أَظهر الله بهم دينَه القويم، في أقصى المغارب والمشارق.

وَبَغُدُ: فَعِلْمُ التَّصَوُّفِ هو سَيّدُ العلومِ ورئيسُهَا، ولُبَابِ الشَّرِيعَةِ وأَسَاسُهَا. وكيف لا وهو تفسير لمقام الإحسان، الذي هُوَ مقام الشهود والْعِيَان. كما أن علم الكلام، تفسير لمقام الإيمانِ. وعلمُ الفِقْهِ تفسير لمقامِ الإِسْلامِ. وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام، على تفسير الجميع. فإذا تقرّر أنه أفضل العلوم، تَبَيِّنَ أَنَّ الإِسْتِغالِ بِهِ أَفْضلُ ما يُتَقَرِّبُ به إلى الله تعالى، لِكَوْنِهِ سبباً لِلْمَعْرِفَةِ الخَاصَّةِ، التي هي مَعْرِفة العَيانِ. وقد اشتمل على حقائق عريقة. وعبارات دقيقة، اصطلح القوْمُ على استِعْمالِهَا. فينبغي الوُقوف على مَعانيها. لمَن أَرَادَ الخَوْضَ فيهِ. والوقوف على مَعانيهِ.

وقد أردت بحول اللَّهِ وقوَّته أَنْ أجمع نبذَة صالحة من حقائق هذَا الفِّنّ

واصْطِلاحَاتِهِ. لعلَّ الله ينفع من يريد الوقوف على هَذَا العلم. وسَمَّيته: مِعْراجَ التشوفِ، إلى حقائق التصَوُّفِ. وبالله التوفيق؛ وهو الهادي إلى سواء الطريق. وسَأَذكر لكُلُّ حقيقة ما يَتَّصِلُ بهَا بدايةً ووسطاً، ونهاية.

النَّصَوُفُ: علمٌ يعرف به كَيْفِيَّة السلوكِ؛ إلى حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ أَوْ تَصفِية البواطِنِ مِنَ الرَّذَائِلِ وتَحْليتها بأنواع الفضائِلِ أَوْ غَيْبَة الخَلْقِ فِي شهود الحقّ، أو مع الرجوع إلى الأثرِ فِي أَوَّلِهِ عِلمٌ. وفي وَسَطِهِ عَمَلٌ. وَآخِره مَوْهبَة.

واشْتِقَاقِهِ، إِمَّا من الصَّفَاءِ؛ لأَنَّ مَدَارِه عَلَى التصفية، أَو مِنَ الصَّفَة؛ لأَنَّهُ اتصافٌ بِالْكَمَالاَتِ.. أَوْ من صُفَّةِ المَسْجِدِ النَّبَوِي؛ لأَنَّهُمْ مُسْبَهُونَ بِأَهْلِ الصَّفَّة في التوجّهِ والاِنْقطاعِ. أَوْ من الصّوف. لأَنَّ جُلَّ لباسهم الصّوف. تعَلَّلاً من الدُّنيا وَزُهدا فيها. اَختَارُوا ذلِكَ لأنه كان لباس الأنبياءِ عليهم السَّلامُ. هذا الاستقاق أَنْسَبُ إليه لغة، وأظهر نِسْبَة؛ لأنَّ لبَاسَ الصُّوفِ، حكم ظاهِرٌ على الطَّاهِرِ، ونسْبتهم إليه أَمْرٌ باطِنٌ. والحكم بالظاهِر أوفق وأقرَبُ. ويُقال: تصَوَّف، إذا لبِسَ الصوف. كما يُقال: تَقَمَّصَ إذا لبِسَ القميصَ.

والنسبة إليه صُوفِي. قال سَهْلُ التستري:

الصُّوفِي: مَن صَفَا منَ الكَدَرِ. وامْتَلاَ مِنَ الفِكَرِ. وانقطع إلى اللَّهِ من التبشيرِ، واسْتوى عنده الذَّهَبُ والمَدَرُ. أَيْ لاَ رَغْبَةً لهُ في شيءٍ دُونَ مَوْلاَهُ.

وقال الإمام الْجُنَيْدُ: الصَّوفي، كالأرض، يطرح عليها كل قبيح، وَلاَ يخرج منها إلاَّ المليح. وقال أيضاً: الصوفي كالأرْضِ، يطؤها البَرُّ والْفَاجِر. وكَالسَّماءِ يُظِلُّ كلَّ شيءٍ، وكَالمطَرِ، يسْقي كل شيْءٍ.

النَّوْيَةُ: الرجوع عَنْ كُلِّ فغلٍ قبيحٍ، إلى كل فغلٍ مَليحٍ. أَوْ وَصْفٍ دَنِيَ، إلَى التحقق بكلِ وصف سَنِيًّ. أَوْ عن شهود الخلق، إلى الاِستغراق في شهُودِ الحقّ.

وَشُرُوطها: النَّدَمُ، والاِنقطاع ونفي الإِصرار؛ وأَمَّا رد المظالم، فَفَرْض مُسْتَقِلٌ تصِحُ بِدُونِهِ. كَما تَصِحُ من ذَنبِ مَعَ الإِصْرَادِ على آخَرَ من غَيْرِ نَوْعِهِ.

فَتَوْبَةُ العَامَّةِ مِن الذُّنوبِ. وتَوْبة الخَاصَّةِ مِنَ الْعُيُوبِ، وتوْبة خَاصَّة الْخَاصَّةِ مِن كُلِّ ما يشغل السَّرَّ عن عَلاَّم الغيوبِ. وكُلِّ المَقَامَات تفتقر إلى

التَّوْبَةِ. فَالتوبة تفتقِر إلى توبةٍ أُخرى بِعَدَمِ نصوحِهَا. والخوف يفتقِر إِلَيْهَا، بِحُصولِ الأَمْنِ وَالإِغْتِرَارِ. والرَّجَاء بِحصولِ القنوطِ والإِياس. والصَّبر بحصول الجزَع. والزَّهْد، بخواطر الرَّغْبَة. والوَرَع، بتتبع الرُّخْصِ. بخواطِر الطمع. والتوكل؛ بخواطِر التَّدْيِيرِ وَالاختيارِ، والاهتمام بِالرَّزقِ، والرَّضَى، والتسليم بالكرَاهية. والتبرّي عند نزول الأقدار. والمراقبة بسُوءِ الأدَبِ في الظَّاهِر. وخواطر السَّوءِ في الباطِنِ والمحاسَبة بتضييع أوقات فِي غَيْر ما يقرّب إلى الحقِ. والمحبّة بمَيْل القلْبِ إلى غَيْر المحبوب. والمشاهدة بِالتفاتِ السَّرَ إلى غير المشهود. أو باشتغالِه بالوُقُوفِ مَعَ شيءٍ مِنَ الحسَّ وَعَدم زيادة التَّرَقي في غير المشهود. أو باشتغالِه بالوُقُوفِ مَعَ شيء مِنَ الحسَّ وَعَدم زيادة التَّرَقي في مَعَارِج الأَسْرار. ولذلك كَان عليه الصلاة والسلام، يشتغفِرُ في المجلس الواحِدِ منع مرَّة أَوْ مِنة. والتوبة النُصُوح يجمعُهَا أَرْبعة أَشياء:

الاستغفّارُ بِاللسانِ، والإِقلاع بالأَبْدَانِ. وعَدَم الإِصرارِ بالجنانِ، ومُهَاجرة سيء الخِلاَّنِ.

وقال سُفْيَان الثَّوْرِي: علامة التوبة النصوح أَرْبعَة:

القِلَّة، والعِلَّة، والذَّلَّة، والغزبة.

الإِنَابَةُ: وهي أَخَفَ من التوبة: لأَنه رُجُوع يَصحبه إنكسارٌ، ونُهُوضٌ إِلَى السَّيْرِ. وهي ثَلاَث مَرَاتب: رُجُوع من الذَّنبِ إلى التَّوْبَةِ. ومِنَ الخَفْلةِ إِلى التَّوْبَةِ. ومِنَ الغَفْلةِ إِلى اليَّقَظَةِ. ومِنَ الفَرْقِ إلى الجمع على اللَّهِ.

الْخَوْفُ: اِنْزِعَاجُ القلْبِ من لحوقِ مكْروهِ، أَوْ فَوَاتِ مَرْغُوبٍ، وتَمَرَته: النَّهُوض إلى الطاعةِ. والْهُرُوبِ من المعصية. فإظهارُ الخوْفِ مَعَ التقصير دَعْوَة. فخوْفُ العَامَّة من العِقابِ، وفَوْت الثَّوابِ، وخَوْف الخاصَّة من العِقابِ، وفوْت الاِقترابِ. وخَوْف سوءِ الأَدَبِ. الإِقترابِ. وخَوْف سوءِ الأَدَبِ.

الرَّجَاءُ: سكون القلْب إلى انتظار مخبُوبٍ، بشُرطِ السَّعْيِ في أَسْبَابِهِ. وَإلاَّ فَأُمْنِيَةٌ وغُرُورٌ. فَرَجاء العامَّة حسن المَآبِ بِحصول الثواب، ورجاء الخاصَّة: حُصُول الروضوان والإقتراب. وَرجَاء خاصَّة الخاصَّة، التمكّن من الشهود، وزيادة الترقي في أَسْرار المَلِك المَعْبُودِ. والخوْف والرجاء للقلْبِ، كَجَناحَي الطَّائر. لاَ يطير إلاَّ بِهِمَا. ورُبَّمَا يُرجَّح الرجاء عند العارفين، والخوف عن

الصالحين.

الصَّبْرُ: حَبْسُ القلب عَنْ حُكم الرَّبِّ. فَصَبْرُ القَلْبِ على مشاقَّ الطاعاتِ. وَرَفض المخالفات. وصَبْر الخاصَّة: حَبْس النَّفس عن الرياضيات والمجاهرَاتِ. وارْتكاب الأهوالِ، في سلوكِ طريق الأحوالِ. مع مراقبة القلبِ في دوام الحُضُور، وطلب رفع الستور. وصَبْر خاصَّة الخاصَّة: حَبْس الرُّوحِ والسِّرُ في حضرة المشاهداتِ والمُعَاينَاتِ، أو دوام النَّظرَةِ، والعكوفِ في الحَضْرَةِ.

الشُّكْوُ: فَرَحُ القَلْبِ بِحصول النَّعمَةِ، مَعَ صَرْف الجوارحِ في طَاعَةِ الْمُنْعِم، والاعتراف بنعمة المُنعِم على وجه الخضوع، ومَرْجعه لثلاثِ:

شُكْر باللِّسَانِ: وهو إعترافِه بِالنَّعْمَةِ بِنَعْتِ الاسْتِكَانَةِ، وشكر بالبَدَنِ. وهو اتَّصافه بالخِدْمَةِ. وشكر بِالقَلْبِ، وهو شهُود الْمُنْعِم عند حُصُولِ النَّعْمَةِ.

الْوَرَعُ: كفّ النّفْس عنِ ازتِكَابِ مَا تُكْرَهُ عاقِبَتُهُ. فَوَرَعُ الْعَامَّةِ: تَرْكُ الْحَرَامِ والْمُتَشَابِهِ، وَوَرَعُ الْخَاصَّةِ: تَرْكُ كلِّ مَا يَكَدَر الْقَلْبَ، ويَجد مِنْه كزَازة وظُلْمَة. ويجمعُهُ قولهُ عليه الصلاة والسلام: «دَعُ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»(١). وَوَرَعِ عَاصَّة الخاصَّة: رفض التعلق بِغَيْرِ اللّهِ، وسَدّ بابِ الطَمَعِ فِي غَيْرِ اللهِ. وعكوفُ الْهَمِّ على اللهِ. وَعَدَمُ الرّكُونِ إلى شَيْءٍ سِوَاهُ. وهٰذَا هو الوَرَع الذي هو ملاك الدين. كَمَا قال الحسن البصري حين سُئِلَ. ما ملاك الدّين؟ فقال: الوَرَع. فقيل له: وما فسَاد الدِّين؟ فقال: الطَّمَعُ، فالوَرَعُ الذي يقابل الطمع، كل المُقابَلة. هو وَرَع خَاصَّة الخاصَّة. وجزء منه يَعْدِل اللهَا من الصّلاة والصيام. ولذلكَ قال في التنوير: «وليس يدلّ على فَهْمِ العَبْد كَثْرَة عِلمِهِ. وَلاَ مُدَاوَمَته على وَذِهِ. وإنما يدلُ على نورِهِ وقَهْمِهِ غِنَاه برَبُهِ. والخياشة إليهِ بِقلبِهِ. والتحرر على ورق الطَّمَع. والتحلّي بحلية الورع. يغني ورع الخاصَّة أو خاصَّة الخاصَة، والله تعالى أَعْلَمُ.

⁽١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، حديث رقم (٢١٦٩) [٢/ ١٥] وابن حبان في صحيحه، ذكر الزجر عما يريب المرء من أسباب هذه الدنيا: حديث رقم (٧٢٧) [٢/ ٤٩٨] ورواه غيرهما.

الزُّهْدُ: خُلُو الْقَلْبِ مِنَ التعلقِ بِغَيْرِ الرَّبِّ. أَو بُرُودةُ الدُّنيا مِنَ الْقَلْبِ، وعزوف النفس عنها. فَزُهْد الْعَامَّة: تَرْكُ ما فَضُل عن الحاجَةِ في كل شَيْء، وَرُهْدُ الخَاصَّةِ: تَرْكُ مَا يشغل عن التقرب إلى اللهِ في جميعَ الأوقاتِ. وحاصل الجميع: بُرُودة القَلْبِ عن السّوى، وعن الرَّغْبَةِ في غَيْرِ الحبيبِ؛ وهو سبّب المحبة. كما قال عليهِ الصلاة والسلامُ: الزَّهَدُ فِي الدَّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ اللهُ المحبة؛ وهو سَبّب السّير والوصول. إِذْ لاَ سَيْرَ لِلقَلْبِ إِذَا تَعَلَّقَ بشيءٍ سِوَى المحبوبِ.

التُوكُلُ: ثِقة القَلْبِ بِاللَّهِ، حتى لاَ يَغْتَمد على شيء سواهُ. أو التعلق باللَّهِ، والتعويل عليه في كلَّ شيء، علماً بأنه عالم بكلِّ شيء. وأن تكون بما في يَدِ اللَّهِ، أَوْثَقُ مِنْكَ بِمَا في يَدكَ. فأذناهُ أنْ تكون مَعَ اللَّهِ. كالمُوكُل مَعَ الوكِيلِ الشفيق الملاطِف. ووسطهُ كالطفلِ مَعَ أُمّهِ، اللاَ يَرْجع في جميع أموره إلا إليها. وأغلاهُ أنْ تكون كَالْمَيَّت مع الغاسِل. فالأول للعامّة. والثاني للخاصة. والثالث لخاصة الخاصة الخاصة في المؤل قد يَخْطُرُ بِبَالِهِ تُهْمَة. والثاني لاَ إِنَّهَامَ لهُ. لكن يتعلّق بِأُمّهِ عِنْدَ الحاجَةِ، والثالث: لاَ إِنَّهامَ، وَلا تعلق لهُ. لأَنه فانٍ عن نفسِهِ. ينظر كل ساعة ما يَفْعل اللَّهُ بِهِ.

الرَّضَى وَالتَّسْلِيمُ: الرُّضَى تَلَقِّي التَمَالكِ بِوَجْهِ ضَاحِكِ. أَو سُرُورِ يجده القلبُ عند حلول القَضَاءِ، أَو تركِ الاِخْتِيَارِ مَعَ اللَّهِ، فيمَا ذَبْرَ وَأَمْضَى. أَوْ شرْح الصَّدْرِ وَرَفْع الإِنْكَارِ، لمَا يَرِد من الواحِد القهَّارِ.

والتسليم: ترك التَّذْبيرِ والاِختيار، بالسكونِ تَحْتَ مجاري الأَقْدَارِ. فيرادِف الرَّضَى يكون الرَّضَى يكون الرَّضَى يكون عند النُّزُولِ؛ وهو التفويض بعينِهِ. فبدايتهما بالصَّبْرِ والمجاهدةِ. ووسطهما بالسكونِ مع خواطر التبرّم والكراهية. ونهايتهما بفرّح وسكونٍ مَعَ عَدَم التبرُمِ.

⁽۱) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق حديث رقم (۷۸۷۳) [٤/ الله على الصحيحين، كتاب الزهد، حديث رقم (٤١٠١) [٢/ ١٣٧٣] ورواه غيرهما.

فالأولُ للعامّةِ، والثاني للخاصّة، والثالث لخاصّة الخاصّةِ. ويُغْتَفَرُ الخاطر الأوَّلُ عِنْدَ الجميع لضعفِ البشرية، إذ لاَ يَخْلُو منهُ بَشَرٌ.

الْمُوَاقَبَةُ: إِذَامَة عِلم العَبْدِ باطّلاعِ الرّبِّ. أَوِ القيام بحقوقِ اللّهِ سِرًا وَجَهْراً. خالصاً مِنَ الأَوْهَامِ. صادقاً في الإخترام؛ وهِيَ أَصْل كُلُّ خَيْرٍ، وبِقَدْرِهَا تكون المشاهدة. فَمَنْ عَظُمَتْ مُرَاقبَتهُ، عَظُمَت بعد ذلِكَ مُشاهدتهُ.

فَمُرَاقبةُ أَهْلِ الظَّاهِرِ: حِفظ الجوارحِ من الْهَفَوَاتِ. ومُرَاقبة أهلِ الْبَاطِنِ: حفظ القُلُوب من الاسْتِرسَالِ مع الخواطر والغفلاتِ. ومُراقبة أَهْلِ باطنِ الباطِنِ: حفظ السَّرِّ من المساكنة، إلى غَيْرِ ذلِكَ.

المُحَاسَبَةُ: عتابُ النفسِ على تضييع الأنفاسِ والأوقاتِ، من غَيْر أَنْوَاع الطَّاعَاتِ. وتكون آخر النَّهارِ كمَا أَنَّ المشارطة، تكون أَوَّلَ النَّهار. يقول لنفسهِ في أَوَّل نهاره: هٰذَا يوم جَديدٌ؛ وهو عليك شَهيدٌ. فاجتهدِي في تعمير أَوْقاتِهِ، بما يقربكَ إلى اللَّهِ، ولو مِت بالأمسِ لفَاتَكِ الخَيْر الَّذِي تَفُوزِينَ بِهِ فِيهِ. وكذلكَ يقول لها عند إقبالِ اللَّيْل، ويُحَاسبها عند إِدْبَارهِ. هكذا يدوم عليها ومعها حتَّى يتمكَّنَ مِنَ الحَضرَةِ. فحيتنذ يتحدُ الوقت؛ وهو الاسْتِغْرَاق في الشهودِ. فَلاَ يَبْقَى مَن يُحاسب، وَلاَ مَنْ يُعاقب. فتحصَّلَ أَنَّ المُشَارطَة أَوَّلاً، والمحاسبة أخيراً والمراقبة دائماً، ما دَامَ في السَّيرِ. فإذا حَصَلَ الوُصُول، فَلاَ محاسَبَة وَلاَ مُشارطة.

الْمَحَبَّةُ: مَيْلٌ دَائِمٌ بِقلبٍ هَائم، وَيَظهر هٰذَا الْمَيْلُ أَوَّلاً على الْجَوَارِحِ الظَّاهرة بالخدمة؛ وهو مقام الأبرار. وثانياً على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية. وهو مقام المزيد مِنَ السَّالكين. وثالثاً على الأرواح والأسْرَار الصافية. بالتمكين من شهود المحبوب؛ وهو مقام العارفينَ. فبداية المحبَّة، ظهور أثرها بالخِدمّةِ. وَوَسَطها ظهور أثرها بِالسكرِ والهِيَام. ونهايتها ظهوره بالسكون والصَّحْوِ في مقام العرفانِ. فلهذَا انقسم النَّاس على ثلاث مَرَاتبَ:

أَرْبَابُ الخِدْمَةِ، وأَرْبابِ الأخوال، وأَرْبابِ المقامات. فَبِدَايَتهَا سُلوكُ، وخِدمة، وَوَسَطُهَا جَدْبٌ وَفنَاءٌ، وَنِهَايَتُهَا صَخوَ وَبَقَاءً.

المُشَاهَدَةُ وَالْمُعَايَنَةُ: المُشاهدة: رؤية الذَّات اللطيفة، في مَظَاهِرِ تجلَّيَاتها

الكَثِيفة. فترجع إلى تكثِيفِ اللطيفِ، فَإِذَا ترَقَّق الوِدَادُ، وَرجعتِ الأنوار الكثيفة لطيفة؛ فهِيَ المُعَايَنَةُ، فترجع إلى تلطيفِ الكثيف. فالمعايَنَة أَرَقَ منَ المُشَاهدةِ وَأَتَمُّ.

والحاصِلُ، أَنَّ شهود الذَّات، لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ بِوَاسِطَةِ تَكثيفِ أَسْرَارِهَا اللطيفة في مظَاهر التجليات. إذ لاَ يمكِنُ إِذْرَاكُ اللَّطيف، ما دَامَ لطيفاً. فرؤية التجليات كثيفة مشاهدة. وَرَدّها إلى أَصْلِها بِانطِبَاقِ بَحْرِ الأَحَدِية عليْها مُعَايَنَة، وقيل هما سواء.

الْمَعْرِفَةُ: وهي التَّمكين من المشاهدة واتصالهَا؛ فهي شهود دَائم، بِقلبِ هَائِمٍ. فَلاَ يشهد إِلاَّ مَوْلاَهُ. وَلاَ يَعْرِج على أَحَدِ سواهُ. معَ إِقامَة العدلِ وحفظ مَراسِم الشريعة. فهَذه حدود مقامات قد انتهَتْ في المعرفة.

التَّقْوَى: وهي إمتثالُ الأوامر، واجتناب المَنَاكر، في الظواهِرِ والسَّرَائر. ومواصلة الطاعات. والإعراض عن المخالفاتِ. فتقوى العامَّة: اجتنَابُ الذنوبِ. وتقوى خاصَّة الخاصَّةِ: الغَيْبَة عَنِ السَّوء به، بالعكوف في حضرة عالم الغيوبِ.

الاستقامَةُ: اِستعمال العلم بأقوال الرسول ﷺ. وأفعاله وأقواله وأخواله وأخواله وأخلاقه، من غَيْر تعمق وَلاَ تأنقٍ. وَلاَ ميْل مع أو عدم الوسواس. أو الخروج عن المَعْهُودَات، ومفارقة الرسوم والعادات. أو القيامِ بيْن يدي الله تعالى، على حقيقة الصّدْقِ في جميع الحالات. وهي في الأقوال بِتركِ الغِيبَةِ، وفِي الأفعال بتَرْكِ البِدْعَةِ، وفي الأخوال بعدَم الخروج عن سنَنِ الشريعة.

فَاسْتِقَامَة العامَّة بموافقة السُّنَةِ. واسْتقامَة الخاصَّة، بالتخلق بالأَخْلاَقِ النَّبِيلة. واسْتقامة خاصَّة الخاصَّة بالتخلق بِأَخلاقِ الرخمٰن، مع الاستغراق في حضرة العِيَانِ.

الإِخْلاَصُ: إخراج الخلق مع معاملة الحقّ. وإفراد الحق تعالى في الظاعة بالقَصْدِ. أَو غَيْبَة القلبِ عن غَيْرِ الرَّبِّ. فَإِخْلاَصُ العامِّةِ، تصفية الأعمال عن ملاحظةِ المَخْلُوقينَ. وإِخلاص الخاصَّة: تصفيتها عَنْ طَلَبِ الْعِوْضِ في الدَّارَيْنِ. وإخلاصُ خاصَّة الخاصَّة: التبرّي من الْحَوْلِ والقوةِ، ومِن رؤيةِ الغيْر

في القصْد والحركة حَتَّى يكونَ الْعَمَل بِاللَّهِ، وإلى اللَّهِ، غاثِباً عَمَّا سِوَاهُ.

الصّدْقُ: إسْقاط حظوظ النَّفْس، في الوِجْهَة إلى اللَّه تعالى. تعويلاً على ثَلَجِ اليَقينِ. أَو استواء الظَّاهِ والباطن في الأقوال والأفعال والأخوالِ أو ملاَزَمَة الكتمَانِ، غيْرة عن أَسْرار الرحمْن. وَحَاصله: تصفية الباطِن من الالتِقَاتِ إِلَى الغَيْرِ بالكلية. والفَرْق بيْنهُ وبيْن الإِخلاصِ، أَنَّ الإِخلاصَ يُنْفِي الشُّرْكَ الجلِي والخَفي. والصَّدْق يُنْفِي النَّفاق والمداهنة بالكلية. فمثال الصَّدق مع الإخلاصِ، كالتَّشْجِرَةِ للذَّهَبِ. فهُو يُنفِي عنه عوارض النفاق. ويصفيه من كدورة الأوهام. وذلِك أَن صَاحِبَ الإِخلاصِ، لاَ يَخْلُو من مُدَاهَنةِ النَّفْسِ، وَمُسَامحة الهَوَى، بخلافِ صاحب الصدقِ، فإنهُ يُذهب المُداهنات، ويرفع المسامحات. إذ لاَ يشتم رائحة الصَّدْقِ من دَاهَن نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ فيما دُق أَو جُلِّ. وعلاقة الصدق: اسْتواءُ السَّرُ والعَلانيةِ. فلا يُبالِي صاحب الصَّدْقِ بكشف ما يَكرهُ إطلاع النَّاس عليه، وَلاَ يَسْتحيي مِن ظهوره لغَيْرِهِ إِنْتِفاءً بعلم اللَّهِ بِهِ.

فصِدْق العامَّةِ، تصفية الأعمال، من طلب الإعراضِ. وصدق الخاصَّة، تصفية الأخوَال، من قصد غَيْر اللَّهِ. وصِدق خاصة الخاصَّة: تصفية مشْرَبِ التوحيد، من الإلْتفَاتَاتِ إِلَى ما سِوَى الله. ويقالُ لصاحب المقام الأول صادقٌ. والثاني والثالث صِدِّيق. وأما التصديق بوجودِ الحق أو بوجودِ الخصوصية عند الأولياء، وتعظيمهم لأجلها. فَهُوَ تصديق لا صِدَق. خلاف ما يعتقده بعض فقراءِ زماننا هذا. ويُقال لمَن عظم تصديقه: صديق أَيْضاً: فالصَدِّيق يطلق على من عظم صدقه وتصديقه.

الطُّمأُنِينَةُ: وهي سكون القلب إلى الله، عارياً عن التقلب والاضطرابِ، ثقة بضمانِه أو اكتفاء بِعِلْمِهِ، أو رسوخاً في معرفته، وتكون من وراء الحجابِ، بتواتر الأدِلَّةِ، واستغمال الفكرةِ، أو بتوالي الطَّاعةِ، ومجاهدة الرياضة، وتكون بعد زوال الحجاب، بتمكينِ النظرةِ، ورسوخِ المعرفة، فقوم اطمأنُوا بوُجودِ اللَّهِ من طريق البُرْهان أو البَيان، وقوم اطمأنُوا بشهودِ اللَّهِ بعد ظهورِهِ من طريق العِيانِ. فالأول للعلماءِ، والثاني للعُبَّادِ والزُهَّادِ والصالحينَ. والثالث للعارفين المتقريبينَ.

الشُّوقُ وَالاِشْتِياقُ:

الشوق: إفْرَاغ القلبِ إلى لقاءِ الحبيبِ.

والاِشتياق: إِرتياح القلب إِلَى دوام الاِتصَالِ بِهِ. فالشوق يزول برُؤيةِ الحَبيبِ ولقائِمِهِ. والاِشتياق لا يزول أَبدا بطلب الروح والزيادة في كشف الأشرَار، والقرْب إلى الأبد. فشوق العامّة إلى زخارِف جنَانِهِ. وشوق الخاصّة إلى نَيْل رضوانِهِ. وشوق خاصّة الخاصّة، إلى حَضرةِ عِيَانِهِ.

الْغَيْرَةُ: كراهية رؤية حبِيبكَ عندَ غَيْركَ. فيهيج التنافس في حيَازته. قال الشبلي: الغَيْرة غَيْرتانِ: غَيْرة البشرية على النفوس، وغيْرة الألوهية على القلوب. ومعناه: أَنَّ الطبع البشريّ يكْرَه أَن يَرَى مخبُوبَهُ عند غَيْره. كَالزَّوجَةِ مثلاً. والحق تعالى يَكْرَهُ أَن يَرَى قلوب أَوْليائِهِ متعلقة بِغَيْرهِ. وفي الحديث النبوي، الذي رَوَاهُ ابْن مسعود، وخرَّجه البخاري، وأحمد والترمذي، قوله ﷺ: «لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ». ولذلك حرَّم الفواحِش ما ظَهرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وما في الوجود إلاَّ الْغَيْرة الإلهية، سَرَتْ في مَظَاهر تجلياته. فَغيْرة النفوس للعامِّةِ؛ وهي غيْرتهم على هنكِ حرْمةِ حريمهم. وغيْرة القلوب للخاصَّة؛ وهي غيْرتهم على قلوبهم، أن تميل لغَيْر محبوبهم، وغيْرة الأرواح والأسرار، لخَاصَّة الخاصَّة؛ وهي غيْرتهم على محبوبهم، وغيْرة الأرواح والأسرار، لخَاصَّة الخاصَّة؛ وهي عَيْرتهم على وَيْيبِهم، أَنْ يميل مُن عَيْرتهم على حَيبِهم، أَنْ يميل مَيْرة على عَيْرتهم على حَيبِهم، أَنْ يميل في عَيْرتهم على حَيبِهم، أَنْ يميل في غَيْرهم، وعلى هذا الأمر العظيم، حُق للعبد أَن يَغَار كما قول الشاعر:

إِذَا لَـمُ أَتَـافِسْ فِي هَـوَاهُ وَلَـمُ أَغَرْ عَلَيْكَ فَفيمَن لَيْتَ شعري أَتَافِسُ فَلاَ تَمْقُتَنُ نَفْسِي فَأَنْتَ حَبيبُهَا فَكُلُ امْرِي مِيَصْبُو إِلَى مَن يُجَانِسُ

قد يغارُ الحق تعالى على أُوليائِهِ. فينتقم من أعدائهم إذا آذَوْهُمْ. ومن غَيْرته أَيْضاً عليهم: أَلاَّ يُظهرهم لجملة الخلقِ. فَيَضِنَ بهم على خلقِهِ، حتى يلقوْه تخت أَسْتارِ الخمولِ، وهم عرائشُ حضرتِهِ.

الْفُتُوَّةُ: وهي الإيثار على النَّفْس بِمَا تجبُّ. والإِحْسانُ إلى الخلق بِما يَجِبُّ. لِذَا قيل: لَمْ تَكُمُل الفُتُوّة إلاَّ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ يقول في مَوْضع: لاَ يذكر فيه أحداً حتى نفسه: ﴿أُمْتِي أُمْتِي﴾. وقيل: أَلاَ ترى لنفسِكَ فضلاً على غَيْرِكَ. والفتَى من لاَ خَصْم لَهُ، ومرجعها إِلَى السَّمَاح والتواضع، والشجاعة في

مَوْطِنِ الاِضْطِرابِ. ففتوَّة العامَّة بالأموالِ، وفتوّة الخاصَّةِ بِالنُّفُوسِ. وفتوة خاصَّة الخاصَّة بالأرواحِ وَبَذْل المُهَج في جَانِبِ المحْبُوبِ.

الإِرَادَةُ: هي قصد الوصول إلى المحبوب بِنَعْت المجاهدة. أو التحبّبِ إلى الله بمَا يَرْضَى. والخلوص فِي نَصيحة الأمّةِ، والأنس بالخلوةِ، والصّبر على مقاسات الأهوّالِ، ومُنَازلات الأحوّالِ، والإيثار لأمْرِهِ. والحياء من نظرهِ. وبَذْل المجهودِ في محبوبِهِ. والتعرّض لكل سبب يوصل إليه. ومحبّة من يَدرّ عليه، والقناعة بالخمولِ، وعدم سكون القلْبِ إلى شيء دون الوصول؛ وهي أول منزلة القادمين وطريق السّالِكِينَ.

الْمُرِيدُ: من لاَ إِرادةَ له دون مَوْلاَهُ؛ وهي ثلاثة مراتب: إِرادة التبرك والحُزمة؛ وهي لمَن ضعفتْ هِمَّتُهُ، أَوْ كثرتْ عَلاَئِقهُ. وإرادة الوصول إلى الحَضْرَة؛ وهي لأهل التجريد وقوَّة العَزْمِ. وإِرادة الخِلاَفة وكَمال المعرفة؛ وهي لِمَنْ ظَهَرتْ نَجَابَتهُ. وكَملت أَهليته. وصرَحَ له بالخلافة من شيْخ كامل. أَو هاتف صادِقٍ.

الْمُجَاهَلَةُ: وهي فَطْمُ النَّفس عن المألُوفاتِ، وحملها على مخالفة هواهَا في عموم الأوقات. وخرق عوائدها في جميع الحالات. قال بَعْضُهُم؛ مَرْجعها إلى ثلاث: لاَ تأكُلْ إِلاَّ عند الفاقة، وَلاَ تنامُ إِلاَّ عند الغَلَبَةِ. ولاَ تتكلَّمُ إِلاَّ عند الضرورة. ونهايتها المشاهدة، فَلاَ مجاهدة بَعْدَهَا. فلاَ تجمع مجاهدة ومشاهدة. إذ نهاية التَّعَبِ، تمام السَّفَرِ. فَإذا حَصَلَ الوصول، فما بَقِي إِلاَّ الرَّاحة. ومُشاهدة الحبيب مع حِفْظِ الأدَبِ، وهي ثلاث: مجاهدة الظَّوَاهر بدوام الطاعاتِ وكف المنهيات. ومجاهدة البواطن، بنفي الخواطر الرديئة، ودوام الحضور في الحضرةِ القدسية، ومجاهدة السَّرائِر باستدامة الشهودِ. وعدم الالتفات إلى غَيْر المعبودِ.

الْوِلاَيَةُ: وهي حُصُول الأنْسِ بعد المكابدة. واغتناق الرُّوح بعد المجاهَدةِ. وحاصلها: تحقيق الفناء في الذَّات، بعد ذَهاب حسّ الكائنات. فيفنَى ما لم يكُنْ ويَبْقى ما لم يزلْ. فأوَّلها التمكين من الفناء، ونهايتها التحقيق بالبقاءِ، وبقاء البقاءِ. ويَبْقى التَّراقي والاتساع فيها أَبداً سَرْمداً إلى مَا لاَ نهاية له. قال إبراهيم بن أَذْهَم لرَجلِ: أَتُحبُ أَنْ تكون لله وليًّا؟ قال نَعَمْ. قالَ لاَ تَرْغب

ني شيء من الذنيا والآخرة. وفرّغ نفسكَ لله عزّ وجلّ. وأقبِل بِوَجهكَ عليه. يرق عليك ويواليكَ. وقال غيْرُهُ: الوليّ من كَان همّهُ اللّهُ، وشغله اللّه. وفناؤه دائماً في اللّهِ. وتطلق على ثلاث مَرَاتب: ولآية عامّة؛ وهي لأهلِ الإيمَانِ والتقوى. كما في الآية؛ وهي قوله تعالى: ﴿أَلاّ إِنَ أَوْلِيالَةَ اللّهِ ايونس: ٢٦]. وَوِلاية خاصّة: وهي لأهل الاستشرافِ على العلم باللهِ. وَوِلاية خاصّة الخاصّة؛ وهي لأهل التمكن في معرفة اللهِ على نَعْتِ العِيَانِ. قيل: مَنْ أَوْلِياء اللهِ يا رسول الله؟ قال: «المتحابُونَ في اللهِ». وفي رواية: «اللهن نَظَرُوا إلى باطِن المنتا، حينَ نَظرَ النّاس إلى ظَاهرِهَا». (١) الحديث. فشمل الحديث وِلاَية الخاصّة، وَخَاصّة الخاصّة. والله تعالى أَعْلَمُ.

الْحُرِّيَّةُ: وهي تصفية الباطِنِ، من حُبِّ غَيْر الحقَّ، حتى لاَ تَبْقى فيه بقية لغَيْر اللهِ، وهذه الحرية الكَشبية؛ وهي سبب الظّفر بالحرية الوهبية؛ وهي غيبة العَبْد فِي مظّاهر الرَّبِّ. فتَنْتَفِي ظلمة الحدوث في نورِ الْقِدمِ. وتختفي قَوَالِبُ العبودية، فهي تجلّي مظاهر الرّبوبية. فيبقى الخلق بِلاَ خلْق. فحينئذ يكتب للعَبْد عقد الحرية، فتكون عبادة وعبودية. شكراً لاَ قهراً. كما قال سيّد

⁽۱) قال الإمام السيوطي في الدر المنثور: «أخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن وهب قال قال الحواريون: يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها وأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم وتركوا ما عملوا أن سيتركهم فصار استكثارهم منها استقلالا وذكرهم إياها فواتا وفرحهم بما أصابوا منها حزنا وما عارضهم من ناتلها رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فليس يجدونها وخربت بينهم فليس يعمرونها وماتت في صدورهم فليس يحبونها يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ويرفضونها فكانوا برفضها هم الفرحين وباعوها فكانوا ببيعها فيشترون بها ما يبقى لهم ويرفضونها فكانوا برفضها هم المثلاث فأحبوا ذكر الموت وتركوا ذكر الحياة يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيؤن به لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وليس يرون نائلا مع ما نالوا ولا أماني دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يحذرون.

العارفينَ ﷺ: «أَفَلاَ أكون عبداً شكوراً» (١)، وقال إِمَامُ هذِه الطائفة: الجُنَيْد: «عبادة العارف تَاجُ على الرّؤوس». يَعْنِي كمال الكَمَال.

الْعُبُودِيَّةُ: وهي القيام بِآدَابِ الرّبوبية، مع شُهودِ ضعف البشرية. وقال بَعْضهم: هي القيام بحق الطاعات، بشرط التوقير، والنظر إلى ما فيكَ بِعَيْن التقصير. أو تركِ الاختيَارِ. فيما يَبْدو من الأقدار. أو التبرّي من الحول والقوة، والإقرار بما يوليك ويعطيك من المِنّة.

وأجمعُ العبارات فيها، ما قاله ابن عطاء الله: حفظ الحدود، والوفاء بالعهود، والرضى بالموجود. والصبر على المفقود. قلت: وأخسَن ما في تفسير العبودية، أنْ تقدَّرَ أنَّ لكَ عبداً اشتريتهُ بمالِكَ. فكما تحب أن يكون عبدلُكَ معك، فكن أنت مع مَوْلاكَ. فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً من نفسِهِ وَلاَ من مالِهِ، وَلاَ يمكنُه مع قَهْرية سيّده تدبيرٌ وَلاَ اختيارٌ. وَلاَ يتزَيِّن إلاَّ بِزَيِّ العَبِيدِ أَهُل الخِدمة، ويكون عند أمر سيدِهِ ونَهْيِهِ. وإذا كان حاذقاً فاهماً عمل ما يُرضي سيده، قبل أن يدمره، ويفهم عن سيده بأدنى إشارة، إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدّبين. وقال أبو علي الدّقاق رَضِيَ الله عَنهُ: «العبودية أنم مِن العبادة ل العوام، والعبودية للخواص. قلت: والعبودة هي الحرية والعبودية للخواص. والعبودة هي الحرية الوهبية. والله تعالى أعلم.

الْقَنَاعَةُ: الاكتفاء بالقِسْمَة وعدَمُ التشوق للزيادة. والاسْتِغْنَاءِ بالْمَوْجودِ. وترك التشوق إلى المفقودِ؛ وهي الحياة الطيبة، والرزق الحسن في قوله تعالى: ﴿ لَيَتْرُنُقَنَّهُمُ اللّهُ رِزْقًا حَسَنَاً ﴾ [الحج: ٥٨]. أي والذين هاجروا في سبيل الله، ثم قيلَ بعضهم أو مات. ليَرْزقنَّ اللّهُ من بَقِيَ مِنْهُمْ رزقاً حسناً، وهي من ثمَرة الخِنَى باللّهِ. قال وَهْبُ بنُ مَنْبَهِ: ﴿ إِنَّ العِزَّ والْغِنَى، خرجا يجولاَنِ، فلَقِيَا الْقَنَاعة، فاسْتقَرًا فيها». ومرجعها إلى سَدِّ باب الطمع، وفتح باب الوَرَع. وهي

⁽١) رواه البخاري في صحيحه، باب قوله تعالى: اليغفر لك الله. ١٠ حديث رقم (٢٥٥٦) [٤/ ١٨٣٠] ومسلم في صحيحه، باب إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة، حديث رقم (٢٨١٩) [٤/ ٢٧١١] ورواه غيرهما.

مَطْلُوبَةٌ في أُمُور الدُّنيا فقط. وأمَّا فِي أُمُور الآخِرَةِ، أَوْ في زيادة العلم. والترقية في المعرفة فمَذْمُومَة؛ ولذا قيل: «القَنَاعة مِنَ اللَّهِ حِرْمَانٌ».

الْعَافِيَةُ: وهي سكونُ القلْب وخُلُوهُ مِنَ الانزعاجِ والاضطرابِ والتَّقلُب. وَمُ إِنْ كَانَ بِالسكونِ إلى الله، والرّضَى عنهُ؛ فهي العافية الكاملة. وإن كَان بِجَرَيَانِ الأَسْبَابِ الواقفة، فهي العافية العادية، وفي الحديث: همَا أُعْظِيَ أَحَدٌ بَعْدَ اليقين خَيْراً مِنَ الْعَافيةِ (١) فعافية الْعامَّة: سكونُهُمْ إلى الأَسْبَابِ. فإذا انخرَمَتْ اضْطَرَبَتْ قلوبهم وتَزَلْزلَتْ لِخَرابِهَا من نور اليقين. كما قال بعضهم: انخرَمَتْ اضْطَرَبَتْ قلوبهم وتَزَلْزلَتْ لِخَرابِهَا من نور اليقين. كما قال بعضهم: هنحُنُ كَالنُّجوم، كُلِّمَا اشتَدَّتِ الظلمَة، قُوِيَ نُورُنَا». وقال ذُو النُون المِضري رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: «لَوْ كَانَتِ السماء من أُجاج، والأرض من نحاس، ومِصْرُ كلها عيالي. ما اهتمَمْت لهُمْ بِرزقٍ». وعافية خاصَّة الخاصَّة: سكونهم إلى شهود عيالي. ما اهتمَمْت لهُمْ بِرزقٍ». وعافية خاصَّة الخاصَّة: سكونهم إلى شهود الحقّ. غائبينَ عن الأَسْبَابِ وَعَدَمِها. غزقَى في بَحْر التوحيدِ وأَسْرَار التفريد. المحرّب ساحَتهم. وَلاَ تكدّر صفاء شربهم. جعلنا الله منهم.

الْيَقِينُ: وهو سكُون القَلْب إِلَى اللَّهِ بِعلْم لاَ يَتَغَيَّر، وَلاَ يُحَوَّلُ وَلاَ يتقَلَّبُ، وَلاَ يَزُولُ عِنْدَ هيجَانِ المحرّكاتِ، وازتِفَاع الرَّيْب، في مُشاهدة الغَيْبِ. وعلامته ثلاث:

رفع الهمة عن الخلق عند الحاجَةِ. وتزك المَدْح لهم عند العطية. والتنزّه عن ذَمهم عند المنعة. فيقين العامّة بتوحيد أَفْعَالهِ. فسكَنوا إليه في المنع والعطاءِ. ويقينِ الخاصّة بتوحيد صفائهِ. فرأوًا الخلق مَوْتَى، ليس بيدهم حركة وَلاَ سكونٌ. يقين خاصّة الخاصّة، بتوحيد ذاتِهِ، فَشَاهدُوهُ في كل شيءٍ، وعَرَفوهُ عند كلَّ شيءٍ، ولم يشهدُوا معه شيئاً.

عِلْمُ الْيَقِينِ: وَعَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ:

حلم اليقين ما كَان ناشئاً عن البُرْهانِ. وعين اليقين، ما نشأ عن الكشف والبيّان. وحق اليقين: ما نشأ عَن الشهودِ والعّيانِ. فعلم اليقين لأزباب العقول

⁽١) رواه الطبراني في المعجم الصغير، باب الألف من اسمه أحمد، حديث رقم (١٦٣) [١/ ١١٣] ورواه غيره.

من أَهْلِ الإِيمَانِ. وعين اليقين لأَرْباب الوُجْدَانِ، من أَهْلِ الاسْتِشْرافِ على العيانِ. وحق اليقين، لأهل الرّسوخ والتمكين في مقام الإحسان.

ومِثال ذلِكَ: كمن سَمِع بِمكّة مثلاً ولم يَرْهَا. فعنده علم اليَقِينِ بِوُجُودِهَا، فإذا استشرف عليْهَا وَرَآهَا ولم يَدْخلها، فعنده عين اليَقِين. فإذا دَخلَها وعَرَف طُرُقها وأَماكنها، فهذا عنده حق اليقين. وكذلك النّاسُ في معرفة الحق تعالى. فأهل الحجاب، اسْتَدَلُوا حتى حصل لهم العلم اليقينِ بوجودِ الحقّ. وأهل السّيْر مِن الْمُريدِينَ المُشرفِين على الفناءِ في الذاتِ، حصل لهم عين اليقينِ، حين أشرقت عليهم أنوار المَعانِي. وغابَتْ عنهم ظلال الأوانِي. غير أنهم باقونَ في دَهْمة الفناءِ، لَمْ يتمكّنُوا من دوام شهودِ الحقّ. فإذا تمكّنُوا من دوام شهودِه، ورَسَخَتْ أقدامُهُمْ فِي معرفَتِهِ. حصل لهم حقّ اليقين. وهذه نِهاية النّغمَة، وغاية السّعَادَةِ جعلنَا الله منهم بمنّهِ وَكَرَمِهِ آمين.

النُغمَةُ: هي مُلاَزمة الأفراح، ومُبَاعدة الأتراح، وإصّابة الأغراض، ونَزَاهة الأعراض؛ وهي على قسمين: نعمة ظاهرة: كالصحة والعافية. والكِفَايَة من الحَلالِ. ونعمة باطنة، كالإيمان والهداية والمعرفة.

والنّاس في النعمة الظّاهرة على ثلاثة أقسام: قوم فرِحُوا بالنعمة لِمَا لَهُمْ فيها مِنَ المُتْعَةِ، فحُجبُوا بِهَا عن المُنعِم. وقوم فرحوا بالنعمة: لإقبال المُنعم عليهم. حيث ذكّرهم بِهَا. وقوم فرحُوا بِالمنعِم دون شيء سواهُ. قال الله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمّ ذَرّهُم فِي خَوْضِهِم يَلْعَبُونَ ﴾. [الأنعام: ٩١] فشكر الأوّلين، يزيد بزيادتها، ويزول بِزوالها، وشكر الثالث دائم في السّرّاء والضّراء؛ وهذا هو شكر الخواص.

الْفِرَاسَةُ: وهي خاطِرٌ يهجم على القَلْبِ. أَو وارد يتجلَّى فيه، لاَ يُخطِى عَالِهُ الْفُورِ عَلَى الْفَلْرُ بِنُورِ غَالِباً إِذَا صَفَا القلبُ. وفي الحديث: «إتقُوا فِرَاسَةَ المُومِن، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّهِ»(١). وهو على حسّبِ قوة القرب والمعرفةِ. فكلما قوي القرْب، تمكّنتِ

⁽١) رواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة الحجر، حديث رقم (٣١٢٧) [٥/ ٢٩٨] والطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه بكر حديث رقم (٣٢٥٤) [٣/ ٣١٢] ورواه غيرهما.

المعرفة؛ وصَدُقت الفِرَاسَة؛ لأنَّ الروح إذا قرُبت من حضرة الحقّ، لا يتجلَّى فيها غالباً إِلاَّ الحق؛ وهي على ثلاث مراتب: فِراسة العامِّة: وهي كشف ما في ضمائر النَّاس، وما غاب من أَحْوَالِهِم؛ وهي فتنة في حقَّ من لَمْ يتخلق بِأَخلاقِ الرحمن. وفراسة الخاصِّة: وهِي كشف أَسْرَارِ المقاماتِ والمُنَازَلاَت. والإطلاع على أنوار الملكوتِ. وَفَرَاسَةُ خَاصَّة الخَاصَّة: وهي كشف أَسْرَارِ الذَّاتِ، وأنوار الصَفَات. والغرْق في بَحْرِ أَسْرَار الجبروت.

وقال الكتَّانِي: هي مكاشفة الحق، ومُعَاينة الْغَيْب. وقال الواسطِي: هي سواطع أَنوار الذَّاتِ، وتمكين جملة السَّرَائِرِ في الغيوب من غَيْبٍ إلى غَيْبٍ حتى يشهد الأشياء، من حيث أشهده الحق إِيَّاهَا. فيتكلم على ضمائر الخلق. قلت: قوله: فيتكلَّم، ليس بشرط في فِرَاسَة الخاصَّة. والله تعالى أَعْلَمُ.

الْخُلُقُ: وهي ملكة تصدر عنه الأفعال بِسُهولة. ثم إِن كَانَتِ الأفعَالُ حسنة، كالحِلْم والعفو والجودِ ونحوها، سُمّي خُلُقاً حسناً. وإن كانَت سيئة، كالعَضب والعجلةِ، والبُخْلِ، سُمّي خُلُقاً سَيّئاً. قال وهب: ما تَخَلِّق عَبْدٌ بِخُلُقٍ كَالغَضَب والعجلةِ، والبُخْلِ، سُمّي خُلُقاً سَيّئاً. قال وهب: ما تَخَلِّق عَبْدٌ بِخُلُقٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، إِلاَّ جعل اللَّهُ له ذلِكَ طبيعة فيه. فَالْخُلُق الْحسَنُ يكتَسَبُ. والسّيى، يُجَاهد حتى يَزُولَ. وَالخُلُقُ الحَسنُ يعدل الصيام والقيام؛ وهو ثمرة والسيى، يُجَاهد حتى يَزُولَ. وَالخُلُقُ الحَسنُ بعدل الصيام والقيام؛ وهو ثمرة التصوف. فَمَنْ لَمْ يُحَسِّنْ خُلُقَهُ فتصوفه أَشجارٌ بلاَ ثِمَادٍ. وَمَرْجِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالله التوفيق.

الْجُودُ وَالسَّخَاءُ وَالإِيمَارُ: فالجود: ألاَّ يصعبَ عليه الْبَذْل. فَمَنْ أَعْطى الْبَعْضَ وأَبْقَى الأَكْثَرَ؛ فصاحب جُودٍ. ومن تَالَّمُ الأَكْثَرَ، فصاحب جُودٍ. ومن تَاسَى الضَّرَّاء وآثر غيره، فَصَاحب إِيثَارٍ. فجود الْعامَّة بِالأَمْوَالِ، وجود الخاصَّة بِالنفوسِ. وجود خاصَّة الخاصَّة بالأرواحِ يَبْذلونها للمَوْتِ بالمجاهدةِ. ثم تحيا الحياة الأبدية بالمشاهدة.

الْفَقْرُ: هو نَفْض اليد من الدنيا، وصيانَة القَلْبِ مِن إظهار الشَّكُوى. ونعت الفقير ثلاثة أَشياءٍ: صِيَانة فقرهِ، وحِفظِ سِرَّهِ، وإقامة دينه. قال جعفر الخُلْدِي ما غَمُضَ على النَّاس: خَدمْت ستمائة شيْخ.. فما وجدت منْ شَفَا قَلْبِي مِن أَرْبَع مَسَائل حتى رأيْتُ رسول الله ﷺ في النَّوْم، فَقَالَ لي: اسَلْ عَنْ

مَسَائِلِكَ». فقلت يا رسول الله: ما العَقْلُ؟ فَقَالَ: «أَذْنَاهُ تَرْكُ التفكر في ذَاتِ اللَّهِ ، قلت: ومَا التَّوْحيد؟ فقال: ﴿ كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ ، أَوْ جَلاَّهُ الْفَهْمُ ، فَرَبُّنَا عَزُّ وَجَلُّ مُخَالِف لِذَلِكَ». فقلْتُ: وما التصوُّف؟ فقال: «تَزكُ الدُّعاوى، وكتمان المَعَانِي، فقلْتُ: وما الْفَقْرُ؟ فَقَالَ: ﴿سِرَّ مِن أَسْرَارِ اللَّهِ. يُودِعُهُ فِيمَنْ شَاءَ مِن عِبَادِهِ. ۚ فَمَنْ كَتَمَهُ فَهُوَ مِن أَهْلِهِ. وزاد اللَّهُ مِنْهُ. ومن بَاحَ بِهِ، نَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُ». قلت: جواب كل إنسان على قذر مقامِهِ. كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿خَاطِبُوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ ١٠٠٠. فقوله عليه الصلاة والسلام في العقل: أَعْلاه تَرْكُ التَفَكُّر في ذاتِ اللَّهِ. أَمَا التَفكر في كنه الرَّبوبية، فنهي عَنْهُ. إذ لاَ يُدْرك. وأما التفكر في أَسْرَارِ الرُّبوبية، وأنوارِ صفاتها، فلا عبادة أَعْظَم مِنْهَا. وقوله أيْضاً عليه الصلاة والسلام في التوحيد، كل ما أتى به الْوَهْمُ الخ: الوهم لاَ يُدرك إِلاَّ حسّ الكَائناتِ فهو قَصيرٌ والفّهُمُ بِلاَ ذوْق، لا يدرك أَسْرَار التوحيد لأنها خارجة عن الْوَهُم وَدَرْكِ العَقل. فظهر قوله ﷺ: كل ما أَتَى بِهِ الوهِم إلخ. . وقوله عليه الصلاّة والسلام، في شأن الفقر، من كَتمَهُ فهو من أَهْلِه . أي فيكون من السَّابِقِينَ. وَيَزيده تعالى من أَسْرَارِهِ وأَنْواره. وهي حَلاَوَة المعاملة والمعرفة. يحكى عن أبي علي الدقاق، أنه جلس يوماً مع بَعْض أَصْحابه، فَكَانَتْ منه غَفْلة، حتى شكا ضينَ حالِهِ، فلما تفرُّقَ أَصْحَابُهُ، نَامَ بَعْضُهُمْ، فهتف به هاتف وقال: بِاللَّهِ أَبْلَغ أَبَا عبد اللَّهِ الدَّقاق، ما أَقول لَكَ. ثُم أَنشَدَ:

قُلْ لِلرُّونِ جِلِ مِنْ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْفَقْرُ أَفْضَلُ شيمَةَ الْأَحْرَارِ

يَا مَنْ شكا للخلقِ فِعْلَةً ربِّهِ فَلا شَكُوْتَ تَحَمُّلَ الأَوْزَارِ إِنَّ الَّذِي أُلْبِسْتَ مِنْ حُلَلِ التَّقَى لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ عَنْهَا عَارِ

الذُّكْرُ: هُوَ إِذَا أُطْلِقَ يَنْصَرِفُ لِذِكْرِ اللِّسَانِ؛ وهو رُكُنٌ قَوِيٌّ فِي طريق الوُصولِ. وهو مَنْشُورُ الولاَيّةِ. فَمَنْ أُلْهِمَ الذِّكْرِ، فقد أُعْطِىَ المَنْشُورَ. وَمَن سُلِبَ الذُّكْرَ فَقَدْ عُزِلَ. فذِكر الْعَامَّةِ بِاللِّسَانِ. وذِكر الخاصَّة بالجنان. وذِكر

⁽١) لم أجده بهذا اللفظ وورد بألفاظ أخرى متقاربة منها: «أمرت أن نكلم الناس على قدر عقولهم؛ (الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (١٦١١) [١/٣٩٨]).

خاصَّةِ الخاصَّةِ بِالرُّوحِ والسَّرِ؛ وهو الشهود والعيَان. فيذكُرُ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ شيءٍ. وعلى كل شَيْءٍ. أيْ يعرف الله فيه. وهنا يخرس اللسان. ويَبْقَى كَالمبهوتِ في محلً العيَانِ. ويُعدِّ ذِكر اللسَان في هذا المقام ضعفاً وبطالةً، كما قال القائل:

مَا إِنْ ذكرتك إِلاَّ هَمَّ يَلْعَنُنِي حَتَّى كَأَنُّ رَفيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بِي أَمَا تَرَى الْحَقِّ قَدْ لاَحَتْ شواهِدُهُ

سِرِّي وَقَلْبِي وَرُوجِي عِنْدَ ذِكْرَاكَ إِيَّاكَ وَيْسَحَّكَ والسَّشِّكُ رَادَ إِيَّاكَ وَوَاصِلِ الكُلِّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكُ

وقال السيوطي مشيراً لهذا المقام: الذَّاكِرُون في ذِكره، أَشَدُّ غَفْلَةً مِنَ النَّاسِ لِذِكْرِهِ؛ لأَنَّ ذِكرهُ سواهُ.

الْوَقْتُ: قد يطلقُونه على ما يَكُونُ العبد عليه في الحالِ. من قَبْضِ أو بَسْطِ، أَوْ حُزْنِ أَوْ سُرُورٍ. قال أَبُو على الدِّقاق: الوقت مَا أَنْتَ فيه فِي الحَّالِ. فإن كنت بالنَّقبَى، فَوقتكَ الْعُقْبَى. يُرِيدُ أَنَّ الْوَقت مَا كَان الغالب على الإنسَان. وقد يَعْنُونَ بِه الزَّمان، الذي بين المَاضِي والمُسْتقبل.

يقولون، الصوفي ابن وقتِهِ. يريدون أنَّهُ مشتغِلٌ بما هو أولى بِهِ في الوقتِ، لا يُدَبِّرُ في مستقبلٍ وَلاَ ماضٍ. بل يهُمُّهُ ما هو فيه. وكل وقت له آداب تطلبُ فيه. فَمَن أَخَلُ بأَدَبِهِ مقتَّهُ. ولذلك قيل: الوقتُ كَالسَّيْفِ، فَمَنْ لاَيَنَهُ سَلِمَ، ومن خاشنهُ قُصِمَ. وَمُلاَيَنَتُهُ، القيام بِأَدَبِهِ. فوقت القهرية، آدابه الرضى والتسليم تحت مجاري الأقدار. ووقت النَّعْمَةِ، آدابُهُ الشكر، وَوقت الطَّاعة: آدابه شهود المِنَّةِ من اللَّهِ. ووقت المعصية: آدابه التوبة والإنابة.

الْحَالُ وَالْمَقَامُ: الحال مَعْنَى يَرِد على القلبِ من غَيْرِ تَعَمَّدِ وَلاَ اجتلابٍ؟ وَلاَ تَسَبُّب وَلاَ اكتسَابٍ. مِن بَسْطِ أَوْ قَبْضٍ، أَو شَوْقٍ أَوِ انْزِعَاجٍ، أَو هيبة أو اهتياجٍ. ويظهر أثره على الجوارح قبل التمكن، من شطح وَرقص وسَيْر وهيام؛ وهو أثر المَحبِّة؛ لأنها تحرُّكُ السَّاكِن أُولاً، ثم تشكن وتطمئنُ. ولذا قيل فيها: أوَّلها جُنُونٌ، وَوَسَطها فنون، وآخِرها سكُونٌ. وقد يُكْتَسَبُ الحال بنوع تَعَمَّلٍ، كَحُضور حلقِ الذَّكْرِ، واستعمال السَّمَاعِ. وقد يطلب اكتسابه بِخَرْقِ عَوَائد لَنَفْسٍ، حين يعتريها برودة وفتور. وفرق وكسَل. فينبغي أن يتحرَّكَ في

تَسْخينها. مما يثقل عليها من خزق العوائِدِ. وقد يطلق الحال على المَقام. فيُقالُ: فلان صار عنده الشهود مئة حالاً. ومنه قول المجذوب:

حققت ما وجدت غيره وأمسيت في الحال هاني

وأما المقام: فهو ما يتحققه العبد بمنازلة واجتهادٍ؛ منَ الأدَبِ، وَمَا يتمكّن فيه من مقامات اليقين. بتكسُّب وتطلُّبٍ. فمقام كل واحدٍ مَوْضعُ إقامَتِهِ. فالمقامات تكون أوَّلاً أَحْوَالاً حيث لم يتمكّن المريد منها؛ لأنها تتحوَّل، ثم تصير مقامات بعد التمكين. كالتوبة مثلاً. تَحْصُل ثم تُنقَصُ؛ حتى تصير مقاماً؛ وهي التوبة النّصُوحُ؛ وهكذا بقية المقامات.

وشرطهُ: أَنْ لاَ يَرْتَقيَ مقاماً حتى يسْتوفيَ أَخْكَامهُ. فَمَن لا توبةَ لَهُ، لا تصحّ له إنابَة. رجوعٌ. ومن لاَ إِنابَةَ لَهُ، لا تصحّ له اسْتقامة. ومن لاَ وَرَعَ لَهُ، لا يصحّ له زُهْدٌ. وهكذا.

وقد يتحقق المقامُ الأول بالثاني، إذا ترَقَّى عَنْهُ قبل إِحْكَامِهِ؛ إِنْ كَانَ له شيخ كاملٌ. وقد يطوي عنه المقامات، ويُدسُّه إلى الفَنَاءِ إن رآه أهلاً بتوقّدِ قريحتِهِ. ورقَّةٍ فِطْنَتِهِ. فَالأخوال مواهب، والمقامات مكاسب. هَذَا مغنى المَقَام بفتح الميم. وأمَّا المُقَام بِالضَّمِّ، فَمَغنَاهُ الإقامَة. وَلاَ يكمُل لأَحدٍ مُنازلة مَقَام، إلاَّ بشهودٍ إِقامَة الحقِّ تَعَالى فِيهِ. وفي الحِكَم العطائية: من عَلاَماتِ النُّجُح فِي النهاية، الرجوع إلى الله في البِدَايَةِ. وقال أيضاً: «مَنْ كَانت بِاللهِ بدايتهُ، كَانَت إليهِ نهايتهُ».

الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ: وَهُما حَالاًنِ بَعْدَ الترقي من حال الخوف والرَّجَاء. فالقبْض للعارف، بِمنزلة الخوف لِلطَّالِبِ، والبَسْط للعارف بمنزلة الرجَاء للمريد، والفرق بينَ الْقَبْضِ والخَوْفِ، وَبَيْنَ الرَّجَاءِ والبَسْطِ، إِنَّ الخوف متعلقه مستقلِل، إمَّا فوات مَحْبُوبٍ، أَوْ هُجُوم محْذورٍ، بِخلافِ القَبْضِ، فإنه مَعنى يَحْصلُ في القَلْبِ، إمَّا بِسَبب أَوْ لاَ. وكَذَلِكَ الرجاءُ يكون لانتظار محبُوبٍ في المُسْتَقْبَلِ، والبَسْط شيء موهوب يحصل في الوقتِ، فحقيقة القبضِ: انكماش وضيق يحصل في الوقتِ، فحقيقة القبضِ: انكماش وضيق يحصل في الوقتِ، ولكلَّ واحد آداب مذكورة في المطوَّلات.

الْخَوَاطِرُ وَالْوَارِدَاتُ: الخواطِرُ خطابات ترد على القلوبِ، تكون بِإِلْقَاءِ مَلَكِ أَوْ شيطان. أَوْ حديث نَفْسٍ. فإذا كان مِنَ المَلَكِ فَإِلْهَامٌ. أَوْ من الشيطانِ فوسْوَاسٌ. أَوْ من النَّفس فهواجسٌ. فما وافق الحق، ودعا إلى اتباعِهِ فَمِنَ المَلَكِ. وما وافق الباطل. أَوْ دَعَا إلى معصية، غالباً فَمِنَ الشيطان، وَقَدْ يَدْعُو المَلَكِ. وما وافق الباطل. أَوْ دَعَا إلى معصية، غالباً فَمِنَ الشيطان، وَقَدْ يَدْعُو إلى الطاعة حيث يَتَرتَّبُ عليها معصية. كالرياء وحب المَدْح. وما دَعَا إلى اتباع الشهوة والدَّعة، أي الراحة، فمِنَ النَّفْسِ.

قال أَبُو عَلِيَ الدَّقاق: مَنْ أَكُلَ الْحَرَامَ، لم يفَرَّق بيْن الإلهام والوسواس. وكذلكَ مَنْ كَانَ وقتهُ مَعْلُوماً. وفَرَّق الجنيْد بيْن هواجس النَّفس، وَوسواس الشيطان. بأن مَا دعَتْ إليهِ النَّفْس لاَ تنتقل عَنْهُ فلا تعاوده مرَّة بعد مَرَّة، إلاَّ بعد مجاهدة كبيرة. ووسواس الشيطان ينتقل عنْهَا، فإذا خالفته في معصية، انتقل لأخْرَى. وَرُبَّمَا ذهب بِالتعوذِ ونحوهِ. ولذلكَ كَانتِ النفسُ أَخبتُ من سبعين شيطاناً.

وأمًّا الواردات: فهي مَا يَرِدُ على القلوب من التجليات القوية. أو الخواطر المحمودة. بما لا يكون للعبْدِ فيه تكسُّب. والفرق بين الوارداتِ والخواطِرِ: أَنَّ الوارداتِ أَعَمُّ مِنَ الخواطِرِ، لأَنَّ الخواطِرَ تختَصُّ بنَوْعٍ، أَوْ مَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَاهُ. الوارداتُ تكون واردَ سُرُورٍ، ووارد حُزْنِ، وواردَ قَبْضٍ، ووارد بسُطِ، وواردَ شَوْقٍ، وواردَ خَوْفٍ، إلى غير ذلكَ من المعاني. وقد يختطفهُ شاهد حسي؛ وهو قريب من الحالِ. وقد يأتِي الواردُ بكشف غيْبٍ، فيجب تصديقهُ. إن صَفَا القلْبُ من كُدُورة الخواطِرِ. والله تعالى أَعْلَمُ.

النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالسَّرُ: النَّفْسُ عند القوم، عبارة عما يُذَمَّ من أَفْعَال الْعَبْدِ وَأَخلاقه. فالأول ما كَانَ من كَسْبِ العَبْدِ كمعاصيه ومخالفتِهِ. والثاني من كانَ من جبلَّتِهِ وطبيعتهِ. كالكِبْر والحَسَدِ والغَضَبِ وسوء الخُلُق. وقلة الاختِمَالِ وغير ذلكَ من الأخلاق الذَّميمة؛ يُنْسب لِلنَّفْسِ أَدَباً مع الحق.

والرُّوحُ عبارة عن محلِّ التجليات الإلهية، وكشف الأنوار الملكوتية. والسَّرِ عبارة عن محلِّ تجليات الأسرار الجبروتية. فالنفس للعوام، والروح للخواص، والسرّ لخواص الخواص. والنفس لأهل عَالَم المُلكِ. والرّوح لأهل

عَالَم المَلكُوت. وَالسَّرُ لأَهْلِ عَالَمِ الْجَبَّرُوتِ. وَسَتَأْتِي حَقَائِقُهَا.

وهل النفس والروح والسر متعددات في نفسها، أو متحدة. وإنما تختلف التسمية، باختلاف التصفية؟ قال بَعْضُهُمْ: النفس لطيفة مُوَدعة فِي هٰذَا القَالَب، وهي محل الأخلاق المحمودة. ومحلها واحدٌ: وهو الإنسان. فَالنَّفْسُ والرُّوحُ من الأجساد اللطيفة، كالملائكة والشياطين. وهما سَاكنانِ في الإنسانِ. فكما أنَّ الْبَصَر محل الرُّويَة. والأذنَ محلُ السمع. والأنف محل الشَّمِ مِنْ ذَاتٍ واحدة. فكذلكَ محلُ الأوصاف النَّميمة النفس. ومحل الأوصاف الحميدة الرُّوح. وأما السَّر؛ فهي لطيفة مودعة في القلب كالرُّوحِ، إلاَّ أنه أشرف من الرُّوحِ، لكمال أوصافِه. قال الساحلي: النفس والقلب والرُّوحُ والسَّرُ والباطِن، أسماء لمسمى واحدٍ، وهي اللطيفة الرِّبَانية، التي كان بها الإنسانُ إنساناً. وتختلف أسماؤها باختلافِ أوصافها. فإن مالت لجهة النُقْصِ سمّيتُ نفساً. وإن تخلصَتْ من مقام الإحسانِ، الإسلامِ إلى مقامِ الإيمانِ سميّتُ قلباً. وإن تخلصَتْ منه إلى مقام الإحسانِ، ولكن بقي بها أثر النقص، كأثر الجراحات بعد البُرْءِ سميت روحاً. وإن ذهبَتُ تلك الآثار، وصَفَتْ، سمّيتُ سرّاً. وإن أشكل الأمر سمّيتُ بالباطِنِ.

والاختلاف في الروح شَهيرٌ. قال بَعضهم: هي الحياة. وقال بعضهم أُغيَانٌ مودعة في هذه القوالب، أُجْرَى الله العادة بخلق الْحَيَاةِ في القوالب، ما دامَت الحياة فيه. فالإنسان حي بالحياة. ولكنَّ الأرواحَ مودعة في القوالب. ولها ترق في حال النَّوْم. ومفارقة ورجوع. وهي التي وقع بِهَا النَّفْخُ. وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين، قبل نفخ الروح، بها يقع التحرك. وهي ملازمة للبَدَنِ، لا تفارقه إلا بالموتِ. فتخرج الروح أولاً، ثم تنقطع النفس، فتقطع الحياة.

فالإنسان روح وَنفْسٌ وجَسَدٌ، والحشر للجملةِ، كذلكَ العقاب والثواب. والأرواح، مخلوقة قبل الأبدانِ. سَارِية فيها سَرَيَان النَّار في الفَحْم، والمَاء في العودِ الرَّطبِ. قلت: هذه الأعيان المودعة في القوالب، هي اللَطيفة الرَّبَانية اللاهوتية؛ وهي التي تتطور، وتختلف أَسْماؤها باختلافِ تطورها، كما قال الساحلي، والله أَعْلَمُ. وكؤن الأرواح حادثة، يجري على مَذْهب الفَرْقِ. وأمَّا

أهل الجَمْعِ فَلاَ حَادِث عِنْدَهُمْ لفناءِ الكَائِناتِ عن نَظرِهم. قال الجُنيْد: إذا اقترَن الحادث بالقديم، تلاشى الْحَادث وبقي القديمُ. وسألت بعض إخواننا العارفينَ: هل الأرْواح حادثة أو قديمة؟ فقال: الرِّجال: الأشباح عنْدَهُمْ قديمة. يشير إلى مقام الفناءِ كَمَا تقدَّمَ. لكنَّهُ سِرَ مكتومٌ.

النّصْرُ وَالتّأْيِيدُ وَالْعِضْمَةُ: النّصْر تقوية الجوارح على فِعل الْخَيْرِ. والتأييد: تقوية البصيرة من دَاخِلِ. فالْبَاعِث الباطنِي تأييدٌ. والبّطْش ومُسَاعدة الأسبّاب من خارج نَصْرٌ، وهو جامع للهداية التي مرجعها للبصيرة العلمية الكَاشفة، لِمَا عليه الشيءُ بحقيقَتِهِ. والرّشدُ الذي مزجِعهُ إلى الإِرَادة الباعثةِ، إلى جِهة المساعدة. والتّشديد، الذي مَرْجعه إلى القدرة على توجيه الحركاتِ إلى نحوِ المطلوبِ، وتيسيرها عليه مِنَ التّأييدِ، ويقرُب من التأييدِ الجامع لما ذكر العصمة؛ وهي عبارة عن وجودِ إلّهي يسبّحُ في الباطِن. يقوى به الإنسان على تحري الْخَيْرِ. وتجنب الشَّر، حتى يصير كمانع في باطنِهِ غير محسوس؛ قاله الغزّالي. فهذه ست حقائق. الهداية، والرشد، والعصمة، والتشديد، والتّصوة، والتأثيد. وقد علمت كُلّها مِن كَلاَمِ الغزّالي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ. والتحقيق: أنَّ الهداية: هي تصويب العبد إلى طريق توصله إلى الحقّ. وقد تطلق على بيانها فقط. والرّشد: هو توجيه القلْبِ إلى طريق السعادة. والتّسْديد: هو القدرة على سلك طريق الخيْر، وتجنب الشّر. والعصمة: هو وجود إلّهي إلى آخِرِ ما تقدَّمَ.

الْحِكْمَةُ: وهي إِنْقَان الشيءِ وإِبْدَاعهُ. ففي العلم: تحقيقهُ والعمل به. وفي الْقُولِ: إِيجَازُهُ وتَكْثيرُ معانيه. وفي العمل: إِنقانه وإكمالُهُ. ويُقَالُ: ترتبَتِ الحِكمَة على ثلاثِ فِرَق: على أَلْسِنَة العربِ، وأَيْدِي الصَّين، وعقول اليُونَان. والله تعالى أَعْلَمُ.

الْعَقْلُ: وهو نُورٌ يُميَّز بِهِ بَيْنِ النَّافِعِ والضَّارُ، ويحجز صاحبه عن ارتكابِ الأوزارِ. أَوْ نُورٌ روحاني تُدرك بِه النفسُ العلومَ الضَّرُورِيَّة والنظرية. أَو قوَّة مهيأة لقبولِ العلمِ؛ سُمِّيَ عقْلاً؛ لأنهُ يَعْقل صاحبَهُ عما لاَ ينبغِي؛ وهو على قشمين: عقل أَكْبَر، وعقل أَصْغَرْ.

أما العقل الأكْبَرُ، فهو أوَّل نورٍ أَظهرُه الله للوجودِ. ويقال له: الرّوح

الأعظم. ويُسَمَّى أَيْضاً: بالقَبْضَة المحمدية؛ ومن نوره يَمْتَذُ الْعَقْلُ الأَصْغَر. كَامْتِدادِ القمر مِن نور الشمسِ فلا يزال نورهُ بالطاعة والرياضة، والتَّطْهير من الهَوَى، حتى يذخلَ الْعَبْد مقام الإحْسَان. وتشرق عليه شمس العرفانِ، فينطوي نوره في نُورِ الْعَقْلِ الأَكْبَرِ. كَانْطِواءِ نورِ القَمَرِ عند طلوع الشَّمْسِ فيرى مِنَ الأَسْرَار والغيوب، ما لم يكن يَرَهُ قَبْلُ؛ لأَنَّ العقل الأَضَغَرَ نوره ضعيف لا يذرك. إلاَّ افتقارَ الصنعة إلى صَانِعِهَا. وَلاَ يَدْرِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ بِخِلاف العقل الأكْبَر، فإنه يدرك الصَّانع القديم. قبل التجلِّي وبعدهُ لصفَاءِ نوره، وشدَّة شعاعِهِ. وفي بعض الأخبَار: «أُولُ ما خَلَقَ الله الْعَقْل. فقال له: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثم قَالَ لَهُ: أَذْبِرْ، فَأَذْبَرَ. ثم قالَ لهُ: أُقْعُدْ، فَقَعَدَ. ثم قال لهُ: قُمْ، فقامَ. فقال: وعِزَّتِي وَجَلالِي، لاَ حَلَلْتَ حَلاَلاً أَجْعَلَك إِلاَّ فيمَن أَحْبَبْتُ مِن عِبَادِي، أَوْ كما قال عليه الصَّلاَّةُ وَالسَّلاَّمُ. والحديثُ متكَلِّم فيه. فالْعَقل الأكْبَرُ لا ينالُهُ إلا المحبُّونَ، الَّذِينَ اختارَهُمُ اللَّهُ لمعرفتِهِ الخاصَّة. وأمَّا العقل الأصْغَرُ فيعطيه للخاص والعام. وهو على قسمين: عقل مَوْهُوب، وَعَقْل مَكْسُوب. فالموهوب: هو الذي جَعَلَهُ اللَّهُ فيه غريزة. والمكسُوب: هُو الذي يكتسَبُ بِالتَّجَارِيبِ والرياضات وارْتكابِ المِحَنِ. قال بَعْضُهُمْ: عَلاَمَة العقل ثلاث: تقوى الله عَزُّ وَجَلْ، وصدق الحديث، وتزك مَا لاَ يَعْنِي. وقال عليه الصُّلاَة والسلام: ﴿ أَلاَ وَإِنَّ من عَلاَماتِ الْعَقْلِ: التجَافِي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلودِ، والتزَوّد لسُكنى القبور، والتأُهُّبُ ليوم النشور، (١).

قال بعض الحكماء: خير ما أُغطي الإنسان عقل يزجرُهُ. فإن لم يكُن فحياء يَمْنَعُهُ. فإن لم يكُنْ فَمَالٌ يسْتُرُهُ. فإن لم يكُن، فصاعقة تحرِقُهُ، يستريح منه البِلاد والعباد. وهل الأزواح قبل الأشباح كان لها عَقْلٌ؟ والتحقيق أنّها كانت

⁽۱) روى نحوه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم (٧٨٦٣) [٤٦/٤] ونصه: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ النور إِذَا دخل الصدر انفسح ، فقيل يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف به قال نعم: «التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله».

لها عقول مقتبسة من العقل الأخبر. لذلك أقرّت بالزبوبية. بل كانت عَلاَمة درّاكة للأشياء. كما قال الشيخ ابن البنّا. والمعرفة والإدراك، إنما يكونان بالْعَقْلِ. فلما بَرَزَتِ لعالَم الأشباح، أزّالَ اللّه منها ذلك العَقْل؛ الذي هو مِنَ العَقْل الأخبر. وأنبّت فيها العقل الأضغر؛ عند اجتنانِ الوَلَد في البطن. فما زال ينمو إلى الحُلُم، وقيل: إلى أَرْبَعِينَ سَنَة، فإذا اتّصل العبدُ بالطبيبِ، عالجَهُ حتى يُؤهّله إلى الْعَقْل الأَكْبَرِ، فيكونُ صاحبُه من الأوليّاء، وبالله التوفيق.

التَّوْحِيدُ: وهو على قسمَين: توحيد البُرْهان. وَهُوَ إفراد الحق بالأفعال والصفات والذَّاتِ عن طريق البُرْهَان. وتوحيد العِيَان: وهو إفراد الحقُّ بالوجود في الأزَلِ والأبَد. وقال الجُنَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو مَعْنى تضمحِلُ فيه الرسوم. وتندرج فيه العلوم. يكون الله كما لَمْ يَزَلْ، وأَصُولُهُ خَمْسَة أَشياء: رفع الحدث، وإِفْرَاد القِدَم، وهجران الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونشيان ما عُلِم وَجُهِل. قلت: والْمغَنَى الَّذِي تضمَحِلْ فيه الرُّسُوم؛ هو ظهور أَسْرَارِ الذَّات. فإذًا قع الكشف عنْهَا بِغَيْبَةِ حِسّ الكَائناتِ، التي هي أَوَانِي لتلك المعانِي، انفَرَد الحق بالوجودِ، ويكون فيما لم يَزَلْ. كما كَانَ في الأَزَلِ. كَانَ اللَّهُ وَلاَ شيء مَعَهُ، هو الآن على ما عليه كَانَ. فيرتفع الحدث، وينفرد القِدَمُ. ويهجرُ صاحب لهذَا الذُّوقِ جميع الإخوانِ، إلا مَن يستعين بهم على رَبُّهِ. ويفارق الأوطان في طلب الحقِّ. لأنَّ الهجْرَةَ سنة. ويَنْسى ما علم وما جهل. أي يغيب عنه في جَنْبِ الكَنْزِ الَّذِي ظَفِرَ بِهِ. وسُئِلَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن التوحيد فقال: لؤن الماء لؤن إِنَاثهِ. ومعْنَى كَلامه رضي الله عنه: إِنَّ الذَّاتِ الْعَلية، كَانَتْ لطيفة خفية نُورَانية، فَلَمَّا تَجَلَّتْ بِالرُّسُومِ والأشكالِ، تَكَوَّنَتْ بِتَكَوُّنِهَا، فَافْهَمْ، وَسَلَّم إن لم تَذُقْ. ومقامات التوحيد غيرُ مُتَنَاهِيَة، لأنَّهَا تتزَايد بِتَزَايد الكَشف والتَّرقِّي. فَفُوق التوحيد:

التَّفْرِيدُ: فإنهُ أَرَقُ من التوحِيد وأعلى؛ لأنَّ التوحيد يصدق على توحيد أَهْلِ الْعِلْمِ. والتفريد خَاصَ بِأَهْلِ الذَّوْقِ، وفؤق التفريد.

الأَحَدِيَةُ، وَالإِيحَادُ، وَالْفَرْدَانئِة وَالْوَحْدَانِئِةُ، وَالإِنْفِرَادُ: وهكَذَا رُتْبَتُهُمْ في القوة.

فالأحدية: مُبَالغة في الْوخدةِ، والإيحاد: مضدر أَوْحَدَ الشيء إذا صَارَ واحِداً. والفرْدانية والوحدانية والانفراد معناها: إِفرادُ الْحقُّ بالوجودِ، وَلاَ يكون إِلاَّ بعد انطباق بحر الأحدية على الكُلِّ، بحيْث لم يَبْقَ وجد لغَيْره قط؛ وهو يذوق ذلِكَ ذوقاً. ويغرق فيه غرقاً. ويُقال لأهل هذا المقام: الأفراد والآحاد؛ وهم أكمل من القطب في العلم بالله، كما قال الحاتِمِي. وخارجون عن دائرة تعرفه. والله تعالى أُعْلَمُ.

حَقِيقَةُ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ: هي ذَاتٌ عَلية أَزلية، لطيفة خفية، متجلَّية بالرسوم والأشكال. متصفة بصفاتِ الكمالِ. واحدة في الأزلِ. وفيما لا يزال هذا رَسْمُهَا بِالخواصِّ. وأَما كُنْه الحقيقة فلا يحيط بها إلاَّ هو تَعالَى.

الْعَمَاء: معناه السحاب، وهو عبارة عن صفة الذَّاتِ العلية في الأزل قبل التجلِّي. وحقيقتهُ: صَفَاءٌ لَطِيف خفي صافى، لا حدٌّ لفوقيته، ولا لتحتيته، وَلاَ لجوانبهِ الأربع، وَلاَ نهاية لأوليتهِ، ولاَ لآخريته. خالِ عن الرسوم والأشكال. متصف بأوصاف الكمال، من القدرة والإرادة والعلم والحيّاة، والسمع والبصر والكَلام. ويجمعهُ قول ابن الفارض في خمريتهِ:

تَفَدُّمُ كُلُّ الكَاثِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيماً وَلاَ شَكُلٌ هُنَاكُ وَلاَ رَسْمُ

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ صَفَاءً وَلاَ مَاءً ولُـ طُيفُ وَلاَ حَوا اللهِ ونُدورٌ وَلاَ نَسارٌ وَدُوحٌ وَلاَ جِسسهُ

ثم تجَلُّتْ بِالرَسُومِ والأشكالِ بحيْثُ صار اللطيف كثيفاً، والخفيّ ظَاهراً، والغيْبُ شهادة. فما كَان في الأزل، هو عين ما تجلَّى به في الأبُدِ. كَانَ اللَّهُ وَلاَ شيء معَهُ؛ وهو الآن على مَا عليه كَان. وفي حديث الترمذِي، عن ابن رزيْنِ الْعُقَيْلِي: قلت يا رسُولَ اللَّهِ: أَيْنَ كَان رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يخلق خلقهُ؟ قال: «كَان في عَمَاء؛ مَا فوقهُ هواء ومَا تحتَهُ هَوَاء» أَيْ كَان في خَفاءٍ وَلَطَافَةٍ، ليْس فوقَهُ هواء، وَلاَ تَحْتُهُ هُواءً. بَلْ عَظْمَةً ذَاتِهِ أَخَاطَتْ بِكُلِّ فَوْق، وبكلِّ تَحْت، وبكل هواء. وقيل لسيّدنا عليّ كَرَّمَ اللَّهُ وجْهَهُ: يَا بْنَ عَمُّ رسول الله ﷺ: أَيْنَ كَان ربُّنَا؟ وهَلْ لَهُ مَكَانٌ؟ فتغَيُّرَ وجْهُهُ وَسَكَتَ سَاعة. ثم قال: قولكم أَيْنَ اللَّهُ سؤال عن مَكانٍ. وكَانَ اللَّهُ وَلاَ مَكَانَ. ثم خلق الزَّمَانَ والمَكَانَ. وهو الآن كما

كَانَ دونَ زَمَانِ وَلاَ مَكَانِ. أَيْ كَانَ اللَّهُ وَلاَ شيء مَعَهُ. وهو الآن شيءٌ مَعهُ فافْهَمْ.

الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ: إِذَا أُطلَقَ الفناء: إنما يَنْصرف للفَنَاءِ في الذَّاتِ. وحقيقته: مَحْو الرّسوم والأشكال بِشهودِ الكبيرِ المتعال. واستهلاك الحسِّ في شُهُودِ المَعْنَى. قال أَبُو المواهب. محوَّ واضْمِحْلاَلْ. وَذهابٌ عنكَ وَزَوَالْ. قال أَبُو سعيد ابن الأعرابي: هُوَ أَنْ تَبْدُوَ العَظَمة والإجلال على الْعَبْدِ. فتنسيه الدّنيا والآخرة. والأحوال والدَّرَجَاتِ، والمعاملاتِ والأذكار. يغنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه، وفناته عن الأشياء. وعن فنائِهِ عَنِ الفَنَاءِ؛ لأنه يغرق في التعظيم. أي تتجلَّى لله عظمة الدَّات. فيغنيه عن رؤية الأشياء. ومن جملتها نفسه، فيصير عين العَيْنِ. ويغرق في بحر الأحدية. وقد يُطلق الفناء على الفناء في الأفعالِ. فلا يرى فاعِلاً إلاَّ اللَّهُ. وعلى الفناءِ في الصفاتِ. فلا قديرَ وَلاَ سميع وَلاَ بصيرَ إلاَّ اللَّهُ. يغني، أنَّه يرى الخلق مَوْتَى. لاَ قَدْرَة لهُمْ، وَلاَ سَمْعَ وَلا بَصَرَ إلاَّ اللَّهُ. يغني، أنَّه يرى الخلق مَوْتَى. لاَ قَدْرَة لهُمْ، وَلاَ سَمْعَ وَلاَ بَصَرَ إلاَّ بِاللَّهِ. وبَعْدَ هَذَا، يَقَعُ الفناءُ فِي الذَّاتِ. وفي ذلِكَ يقول الشَّاعِرُ:

فيفْنَى ثُمُّ يَفْنَى ثُمُّ يَفْنَى فَكَانَ فَنَاوَهُ عَيْنِ الْبَقَاءِ

وأمّا البقاء فهو الرّجوع إلى شهود الأثر، بعْدَ الغَيْبَة عَنْهُ. أَوْ شُهُود الحسّ بَعْدَ الغَيْبَةِ عَن شُهُود المَعْنَى. لكن يَرَاه دائماً بِاللّهِ. ونوراً من أنوار تجلياتِهِ. إذْ لوُلاَ الواسطة ما عُرِف المَوْسوط. فالحق تعالى لوُلاَ الجسُّ مَا ظهرتِ المَعْنَى، ولوْلاَ الواسطة ما عُرِف المَوْسوط. فالحق تعالى تجلَّى بَيْنَ الضّدَيْنِ: بيْن الحسِّ والمَعْنَى، وبيْن القدرة والحِحْمَةِ، وبيْن الفزق والجمع. فَالْغَيْبَةُ عَنْ أَحَد الضَّدِّيْنِ فَنَاءً. وَرُوْيَتُهما مَعا بَقاءً. فالغيبة عن الحسّ، وعن الحَرق فَنَاءً. وملاحظتهما معا بقاءً. فالبقاء اتساع فِي الفناءِ، بحيث لا يحجبه جَمعه عن فَرْقِهِ، وَلاَ فناؤه عن بقائِهِ. وَلاَ شهود القدرةِ عن الحِحْمَةِ. بل يُعْطَى كلَّ ذي حقَّ حَقَّهُ. ويُوفِي كلَّ ذي قِسْطِ قِسْطَهُ. وقد يطلق الفناء عَلَى التَخَلِي والتَحَلِّي. فيقالُ، فَنَى عَنْ أوصافِهِ المَذْمومَة. وبقي بالأوصاف المحمودة. والله تعالى أَعْلَمُ.

الْقَدْرَةُ والحِكْمَةُ: القدرة عبارة عن إظهار الأَظْهار على وفق الإرادَةِ. والحكمة عبارة عن تَسَيُّرِهَا، بوجود الأسباب والعِلَلِ. فالقدرة تبرُّزُ، والحِكْمَةُ

تستُرٌ. والقدرة لا تنفكُ عَنِ الحكمةِ إِلا نادراً؛ في مُعْجِزَةٍ أَوْ كَرَامَةٍ أَو شَعُوذَةٍ. وقد تطلق القدرة على الذَّاتِ بَعْدَ تجليتها. مِن إطلاقِ الصَّفَةِ على الْمَوْصُوفِ. والحِكمة ما يسترها مِنَ الحسِّ، وأوصافِ البشرية. وأخكام العبودية. فظهورُه تعالَى بمقتضى اسمه الظاهِرِ، يُسَمَّى قُدْرةً. وبطونُهُ في ظهورِهِ؛ بمقتضى اسمه الباطِنِ، يُسَمَّى حِكمة. فَتجَلَّيه تعالى من عَالَمِ الغَيْبِ إلى عَالَم الشهادَةِ قُدْرةً. وخفاؤهُ في ظهورِه حكمةً. وإليه يشير قول الحِكمِ العطائيه. "سُبْحَانَ مَن سَتَرَ وخفاؤهُ في ظهورِه حكمةً. وإليه يشير قول الحِكمِ العطائيه. "سُبْحَانَ مَن سَتَر سِر الخصوصية، بظهور وضفِ البَشرية. وظهر بعظمة الربوبية، في إظهار العبودية.

الْفَرْقُ وَالْجَمْعُ: الْفَرْقَ عَبَارة عن شهودِ حسّ الكَائنات، والقيام بأحكامِهِ وَآدَابِهِ، مِنَ العِبَادَةِ والعبودية. والجمع عبارة عن شهود الْمَعْنَى القائم بِالأَشْيَاءِ، متصلاً بالْبَحْرِ المحبط الجَبرُوتي. أو تقول: الفَرْق شهود القوالِب. والجمع شهود المظاهرِ، عيْن الحقائق. وقال أَبُو شهود المظاهرِ، عيْن الحقائق. وقال أَبُو علي الدِّقاق: الفَرقُ مَا نُسِبَ إلَيْكَ. والجمعُ ما سُلِبَ عَنْكَ. فالفَرْق بِلاَ جَمْع علي الدِّقاق: الفَرقُ مَا نُسِبَ إلَيْكَ. والجمعُ بِلاَ فَرْقِ زَنْدَقَةٌ وكُفْرُ إِنْ لَمْ يكُنْ فسُوق، وجمود وجَهل باللَّهِ تعالَى. والجمعُ بِلاَ فَرْقِ زَنْدَقَةٌ وكُفْرُ إِنْ لَمْ يكُنْ سُكُراً؛ لأنه يؤدي إلى إبطالِ الشرائِع التي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ. وإلى إبطالِ الحِكمةِ. والقُدْرَةُ لاَ تنفَكُ عَنِ الحِكمةِ. فَالواجبُ أَنْ يكون العَبْدُ مَجْمُوعاً فِي فَرْقِهِ، مَفْرُوقاً في جَمْعِهِ. الجمع في الباطنِ موجود. يكون العَبْدُ مَجْمُوعاً فِي فَرْقِهِ، مَفْرُوقاً في جَمْعِهِ. الجمع في الباطنِ موجود. والفُرْق على الظَاهر مشهودٌ.

الْجِسُ وَالْمَعْنَى: الْجِسُ عَبَارة عن تكثِيفٍ لِلأَشْيَاءِ ظَاهِراً. والْمَعْنَى عِبَارة عَنْ تلطيفها باطِناً. فَحِسَ الكائنات أَوَانِ حاملة للمَعَانِي. قال التستري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لاَ تَنْظُرْ إلى الأَوَانِي.. وَخُضْ بَحْرَ الْمَعَانِي.. لَعَلَّكَ تَرَانِي. فمثال الكؤن؛ كالنَّلْجَةِ، ظَاهِرها ثلج، وباطنها ماء. كَذَلكَ الكَوْنُ، ظَاهِرهُ حِسَّ. وباطِنْهُ مَعْنى.

والْمَعْنَى هيَ أَسْرَار الذَّاتِ اللطيفة القائمة بالأشيَاءِ. فَقد سَرَتِ المعانِي في الأوانِي سَرَيَان الماء في الثلجة. وفي ذلِك يقول قطب الأقطابِ: الشيخ عبد الكريم الجيلاني رضيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي التَّمْفَالِ إِلاَّ كَثَلْجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُو نَابِعُ فَمَا الْكَوْنُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَاثِهِ وَغَيْرَان فِي حُكْم دَعَنْهُ الشَّرَاثِعُ

فَلاَ قيام للحسِّ إِلاَ بِالْمَعْنَى، وَلاَ ظُهُور للْمَعْنَى إِلاَّ بالحِسِّ. فَالْمَعْنَى وَلاَ ظُهُور للْمَعْنَى إِلاَّ بالحِسِّ. فَالْمَعْنَى بِلاَ حِسِّ رقيقة لطيفة لاَ تُدْرَك إلاَّ بِتحسَسِهَا فِي قَوالِب الكَاتئاتِ. فَظهُور المَعْنَى بِلاَ حِسِّ مُحَالٌ. وشهود الحِسِّ بِلا مَعْنى جَهْلاً وَظلمة. ولذلكَ قَالَ فِي الحِكَمِ: «الكَوْنُ كُلهُ ظُلْمَة. وإنما أنارهُ ظهور الحقُّ فِيهِ» إلخ. . فَلاَ يُرَى الحقُّ تعالى، إلاَّ بِوَاسِطة التجليات في لهذِهِ الدَّار، وفي ذلِك يقول بَعْضُهُمْ:

وَلَيْسَتْ تُنَالُ الذَّاتُ مِنْ غَيْرِ مَظْهَرِ وَلَوْ هُتِك الإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الجرصِ الْمُلْكُ مَا ظَهَرَ مِن حِسَّ الكَاثِنَاتِ. الْمُلْكُ مَا ظَهَرَ مِن حِسَّ الكَاثِنَاتِ.

والملكوت: مَا بَطُنَ فيها مِنْ أَسْرَارِ المَعَانِي. والجَبَرُوت: البَحْرُ المحيط الَّذي تَدَفَّقَ مِنْهُ الحِسُّ والْمَعْنَى. والحاصِلُ: أَنَّ القَبْضَة التي ظَهَرتْ أَوَّلاً مِن فَضَاءِ الْعَمَاءِ. حِسُّهَا الظاهرُ مُلكٌ. وَمَعْنَاهَا الباطِن ملكُوتٌ. والبحرُ اللطيف المحيط الَّذِي تَدَفَّقَتْ مِنْهُ: جَبَرُوتٌ. فأَسْرَارُ المَعَانِي رياض العَادِفينَ. لأنَّهَا محلِّ نزْهة أَرْوَاحِهِمْ. وَلا شَكَّ أنَّ المَعَانِي لطيفَة، لاَ تظهر بَهْجَتُهَا إلاَّ في الحِسُّ الَّذِي هُوَ المُلْكُ. والحِسُّ من حيث هُوَ، مُضَاف إلى نَبِيّنًا عليه الصّلاةُ والسَّلاَمُ. لأنَّهُ مَا ظَهَرَ إِلاَّ لَهُ. وَمَا انشَقَّتْ أَسْرَار الذَّات إلاَّ مِن نُورِه. فلذلكَ قال القطب بن مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَرِياضُ المَلَكُوتِ بِزَهْرِ جمَالِهِ مُونِقَةً. أي مُحْسَنَةً معجبة. فقد ذكر المُلْكُ بالإِلْتِزام. لأنَّ جمالَ زَهْر المَعَانِي، لأ يظهر إلاَّ في حِسَّ الكَاثِنَاتِ؛ وهُوَ المُلْكُ. وقوَله: وحِيَاضُ الجَبَرُوتِ بِفَيْض أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَة. الأمل أن يقول: وبَحْرُ الجَبَروت بفيض نُورِه مُتَدفِّقٌ. يشير إلى ظهور القبضة المُحَمَّدية، من بَحْر نورِه اللطيف، وإنما عَبَّر بالحياضِ ليناسب الرياض، وإنما جمع نور القبضة لِتَفَرِّعِهِ إلى أَنُوار كثيرة. كما جمع الْعَالَمَيْنِ، مَعَ أَنَّ العالم وَاحِدٌ، لتعدد أَنْوَاعِهِ. والله تعالى أَعْلَمُ. فحقيقة المُلْكِ: ما يُدركُ بالحسِّ والْوَهْم. وحقيقة المَلكوت، ما يُذرك بِالعلم والذُّوقِ. وحقيقة الجَبَرُوتِ: مَا يُذركُ بِالكَشفِ والْوُجْدَانِ. فالوجود واحِدٌ. وَإنما تختلف النُّسْبَة باعتبارِ الرَّوْية والتُّرْقية. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ حِسُّ الكَائناتِ، وَحُجِبَ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى، سُمِّيَ في حَقِّهِ مُلْكاً، وَمَنْ نَفَذَ إلى شهود المعانِي، سُمِّيَ في حَقِّهِ مَلَكُوتاً. وَمَنْ نَظَر إلَى أَصْلِ الْقَبْضَةِ التي بَرَزَتْ مِنْهُ، سَمَّاهُ جَبَرُوتاً. فَإِن ضَمَّ الفرعَ إلى الأصول، وتلطَّفَتِ الأواني، حتى صَارَتْ كلْها مَعانِي. وانطبق بَحْر الأحدية على الكلِّ. صارَ الجميع جَبَروتاً، فكل مقام يحجُبُ عما قَبْلَهُ.

فالمَلكُوتُ: يحجبُ عن شهودِ المُلكِ. والجبَرُوتُ يَخجُبُ عَنِ الْمَلكُوتِ. إلاَّ بالتَّنَزُّلِ فِي حَالِ السُّلُوكِ. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

النَّاسُوتُ واللاَّهُوتُ والرَّحَمُوتُ: النَّاسُوتُ: عِبَارَةٌ عَن حِسَّ الأَوَانِي، وَاللاَّهُوتُ: عبارة عن أَسْرَارِ المعانِي. ومرجع الأول للمُلْكِ. والثاني للملكوتِ. والرَّحمة في جميع الأشياءِ: للملكوتِ. والرَّحمة في جميع الأشياءِ: جلالها وجمالها. قال في الحكم: «مَنْ ظَنَّ انفكاك لطف اللهِ عَنْ قَدَرِه، فَلْلِكَ لقصُور نظرهِ».

التَّوَاجُدُ والْوِجْدُ وَالْوِجْدَانُ وَالْوُجُودُ:

التَّوَاجُدُ: تكلف الْوجْدِ. واستعمالهُ كاستعمال الرَّقصِ والشطح والقيام وغير ذلِكَ؛ وهو غَيْرُ مُسَلَّم إِلاَّ للفقراءِ المتجزدِينَ؛ فلا بأسَ بتكلفِ الْوُجد واستعمالِهِ. كما يُطلَبُ الحالُ دواءً للنفوسِ. وهو مقام الضعفاءِ، وقد تستعملهُ الأقوياء مُسَاعفةً أو خَلاَوة.

قيل لأبي محمد الجريري، ما حالُكَ في السَّمَاع؟ فقال: إذا حَضر هناك مُختَشِمٌ أَمسَكَتْ وَجُدي فَواجَدتُ. وأما الجُنَيْد مُختَشِمٌ أَمسَكَتْ وَجُدي فتواجَدتُ. وأما الجُنَيْد فكَان أَولاً يتواجَد، ثمَّ سَكَنَ. فقيل لهُ يا سَيِّدي: أَمَا لَكَ في السماع شيءً؟ فقال: ﴿وَرَرَى ٱلْجُمَالُ مَحْسَبُهُا جَامِدَةُ وَهِي تَنُرُ مَنَ السَّمَابِ [النمل: ٨٨] قلتُ: وقد حضرت سماعاً مع شيخنا البُزَيْدِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فكانَ يتمايل يميناً وشمالاً.

وحدَّثني من حَضَر سَمَاعاً مع شيخه؛ مولاَي العربِي الدّرقاوِي. فقال: ما زال قائماً يَرْقُص حتى كمل السَّمَاعُ. وَلاَ يُنكِرُ السَّمَاعُ إلاَّ جَاحِدٌ جَاهِلٌ خالٍ مِن أَسْرَادِ الحقيقة.

وأَمَّا الوُجْدُ: فَهُوَ الَّذِي يَرِدُ على القَلْبِ وَيُصادِمُهُ بِلاَ تَأَملٍ وَلاَ تَكلُّفِ. إمَّا شوق مقلق، أَوْ خَوْف مُزعج؛ وهو بَعْد التواجد. ويُقالُ: التواجُد ثمرات

المُنَازَلة، فهي أَسْرَارُ الحقائق. كما أَنَّ حَلاوة الطَّاعات ثمرات المُنَازَلة في الطَاعة الظاهرة. فكلما اشتدُّ التحقق بِأَسْرَارِ الحقائق والتوحيد قَوِيَ الوجْدُ. كَما أَنَّهُ كلما اشتدُّ الدُّوام على الطَّاعةِ قويَتْ حَلاَوتها.

وأمَّا الوُجْدَانُ: فهو دوام حَلاَوة الشُّهُودِ، واتَّصَالِهَا مَعَ غَلبَة السَّكُر والدَّهشة، فإنِ اسْتَمرُّ مَع ذلِكَ، حتى زَالتِ الدَّهْشة والحَيْرَة، وَصَفَتِ الفِكْرَة والنظرة، فهو الوُجُود. وَإِلَيْه يشير قول الجُنَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وُجُودِي أَنْ أَخِيبَ عَنِ الوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشَّهُودِ قَال أَبُو على الدَّقاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الثَّوَاجُد يُوجب استيعاب العَبْد. والوُجْدُ: اسْتغراق الْعَبْدِ. والوُجُود: يُوجب اسْتهلاَكَ العَبْدِ. فهو البّخرُ. ثم ركب، ثُم غرق.

وقال القشيري: وترتيب هذا الأمر، قصود ثم وُرُودٌ، ثم شُهُودٌ، ثم وُجُودٌ ثم خُمُودٌ. فالمقصودُ للمتواجِدِينَ القاصدينَ. والوُجدُ والورود للواجِدِينَ الشَّارِبِينَ الخمرة. والشهود لأهل الوُجْدَانِ السُّكَارَى. والوجود والخمودُ لأَهل الصَّخوِ، والله تعَالَى أَعْلَمُ.

الذُّوٰقُ وَالشُّرْبُ وَالسُّكْرُ وَالصَّحْوُ:

الذَّوْق يكونُ بَعْدَ الْعِلْم بالحقيقة، وهو عبارة عن بروقِ أنوار الذَّاتِ القديمة على العقل. فيغيبُ عَنْ رُؤْيَةِ الحدوثِ في أَنْوَارِ القِدَم. لَكِنَّهُ لاَ يَدُومُ فَلِكَ. بَلْ يَلْمَعُ تَارَة ويختفي أُخْرَى. فَصاحبه يَذخل ويخرجُ. فإذا لَمَعَ غَابَ عَنْ حِسِّهِ، ورؤية نَفْسِهِ؛ فهذا يسمَّى عندهم ذَوْقاً. فَإِن دَامَ لهُ ذَلِكَ النُّورُ سَاعة أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فهُوَ الشُّرْبُ. وإن اتَّصَلَ ودامَ؛ فهُوَ السَّكُرُ. وَمَرْجعه إلى فنَاءِ الرَّسُومِ. ويسَمَّى أَيضاً الفناءِ. فإن رجع إلى شهود الأثرِ وقيامها باللَّهِ، وأنها نور من أنوارِ الله، فَهُوَ الصَّحُوُ. ويسَمَّى أَيْضاً بالرَّيُ وبالبَقاءِ. لإِبْقاءِ الأشياءِ بِاللَّهِ بَعْدَ فَنَائِهَا، ويسَمَّى أَيْضاً: فناء الفناء؛ لأَنهُ عَلِمَ أَنهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَيْءٌ بِعَيْنِهِ غَيْرَ الوَهم والجَهْلِ؛ وهُمَا لاَ حقيقة لهُمَا.

قال القشيري: وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّحْوَ عُلُوْ قَدْرِ السُّكْرِ. فكلُ مَن كَان سكرهُ بِحَظَّ بِحَقَّ، كَان صحوه بِحَظَّ

مصحوباً. ومن كَان مُحِقًا فِي حالِهِ، كَانَ مَخْطُوطاً في سكرهِ. ثم قال: فَمَنْ قوي حُبّهُ تَسَرْمَدَ لِشُرْبِهِ. ولِلّهِ دَرُّ القائل:

شَرِبْتُ كَأْسًا بَعْدَكَأْسٍ فَمَا نَفَذَ الشَّرَابُ وَلا رَوِيتُ

الْمَحْوُ وَالإِثْبَاتُ: المَحْوُ: الغيْبَةُ عن الكائنات فَنَاءَ. والإِثْبَاتُ: إِثْبَاتُهَا بِقَاءً. ويُطلق على مَحْوِ الأوصَافِ الذَّمِيمَةِ. وإثبات الأوصاف الحميدة؛ وهي ثلاثة: مَحْوُ الزَّلَةِ عَنِ الظَّوَاهِرِ، وَمَحْوُ الغَفْلَةِ عَنِ البَوَاطِنِ. وَمَحْوُ الْعِلَّة عَنِ السَّرَاثِرِ، فَفِي مَحْوِ الزَّلَةِ: إِثْبَات التَّوْبَةِ. وفي مَحْوِ الغَفْلة إثْبَات اليَقَظةِ، وفي مَحْوِ الغَفْلة إثْبَات اليَقَظةِ، وفي مَحْوِ الْعَلْقة إثْبَات التَقَظةِ، وفي مَحْوِ الْعَلْقة إثْبَات اليَقَظةِ، وفي مَحْوِ الْعَلْقة إثْبَات التَقَطةِ، وفي مَحْوِ الْعَلْقة إثْبَاتُ الصَّفَاءِ.

السَّنْرُ وَالنَّجَلِّي: السَّنْرُ عندَهُمْ عِبَارة عَنْ غَيْبَةِ الْعَبْدِ عَنْ رَبِّهِ، تَرْويحاً وَتَنَزُلاً وَشُغُلاً، بِشَأْنٍ مِنَ الشُّؤُونِ. والتجلِّي عِبَارة عَنْ كَشْفِ الْعَبْدِ بعظمة رَبِّهِ. وهذا قبل الرَسُوخ. وأمَّا بَعْد الرَسُوخ، فَلا غَيْبَة لَهُ. فالعوامُ فِي غِطاءِ السِّشْر على الدَّوامِ. والخواصّ بين كشفِ وغطاء. وخواصُ الخَواصّ فِي دوامِ التجلّي. فالسِّنْرُ للعَوامِّ عقوبةً. وللخواصّ رحمة. إذ لؤلا أنهم يُسْتَرُ عنهُمْ في بعض الأَخيَانِ، لتلاَشَوْا عِنْدَ سُلْطَانِ الحقيقةِ. ولكنه كما يظهر لهم، يستر عنهُمْ. فألخَواص بين عيشٍ وطَيْشٍ. إذا تجلّى لهُمْ طاشُوا، وَإذا ستر عنهم ردوا إليهِم فعاشُوا.

الْمُحَاضَرَةُ وَالْمُكَاشَفَةُ وَالْمُسَامَرَةُ: المُحَاضَرَةُ: حُضُور الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِ وَيَكُون من وَرَاءِ الحِجَابِ، إِمَّا بتواتر الْبُرْهَانِ، أَوْ بِفِكْرةِ الاغتبَارِ، أو بِاسْتِيلاَءِ سُلْطَانِ الذِّكرِ على القَلْبِ. ثم بعده المكاشفة: وهي حضور القَلْبِ مَعَ الرَّبِ بِنَعْتِ البَيَانِ. غَيْر مفتقر في هذه الحالةِ إلى تأمُّلِ الدَّليل. وتطلّب السَّبيل. ويكون أَيْضاً مع الحِجَابِ بِنَعْتِ القرْبِ فِي مَقَامِ المُرَاقَبَةِ؛ وهُو لِلْعُبَّادِ والزُّهَّادِ ونهاية الأَسْرَار. أمَّا مكاشفة ضماثر النَّاس، فليست بِمقصُودَة عِنْدَهُمْ. بل يُعطاها مَنْ لم يَبْلُغ هذا المقام. وبعد المحاضرة والمكاشفة. المُسَامرة: وهي ظهور أَسْرار الذَّات، فيغيب العبد عن وجوده. ويغرق في بَحْر الأحدية ساعة أَوْ سَاعَتَيْنِ. ثم يرجع إلى شاهده وجسِّهِ. كمَن يَسْتَمِرُ في عَوْمِهِ تحت الماءِ سَاعة أَوْ أَكْثَرَ، ثم يخرجُ؛ هي مِنْ بِدَايَةِ الوُجْدَانِ، ولمعان أَنْوَارِ المشاهدة. ثم بعدها المشاهدة؛ وَهِي ذَوَام شهُودِ الحقّ الوَجْدَانِ، ولمعان أَنْوَارِ المشاهدة. ثم بعدها المشاهدة؛ وَهِي ذَوَام شهُودِ الحقّ

بِلاَ تَعَبِ. أو وجُودِ الحقُّ بِلاَ تهمَة.

وقال الجُنيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: المشاهدة: وجود الحقَّ مع فقدانِكَ. وقد تقدَّم تفسيرهَا. وإنما أُعيدتُ هُنَا، لترتيبها على ما قبلَها. قال القشيري: فصاحب المحاضرة مَرْبوط بِآيَاتِهِ. وصاحب المُكَاشفَة، مَبْسُوط بِصفاتِهِ. وصاحب المُسَامَرَة. تارة بتارة. ثم قال وصاحب المشاهدة ملقى بِذَاتِهِ. قلتُ: وصاحب المُسَامَرَة. تارة بتارة. ثم قال القشيري: صاحب المحاضرة، يهديه عقلهُ. وصاحب المكاشفة، يُدنيهِ عِلْمهُ. وصاحب المشاهدة، أَنها: تَوالِي وصاحب المشاهدة، أَنها: تَوالِي أَنوَارُ التجلِّي على القلْبِ، مِنْ غَيْر أَنْ يَتَخلَّلهَا سِثْرٌ وانقطاعٌ. كما لَوْ قدر اتصال البروق، في الليلة الظلماءِ. فإنها تصير في ضوءِ النهار، كذلك القلب، إذا دَامَ البروق، في التجلّي، فلا ليْلَ. وأَنشَدُوا:

لَيْسِلِي بِوَجْهِكَ مُسْرِقٌ وَظَلاَمُهُ فِي النِّسَاسِ سَادِ النِّسَاسِ سَادِ النِّسَاسِ في سَدْو النِّسَادِ النِّسَادِ النِّسَادِ النِّسَادِ النِّسَادِ النِّسَادِ النِّسَادِ النِّسَادِ النَّسَادِ الْسَلَّةِ النَّسَادِ الْعَلَّةُ الْمُعَادِي الْعَلَيْدُ الْعَلَيْدُ الْعَلَيْمِي الْعَلَيْمَادِ الْعَلَيْمِ الْعَلَّةُ الْعَلَّةُ الْعَلْمَادِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَا

والسَّدَفُ بالسَّينِ: الظلمة كما في القاموسِ. وقال النوري: إذا طلع الصباحُ، اسْتُغْنِي عن المِصْبَاح. وقول الشاعر: ليلي إلخ. ليل وجودي مشرق بوجودِ ذلِكَ. فَقَدْ ذهبَتْ ظلمة وجودِهِ، في نَهَارِ وجودِهِ.

اللَّوَائِحُ وَاللَّوَامِعُ وَالطَّوَالِعُ: وهي أَلفَاظ متقاربة؛ وهي أَصْل البِداياتِ، حينَ تبرق عليهم أَنْوَار الشهود، ثم تشتر. فتكون أولاً لوائحُ ثم لوامع، ثم طوالعُ. فاللوامعُ أَظْهَرُ من اللوائح. والطوالع أَظهر من اللوامع. فقد تبقى اللَّوَامع سَاعتيْن أَوْ ثلاث، بخلاف اللوائح. فإنها أَخف لِزَوَالِهَا بشُرْعةٍ. كما قال الشاعرُ:

افْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمًا اجْتَمَعْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا وَالْ آخر:

يَا ذَا الَّذِي زَارَ وَمَا زَارَ كَانَّهُ مُفَّيَّبِ سُّ نَارَا مَرْ بِبَابِ الدَّارِ مُسْتَغْجِلاً مَا ضَرَهُ لَوْ دَخَلَ السَدَّارَا وَأَمَّا الطَّوَالع، فَإِنَّهَا أَبْقَى وَقْتاً، وأقوى سلطاناً. وأذهب لِلظلمَةِ. وأنفى

واما الطوالع، فإنها ابقى وفتا، وأفوى سلطاناً. وأدهب لِلطلمةِ. وأنفى للتُّهْمَةِ. لكنَّهَا على خَطَرِ الأفولِ. لم يتمكَّنْ صاحبها من طلوع شَمْسِ عِرْفَانِهِ. فَأُوقَاتُ حُصُولِهَا وشيكة الارتحالِ. وأَخْوَالُ أُفُولِهَا طويلة الأذيَالِ. لكن إذا غَرُبَتْ أَنوارهَا، يعيش في بركَاتِ آثَارهَا، إلى أَن تعودَ ثانياً. هَكَذَا تطلع شمس نهَارِه بتمكّنِهِ. فَلاَ مَغِيبَ لَهَا حينئذِ. قال الشاعر:

طَلَعَتْ شَمْسُ مَنْ أُحِبُ بِلَيْلِ واسْتَنَادَتْ فَمَا ثَلاَهَا غُرُوبُ إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ لَيْلاً وَشُمُوسُ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ تغيبُ

البواده والهجوم: البواده مَا يَفْجَأُ الْقَلْبَ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَيْبِ، على سَبِيلِ البغتة. إما موجب فرح، أَوْ تَرَح. والْهُجُومُ، مَا يَرِدُ على الْقَلْبِ بِفَوْتِ الوقْتِ من غيْر تقنّع وَلاَ تكشّبِ. وتختلف أَحْوَالُهُمْ على حسّب ضعفهم وقوّتهم. من غيْر تقنّع وَلاَ تكشّبِ. وتختلف أَحْوَالُهُمْ على حسّب ضعفهم وقوّتهم. فمنهم من يكونُ فوق ما يفجأهُ فمنهم من يكونُ فوق ما يفجأهُ حالاً وقوة؛ لا تغيره الهواجِمُ. وَلاَ تتصرّف فيه البوادهُ. وَلاَ تُزَعْزِعهُ الهموم. وَلاَ تحرّكه المخاوف. أُولئِكَ سَادَةُ الْوقت كما قيل:

لا تسهدي نـوب الـزمـان إلـيـهـم ولهم على الخطب الجليل لجامُ وهؤلاء أَهْلُ الرسُوخ والتمكين. جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهم آمين.

التَّلْوِينُ وَالشَّمْكِينُ: التلوين هو الانتقال من حالِ إلى حالِ، ومن مَقامٍ إلَى مَقامٍ، وقد يسقط ويقومُ. فإذا وَصَلَ إليه صريح العِرْفَانِ. وتمكَّنَ من الشهود، فصاحب تمكينٍ، فصاحب التلوين أَبداً في الزيادة، وصاحب التمكين، وصل وتمكَّنَ. فانتهاء سَيْرهم، الظفر بنفوسهم، فإذا ظفَرُوا بها فقد وصَلُوا. فانخسَتُ أوصاف البشرية، واستولى عليها سلطان الحقيقة. فإذا دَامَ ذلِكَ للعَبْدِ؛ فهو صاحب تمكينٍ، وقد يكون التلوين بعد التمكين، ومعناه: النزول في المقاماتِ، كنزولِ الشمس في بُرُوجِها. فَيَتَلَوَّنُ العارفُ مع المقادِيرِ، ويدورُ مَعَها حيث دَارَتْ، ويتلوَّن بِتَلَوِّنِ الْوَقْتِ، فيكون بين قَبْضٍ وبسُطِ، وقوة وضعفِ، ومَنْع دَارَتْ، ويتلوِّن بِتغير الأحوال. وَلاَ يَأْتُر بالزَّلازل والأَهْوالِ. غيْر أَنه مالِك غيْر مملوك. لاَ يتغير بتغير الأحوال. وَلاَ يَتأثر بالزَّلازل والأَهْوالِ. والله تعالى أَعْلَمُ.

القُرْبُ وَالْبُعْدُ: القرْب كنَاية عن قرْب العبْد من ربِّهِ، بطاعتِهِ وَتَوْفيقِهِ؛ وهو على ثلاثِ مَرَاتبَ: قرْب بالطَّاعَةِ وتَرْك الْمُخَالَفَةِ. وقرْب بالرياضة والمجاهدة. وقرْب بالوصولِ والمشاهدة. فقرْب الطالبينَ بالطَّاعَةِ. وقرْب المريدين

بالمجاهدةِ. وقرْب الواصلينَ بِالمشاهدة. فَأُول البُغد: البُغد عن التوفيق. ثم البُغد عن سلوك الطريق. ثم البُغد عن التحقيق. وفي الحديث القدسِي عن الله عزَّ وجَلَّ، يقول: «مَا تقرَّبَ إِلَيِّ المُتَقَرِّبُونَ، بِمثل أَدَاءِ مَا افْتَرضته عليهم. وَلا زال العبد يتقرَّبُ إليّ بالنّوافِلِ حتَّى أُحِبُهُ. فإِذَا أَخبَنتُهُ كُنتُهُ كُنتُ له سَمْعاً وبَصَراً (١) الحديث. وفي حديث آخر: «فَإِذا أَخبَنتُهُ كُنتُهُ كُنتُهُ كُنتُهُ الله سَمْعاً وبَصَراً (١) إنجياشه إليه بِقلبِه. وقرْب الحق من عَبْدِهِ، تغييبهُ عن وجوده الوهمي. وكشف الحجاب عن عَيْن بَصِيرَتِهِ حتى يرى الحقّ أقربَ إليه من كل شَيْءٍ. ثم يغيب القرْب في القرْبِ. فيتَّجِد الْقَرِيبُ والقرْب والمحبّ والحبيبُ كما قال القائل:

أنَّا مَـن أهْـوَى، وَمَـن أهْـوَى أنَّـا

وكما قال التستري:

أَنَا المُحِبُّ والحبِيبُ ما ثَمَّ ثَانِي

الشَّرِيعَةُ وَالطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ: تكليف الظُّوَاهِرِ. والطريقة: تصفية الضمائر. والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة أَنْ تَعبُدهُ. والطريقة أَنْ تقصدهُ. والحقيقة أَنْ تَشْهَدَهُ. فلمَّا تجلَّى الحق بين الضَّدَيْن، فتجلَّى بمظاهر عظمة الرُّبوبية. في قوالبِ العبُودية، ظَهَرَت الشريعة والحقيقة. فشهود العظمة من حيث هي: حقيقة. والقيام بِآدَابِ القوالِبِ عبادة. وعبودية شريعة. وأما الطريقة فهي إضلاح الضَّمَائِر، لتنهيًا لإشراق الحقائق عليْهَا.

فالشريعة لإصلاح الظواهر، والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لتزيينِ السَّرائر، ويُقَالُ: الشريعة عين الحقيقة. من حيث إنها وَجَبَتْ بِأَمرهِ، والحقيقة عَيْنُ الشريعة مِنْ حيثُ إنها مكلف بِهَا من قبل الشريعة، وقد تطلق عندهم الشريعة، على كل ما يتوصل به إلى شيءٍ. أو يكون سَبباً في إدراكِهِ، فالأسْبَابُ كُلُهَا شرائعُ، والمقاصد كلها حَقائق، فالحِشُ شريعة المَعْنَى، إذ بِهِ قُبِضتْ، والمجاهَدة شريعة المشاهدة. والذّل: شريعة العِزّ، والفقر: شريعة الغِنى،

⁽١) هذا الحديث سبق تخريجه.

⁽٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

وهَكذا. والحرث والغَرْسُ شريعة جَنْي الثمار. ولذلكَ يقولون: مَنْ غَرَسَ الشرائع، أَثمَرَتْ له الشرائع. أَي الشرائع، أَي أَخْرَجَتْهُ إلى الرجوع إلى الشرائع. وفي ذلِك يقول الشاعِرُ:

ثِمَارَ مَا قَدْ غَرَسْتَ تَجْنِي وَهَدِهِ عَادَة السرَّمَانِ

الذَّاتُ وَالصّفَاتُ: إعْلَمْ أَنَّ الحق جلَّ جلاله، ذات وصفات في الأزلِ وفي الأبدِ. أَعْنِي قبل التجلِّي وبعدهُ. إذْ صِفَاته قديمة بِقدَمٍ ذاتِهِ. والصفة لا تفارق الموصوف. فحيث تجلَّتِ الذَّات. فالصفات لاَزمة لها. فالذَّات ظاهرة، والموات باطنَة. والمراد بالصفات: صفات المعاني؛ وسائر أوصاف الكَمَال. فكل ما وقع به التجلّي والظهور، فهو بين ذاتٍ وصفات. الذَّات لا تُفارق الصفات. والصفات لا تفارق الذات. وهذا التلازُمُ الذي بينهما في الوجود؛ هو الذي قصد من قال: الذَّات عين الصفات. أي مظهرهما واحد. كما قالوا: الحِسُّ عين المَعْنَى. أي اتَّحَدَ مظهرهما. قال بعض المشارقة، في بعض أزجالِه:

يا واردَ العَيْن إِنْ حقَّقتَ زَالَ الشَّك الذَّاتُ عَيْن الصفاتِ مَا فِي الْمَعَانِي شك

وَلاَ يَصُدَّنك عن شهود الذَّاتِ رداءُ الحِسِّ المنشور على وجه المعاني. فإنَّ لهذَا الأمر من مدارك الأذواق والوجْدَان. لاَ من طريق دليل العَقل والبُرهان. وللَّهِ دَرُّ ابن الفَارض حين يقول:

فَثَمَّ وراءَ النَّقْلِ عِلْمٌ «يَدقُّ عَنْ» مَدَادِكِ غَايَاتِ العقولِ السَّلِيمَةِ

واعلم أَنَّ الذَّاتَ لاَ تتجلَّى إِلاَّ فِي مَظَاهِر الصفاتِ. إِذْ لَوْ تجلَّتْ بِكَ من دون وَاسطة لاَضْمحَلَّت المُكَوّنَاتُ وتلاشَتْ. ولذلك يقولون: تجلّي الذات جلالي. وتجلّي الصفات جَمَالِي؛ لأَنَّ تجلّي الذَّات بواسطةٍ، يُمْحقُ ويُحْرق، كما في الحديث. تجلّي الصفات يكون بالأثرِ. فيكون معه الشهود والمعرفة؛ فهو جمالي. ثم توسعوا فأطلقُوا على كل ما هو جلالي ذات. وعلى كل ما هو جمالي صفاتٌ على سبيل التشبيه. فَقَالُوا: الفقر ذات. والغِنَا صفاتٌ. الذُّلُ دَات. والعِنَا صفاتٌ. الذُّلُ ذَات. والعِزَ صفات. الصَّمَّتُ ذَاتٌ. والكَلامُ صفاتٌ. هكذا. وَهٰذَا الاصطلاح، ذكره شيخ شيوخنا، سيّدي عَلِي الجَمَل العمراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتابِهِ: وَلاَ أَدْرى هَلْ سُبق به أَمْ لاَ.

الأَنْوَارُ وَالأَسْرَارُ: الأنوار عبارة عمًا ظَهَر من كثاثف التجليات. والأَسْرَارُ: عِبَارة عمًّا بَطن فيها من المَعَانِي اللطيفة. فالأسرار أَرَقَ مِنَ الأنوارِ للذَّاتِ. والأنوار للصفاتِ؛ لأنها أثرُها. فالذَّات بَعْدَ التجلّي، بيْن أَنْوَار ظَاهِرَة، وأَسْرَار باطِنَة. وأما في حال الكَنْزِيَة، فَمَا كَانَ إِلاَّ الأسرارِ. فَالْجَبَرُوتُ كُلُهُ أَسْرَارٌ. والمَلْكُ أَغيار وأَكْذَارٌ.

فالجود واجد. فَمَن نظر إلى باطِنِه، لم يَرَ إِلاَّ الأسرار ومَن نظر إلى ظاهره بِعَيْنِ الفَرْق، لم يَرَ إلاَّ الأغيار. جَمْع غيْر بالسكونِ. ومن شغله عن التوجه إلى الله بتشغيبِه وأهواله، كان في حقل انجدار. وإنما سمّيت تجليات الحق أنواراً على وجه التشبيه. لأنه من شأن النور أن يكشف الظلمة ويُذْهبَها. وكذلكَ تجلّي الحق، يكشف عن ظلمة الجَهلِ، ويظهر العلْم بِهِ. ولذلكَ قالوا: العلم نورٌ، والجهل ظلمة على وجه الاستعارة. وأما السَّرُ فهو الأمر الخفي الذي لا يُدرَكُ. فلذلكَ قالوا فِي حق الخمرية الأزلية. والمعاني القديمة أسراراً. لأنها لمّا تصفّت رجَعَتْ المَحميع قديماً. والله تعالى أغلَمُ.

وَأَمَّا الضمائر والأَسْرَارُ، فقيل معناهما واحدٌ. وقيل السَّرائر أرق وأَضفى. كما أَنَّ الروح أَرق من القلبِ؛ لأنَّ الضمائر: كل ما خفي في الباطن، خيراً أو شرًا. والسَّرَائر كمن فيه المحاسن. والتحقيق: أنها شيء واحدٌ. عبَارة عَمَّا كَمُنَ فِيهِ البَاطِن من العقائد والنيات بدليل الآية: ﴿يَرْمَ تُبَلَى ٱلتَّرَآيِرُ ۗ ﴾ [الطارق: ٩] والله تعالى أَعْلَمُ.

النَّفَسُ: بالتحريك: قال القشيري، يعنُون بِهِ ترويح القلوبِ، بلطائف الغيب. فصاحب الأنفاس أَرفع من صاحب الأحوال، ومن صاحب الوقتِ. فكأن صاحب الوقتِ مُبْتدى، وصاحب الأنفاسِ منتهي، وصاحب الأحوال بينهما. فالأوقات لصاحب القلوب. والأحوال لصاحب الأرواحِ. والأنفاس لأهل السَّرَائر. قُلْتُ: النَّفَسُ: أَدَقُ منَ الوَقْتِ. فحِفْظ الأوقاتِ من التَّضييع لِلْعُبَّادِ والزُهَادِ. وحفظ الأنفاسِ للعَارفينَ الواصلينَ، واستعمال الأحوال

للمريدين. والمراد بحفظ الوقت: حضور القَلْبِ فيه، وبحفظ النَّفَسِ، حضور السَّرِّ في مشاهدة الحق. يُقال، فلانٌ طابَتْ أَنفاسه، إذا صَفَا مشربهُ من عين التوحيد؛ من كدورة الأغيّارِ. فقوله في حدِّ النَّفَس: ترويح القلوب، أي خروجها من تَعَبِ العِسَّة، ودوام المراقبة؛ إلى راحة المشاهدة. مما يَبْدُو لَهَا من لطائف أَسْرَار التوحيد، وفضاء الشهود. ثم قال القشيري: وقالُوا: أفضل العِبَادة حفظ الأنفاس. أي دوام الفكرة والنظرة. كما قال الشاعر:

مِن أَخَسَنِ المَذَاهِبِ شُكَرَ عَسَلَى السَدُوامِ وأكسم ل السرَّغان ب وَضَالٌ بِسلاَ انْسَصِرَام

قال أَبُو عليّ الدَّقاق: العارفُ لاَ يَسْلَمُ لَهُ النَّفَسُ، أَي تضييعه. إذَ لاَ مُسَامِحة تجري مَعَهُ. والمُحِبُّ لاَ بُدَّ لَهُ مِنَ النَّفَسِ، إذ لَوْلاَ ذَلِكَ لتلاشَى لعَدم طاقتِهِ. فالْعَارِفُ، لمَّا اتَّسَعَتْ مَعْرِفَتُهُ، سَهُلَ عليه حفظ أَنْفَاسِهِ، لسُهُولة حُضُورهِ، وتمَكُنِ شهودهِ، بخلافِ المُحِبُ. فَلِضِيْقِ حالِهِ، لاَ يستطيع دَوَامَ حُضُورهِ فِي خِدْمَتِهِ. وعلى تقدير سُهُولِها عليها، لفنائه فِيهَا. وقد تخلّ بشريتهُ. ولذلكَ قال عليه الصلاة والسلام: "رَوِّحُوا قُلُوبَكُمْ بِشَيْءِ مِنَ الْمُبَاحِ" (١). أَوْ كَما قال عَلِيهُ لَحَنْظلةَ والصّديق: "لَوْ تَدُومُونَ كَما تكونُونَ عِنْدِي لَصَافَحَتَكُم المَلاَئكة. ولكن سَاعة بِسَاعَةٍ» (١).

⁽١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

⁽٢) روى نحوه مسلم في صحيحه، باب فضل الذكر..، حديث رقم (٢٧٥٠) [٢١٠٦/٤]. ورواه غير مسلم ونصه: عن حنظلة الأسيدي قال وكان من كتاب رسول الله على قال لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله على عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله على قلت نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله على غذك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً فقال رسول الله على والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات».

الْفِكْرَةُ والنَّظْرَةُ: الفِكْرَة جَوَلاَنُ الْقَلْبِ، في تَجلَّيَات الرَّب. وقال في الحِكَمِ: هي سَيْر القلب في مَيَادِين الأغبَار. وهذه فِكرة الطَّالِبينَ. وفِكرة السَّائِرِينَ سَيْر القلبِ في مَيَادِين الأنوار، وفكرة الصالحينَ: سَيْر الرّوح في ميادِين الأسرار. وترجع إلى فِكْرَتَيْنِ: فِكْرَة تصديق وإيمَانٍ؛ وهي لأهل الاغتبار، من عامَّة أهل اليمين، وفِكرة شهود وعيَانٍ. وهي لأهل الاستبصارِ، من نجبًا والمريدين، وخاصَّة العارفين المتمكِّنين؛ وهي سِراج القلب، فإذا من نجبًا والماءة له. وهي سَبَبُ الْفِنَا الأكْبَر؛ وبِها يتحقق السَّيْرُ، ويَحسُل الوصول. فَمَنْ لاَ فِكْرَةً له. لاَ سَيْرَ له. وَمَنْ لاَ سَيْرَ له، لاَ وُصُولَ لَه. وكان المنظرة؛ فهي أَرَقُ مِنَ الفِكْرَةِ وأَزْفَعُ. لاَنها مَبْدَأُ الشهودِ. فالجَوَلانُ فِي الأكوانِ، المنظرة؛ فهي أَرَقُ مِنَ الفِكْرَةِ وأَزْفَعُ. لاَنها مَبْدَأُ الشهودِ. فالجَولانُ فِي الأكوانِ، المنظرة؛ فهي أَرَقُ مِنَ الفِكْرَةِ وأَزْفَعُ. لاَنها مَبْدَأُ الشهودِ. فالجَولانُ فِي الأكوانِ، وهدمها وتلطيفها فِكْرَةً. والنظرة في نفسِهِ أَو غيرو،من التجليات، وغيبته عنها المُضرةِ. الحق نظرة. فإن تمكن مِنَ الشُهُودِ ودامَ فيهِ، سُمِّي العكوفُ في المَضرةِ. وللكَ يُقَالُ؛ أَوَّلَ المَقَاماتِ ذِكرٌ، ثم فكرة، ثم نظرة، ثم عكوف في الحَضرةِ. والله تَعَالَى أَعْلَمُ.

الشّاهِدُ: قال القشيْري: قد يجري في كَلاَمِهِمْ: فلانٌ بِشَاهِدِ العلمِ. وفُلاَنْ بِشَاهِدِ العلمِ. وفُلاَنْ بِشاهِدِ الوجْد، وفلانٌ بِشاهِدِ الحالِ. ويريدون بلفظ الشاهِدِ: ما يكون حاضر قلبِ الإنسانِ. وَمَا هُو غَالِبُ ذِكرهِ النه يراهُ ويُبْصِرُهُ. وإن كَانَ غائباً عَنْهُ. وكل ما يستَولي على قَلْبِ الإنسانِ فهو شاهدهُ. فإن كَان الغالب عليه ذِكر الْعِلْمِ: فهو بشاهِدِ الْعِلْمِ. وإن كَانَ الغَالِبُ عليه الْوَجْدُ؛ فَهُو بِشاهِدِ الْوَجْدِ. وَمَعْنَى الشاهد: الحاضر. فكل ما هو حاضِرُ قلبِكَ ؛ فهو بشاهِدكَ.

الْخَمْرَةُ وَالْكَأْسُ وَالشَّرَابُ:

أمًّا الخَمْرَة، فَقد يطلقُونَهَا على الذَّاتِ العَلِية قَبْلَ التجلِّي. وَعَلَى الأَسْرَارِ القائمة بالأَشياء بعد التجلّي. فيقولون: الخمْرَة الأزلية تجلّت بِكَذَا. ومِنْ نَعْيها كَذَا. وقامَتْ بِها الأَشياء، تستراً على سِرِّ الرّبوبية. وعليها غَنِّى ابن الفارضِ في خمريته. وإنما سمَّوها خمرية؛ لأَنَّها إذا تجلّت للقلوبِ غابَتْ عَنْ حِسُّهَا، كما تغيب بالخمْرَةِ الحسّية. وقد يطلقونها على نفس السّكر والوجد والوُجدَانِ.

ويقولونَ: كُنَّا فِي خَمْرَةٍ عظيمَة، أَي في غيْبَة عنِ الاحْسَاسِ كبيرة. وعلى لهٰذَا غَنَّى التستري حيْث قال:

خَــمْــرُهَــا دُونَ خَــمْــرِي خَــمْــرَتِـــي أَزَلِـــيَّـــهُ أَيْ سُكُر خَمْرَةِ الدُّوالِي دون خَمْرَتي.

وأمَّا الكَأْسُ الذي تُشربُ منه هذه الخمرَة، فهو كناية عن سُطُوعِ أَنْوَارِ التجلّي على القلوبِ، عنْدَ هَيَجَانِ المحبَّة، فَتُدْخِلُ عَلَيْهَا حَلاَوة الْوَجْدَ حتى تغيبَ. وَذَلك عِنْدَ سَماعٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ مُذَاكرةٍ. وقيل: الكَأْس هو قلْبُ الشيخ: فقلوب الشيوخ العارفينَ كُووس لهذه الخمرة، يسْقونها لمَن صحبَهم وأَحبَّهُمْ.

والشّرْب حضور القَلْب، واستعمال الفكرة والنظرة. حتى تغيب عن وجودكَ في وجودِه؛ وهو السكر. فالشرب والكأسُ متّصلانِ في زمن واحد في هذه الخمرة، بخلافِ خمرة الدّنيا.

وقال القطبُ بن مشيش: المَحَبَّة آخِذَةٌ مِن اللَّهِ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّ، بما يُخشف لهُ من نُورِ جمالِهِ، وقدسِ كَمَال جلالِهِ. وشَرَاب المحبَّة: مَزْجُ الأوصافِ بِالأوصَافِ، والأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوتِ بالنعوتِ، والأفعال بالأفعالِ. ويتسعُ النظر لمَن شَاءَ الله عزَّ وَجَلَّ. والشرابُ يسْقي القلوبَ والأوصالَ والعروق من هذا الشربِ. ويكون الشرب بالتدريبِ بعد التدريب، والتهذيب. فيسقى كل على قدرهِ.

فمنهم من يُسْقَى بِغَيْرِ واسطةٍ. والله يتولَّى ذلكَ منْهُ. قلت: وَلهذَا نَادِرٌ. ومنهم من يسْقَى مِن جهة الوسائِطِ، كالملائكة والعلماء، والأكابر من المقرَّبينَ. ثم قال: والكأس مغرِفة الحق، يُغرف بها من ذلكَ الشراب الطهور المَحْضِ الصَّافِي لمَن شاء من عباده المخصوصينَ، إلى آخر كَلاَمِهِ. وقد فَسَّرْنَاه في شرح الخمرية.

الْمُرِيدُ وَالْفَقِيرُ، وَالْمُلاَمِتِي وَالْمُقَرَّبُ:

أُمَّا المريد: فهو الذي تعلقَتْ إِرَادته بمعرَفةِ الحقِّ، وَدَخَل تحتَ تَرْبِيَةِ المشايخ. وقد تَقَدَّمَ.

وأمَّا الفَقيرُ: فهو الَّذي افتقر مما سِوَى لهٰذِهِ، ورفَض كل ما يُشغله عَنِ اللَّهِ. ولذا قالوا: الفقيرَ لا يَمْلِك وَلاَ يُمْلَكُ. أَي لاَ يَمْلِك شيئاً، وَلاَ يملكهُ شَيْءٌ. فهو أَنْصَفُ من المريدِ وأَخَصُّ؛ لأنَّ المريدَ قَدْ يكونُ من أَلهلِ الأسباب. وقيل: الفقير هو الذي لاَ تُقِلّه الأرْضُ، وَلاَ تُظِلَّهُ السَّمَاءُ. أَي لاَ يحصرهُ الكَوْنُ، لرَفع هِمَّته. ونفوذ بصيرته.

وقال بَعْضهُمْ: شروط الفقير أَرْبَعَةٌ: رَفْعُ الهِمَّةِ، وحسْنُ الخِدْمَةِ، وَتَعْظيمُ الْحُرْمَةِ، وَنَعْظيمُ الْحُرْمَةِ، وَنُقُوذُ الْعَزيمَةِ.

وأَمَّا المُلاَمِتي: فَقَالُوا: هو الَّذِي لاَ يُظهر خيْراً، وَلاَ يُضمِرُ شرًّا. أَي هو الَّذِي يخفِي بيتهُ، ويظهر من الأحوالِ، ما يُنفر النَّاس عنْهُ.

والمُقَرَّبُ، هو المحقق بالفَنَاءِ والبقاءِ. وقال بغضُهُمْ: الفقر والمُلاَمة والتقريب، أنواع من التصوف ومرَاتب فِيه. فَإِنَّ الصَّوفِي هو العامل في تصفية وقتِهِ، ممَّا سِوَى الحقِّ. فإذا سَقط ما سوى الحق من يدهِ فهو الفقيرُ. وإن كَان لاَ يُبَالِي بالنَّاس، وَلاَ يُظهر خَيْراً، وَلاَ يُضْمِرُ شرًا، فَهُوَ المُلاَمِتي، والمقرَّبُ: مَن كَمُلَتْ أَحْوَالُهُ. فَكَان بِرَبِّهِ لِرَبِّهِ، ولَيْسَ لهُ عن سوَى الحق إخبارٌ، وَلاَ مع غَيْر اللهِ قرارٌ.

الْعُبَّادُ وَالرُّهَادُ وَالْعَارِفُونَ: هذه أَلْفاظ، مَعَانِيهَا متقاربة. يجمعها معْنَى التصوف في الجملة؛ الذي هو قصد التوجه إلى الله تعالى. إلاَّ أَنْ مَنْ غَلَبَ عليه التوك، كَان زاهِداً. ومن وصل إلى عليه العمل كَانَ عَابداً، ومَنْ غَلَبَ عليه الترك، كَان زاهِداً. ومن وصل إلى شهود الحق ورسَخَ فِيهِ، كَانَ عَارفاً. فَالْعُبَّاد والزُّهَّاد، شَغَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ. إِذْ لَمْ يَضَلُحُوا لصريح معرفتِهِ. والعارفُونَ شَغَلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ. ﴿ كُلًا نُيدُ هَتَوُلاً وَهَا وَهَا وَالْمَا مِنَاهُمْ وَهَا كُنْ عَمَلاً مُ رَبِّكَ عَمْلُولًا ﴿ الإسراء: ٨٢٠].

الصَّالِحُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ، وَالْبُدَلاَءُ، وَالنُّقَبَاءُ، وَالنُّجَبَاءُ، وَالأَوْنَاد، وَالْقُطْبُ:

أَمَّا الصالحونَ، فَهُمْ مَن صَلُحت أَخْوَالُهُمُ الظَّاهِرَةُ، واستقامَتْ أَخْوَالُهُمُ الباطِنة.

وأَمَّا الأولياء: فهُم أَهْل العلم بِذلِكَ، على نَعْتِ العِيَانِ مِنَ الْوَلِي: وهو القَرْبُ، وقيل: مَنْ تَوَالَتْ طَاعَتُهُمْ، وتحقَّقَ قُرْبُهُمْ، وَاتَّصَلَ مَدَدُهُمْ.

وأمًّا البُدَلاَءُ: فَهُمُ الذينَ اسْتَبْدَلُوا المَسَاوىء بِالمحَاسِنِ. واسْتَبْدَلُوا صِفَاتِهِمْ بِصِفَاتِ مَخْبُوبِهِمْ.

وأَمَّا النَّقَبَاءُ: فَهُمُ الَّذِينَ نَقُّبُوا الكَوْنَ، وخَرَجُوا إلى فضاءِ شهودِ المكوَّٰنِ.

وأمَّا النُّجَباء: فهم السَّابِقونَ إلى اللَّهِ، لِنَجَابَتِهِمْ؛ وهم أَهْل الجِدُّ والقَرِيحَةِ الْمُريدينَ.

وأَمَّا الأَوْتَادُ: فَهُمُ الراسِخُونَ فِي مَغْرِفَةِ اللَّهِ. وهم أَرْبعة. كأنهم أَوْتَاد لأركَان الكَوْنِ الأَرْبَعَةِ.

وأمَّا القُطْبُ: فهو القائم بحقِّ الكَوْنِ والمُكَوَّنِ؛ وهو واحد. وَقَدْ يُطْلَق على مَنْ تحقق بمقام. وعلى هٰذَا، يتعدد في الزَّمانِ الواحد أقطابٌ في المقاماتِ والأَحْوَالِ والعلوم. يُقال: فلان قطب في العلوم. أو قطب في الأحوال أو قطب في المقاماتِ. إذا غَلَبَ عليه شَيْءٌ مِنْهَا. فإذا أُرِيدَ المقامُ الذي لاَ يتصف به إلاَّ واحد، عُبَّرَ عَنْهُ بِالْغَوْثِ؛ وهو الَّذِي يصل منه المَدَد الرّوحانِي إلى دوائر الأولياءِ من نَجِيبٍ ونَقيبٍ، وأوتاد، وأبدال. وله الإمامة والإرْثُ، والخِلاقة الباطنة، وهو روح الكَوْنِ الذي عليه مَدَارُهُ. كما يسيّرُ إلى ذٰلِكَ. كونه بمنزِلَةِ إنسانِ العَيْنِ مِنَ روح الكَوْنِ الذي عليه مَدَارُهُ. كما يسيّرُ إلى ذٰلِكَ. كونه بمنزِلَةِ إنسانِ العَيْنِ مِنَ العَيْنِ مِنْ سَرَّ البَقَاءِ بِاللَّهِ.

وَأَمَّا تَسْميته بِالغَوْثِ، فمِنْ حَيْث إِغَاثَتُهُ الْعَوَالِمَ بِمادَّته وَرُتْبَتِهِ الْخَاصَّة. وله عَلاَماتٌ يُعْرَفُ بِهَا. قال القطب الشهير، العَلامة أَبُو الحَسَن الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: للقطبِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَلامَة. فَمَنِ ادَّعَاهَا، أَو شيئاً منْهَا، فليبرز بمَدَدِ الرَّحْمَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْخلافَةِ وَالنيابَة، ومدد حَمَلة العرْشِ العَظِيم، ويكشف له عن حقيقة الفُرْتِ، وإحاطةِ الصفاتِ، ويُكْرَم بِالحُكْمِ والفَعْلِ بيْن الوُجُودَيْنِ، وانفصالِ الأول عن الأوّلِ، وما انْفَصَلَ عنه إلى منتهاهُ، وما ثبت فيهِ. وحُكْمُ مَا قَبْلُ، وَحُكْمُ ما بَعْدُ، وعِلم البَدءِ؛ وهو العِلْمُ المحيط بِكلِّ عِلْم. وبكل معلوم. وما يعود إليه.

فَالْعَلاَمَةُ الأُولَى: أَن يكونَ متخلقاً بأخلاقِ الرَّحمةِ، على قَدَمه مَوروثِهِ ﷺ، صاحب حِلْم ورأْفَةٍ، وشفقةٍ وعَفوٍ وعقل ورزانة، وجود وشجاعَةٍ. كَمَا وأَن مَوروثه ﷺ.

والعلامةُ الثانية: أَنْ يُمَدُّ بِمَدَدِ الْعِصْمَةِ؛ وهي الحفظ الإلَّهي، والعصْمَة

الرِّبَّانِية، كَمَا كَان موروثهُ ﷺ. غَيْرَ أَنَّها فِي الأنبياءِ واجبَةٌ وفي الأوليَاءِ جائزة. ويُقال له: الحفظ. فلا يتجاوَز حداً، وَلاَ ينقض عَهْداً.

الثالثة: الخِلاَفة: وهُوَ أَن يكونَ خليفة اللَّه فِي أَرْضِهِ، أَميناً عَلَى عِبَادِهِ، بِالخلافَة النَّبَوِيَّةِ، قد بَايعتْهُ الأرْوَاحُ، وانقادَتْ إليه الأشْبَاحُ.

والرَّابِعَةُ: النيابَةُ: وهو أَنْ يكُونَ نائباً عَنِ الحقّ، في تصريف الأخكَامِ. حسبَمَا اقتضته الحِكمَة الإِلَهية. وفي الحقيقة، مَا ثَمَّ إلاَّ القذرة الأزلية.

والخَامِسَة: أَنْ يُمَدُّ بِمَدَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، من القوة والقرْب، فهو حامل عَرْش الأَكُوَانِ، كَمَا أَنْ الملائكة حاملة عَرْش الرخْمْن.

والسَّادِسَة: أَنْ يُكشَفَ له عن حقيقة الذَّاتِ. فيكون عارفاً باللَّهِ معرفَةَ العِيَانِ. وأَمَّا الجَاهِل بِاللَّهِ، فَلاَ نَصِيبَ لَهُ فِي القُطْبَانية.

والسَّابِعَة: أَنْ يُكْشَفَ له عَنْ إحَاطَةِ الصَّفَاتِ بالكَاثِنَاتِ. فَلاَ مُكَوِّن، إلاَّ وهو قائم بالصفاتِ، أَسَرَار الذَّاتِ. ومعرفة القطبِ بإحاطة الصفاتِ، أَتَمُّ مِنْ غَيْرِه لأنها في حقه ذَوْقية لا عِلمية.

والثامِنَةُ: أن يكرم بِالحكم والفَصْل بين الوجوديْن. أي بين الوجود الأول قبل التجلّي؛ وهو المعبَّرُ عنه بِالأزَلِ. وبِالكَنزِ القديم. وبَيْنَ الثاني؛ وهو الذي وقع فيه التجلّي. والفَصْل بينهما أن يُعْلَم، أنَّ الأول ربوبية بلا عبودية، ومعنى بلا حسَّ، وقدرة بِلاَ حِكْمَة. بخلاف الثاني. فإنه مقصف بالضديْنِ: ربوبية وعبودية، ومعنى وحس، وقدرة وحِكمة، ليتحقق فيه اسْمُهُ الظّاهر، واسْمُه الباطِن. فالضدَّيْن خاصَّة بِالقبضة المتجلَّى فيهَا. وأمَّا الْعظمة المُحِيطة بِهَا، الباقية على كَنْزيتها؛ فَهِيَ باقية على أَصْلهَا. فَافْهَمْ.

والتاسعة والعاشِرة: أن يَكُرمَ بالحُكْمِ، بانفِصَال الأولِ عَنِ الأوَّلِ. والمراد بانفِصَالِ الأولِ، انفِصَالُ نور القبْضة، عن النُّورِ الأزلى الكَنْزِي، وهو بَحْرُ الجَبَرُوتِ. والمراد بما انفَصَل عنهُ: ما تفرَّع من القبضة إلى مُنْتَهَاهُ، مِن فروع التجلياتِ. أي في الحالِ، وأما في المَآلِ فَلا انتهاءً لهُ؛ لأنَّ تجلياتِ الحقَّ لاَ تَنقطع أَبَداً. فإذَا انقضَى هَذَا الوجود الدّنيوي، تجلَّى بِوُجُودٍ آخَرَ أُخْرَوِي وَلاَ نِهْايَةً لهُ.

والْحَادِيَةَ عَشَرَ: أَنْ يعلم ما ثبت في المنفصلاتِ. مِنَ المَزَايا والكراماتِ. أَو ضِدَّ ذلك: يَعْني فِي الجُمْلَةِ. وأمَّا التفصيل، فَمِنْ خَصَائص الرَّبوبية.

والثانيّة عَشَرَ: أَنْ يَعلم حُكُم ما قبل. أَيْ ما قبل التجلّي. وحُكمُهُ: هو التنزيل المطلقُ؛ لأنه بَاقِ على كَنْزِيتهِ. لَم تذخله الضدّانِ.

والثالثة عَشَرَ: أَن يعلم حُكْم ما بعْدَ: أَيْ يَعْلَمُ مَا لاَ قَبْلَ لَهَا وَلاَ بَعْدَ لَهَا؛ وهي الخَمْرَة الأزلية. والذَّات الأصلية. كَمَا قال ابن الفارض:

فَلاَ قَبْلَهَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدَهَا بَعْدٌ وَقَبْلِيَة الأَبْعَادِ هِيَ لَهَا حَشْمُ

والرَّابِعة عَشَر: أَنْ يَطَّلِعَ على عِلْمِ البَدْءِ، والمراد عِلْمُه تعالى الأزلي، السابق لِلأَشيَاءِ قَبْلَ أَن تكون؛ وهو المحيط بكل علم وبكل معلوم. إذ لا يخرج تعالى عن علمه شيء، وكل علم وكل معلوم يعود إلَيْهِ؛ وهذا هو سِرُّ الفَّذَرِ. فقد يكاشف القطبُ على جُزْءِ مِنْهُ، وَلاَ يشترط إحاطته بكلية الأشياءِ وجُزثياتها؛ لأن ذلِك من وظائف الرّبوبية. وإنما يطلعهُ الله تعالى على جُزثيات من نَوْع مَخْصُوصٍ وقد أشار الشيخ أَبُو العبّاس المِرْسي - رحمه الله تَعَالَى - إلى شيءٍ من ذلك فقال: مَا مِنْ وليَّ لله كَانَ، أَوْ هو كَاثِن، إلاَّ وقد أطلعني الله عليه، وعلى اسْمِهِ ونَسَبِهِ، وحظه من الله تعالى. وقال آخرُ: ما مِنْ نطفَةٍ تَقَعُ من اللَّه تعالى وقال آخرُ: ما مِنْ نطفَةٍ تَقَعُ من اللَّه عليها من ذَكْرٍ أَوْ أُنثَى. وهذا من جملة الكَرامَات التي أَتحف الله بِهَا أُولِياءَهُ.

وَقَدْ يَكُونُ قُطباً وهو لم يطلع على شيءٍ من هذه الأمورِ إِلاَّ أَنه عارف باللَّهِ، راسخ القدَمِ فِي المَعْرِفَةِ. وَإِذا أَرَادَ اللَّهُ تَعالَى أَنْ يُظْهِرَ شَيئاً فِي مَمْلَكَتِهِ أَطلعه عَلَيْهَا. وقد لاَ يُطلِعُهُ. وقد قال عليه الصلاة والسلامُ: «واللَّه لاَ أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَمْنِي رَبِي» (١) قال ذلِكَ حينَ ضلَتْ ناقَتُهُ. قَلمْ يَدْرِ أَيْنَ ذَهَبَتْ، فتكلمَ بعضُ المُنَافِقِينَ فِي ذَلِكَ، ثم أَعْلَمُهُ اللَّهُ تعالى بِهَا.

وبالجملة. فالاِطِّلاعُ على الْمُغَيِّبَاتِ، من جملةِ الكراماتِ؛ وهي لاَ تشترط فِي الْوَلِيِّ، قطباً كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. واللَّهُ تعالى أَغْلَمُ. وصَلَّى اللَّهُ عَلى سيدنا محمد

⁽١) أورده أبو محمد الأصبهاني في كتاب العظمة، [١٤٦٨/٤]:

وآلِهِ وصحبه وسلم تشليماً.

لهذا آخِرُ ما جَمَعْناهُ من حَقَائِق التصوف، وشرح ما يَتَعَلَّقُ بكل حقيقة، جعلهُ الله خالصاً لوجههِ الكريم. وأَدَامَ به النفع العميم. جامعه: أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني. لطف الله به في الدارين آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. لله در العارف الجليل، والصوفي الشهير، القطب الكامل، سيدي ومولاي أحمد بن محمد بنعجيبة الحسني، رضي الله عنه، وقدس سرّه، وجعلنا على هذيه آمين. ناقله هنا عبد ربه، وراجي عفوه، عبد السلام بن عبد السلام بن أحمد العمراني الخالدي. وكان الفراغ من نقله هنا، عشية يوم الثلاثاء خامس شوال عام ١٣٩٩ هجرية، الموافق لثامن وعشرين غشت سنة ١٩٧٩م.

شرح صلاة الشيخ الأكبر محيي اللاين بن عربي الحاتمي رضي الله عنه

> لسيدي أحمد بن عجيبَة رضى الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسينى الشاذلي الدرقاوي

بنسيه ألله النكن التحسير

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّم تَسْليماً

شَرْحُ التَّصْلِيَةِ عَلَىٰ النَّبِي، لابنِ الْعَرَبِي الْحَاتِمِي

يقول الْعَبْدُ الفقير، إلى مَوْلاه الْغَنِي عَمَّا سِوَاهُ: أحمد بن محمَّد بنعجيبة الحَسَنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونَفَعَنَا ببَرَكَاتِهِ آمين.

الْحَمْدُ لله المتجلّي بِكَمَالِهِ؛ الواحِد في ذَاتِهِ وصِفَاتِهِ واْفْعَالِهِ، والصَّلاة والسَّلاَمُ عَلَىٰ قُطْبِ دائِرَة الْوُجُودِ، وَبَذْرة التجلّي لِكُلِّ مَوْجُودٍ، ورَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَام، وآلِ بَيْتِهِ ذَوِي النَّزَاهَةِ والاخْتِرام، وَبَغْدُ:

فَقَدْ سَأَلَنِي بعض الإخوان، أن أضع تقييداً على صلاة النبي على العربي العربي الحاتِمِي، نُبَيِّنُ ما انْفَلَقَ مِنْ مَعَانِيهَا، وَمَا أُشْكِلَ مِنْ مَبَانِيهَا، فأجَبْتُ العربي الحاتِمِي، نُبَيِّنُ ما انْفَلَقَ مِنْ مَعَانِيهَا، وَمَا أُشْكِلَ مِنْ مَبَانِيهَا، فأجَبْتُ سُوالَهُمْ، بَعد أنِ اسْتَأْذَنْتُ شَيْحَنَا الْعَارِف الرَّبَّانِي البُوزيدي الحسنِي؛ لأنْ سِرً الإِذْنِ أَمْر كبيرٌ. واعْلَمْ أنْ النَّاسَ فِي مَدْجِهِ عَيِّةٍ على قِسْمَيْن: قِسْمٌ مَدَحُوا الإِذْنِ أَمْر كبيرٌ. واعْلَمْ أنْ النَّاسَ فِي مَدْجِهِ عَيِّةٍ على قِسْمَيْن: قِسْمٌ مَدَحُوا الظَّاهِر، فَذَكَرُوا ما يتعلَّق بِجَمَالِهِ الجسيّي، وَمَا يتبعُ ذلِكَ مِنَ الْكَمَالاَتِ الظَّاهِرِ. والبَاطنة، وما يلتحق بِهِ من المعجزاتِ والخوارقِ؛ وهم أهلُ الظَّاهِر. وقَسْمٌ مَدَحُوا سِرَّهُ الْبَاطِنِي، ونُورَهُ الأَصْلِي، فَذَكَرُوا نُورَهُ المتقدِّم، وَمَا تَفرَّعَ عَنْهُ وقَسْمٌ مَدَحُوا سِرَّهُ الْبَاطِنِي، ونُورَهُ الأَصْلِي، فَذَكَرُوا نُورَهُ المتقدِّم، وَمَا تَفرَّعَ عَنْهُ وقَسْمٌ مَدَحُوا سِرَّهُ الْبَاطِنِي، ونُورَهُ الأَصْلِي، فَذَكَرُوا نُورَهُ المتقدِّم، وَمَا تَفرَّعَ عَنْهُ وقَسْمٌ العارف الرَّبُانِي، ونُورَهُ الأَصْلِي، فَذَكَرُوا نُورَهُ المتقدِّم، ومَا تَفرَّع عَنْهُ والقطب الصَّمَدانِي، بحر زمانه، وفريد عصره وأوانه، محيي الدِّين بن العربي والعربي، المتوفِّى في حُدُودِ القرْن السَّادِس حيث قال:

«اللَّهُمُّ صَلَّ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُطَلَّسَم».

أَيْ عَلَى الْكَنْزِ المَكْنُونِ. فالْمُطَلْسَمُ: هو السَّاتر للشيءِ، والصَّوَّان لهُ.

وذٰلِكَ أَنَّ الحقَّ جلَّ جَلاَلُهُ؛ كَانَ كَنْزاً لَمْ يُعْرَف، أي سِرًا خَفِيًا غَبِيًا، فَلَمَّا أَرَادَ أَن يُعْرَف، ظَهَرَ قَبْضَةً مِنْ نُورِ ذَاتِه، سَمَّاهَا مُحمداً ﷺ فَلَمَّا تجلَّتِ الْقَبْضَة مِنْ بَعْرِ الْجَبْرُوتِ، كَسَاهَا رِدَاءَ الْكِبْرِيَاءِ؛ وهُوَ حِجَابُ الْحُسْنِ، إِذَ لاَ بُدُ لِلْحَسْنَاءِ مِنْ سَحَابٍ، لِيَبْقَىٰ الْكَنْزُ مَدْفُوناً، والسَّرُ مَصُوناً، فَحِجَابُ الْحُسْنِ الَّذِي احْتَجَبت بِهِ أَسْرَارُ الذَّاتِ هو الطَّلْسَمُ. وَالْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بَاطِن الْعُسْنِ الَّذِي احْتَجَبت بِهِ أَسْرَارُ الذَّاتِ فِي مَقَامٍ الْجَمْعِ، فالقَبْضَةُ المُحَمَّدِية القَبْضَة تَقَرَّعْتِ الكَائِناتُ كُلُهَا. مِنْ عَرْشِهَا إلى فَرْشِهَا، المُطَلْسَمِ. وَمِنْ لهٰذِهِ القَبْضَة تَقَرَّعْتِ الكَائِناتُ كُلُهَا. مِنْ عَرْشِهَا إلى فَرْشِهَا، المَّاكَ عَلى الذَّاتِ الْمُطَلْسَمِ. وَمِنْ لهٰذِهِ القَبْضَة تَقَرَّعْتِ الكَائِناتُ كُلُهَا. مِنْ عَرْشِهَا إلى فَرْشِهَا، المُطَلْسَمِ. وَمِنْ لهٰذِهِ القَبْضَة تَقَرَّعْتِ الكَائِناتُ كُلُهَا. مِنْ عَرْشِهَا إلى فَرْشِهَا، المُطَلْسَمِ. وَمِنْ لهٰذِهِ القَبْضَة تَقَرَّعْتِ الكَائِناتُ كُلُهَا. مِنْ عَرْشِهَا إلى فَرْشِهَا، المَعْلَقِ الشَبْصُ فِي عُلْ مَوْجُودٍ، والسَّبَ فِي كُلُ مَوْجُودٍ، فَينَ الدَّاتِ، وانفلَقَتْ انْوَارُ الصِفاتِ، فكُلُّ تَجَلُّ مِنْ تَجلياتِ اللهَ إِنها يَشْهُ اللهُ اللهُ الرَّه من نورهِ ﷺ، وإن كَانَ من عين الذَّاتِ؛ لأنَّ الإضافة لاَ تُخرِجه عَنْ أَصْلِه، في التحقيق: ما ثَمَّ إلاَ اللهُ، ولا شَيْءَ سِوَاهُ.

تنبية: إغلَمْ أَنَّ الفُرُوعَ النَّاشِئَة مِنَ القبضَةِ، والمتفرَّعة عنها، كُلَّها كُنُوزٌ مطَلْسَمَةٌ أَيْضاً؛ لأنَّ حكْمَ البَعْضِ، حُكْمُ الْكُلِّ، فالأوانِي طَلاَسِمُ للمَعَانِي، فكُلُّ شَخْصٍ عِنْدَهُ كَنْز بين جَنْبَيْهِ، حَجَبَتْهُ عَنِ الغَفْلةِ والوقوف مَعَ الحسَّ، والنَّظَرِ إلى وُجُودِهِ، والانْهِمَاكِ فِي حُظُوظِ نَفْسِهِ، وفي ذلك يقول التستري رضي الله عَنْهُ:

يَا قَاصِداً عَيْنَ النَحَبَرَ غَسطَساهُ أَيْسنُسكُ الْسَخُدُرُ مِنْكَ وَالْسَسْرُ عِسنُسكَ الْسَخُدُ مُسنَد كَ الْسَفْ وَاغْسَبُرُ وَالْسَسْرُ عِسنَسكَ وَاغْسَبُرُ مُساتَسمٌ غَسيْسرُكُ الْرَجِعَ لِلذَاتِسكَ وَاغْسَبُرِرُ مُساتَسمٌ غَسيْسرُكُ

فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ، وَرَيِّضَهَا وَأَدْبَهَا، حَتَّى إِذَا مَاتَتْ، وحَييَتْ رُوحُهُ، ظَهَرَ لَهُ كَنْزُهُ، وبَدَا لَهُ سِرُّهُ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ ذٰلِكَ:

وَاتَّـهِـمْ إِنْ كُـنْـتَ تَـفْـهَـمْ لَأَنْ كَنْزَكَ قَذْ عَدِمَ عَن كل طَلْسَم وَاتَّـهِمْ اللهُ عَنهُ:

بَدَالَكَ سِرُّ طَالَ عَنْكَ اكْتِتَامُهُ فَانْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ سِرٌ غَيْبِهِ فإنْ غِبْتَ عَنْهُ حَلَّ فِيكَ وطُفْتَ وَجَاءَ حَدِيثَ لاَ يُملُّ سَمَاعُهُ إذَا سَمِعَتْهُ النَّفْسُ طَابَ نَعِيمُهَا

وَلاَحَ صَبَاحٌ كُنْتَ أَنْتَ ظَلاَمُهُ وَلَوْلاَكَ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ خِتَامُهُ على مَوْكِ الكشفِ المصونِ خيامُهُ شهي إلَيْنَا نَشْرُهُ وينظامُهُ وَزَالَ عَنِ القلب المُعَنَّى غَرَامُهُ

وَلاَ بُدُّ مِنْ صُحْبَةِ شَيْحِ عَارِفِ كَامِلٍ، يُعرُفك كَيْفية الحَفْرِ على هٰذَا الكَنْزِ . أَيْنَ مَوْضِعه لتحفُرَ عليه. وإلاَّ بقيت جَاهِلاً بِهِ، فقيراً على الدُّوامِ، مع كَوْن الكَنْزِ بَيْن جَنْبَيْكَ ؛ وهو رُوحكَ وسِرِّكَ، فإذَا اسْتَوْلَتْ روحانيتكَ على بشريتكَ، ومعناكَ على حسِّكَ، ظَهَرَ كَنْزُكَ، وصِرْتَ غَنِيًّا كَبِيراً، تُتيهُ على الكَوْنِ بِأَسْرِهِ، وتَتَعَرَّفُ فِيهِ بِهِمِّتِكَ، وبالله التَّوْفِيق، ثمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَالْغَيْبِ الْمُضَمْضَمِ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَالْغَيْبِ المُضَمْضَمِ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَالْغَيْبِ المُضَمْضَمِ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَالْغَيْبِ المُضَمْضَمِ اللَّهُ عَنْهُ وَاخْتُوى عَلْهُ وَالْعَرْقُ وَاخْتُوى عَلَيْهِ وَلَا شَكَ أَنْهُ وَلِيَّةً وَاللهُ مَا عَرَفَنِي بِطَاءَيْنِ، وَلاَ شَكَ أَنهُ وَلِيَّةً ، غَيْبُ مِن غُيُوبِ الله، وسِرُّ مِنْ أَسْرَادِهِ، لاَ يَطلَمُ عَلَيْهِ، وَلاَ شَكَ أَنهُ وَاللهُ مَا عَرَفَنِي عَلْهِ وَاظْهَرَهُ، وَعَنْهُ وَلِيَّةٍ وَاللهُ مَا عَرَفَنِي عَلَيْهِ وَاللهُ مَا عَرَفَنِي عَلَيْهِ، وَلاَ يُحِيطُ بِهِ إِلاَّ رَبُّهُ ؛ الَّذِي خَلَقَهُ وأَظْهَرَهُ، وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَاللهُ مَا عَرَفَنِي حَقِيقةً غَيْرُ رَبِّي اللهُ مَا اللهُ مَا عَرَفَنِي حَقِيقةً غَيْرُ رَبِّي الْهُ وَاللهُ مَا عَرَفَنِي حَقِيقةً غَيْرُ رَبِّي اللهُ مَا عَرَفَنِي حَقِيقة غَيْرُ رَبِي اللهُ مَا وَعَنْهُ وَيَعْهُ وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَعَنْهُ وَاللهُ مَا عَرَفَنِي حَقِيقة غَيْرُ رَبِّي اللّهُ وَاللّهُ مَا عَلَى الْهِ اللّهُ عَنْهُ وَاللهُ مَا عَرَفَيْهُ وَاللّهُ مَا عَرَفَيْهُ وَاللّهُ مَا عَرَفَيْهِ وَاللهُ مَا عَرَفَيْهِ وَاللهُ مَا عَرَفَيْهِ وَاللهُ مَا عَرَفِي اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

وَفِي تصلية القطب ابن مشيش، أي عنه «تضاءَلَتِ الْفُهُومُ، فَلَمْ يُذْرِكُهُ مِنّا سَابِق وَلاَ لاَحِقّ». وقال أؤس القرنِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «والله مَا رأى أضحابُ محمّد، مِن محمد إلا قشرة الظّاهِرِ. وأمّا الباطِنُ فَلَمْ يعرفْهُ أحَدّ». فقيل: وَلاَ ابْن أبي قحافة والمرادُ: نَفْيُ الإحاطةِ بسرّهِ عليه السّلام، ومِنْهُمْ مَنْ يُذْرِكُ روحهُ. وأمّا إذرَاكُ البغض، فَلَهُمْ فِي ذٰلِكَ نَصِيبٌ، السّلام، ومِنْهُمْ مَنْ يُذرِكُ روحهُ. وأمّا إذرَاكُ البغض، فَلَهُمْ فِي ذٰلِكَ نَصِيبٌ، عَلَى قَدْرِ التّوجُهِ والمعرفة، كذلكَ الأولياء رَضِيَ اللّهُ عَنْهُم، يتفاوتون في إدراكِ باطِنِهِ عليه السلام، على قَدْرِ معرفتهم بالله، فمنهم مَنْ يُذرك شيئاً مِن سِرّه ﷺ، ومنهم مَنْ يُذرك شيئاً مِن سِرّه ومنهم مَن يُذرك عَقْلَهُ، ومنهم مَنْ يُذرك عَقْلَهُ، ومنهم مَن يُذرك نَفسَهُ مَنْ يُذرك عَقْلَهُ، ومنهم مَن يُذرك والتمكين، يدركون سِرّه والذي هو سار في مَن يُذرك نفسَهُ. فأهُل الرُّسُوخ والتمكين، يدركون سِرَّه والذي هو سار في

⁽١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

كل شيء؛ فلذلك لا يغيبُون عنهُ طرفَةَ عَيْنِ، وأهل التلوين قَبْلَ التمكينِ، يدركونَ روحَهُ، فَيُشاهِدونَهُ فِي غَالِبِ الأوقاتِ، وأهل السَّيْرِ من المريدين، يُدْركونَ قَلْبَهُ، فيحصل لهم كَمَال الإيقانِ، وتقل رُؤيتهم لهُ عليه السلام، وأهمل الحِجابِ من عامَّةِ الصَّالحين، يُذْركونَ عقلهُ أَوْ نَفْسَهُ، فَيَرَوْنَ فِي المَنَام، وفي اليقظة، شخصه الحسِّي، عَلَى قَدْرِ فَنَائهم فيهِ، وأهْلُ هٰذَا المَقام، هُم أهْل حضرة الأشباح، كما أنَّ السَّابقينَ قبله، هم أهل حضرة الأرواح والأسرار، والله تعالى أعلم.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ وَالْكَمَالِ الْمُكْتَتَمِ ٩٠ . وَلاَ شَكَّ أنه ﷺ ، جمعَ الكَمَالاَتِ كُلُّهَا. فَكَانَت صورته الشريفة في غَايَة الَجمالِ، وروحَهُ المُطَهَّرة، في غاية الكَمَالِ. وسرَّهُ البَاهِر، في غاية التَّمام. وقد اجْتَمَعَ فيهِ مِنَ الكَمَالاَتِ والمحاسِنِ، ما لم يجتمعْ فِي مخلوقٍ قطُّ، وكل كَمالٍ ظَهَرَ في غَيْرهِ، فإنَّما هو مُعارٌ مِنْهُ. وَرَشْحَةٌ مِنْ رشَحَاتِهِ، وكل نُورٍ أو سِرٌّ نَالَهُ غَيْرُهُ، فإنَّما هو مُقْتَبَسٌ من نُورِهِ، كما قال البوصيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَكُلُّهُمْ مِن رسُولِ الله مُلْتَمِسٌ عَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدُّيَم

وَوَاقِفُونَ لَـدَيْه عِنْدَ حَـدُهِم مِن نُقْطَةِ الْعِلم أَوْ مِنْ شكلةِ الحِكم فإنَّهُ شَمْسُ فَضل هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا للنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

إِلاَّ أَنَّ الحق جلَّ جلالهُ كَتَمَ ذلِكَ الكَمَال، وحجَبَهُ، ولَوْ أَظْهَرَهُ، لَعُبِدَ مِنْ دُون الله، كَمَا عُبِد عِيسَىٰ، فكَان كَمَالُهُ وجماله مُكْتَتَمَا، لاَ يَطْلعُ عليه، إلاَّ مَنْ صَقُلَتْ مِرْآةُ قَلْبِهِ. فنظَرَ إلى بَاطِنِهِ دُونَ ظَاهِرِهِ، كَالصَّدِّيق، وَمَنْ كَانَ على قَدَمِهِ، والله تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

ثمَّ قَالَ: ﴿ لِأَهُوتُ الْجَمَالِ، وَنَاسُوتُ الْوِصَالِ، قلتُ: اللاَّهوتُ عبارة عن أسرار المعانِي الباطنية القائمة بالأشياء؛ وهي أسرار الذَّاتِ. والنَّاسُوتُ عبارة عن حسُّ الأوانِي الظَّاهِرَة. والحاصل: اللأهوت: ما بَطن. والنَّاسوت: ما ظَهر.

ومعْنَىٰ كَلامِهِ: أَنَّ كُل جَمَالٍ في عالَم الملكوتِ، فالمصطفى عليه السُّلامُ، أَصْلُهُ ومَعْدنهُ وسِرُّهُ ولُبُّهُ؛ فَهُوَ مَعْدِنُ الجمالِ، وأَصْلُ الكَمَالِ. فما تبهجَ رياض الملكوتِ، إلاَّ بِزَهْرِ جَمَالِهِ، وما ظَهَرتْ بَهْجَة المُلْكِ إلاَّ بحسْنِ كَمالِهِ؛ وهو معنى قولِهِ: لأهوتُ الجمالِ، أي أصْله ومعدنُهُ، وباطنهُ ولُبُهُ. فَمِنْ مَعْدِنِ سِرَّهِ ﷺ، تَفَرَّعَتْ أنواع الجمال، وكأنه يشير إلى جمال المعاني؛ الذي يشبي الأرواح، ويغيب العقول، كما قال الشاعر:

تَرَانِي غَائِباً عَنْ كِل أَيْنِ كَأْسُ المعانِي حُلُو المَذَاقِ

وَبِٱلْجُمْلَةِ: فجمال المعاني؛ هو من جمال سِرَّةِ ﷺ. فيه عُرفَ، وفيه طَهَرَ، وَما ذاق أحد شيئاً من حَلاَوة المعاني، ولذَّة الشهودِ، إلاَّ باتباعِهِ، والتخلق بأخلاقه ﷺ، فهو لاَهُوت جمال المعاني ومَعْدنها، فالمعاني الباطنية تُسَمَّى ملكوتاً، والحسّ الظّاهر، يُسَمَّى مُلْكاً، والبَحْرُ المحيط: مِنَ الأَسْرَارِ اللطيفة الباقية على أصلها؛ الذي تَتَدفَّقُ أنْوَارُ الكَائِناتِ مِنْهُ، يُسَمَّى جَبَرُوتاً، فجمال المَعاني، إنَّما عُرِف وظَهَر بِهِ ﷺ. وجمال الحِسِّ إنما تَبَهَّجَ بنورهِ ﷺ؛ وإلى هذا أشار القطب ابن مشيش رضي الله عنه بقولِهِ: "فَرِياضُ الملكوتِ يِزَهْر جَمَالِهِ مُونقة، وحِيَاضُ الجَبَروت بِفَيْضِ أنوارِهِ مُتَذَفِقة».

وقوله: نَاسُوتُ الوِصَالِ: يُشير إلى ظاهره ﷺ. كَانَ في مَحَلَّ الوصال والاتَّصَالِ، ولم يَكُن في محل الفرق والانفِصَالِ. فكما أنَّ باطنَهُ كان مَعْدِنَ الأَسْرَار، كذلك ظاهره محل الأنوار، فكان مشتغرقاً في بَحْرِ الأحدية، بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، والله تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ طَلْعَةُ الْحَقِّ ا : أَي أَوَّلُ تَجَلِّيهِ ۚ وَظَهُورِهِ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، فَأَوَّلُ مَا طَلَعَ مِن أَسْرَارِ الذَّاتِ الكَنْزِيةِ. القَبْضَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، فمنها انشقت أَسْرَارِ الذَّاتِ، وظَهَرتُ أَنُوارُ الصفاتِ. فَلَوْلاَه عَلَيْه السَّلامُ، مَا ظَهَرَ الْوجُود، وَلاَ عرف المَلِك المَعْبُود؛ فهو الواسطة بيْن الله ومخلوقاتِه، فَلَوْلاَ الواسطة لذَهَبَ الْمَوْسُوط.

ثم إنَّ القبضة المُحَمَّدية هِيَ عَيْنِ الذَّاتِ، بَرَزَتْ مِنْ عَيْنِ الذَّاتِ، لَكِنْ تَسَمَّى مَا تَكَشَّف مِنْهَا وتحسَّسَ محمَّداً ﷺ، وأمَّا ما بَطَنَ، فَبَاقِ عَلَىٰ أَصْلِهِ؛ مِنَ اللأَّهُوتية، فالقدرُ الَّذي سَمَّاهُ مِنْهَا محمَّداً ﷺ. إنَّما هو حِسُّهَا، وَجَوْهَرها الظَّاهر. وأمَّا ما بطن من المعانِي؛ فَهُو لأَهُوتِي؛ ولَيْسَ هو بِحُلُولِ؛ لنَفْي الْغَيْرِيةِ ومَحْوهَا عَن نَظَر العارفينَ. ولمًّا كَانَتْ تلك القبضةُ بِهَا ظهرَ الكَنْزُ المَدْفُونُ، وَبِهَا انكشَفَ السَّرُ المَدْفُونُ، وَبِهَا انكشَفَ السَّرُ المَصُونُ، شَبَّهَهَا بِثَوْبِ النُقَابِ؛ الَّذي يُغَطَّى بِهِ الوَجْهُ الحسَنُ، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَثَوْبِ عَيْن إنْسَانِ الأَزَلِ، فِي نَشْرِ مَنْ لَمْ يَزَلْ»:

فشبّة الأزّل، بإنسانِ لَهُ عين حسنى، كَانَتْ محجوبة مصونة، مستُورة بثوب، فلمّا أرَاد أن يُظهِرَهَا، كَشَف تَوْبَ نِقَابِهَا، وظهَرَتْ محاسِنُهَا، وبَاهر جمالها، كذلكَ الخمرة الأزلية، كَانَتْ لطيفة خفية، فلمّا أرادتْ أن تظهر، كشَفَتْ عن وجه سِرّهَا، فأظهرت مِن جَمَالِهَا نُور القبضة المحمدية، ثم انتشرَ من الْقَبْضَة سائرُ الفُرُوع الكَوْنِية، ولهذَا معنَى قَوْلِهِ: نَشْرُ مَنْ لَمْ يَزَلُ؛ أيْ هُوَ عليه السّلامُ، كَثَوْبِ عَيْنِ إنسَانِ الأَزْلِ، ويَرْجع الكَلامُ إلى قولِهِ: هو كَثَوْبِ عَيْن الأزلِ، المنشور عليه، فكشفه في إرادة نَشْرِ مَنْ لَمْ يَزَلُ؛ أي عِنْدَ إرادة إظهاره من لم يَزَلُ من الفروع الكَوْنية الْحَدِيثة، ولهذَا مُجَرَّد اصْطِلاَحٍ: يقولونَ فِي السّر من لم يَزَلُ من الفروع الكَوْنية الْحَدِيثة، ولهذَا مُجَرَّد اصْطِلاَحٍ: يقولونَ فِي السّر الأزلي في حَال الكَنْزِية أزل. وفيما تفرَّع مِنْهُ لَمْ يَزَلُ، كَان الله وَلاَ شيء مَعَهُ، الأصل. والأصل عَيْن الفَرْع. ما تجلّى بِهِ فِيما لَمْ يَزَلُ، كَان الله وَلاَ شيء مَعَهُ، وهو الآن على ما عليه كَانَ، ولله دَرُّ الْقَائِل:

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ اللهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنُ فَمَا ثَمَّ مَوْصُولٌ وَلاَ ثَمَّ بَائِنُ بِلَانَ مَا ثَمَّ مَا ثَلَمْ مَوْصُولٌ وَلاَ ثَمَّ بَائِنُ بِلَا عَيْنِهُ إِذْ أُعَايِنُ بِلَا عَيْنِهُ إِذْ أُعَايِنُ بِلَا عَيْنِهُ إِذْ أُعَايِنُ

ثمّ قال رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: «مَن أَقَامَتْ بِهِ نَواسِيتُ الْفَرْقِ، فِي قَابِ نَاسُوتِ الْفِرَ مِن الْمِوسَاكِ»: مَن بَدَا مِن النَّاتِ، ونَواسِيتُ جمع نَاسُوتِ: وهو ما ظَهَرَ مِن الحسُّ. كَما أَنَّ اللاَّهوت ما بَطَنَ مِنَ الْمَعْنَى، وقابُ القوْس: ما بين مَحَلُ وتره وطَرفِهِ. والمَعْنَى: اللَّهُمَّ صَلَّ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُطَلْسَمِ، الَّذِي أَقَامَتْ، أي دَامَتْ بِهِ، أي بِبَركة اثْبَاعِهِ، أَشْبَاحُ أَهْلِ الفَرْقِ، فِي مَقَامِ الْقُرْبِ، فَكَانُوا مِن حَضْرَةِ الْوصَالِ، مقدارَ قَابِ قوْسَيْنِ أَوْ أَذْنَى، فأقَامُوا فِي الْقُرْبِ مِنَ الله بِهِ عَيْقَ وَلَوْ أَغُرضُوا عَنهُ لَطُرِدُوا وأُبْعِدُوا، وإنّما عَبْرَ بِالنّواسِيتِ، دونَ القلوب والأَرْواحِ الْفَرْضِ اللهُ لَوْمَالِ كِنَايةٌ عَنْ حَضْرَةِ الْوصَالِ كِنَايةٌ عَنْ حَضْرَةِ الْوصَالِ. وَلاَ شَكُ أَنْ مَنْ تَبِعَهُ عَيْقٍ، وتَمَسَّكَ بِسُنّتِهِ، وتخلّق بِأَخلاقِهِ، نَالَ القُرْبَ بَعْدَ الْبُعْد، والوصَال بَعْد الْفِرَاق، فإنه عَيْقٍ، باب الله وحجابه الأَعْظَم؛ القُرْبَ بَعْدَ البُعْد، والوصَال بَعْد الْفِرَاق، فإنه عَيْقٍ، باب الله وحجابه الأَعْظَم؛

فَمَنْ رَامَ الدُّخُولَ على الله مِن غَيْر بَابِهِ، طُرِدَ وَأُبْعِدَ، كَمَا قَال القائِلُ:

وأنست بَسابُ الله أي المسرى على وافساه مِن غَسْرِكَ لا يَسذحُسلُ

ثم قال: «الأقرَبِ إلَىٰ طَرِيقِ الْحَقّ»: أي الأقرب من غَيْرو، من سَائر الرُّسُلِ إلى طُرُقِ الحقّ، فَكَانتِ الرسل كُلُها تدعو إلى الله، وتبيّنُ الطُرُق إلى الله وتبيّنُ الطُرق إلى طُرُقِ الْحَقّ. فَبَيْنَ من اسم الوصولِ إلَيْهِ، ونبيئنا محمّد على الله على يَدَيْهِ من الخلق فِي الطريق، ومعالم التحقيق، في أقرَبِ وَقْتِ، فَهَدىٰ الله على يَدَيْهِ من الخلق فِي زَمَانِ يَسِيرٍ، ما لم يَهْدِ على يَدِ غَيْرو، في الأزْمِنَة المتطاولة، وكذلك مَن كَان على قَدَمِهِ من الأولِيَاءِ الجامعينَ بَيْنِ الشريعة والحقيقة يَهْدي الله على أيديهم الجَمَّ الْغَفِيرَ، فِي زَمَانِ يسير؛ لأنَّهُم على بصيرَةٍ. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِ الجَمَّ الْغَفِيرَ، فِي زَمَانِ يسير؛ لأنَّهُم على بصيرَةٍ. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِ اللّهَ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَبْعَنِي يَدْعُو إلَى الله على بَصِيرة؛ وهي بصيرة العِيَانِ، والذَّوْق والوُجْدَانِ، لاَ بَصِيرة التَّقليد؛ التي الله على بَصيرة العَيَانِ، والذَّوْق والوُجْدَانِ، لاَ بَصِيرة التَّقليد؛ التي ناشئة عَن الدَّليل والبُرْهَانِ.

ثمَّ قَالَ: ﴿ فَصَلُ اللَّهُمَّ بِهِ فِيهِ مِنْهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * : قلتُ : إِذَا فَنَى الْعَبْدُ عَنْ نَفْسِهِ وَحِسِّهِ ، لَمْ يَرَ إِلاَّ أَنْوَارَ النَّبُوءَة ظَاهِرةً ، وأَسْرَار الرَّبُوبِية بَاطِئَةً ، فإذَا صَلَّىٰ على رسول الله ﷺ ، رَأَى نُورَهُ ﷺ ، لاَ هُوَ ، وإذا سَبَّحَ أَوْ هَلَّلَ ، رأَى أَنَّ الحقَّ جَلَّ جَلاَلَهُ ، سَبَّحَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، وَوَحَدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، وإلى هٰذَا ، أشار الهروي ، حينَ سُئِلَ عَن التوحيد الخاصِّ بِقَوْلِهِ :

مَا وَحُدَ الْـوَاحِـدُ مِـنْ وَاحِـدِ وَتَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَفْسِهِ تَـوْحِـيدُهُ إِنَّـاهُ تَـوْحِـيدُهُ

فَ كُـلُ مَـن وَحُـدَهُ جَـاحِـدُ تَـنْ نِهَـة أَبُـطَـلَـهَـا الْـوَاحِـدُ وتَــوْحِـيـدُ غَــيْــرو لاَحِـدُ وإلى لهٰذَا المَعْنَى، أَشَارِ الششتري بقولِهِ:

إنّا باللّه وَسَنّه الحقّ للعَبْدِ، لقولِهِ: "فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ" (١). وَمَعْنَىٰ كَلاَم الشّيْخ: فَصَلُ اللّهُمْ بِهِ، لاَ بِنَفْسِي، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ كَلَيْقَهُ، قِيل لَهُ: أَرَايُتَ صلاة المصلينَ عليكَ فمَن يأتي بعدكَ، ما حَالَتُهُمْ عِنْدَكُ؟ فَقَالَ: "أَمَّا أَهْلُ المَحَبَّةِ فَأَسْمَعُ صَلاتَهُمْ، وأَغْرِفُهُمْ، وتُعْرَضُ عَلَيْ صَلاةً غَيْرِهِمْ عَرْضاً». وأَهْلُ المَحبّة؛ هم أهل الفَنَاءِ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَى سِرِّهِ، ويُشَاهِدُونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، المحبّة؛ هم أهل الفَنَاءِ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَى سِرِّهِ، ويُشَاهِدُونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، كما قال الْمُرْسِي وغَيْرِهُ؛ وهم أهل الجمع. وأمَّا أهلُ الفَرْقِ، فَتُعْرَفُ صَلاَتُهُمْ عَلَيْهِ عَرْفاً. وقولُهُ: مِنْهُ عَلَيْهِ؛ أي وتكون تلك الصَّلاة صادرة مِنْهُ، وَارِدَةً عَلَيْهِ، عَلْهُ وَاسِطة بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله، وَلاَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رسول عِلاَ وَاسِطة أَحَدٍ، فَٱلْعَارِفُ لَمْ تَبْقَ لَهُ وَاسِطة بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله، وَلاَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رسول اللهُ وَاسِطة أَحَدٍ، فَالْعَلَوْفَ عَلَى الطَّعْقِ أَعْلَهُ وَاسِطة بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله، وَلاَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رسول اللهَ وَاسِطة أَحَدٍ، فَالْعَلَوْفَ الْمُعَلِّقِ أَنْهُ اللّهُ وَالْعَلَقِ اللّهُ وَالْمُ الْفَرْقِ، وَلا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله وهو المَقَلِقَة بِالْمُونِي الْا أَلْمُ الْمُعَلِّقُ أَلُهُ اللّهُ وَالْمَعْقِ مِنْ مَعَادِيْهَا؛ وهي الكِتَابُ مِنْ نَظُرِهِ، فَلاَ يَرَى إلاّ المُكَوِّنَ، ويأَخُذُ الشريعة مِن مَعَادِيْهَا؛ وهي الكِتَابُ والسَّنَةُ؛ إنْ كَانَ أَهْلًا الْمُكَوِّنَ، ويأَخُذُ الشريعة مِن مَعَادِيْهَا؛ وهي الكِتَابُ والسَّنَةُ؛ إنْ كَانَ أَهْلاً ، وإلاَ اسْتَفْتَىٰ قَلْبَهُ، ولذَلِكَ قبلَ: الصُّوفِي لاَ مَذْهَبَ لَهُ: أَنْ لاَ يُعْلَى الْمُذَاهِبِ.

والسَّلامُ: هُوَ التَّأْمِينُ، أَيْ أَمَّنَهُ الله مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُهُ عَلَىٰ أُمَّتِهِ، والله تَعَالَىٰ أَعْلَمُ، وصلَّىٰ الله على سيِّدنَا محمَّد الحبيب المحبوب، والشفيع المُقَرَّب، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمينَ اهـ.

⁽١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر

لسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بنسيدالله النكن التحسير

وصلَّىٰ الله على سيِّدنا محمَّد وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليماً

قَالَ الشَّيْخ الإمام، العالم العارف بربَّه، الكامل الصوفي، الولي الصالح الواصل: أَبُو العبَّاس، سيَّدي أخمد بن محمد بن عجيبة الحسَنِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ آمين:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْمَلِك الْقَدِيرِ، الْمُنْفَرِد بالإيجاد والتَّذْبِيرِ؛ الذي أَبْدَعَ الأَشيَاء وأَتقنها على ما سبق في علم التقدير، والصلاة والسَّلام على سيِّدنا ومَوْلاَنَا محمَّد البشير النَّذير، والسّراج المنير، ورضي الله تَعَالَىٰ عن أصحابه الكِرَامِ، الذين قَرَّرُوا شَرِيعته المطهرة أيَّ تقرير.

وبَغد: فَبَحْرُ القَدْرِ والقضاء، بحرٌ عميق، لا يخوضه إلا أهل التحقيق، ولا يقوده إلا ذو الهداية والتوفيق. هذه نُبذة يسيرة، تعين على الخوض فيه، تسكن القلوب للرضى بمجارية. حَمَلني عليه، أنّي رأيت كثيراً ممّن يُشار إليه بالعلم والعَمَل. قد ضلَّ عنه وأضلٌ، وجعل يدافع المقادير بما يقدر عليه من الأسباب والحِيل، وقد قيل: زَلّة عالِم يضلُ بها عالمٌ. فقد رأيت كثيراً من العلماء زَمَن الوَبَاء، يأمرون بغلقِ أبواب المدينة ويفرون من الدُّخول على المرضى خوفاً من المَوْتِ، وهذا الذي حملني على تقييد هذا التأليف، فلا عِبْرَة بعلم الأوراق، إذا لم يؤيده الوُجْدَان والأذواق. فالعلم النافع الذي ينكشف به عن القلب قناعه، وينبسط في الصدور أنوار اليقينِ وشعاعه، ويدور عن القلب الشكّ والاضطراب، وتحصل له الطمأنينة بشهودِ الأزباب، فَمَن لا يقين عنْدَهُ ولا تحقيق، فلا علم لله ولا قولا توفيق، فشاهِد الْعِلم العمل. وشاهد العمل الصحيح هو الحال. وشاهد الحال هو الذّوق، وغاية الذّوق الشُكْرُ؛ وهو العمل العمل.

الغيبة عمّا سوى الحقّ، وغاية الشّكر الصحو؛ وهو شهود الآثار بالحق، وميزان هذا هو اليقين، والسّكون عند ربّ العالمينَ؛ وهو السكون عند مجاري الأقدار، وترّك الخوض بالتدبير، والاختيار، والرّضى بِمَا يبرز من عُنْصُر الأقدار، والتسليم لأحكام الواحِدِ القهّار. وينحصر المقصود من هذا التأليف في خمسة أبواب:

الباب الأول: في حقيقة القدر، وما يتعلق به. الباب الشاني: في الاستدلال عليه من الكتاب والسنّة، وكلام السّلف الصالح، ومن طريق الكشف. الباب الثالث: في بَيانِ الحِكمة التي هي كالردّاء للقدر والقضاء، وبَيَان القدرة التي بها يقع الإظهار والإضمار. الباب الرّابع: في إبطال العَدْوَىٰ والطّيرَة. الباب الخامِسُ: في اكتساب اليقين، وذكر مواده ومواطنه.

وَسَمَّيْتُهُ سِلْكَ الدُّرَرِ فِي ذِكْرِ الْقَضَاءِ والْقَدَرِ: نَسْأَلُ الله تعالَىٰ رَبُّنَا، أَن يَنفَعَ بِهِ مَنْ كَتْبَهُ، أَوْ سَمعه، أو طالعهُ، بِمَنَّهِ وكَرَمِهِ، وأَن يلقح في قلبِنا وقلبِهِ أَنوار اليقين، ويشرق في سَمَاءِ أَسْرَارنا شموسُ العارفين، بجاءِ خَاتم النبيين، وإمام المُرْسَلين، وقُدُوة المُربين، سيّدنا ومَوْلانًا محمَّد الصادق الأمين، صلّى الله عليه وعلى آله، وأهل بيته الأطهرين.

البَابُ الأوَّلُ: فِي تَفْسِيرِ الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ؛ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذٰلِكَ

الْقَدَرُ بتحريك الدَّالِ المهملَةِ وسكُونها، مصدر، قدَّرَت الشيء إذا أحطت بمقدارِه؛ وهو عبارة عن تعلقِ عين علم الله بالكَاثِنَاتِ قبل وجودِهَا؛ فلا يظهر في عالم الشَّهادة شيء من الخلائقِ، إلاَّ وقد سَبَق في عِلْمِهِ وقدَرِهِ السَّابق، وَلاَ يصدر من خلقِهِ قول ولا فِعل، وَلاَ حَركة ولاَ سكونَ، إلاَّ وقد سبَق في علمِهِ وقدرِهِ كيْف يكون، فأيام العَبْد محصورة، وأنفاسه معدودة، وخطواته مكتوبة، وفي ذلك يقول الشاعر:

مَشَيْنَاهَا خَطَى كَتِبَتْ عَلَيْنَا وَمَن كتبت عليه خطى مَشَاهَا وَمَن قسمَنُ عليه خطى مَشَاهَا وَمَن قسمَنُ منيتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يحوت بأرضٍ سِوَاهَا وما مثَل العَبْد مع القَدَر السابق، إلاَّ كالصَّبِيّ الذي يتبع التحنيش، الَّذي

حَنَّشه له الفقيه ، فَإِذَا كَمُل التَّحْنيش الذي حَنَّسه له الْعِلْم الأزلي ، على ما سبق به القدر والقضاء ، رحل إلى مَوْلاه . فالواجب على الْعَبْد أن يسكن تحت مجاري الأقدار ، وينظر إلى ما يفعل الواحد القهار ، فالقدر والقضاء والإرادة والمشيئة ، شيء واحد عند أهل السُّنَة ، ومَرْجعها إلى سبق العلم الأزلي بالأشياء قبل ظهورها . ويستمِر العلم بها بعد ظهورها . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلمُسْتَقْدِينَ مِنَ العلم بها ألله عَدْر الله كَذَا ، مِنْكُم وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلمُسْتَقْدِينَ الله كَذَا ، وقضاه وأراده ، وشاء مُ بمعنى واحد . وأمًا الرَّضَى والمحبّة في حقه تعالى ، فَهُمَا أَخْصُ مِن الإرادة والمشيئة ؛ لاختصاصِ الرِّضَى والمحبّة بالطاعة دون المعصية فالطّاعة قدّرها وأرادها ورضيّها . والمعصية قدّرها وأرادها ورضيّها . والله تعالى أعْلَمُ .

البَابُ الثَّاني

في الاسْتِدْلالِ عَلَيْهِ مِن الكتابِ والسُّنَّة، وكَلاَم السَّلَف الصَّالح

أمّا الاستيذلال عليه من الكتاب العزيز، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَتُهُ مِثَكِرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] أي كل شيء أبرزناه هو بقدر سَابِق. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَهُ فِي إِمَادٍ تُبِينٍ ﴾ [يل: ١٦]. هو اللّؤ المحفوظ. وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَثَرُ اللّهِ قَدَلًا وَحَالًا شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَادٍ ﴾ [الرعد: ٨]. وقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ أَثَرُ اللّهِ قَدَلًا مَعْدُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] وقال تَعَالَىٰ: ﴿ إِيقَقِنِي اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَغْمُولًا ﴾. [الأنفال: ٤٤] وقال تعالى: ﴿ مَا أَمَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُم إِلّا فِي كَتَابٍ مِن فَيْلِ أَن نَبْرَأُهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ مِسِيرٌ ﴿ ﴾ [الحديد: ٢٢]. أي مَا أَصَابَ النّاسَ من مصيبة من شرّ أو خير في الأرضِ بالجدبِ والقحطِ، أو الْعَرْقِ، وَلا فِي كتابٍ وهو اللّؤحِ المحفوظ، من قَبْل أن نَبْرأها، أي نُظْهِرَهَا.

ثم قال تعالى: ﴿ لِكَبْنُلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمُ ﴾ [الحديد: ٢٣] لأنه أمْرٌ قدّر في أَزلِهِ، أنه لا يكون، أو لا يدومُ، فَلاَ تَخزَنْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ، أو انقضى أَجَله عندكَ. ﴿ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا مَا تَنكُمُ ﴾ [الحديد: ٢٣] لأنه سَبَق قَبْلَ ظهورهِ أنّه لَكُمْ، وأنه واجب إثنيانُهُ إلَيْكُمْ، والمطلوب هو الاغتدال في المَنْعِ والعَطَاءِ، والقَبْضِ والبَسْطِ، والفقد والوَجْد، والذلّ والعزّ، والفقر والغِنى، والصحة

والمَرَض، وغَيْر ذٰلِكَ من اختلافِ الأَحْوَاكِ، وانتقالاَت الأطوار، إذ جميع ذٰلِكَ، قد جَرَتْ بِهِ الأقدارُ، فَلاَ يُظْهِر الحُزْن على شيءٍ فَاتَ وَلاَ يُظهِر الفرَحَ بشيءٍ آتِ، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] أي أجَلاً معلوماً، ووقتاً محدوداً. لا يتقدَّمُ عليه لحظة، ولا يتأخّرُ عَنْهُ ساعة، وقال تعالى في شأنِ أَجَلِ المَوْتِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسِ أَن تَمُوتَ إِلَا بِإِذِنِ اللهِ كِنَابًا مُؤَجَّلاً ﴾ وقال تعالى: ﴿هُو اللّهِ عَدُوداً قَبْلُ أَنْ يخلقَهَا. وقال تعالى: ﴿هُو اللّهِ كَنَابًا مُؤَجِّلاً ﴾ خَدُوداً قَبْلُ أَنْ يخلقَهَا. وقال تعالى: ﴿هُو اللّهِ وَالثانى للبَعْثِ. وَاللّهُ عَنْهُ عَنَدَمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَيَعْ وَلَوْلُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَا

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ الَّذِى بَنَوَنَكُم بِالنِّلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَادِ ثُمَّ يَبْعَنُكُمْ فِيهِ لِيُعْفَىٰ أَجَلُ مُسَكِّى ﴿ [الانعام: ٢٠] أَيْ لَيَبْلغ المنيقظ آخر أَجَله المُسَمَّى عِنْد الله فِي أَزلِهِ. ثم يَرْجع إلى ربه. ثم قال تعالى: ﴿ حَقَّةَ إِذَا جَلَةَ المُسَمِّى عِنْد الله فِي أُزلِهِ. ثم يَرْجع إلى ربه. ثم قال تعالى: ﴿ حَقَّةَ إِذَا جَلَةَ المُسَمِّى عِنْد الله فِي أُزلِهِ. ثم يَرْجع إلى ربه. ثم قال تعالى: ﴿ حَقَّةَ إِذَا جَلَةَ المُسَمِّى عِنْد الله فِي أُزلِهِ. ثم يَرْجع إلى ربه. ثم قال تعالى: ﴿ حَقَّةَ إِذَا جَلَةَ اللَّهُ مَلَا لَهُ مَنَ الْأَجَلِ. بزيادة أَوْ نُقْصانٍ.

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِ أَتَهِ أَجَلُ أَإِذَا جَآةً أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا بَسْنَفْدِهُنَ وَالْعَذَابِ أَو بِغَيْرِهِ لاَ يستأخِرونَ سَاعَة، وَلاَ يَسْتَقدمُونَ. وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلَا فِي كَنْبُ وَلاَ يُنْقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلّا فِي كَنْبُ وَلاَ يُنْقَصُ مِن عُمُرِهِ وَلاَ يُعَمَّر مِنْ أَحَدٍ. أَيْ يُجْعَلُ عمره طويلاً، وَلاَ يَنقصُ مِنْ عُمُرِهِ: أي يجعل عُمُرهُ قصيراً إلا في كتابٍ، أي في اللوح ولا ينقصُ مِن عُمُرِهِ: الآية شَخْصَيْن، أَحَدُهما عُمَّر طويلاً، والآخر نقصَ من عُمُره في أَجَلِهِ. فَكَانَ عُمُره قصيراً. كل ذلك في كتاب مُبينٍ.

وقيل النقص من الْعُمُر، باعتبار عِلْم الملائكة فإذا وَصَلَ رَحِمَه مثلاً، ظهرتِ الزيادة التي عند الله، وليْسَ للعَبْدِ عِنْد الله إلاَّ عُمُرٌ واحِدٌ، لاَ يزيد وَلاَ يَنْقُصُ. وأمَّا قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاء وَيُثِيثُ ﴾ [الرعد: ٣٩]. فَمَعْنَاهُ: يَمْحُو مَا عِنْدَ الملائِكَة، ويثبَّتُ مَا عِنْدَه، وهُوَ أَمُّ الكِتاب. وقَالَ تَعَالَىٰ: هُومِن كُم مَن يُنَوَقَى مِن قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجُلاَ شُسَقَى وَلَعَلَكُم مَن يُتَوقى مِن قَبْلِ الشيخوخة، ويؤخّركم لتبلغُوا أَجَلاً مُستَى مِن لَعَلم القديمُ. وسَطَرَتْهُ المَلائِكة وقت ويؤخّركم لتبلغُوا أَجَلاً مُستَى، سبق به العلم القديمُ. وسَطَرَتْهُ المَلائِكة وقت

نَفْخ الرّوح، ولعلَّكم تعقلونَ. فتعرفُونَ أَنَّ المَوْتَ والحياة بِيَدِ اللهُ. أَي لاَ تأثير لشيءٍ من الأسباب في المَوْتِ. كالوباء وغَيْرها. بل الأمر كله لله، ولذلكَ قال: ﴿ هُوَ اللَّذِى يُحْمِيهُ وَيُمِيتُ ﴾ [خافر: ٦٨] أي لاَ غيرهُ، ﴿ فَإِذَا قَضَى آمُرا ﴾ [خافر: ٦٨] من مَوْتِ أَوْ غَيْرهِ ﴿ فَإِنَّمَا يَتُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]. وقال: ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذَا جَآةَ لَا يُوخَرُّ لَوْ كُنتُمْ نَمْلُونَ ﴾ [نوح: ١٠] فهذه الآيات صريحة في تحديد الأجَل، وتقديره في الأزلِ. فَلاَ يتأخرُ وَلاَ يتعجّلُ، لاَ بِوبَاءٍ وَلاَ يغَيْرها. فَلْيَسْكُن الإنسَان عِنْدَ رَبّهِ، ويَنْظُر ما يفعل ربّه بِهِ، فَلاَ يخاف وَلاَ يخذَرُ، إذْ لاَ يَنْعُ حَذَر مِن قَدَرٍ.

وأمّا الاستِذلال بالسُّنَةِ: فقال عَلَيْ لابنِ عبّاسِ رضِيَ الله عَنهُ: ابا ابن عبّاسِ إني أَعَلَمُكَ كَلِمَات: اخفَظِ الله يَخفَظُكَ، اخفَظِ الله تَجِدهُ أَمَامَكَ، تَعَرَفُ إلى الله فِي الرّخَاءِ، يَغرِفْكَ في الشّدّةِ، واغلَمْ أنْ مَا أخطأكَ لم يَكُن ليصيبكَ، وما أصابك لَمْ يَكُن ليخطئكَهُ (۱). زَادَ فِي رِواية، رُفعت الأقلام، وطويت الصحف، أي ما أخطأكَ في الأزّلِ، بحيثُ لم يكتب لكَ، لم يَكُن ليصيبكَ أَبُداً، خَيْراً كَانَ أَوْ سُرًا، وَمَا أَصَابَكَ فِي الأزّلِ، بحيثُ قدَّرهُ الله عَلَيْكَ، لَمْ يَكُن ليخطئكَ، خيراً كَانَ أَوْ سُرًا: حياةً أَوْ مَوْتاً، وقال عليه الصّلاة والسّلام يَكُن ليخطئك، خيراً كَانَ أَوْ سُرًا: حياةً أَوْ مَوْتاً، وقال عليه الصّلاة والسّلام وقال عليه الصّلاة والسّلام الله عَنهُ: الجُفّ القلّمُ بِمَا أَنتَ لاقٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةً وَالسّلام وقال عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النّار فيدخلها، وإنَّ الرجل ليعمل ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النّار فيدخلها، وإنَّ الرجل ليعمل فيعمل أهل النّار وغيره. وقال عليه الكتاب، فيعمل أهل البخاري وغيره. وقال عليه الكتاب، فيعمل أهل البخاري وغيره. وقال عليه الكتاب، فيعمل أهل البخاري وغيره. وقال المُعْلِقُ الرَّذُقَ

⁽۱) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر عبد الله بن عبد المطلب، حديث رقم (۲۳۰۶) [۳/ ۱۳۸۶] والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (۷٤٥) [۲/ ۲۳۶] ورواه غيرهما.

⁽٢) رواه البخاري في صحيحه، باب ما يكره من التبتل والخصاء، حديث رقم (٤٧٨٦) [٥/ ١٩٥٢]. والطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه محمد، حديث رقم (٦٨١٤) [٦٨١٤] ورواه غيرهما.

ليطلب العبد كمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ (۱) الحديث. وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللهُ وَكُلَ بِالرَّحِم مَلَكاً يَقُول: يَا رَبْ نَطْفَةٍ، يَا رَبْ عَلَقة، يَا رَبْ مَضْغة (۲) فإذا نفخ فيه الرُّوح. قال: يا رب ما الرزق. وما الأزل؟ شقي أم سعيد. فيكتب ذلك في بطن أُمّه كله. أو كما قال عليه السلام، رواه البُخاري ومُسْلِمٌ، وقال ﷺ في تفسير حقيقة الإيمانِ: ﴿أَنْ تُومِنَ بِاللهُ ومَلاَئِكته وكُتُبه ورُسُلِهِ، واليوم الآخِر، وأن تُومِنَ بِٱلْقَدَرِ خَيْرهِ وشرَه، وَالْخَيْر هو الطَّاعَة والإحْسَانُ. والشرُّ: هو الكُفْرُ.

الحُلُوُّ: مَا يُلائِمُ الإِنْسَان، كالصحَّةِ والعافية. وأنواع الجمال.

والمُرّ: كل ما يُؤلِمُ الإنْسَان كَٱلْمَرَضِ والفَقْر، والذُّلُ وسائر أنواع الجَلاَل.

فكل لهذَا سبَق به القَضَاءُ والقَدَرُ، فَمَن شَكَّ فِي لهذَا، فهو كَافِر إجْماعاً، ومَنِ اعْتقده عِلْماً، ولَمْ يَرْضَ بِهِ عِنْدَ نُزُولِهِ ذَوْقاً فَهُو فَاسِق إجماعاً. ولذلك قال مالك رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يتصوَّفْ، فقد تَفَسَّقَ. وقال الشَّيخ أَبُو الحَسَن رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: "مَنْ لَمْ يتَغَلْغَلْ فِي عِلْمِنَا لهذَا مَات مُصِرًا عَلَىٰ الكَبَايْرِ، الحَسَن رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: "مَنْ لَمْ يصحب أهل الصَّفا، لا يطمع أن يَتُصِفَ بالصَّفا. والصَّفا هو الرَّضَىٰ والتَسْليمُ بِكُلِّ مَا يُبْرِزُ من عِنْد الحكيم العليم، وقال عليه والصَّفا هو الرَّضَىٰ والتَسْليمُ بِكُلِّ مَا يُبْرِزُ من عِنْد الحكيم العليم، وقال عليه السَّلام: "إنَّ رُوحَ القُدُس، نفَثَ فِي رُوحِي، إنَّ نفساً لَنْ تَمُوتَ حتَّى تستكمِل السَّلام: "إنَّ رُوحَ القُدُس، نفَثَ فِي رُوحِي، إنَّ نفساً لَنْ تَمُوتَ حتَّى تستكمِل رِزْقها، فَأَتَقُوا الله، وأَجْمِلُوا فِي الطلبِ، ("). وقال عليه السَّلامُ: "فَرَعْ رَبُكَ مِن أَرْبَع: خَلْق، ورُزْق، وأَجَل، رواه الطّبراني في الأوسَطِ. وفي رواية أربَع: خَلْق، ورِزْق، وأَجَل إلى كل عَبْدِ مِن خَمْسِ: مِنْ أَجَلِهِ، وَرِزْقِه، وأثره، وأثره،

⁽١) رواه ابن حبان في صحيحه، [باب] ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قلة..، حديث رقم (٣٢٣٨) [٨/ ٣] ورواه غيرهما.

⁽٢) رواه ابن كثير من تفسيره، قوله تعالى «أنشأناه خلقا آخر». [٣/ ٢٤٢] وفيه «أي رب» بدل يا رب» ورواه بلفظة أبو نعيم الأصبهاني، [ترجمة] حماد بن زيد، [٦/ ٢٦٠].

⁽٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب، (٧٢٨ إن روح القدس..،) حديث رقم (١١٥١) وعبد الرزاق في مصنفه، باب القدر، حديث رقم (٢٠١٠٠) ورواه غيرهما.

ومَضْجِعه، وشقي أو سعيد، والْمُرَاد بالأثر: الخطوات التي يَمْشِيهَا، فإنَّها مكتوبة كما قدمنا. فقد قُسمَتِ الأرْزَاق فِي الأزّلِ: الحسّيّة والمَعْنَويّة، كما قسمتِ الآجَالُ والخَطَوات، كذلكَ المَرَاتب والمقاماتُ، كل ذلِكَ جَفُّ به الْقَلَمُ، قَالُوا: يا رسول الله عِنْ : فَفِيمَ العمل؟ قال عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى مَيسَرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَأَمَّا إِن كَانَ مِن أَهْلِ السَّعَادة، فَسَيْيَسِّرُ لعملِ أَهْلِ السَّعَادة، وأمَّا مَنْ كَان مِنْ أَهْل الشَّقاوة فَسَيُيسِّرُ لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ عليه الصَّلاة والسَّلاَمُ: ﴿ فَأَنَّا مَنْ أَعْلَن وَالْغَنَى ۞ وَمَدَّقَ بِٱلْحَسْنَى ۞ مَسَنْيَتِرُمُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ يَخِلَ وَاسْتَغَنَى ۞ وَكُذَّبَ مِلْكُسْنَىٰ ﴿ فَسَنُيْسِرُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (١) [اللبل: ٥، ١٠] فإن قلْتَ: إذًا كَانَ القدر جَرَىٰ بِمَا يكونُ، وَلاَ محيد للمَعْبْد عَنْهُ، فَعَلامَ يحاسب العَبْد ويُعَذِّبُ؟ قُلْتُ: قد جَعَلَ الله بِحكمته الباهرة في العَبْدِ كَسْباً فيما يظهر لهُ، يُقصد به الخَيْرُ والشُّرُّ، وفي الحقيقة: هُوَ مَجْرُور بسِلسلة، لكن الشَّريعة تنسب الفعل إليه، بِسَبَب ذلِكَ الكَسْبِ، فتقوم الحجُّهُ عليه. قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَ سَكُمْ أَجْمَعِينَ ۞﴾ [الانعام: ١٤٩]. فَٱلْمُلُك ملكهُ، والعبيد عبيدهُ، ﴿لَا يُشْتُلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُوكَ ۞ [الانبياء: ٣٢]. وكذلكَ أَمْرُ الرِّزقِ، هو مُقَسَّمٌ فِي الأزَلِ، مضمُون بكفالةِ الله تَعَالَىٰ، لكن اقتضَتْ حِكْمتُهُ، تغطية أَسْرَار الرُّبُوبيَّة، فقرَنَته بوجودِ السبب عِنْدَهُ، لاَ بِهِ. فَلاَ بُدِّ مِنْهُ وُجُوداً، والغَيْبَة عنه شُهُوداً. نَعَمْ من تحقق بالتَّقْوَىٰ، وانقطع إلى الله، رزقه بِلاَ سَبَبِ. قالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ رَغَرْجًا ۞ وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَبِّثُ لَا يَعْتَسِبُّ ۖ [الطَّلاق: ٢، ٣] وَقَالَ الشَّبيخ أَبُو العبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: للنَّاسِ أَسْبَابٌ، وسَبَبُنَا الإيْمَانُ والتَّقُويٰ، ثم قرأ: ﴿وَلَق أَنَّ أَهْلَ ٱلْشُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَّكَنتِ مِّنَ ٱلشَّكَمَآءِ وَٱلأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية. وسَيَأْتِي زيادة بيانٍ، في الكلام على الحِكْمَة والقدرة إن شاءَ الله تعالى، وبالله التوفيق.

وأمًّا كَلاَمُ السَّلفِ الصَّالِحِ فِي الْقَدَرِ: فَمِمًّا اشتهَرَ على أَلْسنتهم: ما شَاءَ الله كَانَ ومَا لَمْ يَشَأْ رَبَنَا لَمْ يَكُنْ. وقيل: إنه حديث. وقال عمر بن عبد العزيز

⁽١) رواه البخاري في صحيحه، باب كيفية الخلق الآدمي، باب قوله وكذب بالحصن، حديث رقم (٤٦٦٦) [٤/ ١٨٩١] ورواه غيره.

رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُور إِلاَّ في مواقع الْقَدَرِ. وقيل لبعضهم: ما تشتهي؟ قال: مَا يَقْضِي الله. وقال ابن عطاءِ اللَّه فِي الحِكَم: "مَا مِن نَفَسِ تُبديهِ، إلاَّ وله قَدرٌ فيك يمضيه". وقال أيضاً: "كَيْفَ يَكُونُ طلبك اللاَّحِق، سَبباً في عَطَائهِ السَّابقِ؟ جَلَّ حُكْمُ الأَزَلِ، أَنْ يُضَافَ إلى الْعِلَل عنايتهُ فيكَ، لاَ لشَيْءٍ مِنْكَ، وأَيْن كُنْت؟ حين واجهتك عِنَايته وقابلتك رِعَايتهُ. لَمْ يَكُنْ فِي أَزَلِهِ إِخلاصُ أَعْمَالٍ، وَلاَ وجود أَخْوَالٍ، بل لَمْ يكُن هُنَاك إلاَّ مَحْضُ الإِفْضَالِ، ووجود النَّوَالِ»، يَعْنِي أَنَّ قَضَاءَهُ لكَ، السَّابِق فِي عالم الْغَيْبِ، هو الَّذِي ظَهَرَ ووجود النَّوَالِ»، يَعْنِي أَنَّ قَضَاءَهُ لكَ، السَّابِق فِي عالم الْغَيْبِ، هو الَّذِي ظَهَرَ لكَ فِي عَالَم الشَّهَادةِ، ولم يَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عمل تستحق بِه العَطَاء، ولاَ حَلَا مَافَظُولُ فَضَلاً مِنهُ وجُوداً، وإلله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم.

واغلَمْ أَنْ النَّاسَ فِي النَّظَرِ إِلَى الْقَضَاءِ السَّابِقِ، والحكم اللاّحِق أَرْبَعَةُ أَقسام: قِسْمٌ نَظَرُوا إِلَى الْعَوَاقِبِ، لعلمهم بأنّ الأعمال بخواتيمها. وَقِسْمٌ نَظَرُوا لِلَوْقْتِ، لَمْ يَسْتَغِلُوا بالسوابق، وَلاَ بِٱلْعَوَاقِب، غَيْر الوقت الّذِي هُوَ فِيهِ، وقِسْمٌ الوقتِ، عَالمينَ بأنّ الفقير ابن وقتِه، لاَ يَرَىٰ غَيْر الوقت الّذِي هُوَ فِيهِ، وقِسْمٌ نَظَرُوا للّهِ وَحْدَهُ، لعلمهم أَنْ الماضي والمُسْتقبل والحال، متقلّبُون في قبضة الحقّ، متصرفُون بِحُكْمِهِ، والأوقات كلها قابِلَة للتّغَيْرِ، وتبديل الحالِ، فَلاَ يَرُونَهَا، وإنّما يشاهدون كل شيء بيدهِ؛ وهذا القسمُ قد اسْتَرَاح من كدر التّذبيرِ، يغببَيهِ عَن شهود المُدبِّر، عن سَابِق التقدير، بغلافِ الثلاثِ الأوَلِ، قد غَلَبَ لغببَيهِ مَن شهود الْفَرْقِ. فالأوَّلُ: أَذْهله خَوْف السوابق. والنَّانِي: أَدْهَشَهُ خَوْف العواقب والخواتم، والثالث: غَيْبَه حكمُ الوقتِ، وشُهُودُ أَخكَامِهِ، عن شُهُودِ الموقتِ. والرَّابِ، شَغَلَهُ شهُودُ الموقتِ. والرَّابِعُ: لمَّا كُشف عَنْهُ الحِجَابُ، وشَاهَدَ رَبُّ الأَرْبَابِ، شَغَلَهُ شهُودُ الموقتِ. والرَّابِعُ: لمَّا كُشف عَنْهُ الحِجَابُ، وشَاهَدَ رَبُّ الأَرْبَابِ، شَغَلَهُ شهُودُ واحِدْ عَن كُلُّ شَيْء، ولَمْ يُشْغِلُهُ عَنِ اللهُ شَيْء، ولذَكَ قَالُوا: الصُوفِي مَن لاَ يُسَعْر هو لشيء، ولَمْ يُشْغِلُهُ عَنِ اللهُ شَيْء، ولَمْ يكذّر صفوهُ شَيْء، شَغله واحد يُسَخّر هو لشيء، ولم يُشْغِله عن الواحِدِ شَيْء، ولَمْ يكذّر صفوهُ شَيْء، شَغله واحد عن كل شيء، ولم يُشْغِله عن الواحِدِ شَيْء،

والْحَاصِلُ: أَنَّ مَنْ أَرَاد الرَّاحَةَ الدَّائِمة، فَلْيَنْطَرِحْ بِيْنَ يَدَي الله، ويَنْظُر في

كل وَقْتِ مَا يَبْرُزُ مِن عِنْدِ الله، ويشكن تحت مَجَارِي الأقدارِ لهُ، ولْيَنْعَزِل عَن تدبيرهِ واخْتِيَارِهِ، ويتأمَّل ما قَالَهُ القُطْبُ سيدي يقوت العرشي:

مَا ثَمَّ إِلاَّ مَا أَرَادَ فَاتْرُكْ هُمُومَكَ وَانْطَرِحْ ﴿ وَاتْرُكْ شَوَاخِلَكَ الَّتِي اشْتَغَلْتَ بِهَا عَنْهُ تَسْتَرِحْ وأمَّا دَلِيلُهُ مِنْ طَرِيقِ الكَشْفِ والْوُجْدَانِ: إِنَّ مَن رَقَّ حجابُهُ، وتَلَطَّفَتْ بَشَرِيتُهُ، يُطْلِعُهُ الله تَعَالَى، على مَواقِع الأَقْدَارِ، قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ، إِمَّا أَنْ يُخَاطَبَ بِهَا فِي الْيَقَظَةِ، وإمَّا أَنْ يَرَاهَا فِي النَّوْم. وقال عليه الصَّلاة والسَّلاَمُ: ﴿ وَقِيا المُؤْمِنِ جُزْءً مِنْ سَنَّة وأَرْبَعِينَ جُزْءً مِنَ النُّبُوءةِ، إِذَا تَقَارَبَ الزَّمان، لاَ تَكَاد رُؤْيَا المُؤْمِنِ تُخْطِيءُه'(١). وقد تحققنا لهٰذَا الأمر مِنْ أنْفُسِنَا والْحَمْدُ لِلَّهِ، فقبل أن ينزل بنا أمْرٌ جَلاكى، أَوْ جَمَالِى، إِلاَّ نَرَاهُ قَبْل نُزُولِهِ بِمدَّةٍ. مِنْهُ ما تطول مُدَّتهُ، ومنهُ ما تقربُ، فَنَنْتَظِر وُقُوعهُ، كما ينتَظرُ الغَائِبُ الْقَادِمُ مِنْ سَفَرِهِ، فَإِذَا نَزَلَ، وجَدَ الْقَلْبَ قَدِ اسْتَعَدَّ لِنُزُولِهِ، وتوطَّنَ لهجُومِهِ، فَلاَ تحرَّكه صَدَمَانُهُ، وَلاَ تُدْهِشُهُ وارداته، فتحققنا ذَوْقاً وكشفاً؛ أن المقادير جَرَتْ فِي الأزَلِ، وتعَيَّنَتْ أَوْقاتُهَا ومقاديرُهَا، لاَ تتقَدَّمُ وَلاَ تتأخَّرُ، لكِن من حِكْمَةِ الحكيم، أَنْ غَطَّى لهٰذَا السَّرّ بِرِدَاءِ الحِكْمَةِ، فَجَعَلَ لكل شَيْءِ سَبَباً، فَيُنْزِل الْقَدَر فِي وَقْتِهِ الَّذِي تَعَيَّنَ لهُ فِي الأَزْلِ، ويُغَطِّيه بِوجُودِ سَبَبِهِ، فَيُقال: فُلاَنَ فَعَلَ كَذَا، فَجَرَىٰ لَهُ كَذَا، وفُلاَن مَشَىٰ إِلَى مَوْضِع الْوَبَاءِ مثلاً، فَمَاتَ بِهَا، أَوْ نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِ مَوْضِعهَا، والوقوف مع لهٰذَا، دونَ النَّظُر إِلَى بَاطِنِ الأَمْرِ وتَصْرِيف الْقُدْرَةِ، حجاب غَلِيظٌ، وجَهْل قَبِيحٌ، رُبَّما يؤدِّي إلى الكُفْرِ إن اعتَقَدَ التَّأْثِير، وأنْكَرَ الْقَدَرَ، وَهُنَا زَلَّتْ أَقْدَامُ كثيرٍ مِمَّنْ يَدِّعِي الْعِلْمَ، ولَيْسَ عِنْدَهُ إِلاَّ رَسْمُهُ، والإخْبَارِ بِٱلأُمُورِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ، أَمْرٌ مُتَوَاتِرٌ، منها ما كَانَ مِنْ طَرِيقِ الْوَخي، كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ [المائدة: ٩]. قبلهم وقد مكِّنَ الله الصَّحَابة، مِنْ مشارق الأرض ومَغَاربها،

⁽۱) روى نحوه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم ۱، حديث رقم (۹۵) [۲۹۱/۱] ونصه: «إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا الصالحة بشرى من الله، والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه، والإحتلام من الشيطان؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدث به.

وكقولِهِ تعالى: ﴿اللّهَ ۞ غُلِبَتِ ٱلزُّومُ ۞ فِيَ آذَنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِنَ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِئُونَ ۞ فِي بِضِع سِنِيكُ ﴾ [الروم: ٢] وَقَدْ خلبُوا فارِسَ زَمَان الحُدَيْبِيَّة، وقوله تعالى: ﴿لَتَدَّخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآةَ ٱللّهُ ءَامِنِيكَ مُحِلِّقِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقَدْ وَقَعَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وأمّا إخْبَارهُ عليه الصَّلاة والسَّلام بِٱلمُغَيِّبَاتِ المستقبلة، فَلاَ تَكَادَ تُحْصَىٰ، وقَدْ حَذَّر ﷺ، مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تأتِي بَعْدَهُ، كأنَّه يُشَاهِدهَا، فَوَقَعَ ذلِكَ كُلَهُ، وقد وُجِدَ مكتوباً بِقَلَم الْقُدْرَةِ عَلَى جِدَارِ قصْرٍ دَارِسٍ مَا نَصُهُ:

مَا لاَ يُقَدَّرُ لاَ يَكُون بِحَيلَةٍ أَبداً وَمَا هُوَ كَائِنْ سَيَكُونُ سَيَكُونُ سَيَكُونُ سَيَكُونُ سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُثْعَبٌ مَحْزُونُ هَلَيْكُ وَكُن بِرَبُّكَ وَاثِقاً فَأَخُو الْحَقِيقَةِ شَأْنُهُ التَّهُوينُ هَوْنُ عَلَيْكَ وَكُن بِرَبُّكَ وَاثِقاً فَأَخُو الْحَقِيقَةِ شَأْنُهُ التَّهُوينُ

مَّونَ صَعَيْثُ وَسَ بِرَبُ وَبِي صَحَوَ الْحَوْمِ الْمُورِ تَبْرُزُ اتفاقيةً، كَمَا تقوله الرَّوَافِض والقَدَريةُ مَجُوسُ هذه الأمَّةِ، لَمْ يَقَعِ الإِخْبَار بها قَبْلَ أن تكونَ، ثم يَقَعُ كَذَلِكَ، فإنْ قُلْتَ: ما ذَكَرْتُهُ إِخْبَار بِمَعْلُومٍ، إذ المسلمون كُلُّهم يقرؤونَ هٰذَا، قلْتُ: ليْسَ مُرَادُنَا الاَكْتِفاء بِمجَرَّدِ الْعِلْم، بل مُرَادُنا تَرْبِيَة اليقينِ، وَلاَ شكَ أَنَّ ذِكْرَ ما يُقويه مطلوب، وهو بمجَرَّدِ الْعِلْم، بل مُرَادُنا تَرْبِيَة اليقينِ، وَلاَ شكَ أَنَّ ذِكْرَ ما يُقويه مطلوب، وهو

البَابُ الثَّالِثُ:

جُنْد مِن جنودِ الأنْوَارِ؛ وهو التوفيقُ؛ وهو الهادي إلى سواءِ الطريق.

فِي بَيانِ الحِكْمَةِ والْقُدْرَةِ

إِعْلَمْ فَهَّمَكَ الله سَبِيل رُشْدَهِ، وَجَعَلكَ من أهل مَحَبَّتِهِ وَوُدّهِ، أَنْ بَحْرَ الحِحْمَة بَحْرٌ زَاخِرٌ، وأَمْرٌ ظَاهِرٌ، يُظهِرُ الأسبابَ، ويُسْدِل الحجاب، ويصونُ السِّرَ الْمَصُونَ، ويَسْتُرُ الكَنْزَ الْمَدْفُونَ، يَزبِط الأَحْكَامَ بِٱلْعِلَلِ، ويُقرر الشرائع والمِلَلِ، يُغَطِّي مَا يَبْرُزُ مِن عُنْصُرِ الْقُدْرَةِ بِرِدَائِهِ، ويَسْتُرُ مَا يَبْدُو مِنْ أَسْرَار الرّبوبية، بِعِزِّ كِبْرِيَائِهِ، يصُون الحقيقة، ويُظهِرُ الطريقة، يُظهر العبودية، ويُبْطِن الرّبوبية، مِن وقف مَعَهُ كَان محجوباً، وَمَنْ نَفَذَ مِنْهُ إلى شُهُودِ القُدْرَة كَانَ أَسْرَار الرّبوبية، من وقف مَعَهُ كَان محجوباً، وَمَنْ نَفَذَ مِنْهُ إلى شُهُودِ القُدْرَة كَانَ مَحْبُوباً، وبالغَاية مصحوباً، وبَحْرُ القُدْرة أَيْضاً بَحْرٌ زَاخِرٌ، وأَمْرُه قَاهِرٌ، لَيْسَ لَهُ أَوْلًا وَلاَ آخِرٌ، يَظْهَرُ ويَبْطُنُ، ويتحرك ويسكنُ، يُعطي ويَمْنعُ، ويُخْفِض ويَرْفع، بيده مَقَادِير الأُمُورِ؛ وعلى قُطْبِ دَائِرتِهِ أَفْلاَكُ التصاريفِ تدورُ، فإذا أرادتِ القُدْرة أن تُظهِرَ شيئاً من بَحْرِ القَدَر؛ الذي سَبَقَ فِي الأزلِ، غَطَّنهُ الحِكْمة برداءِ القُدْرة أن تُظهِرَ شيئاً من بَحْرِ القَدَر؛ الذي سَبَقَ فِي الأزلِ، غَطَّنهُ الحِكْمة برداءِ القَدْرة أن تُظهِرَ شيئاً من بَحْرِ القَدَر؛ الذي سَبَقَ فِي الأزلِ، غَطْنهُ الحِكْمة برداءِ

الأسباب والْعِلَلِ؛ ليَبْقَىٰ الكَنْزُ مَذْفُوناً، وسِرَ الرُّبوبية مَصُوناً، وتَظْهر مَزِية الْعَارِف على الجَاهِلِ، ويتميَّزُ الباعِدُ من الواصل، والمؤمن من الكافِرِ، الْعَارِف الَّذي لاَ يرى إلاَّ تصريف القُدْرة، ويعرف سِرّ الحِكْمة، فلا يحجب بِهَا عن شهُود الْقُدْرة، والجاهل يقف مع شهود الحِكمة، ويحجب بِهَا عن القُدْرة، العارف نَفَذ إلى شهود اللَّب الخالصِ، والْجَاهل وقَفَ مَعَ القِشْر الظَّاهِر الْيَابِسِ ﴿ هَلْ يَسْتَوِى النِّينَ يَهْلَونَ ﴾ . [الزمر: ٩].

الْعَارِف نَظَرَ إلى مُسَبِّب الأسباب، فَزَال عَنْهُ الحِجَاب، ودَخَلَ مَعَ الأخبَابِ، والْجَاهِل وقَفَ مَعَ قِشْرِ الأَسْبَابِ، وقَنَعَ بٱلوُقُوفِ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، العارفُ مَوْصُوفٌ بالإقرار فيما يَبْدُو مِنْ نَوَازِل الأَقْدَادِ، والْجَاهِلُ مرسومٌ بالإنكارِ لما يظهَرُ من حَضْرَةِ القهَّارِ، العَارفُ يَتَلقَّى مَا يَبْرُزُ من عُنْصُرِ القُلْرَةِ، بالفَرَح والسُّرُورِ، لشهودِه ما بيده قدرتِهِ تصاريفُ الأمور، والجاهل من خُصَّام الحَقُّ دَائماً وهو لا يشْعُرُ، ولذلك قال بَعْضهم: «مَنْ عَامَلَ النَّاس بالشريعةِ، طال خصامهُ مَعَهُمْ، ومَنْ عَامَلَهُمْ بِٱلحَقِيقَة عَذَرَهُمْ، فالواجب أن يعامِلهم في الظَّاهر بالشريعة؛ فيُذَكِّرَهُمْ، وفي الباطِنِ بالحقيقةِ فَيَعْذرَهُمْ، فتحصَّلَ من هذا، أنَّ القدرَة تُبْرِزُ وتُظْهِرُ، والحِكْمَة تغطي وتستر، والحِكْمة عَيْن القدرة، والقدرة عَيْنِ الحِكْمَةُ، إذ الْفَاعِل واحِدٌ، فاعِلُ السَّبَبِ؛ هو فاعل المُسَبِّبِ، لكن لاَ بُدٍّ للشَّمْس من سَحَابٍ، وللحَسْناءِ من نِقابٍ، فَمَا أَظْهَرَتْهُ القُدْرَةَ من الأسْبَابِ والْعِلَل، سُمِّي حِكْمَة، وما أَبْطَنته مِنَ الإيجاد والاختراع، سُمِّي قُدْرة، والفَاعل واحِدٌ، فإذا سَبَق للعَبْدِ شيء من مقدورات الحقّ، جلالية أو جمالية، ووصَلَ وقت نزول ذلِكَ، حرَّكه الله إلى سبَب في الغَالِب، فينفذ ذلِكَ المَقدورُ بتصريفِ الْقُدْرَة الأزليةِ، مستتراً بِرداءِ الحِكْمَة الإِلّهية، فالجاهل يقف مَعَ قِشْرِ السَّبَب، والعارف يَنفذ إلى شهودِ مُسَبِّب ذَلِكَ السَّبَب، وكذلك إذا سَبَق في الأزلِ، نزول بَلاَءٍ في بَلْدَةٍ، حرَّكهُمْ إلى سَبَبِ ذلِكَ، رغماً على أَنْفِهِم، حتى يَمْضِي أَمْرُ الله فِيهِمْ. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ۚ أَن نُهُلِكَ قَرْيَةٌ أَمْرَنَا مُتْرَفِهَا فَفَسَقُوا فِنها فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاْهَا تَدْمِيرُ ۞﴾. [:] ومن ذلِكَ أَمْرُ الوَباء إذا سَبَقَ في قَدَر الله وقضائِهِ، أَنْ يَنْزِلَ فِي مَدِينةٍ أَوْ قَرْيَةٍ، في وقْتِ مُعَيِّنٍ، جعل لذلِكَ الحقُّ بحكمَتِهِ تَعَالَىٰ سبباً وعِلَّةً، فَتُنْزِلُهُ القدرةُ الأزلية، في الوقت الَّذِي سَبَق به العلم القديمُ، مسوَّراً بِرِدَاءِ الحِكْمَةِ، وهو ذلك السَّبب، لتظهر مزية الإيمانِ بِالغَيْبِ؛ لأنَّ الدُّنيا دَارُ التكليف، لا دار التعريف، بخلاف الآخرة. فيقول الجاهل: لؤلا فلاَن اللَّذيا دَارُ التكليف، لا دار التعريف، بخلاف الآخرة. فيقول الجاهل: لؤلاَ مَا النَّقَلَ. ويقول العارفُ: هٰذَا ما سَبق في حُكْم الأزَلِ، كذلك إذا نقلتهُ القُدْرة إلى مَوْضعها ومات. يقول الجاهل: لَوْ لَمْ ينتقلْ مَا ماتَ، هٰذَا اعتقاد من طبع الله على قَلْبِهِ مِنَ الكُفَّارِ. وقد نَهَى الله تَعَالَىٰ المؤمنينَ عن التشبه بِهِمْ، فقال: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلّذِينَ ءَامَنُوا آذَكُرُوا نِهْمَة اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتُكُمْ جُنُودٌ فَآرَسَلْنَا عَلَيْمِ رِيّا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَمْمَلُونَ بَعِبيرًا ﴿ الاحزاب: ١٩. وقالَ الله أيضاً وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَمْمَلُونَ بَعِبيرًا ﴿ وَالاحزاب: ١٩. وقالَ الله الشَّهُ مَا فِي مُدُورِكُمْ وَلِيمَحِصَ مَا فِي قُلُوبِكُمُّ آلَا عمران: ١٩٥٤ الخ. وسَيأتي الكَلاَم على الْوَبَاءِ فِي مَحَلُهِ إِن شاء الله. هٰذَا مَا يَتَعَلَّق بالحِكْمَةِ والْقُدْرَةِ، لِمَنْ فَتَحَ الله عَلَى الْوَبَاءِ فِي مَحَلُهِ إِن شاء الله. هٰذَا مَا يَتَعَلَّق بالحِكْمَةِ والْقُدْرَةِ، لِمَنْ فَتَحَ الله بَصِيرَتُهُ، وبالله التَوْفيق، وهُوَ الْهَادِي إلى سواءِ الطَّريقِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: فِي إِبْطَالِ الْعَدُوَىٰ والطِّيرة

أمَّا العَدُوى: فهو انتقال المَرَضِ مِنْ محلٌ لآخَرَ، كما يَزْعمُهُ الفَلاَسفة، والطّبَاثعيونَ؛ وهو باطِلٌ عند أهل التوحيد. قال تعالى: ﴿ اللّهُ خَلِقُ كُلِ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] وقال في شَانِ السّخرِ: ﴿ وَمَا هُم بِضَاتِينَ بِهِ مِنْ أَحَلِ إِلّا بِإِذَنِ الرعد: ١٦] وقال في شَانِ السّخرِ: ﴿ وَمَا هُم بِضَاتِينَ بِهِ مِنْ أَحَلِ إِلّا بِإِذَنِ اللّهُ ﴿ وَقَالَ اللّهُ وَهُ وَهُ وَمَا اللّهُ وَمُثَاثِهُ، أَوْ قَدَرهُ وقضَاؤهُ. وقال اللّهُ ﴿ اللّهُ عَدْوَى وَلا طِيرَة، وَلا صفر ولا هَامَ ﴾ (١). فمن اعْتَقدَ أنّها تَعْدُو بِطُبْعِهَا؛ فهو كَافِرٌ إجماعاً، ومن اعتقد أنّها تَعْدُو بقوّةٍ فيها فهو عاص. وفي بِطُبْعِهَا؛ فهو كَافِرٌ إجماعاً، ومن اعتقد أنّها تَعْدُو بقوّةٍ فيها فهو عاص. وفي كُفْرِهِ قَوْلاَنِ. مَنِ اعْتقد أنها تَعْدُو بِقُدْرَةِ الله وقَدَرِهِ على وَجْهِ الحِكْمَةُ، وسَيْرِ الْقُدْرَةِ فَهُو مُؤْمِنٌ.

والأَمْرَاضُ الَّتِي تَعْدُو عِنْدَهُمْ، هي: الْجَرَبُ، والْوَبَاءُ، والجُذَامُ. أَمَّا الجَرَبُ فيكون في الإبِلِ، والْغَنَم، والكِلاَب والآدَمِي، وكل ذلِكَ

⁽۱) رواه البخاري في صحيحه، باب الجذام، حديث رقم (٥٣٨٠) [٢١٥٨/٥] ومسلم في صحيحه، حديث رقم (٥٣٨٠) [٢١٥٨/٥] ورواه غيرهما.

بِقُدْرَةِ الله وقَدَرِهِ. قَدْ سَبَق فِي الأزَلِ أنه يَنْزِل بذلكَ الشخص فِي وَقْتِ مخصوص مَحْدُودٍ، لا يتقدُّمه ولا يتأخُّرُ عَنْهُ، لكن من حِكْمة الحَكِيم، أن قَرَنَ الأشْيَاءَ بأَسْبَابِهَا عندها، لا بِهَا، فإذَا وَصَلَ الْوَقْتُ الَّذِي سَبَق أَنه يَنْزَل به ذَلِكَ الْمَرَض حَرَّكُهُ، بِسَبَب تغطيته لسِرَّ قَدَرهِ، فيختلط مع من فيه، وقَدْ يَنْزِلُ به ذٰلِكَ الْمَرَض حَرَّكُهُ، بِسَبَب تغطيته لسِرٌ قَدَرهِ، فيختلط مع من فيه، وقَدْ يَنْزِلُ بِلاَ سَبَب، وفي الحديث؛ أنه لمَّا قال عليه السلام: (لا عَلْوَىٰ وَلاَ طِيَرَة). قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا لِلإِبْل تكُون كالضباب، فإذا نَزَلَ بِهَا جَمَلُ أَجْرَبُ، أَجْرَبِها كُلُّها. قال عليه السَّلامُ: (ومَنْ أَعْدَىٰ الأوَّل؟) أي ومَنْ أَنْزَلَ ذلِكَ الدَّاءَ بالأَوَّلِ، فأعلمَهُمْ أَنَّ كُلِّ شَيْءٍ بِقَدَر اللَّه وتُدْرَتِهِ، وكما غطَّى سِرُ إِنْزَالِهِ بِالْأَسْبَابِ؛ كذلكَ غطْى سِرَّ رَفْعِهِ بِٱلنَّداوي. وفي الحَدِيثِ: ﴿مَا نَرُّلُ اللَّهُ دَاءً، إِلاَّ أَنْزَلُ لَهُ دَوَاءً فالتَّدَاوِي لاَ يُنَافِي التوكل، إن كَانَ يَرَىٰ الشفاء مِنَ الله، والدُّواء حِكْمَةٌ سَمَّرَتِ الْقُدْرَةُ، فَلاَ تأثيرُ له البتَّة، فَمَن اغْتَقَدَ أَنْ لَهُ التّأثير، فَهُوَ مُشْرِكٌ مَعَ الله. قال الله تسعسالسي: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ خُرٌّ دَعَوْا رَبُّهُم ثَمِيدِينَ إِلَيْهِ ثُعَّ إِذَا أَذَاقَهُم يَنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِينٌ مِّنْهُم بِرَيْهِمْ يُشْرِكُونَ ۗ ۞ ﴿ [الروم: ٣٣]. فالدُّعَاءُ والتَّدَاوِي كِلاَهما سَبَبٌ، فإذا وَقَعَ الفَرَجُ على يَدِ أَحَدٍ بِدَوَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَٱعْتَقَدَ أَنَّهُ هُو الَّذِي نَجَّاهُ مِن ذٰلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ الله، إمَّا شِرْكُ اغتِقاد، أوْ شِرْك اسْتِنادٍ؛ وَهُوَ مَيْلُ القَلْبِ وَرُكُونهُ إلى ذْلِكَ الوَاسِطَةِ؛ وهو قَدْحٌ فِي التوحيد عِنْدَ الخواصِّ. ولذلك قال القطب ابن مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأبِي الحسن: «الهرب من خَيْر النَّاس، أَكْثَر من أَن تَهْرِبَ مِنْ شَرِّهم يا أَبَا الحسن، فإنَّ خَيْرهم يصيبكَ في قَلْبِكَ، وشَرَّهُمْ يصيبُكَ فِي بَدَنِكَ، وأن تصابَ فِي بدنِكَ، خَيْر من أن تُصَابَ في قَلْبِكَ، ولَعَدُوُّ تَصِلُ بِهِ إلى رَبُّكَ، خَيْرٌ مِن حَبِيب يقطعكَ عنْ ربكَ». فالخلق مخذُوفُونَ من نَظرِ أَهْل التحقيق، يشكرونهم بِٱللِّسَانِ، ويغيبون عنهم بِٱلْجِنَانِ، لقوله عليه السَّلام: (مَنْ لَمْ يَشْكُر النَّاسَ لَمْ يشكُرِ الله ١٠٠٠. فلا بُدُّ من السَّبَب وُجُوداً والغَيْبَة عنه شُهُوداً،

⁽١) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم (١٩٥٤) [٣٣٩/٤] وأحمد في المسند، عن أبي هريرة، حديث رقم (٧٤٩٥) [٢٥٨/٢] ورواه غيرهما.

فالسَببُ قياماً بِحَقَّ الحِكْمَة، والغَيْبَة عَنْهُ قياماً بِشُهُودِ القُدْرةِ. فَمَنْ أَنْكَرَ الأَسْبَابِ
فَهُوَ جَاهِلٌ بِقُدْرةِ الله وحِكْمَتِهِ، والقُدْرَة والحِكْمَة كِلاَهُمَا مِن أَوْصَاف الحقّ.
قَـالَ تَـعَـالَــنْ: ﴿ إِنَ اللّهَ كَاكَ عَلِيمًا حَرِكِمًا ﴾ [الاحزاب: ١]. ﴿ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِ
فَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ﴾ [الكهف: ١٥] والله تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

وأمَّا الْوَبَاءُ فَهُوَ عِنْدَ الْأَطِبَّاء فَسَاد الهوى والوَخم، وعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وخُزُ الجِنَّ، أي طعنُهُ؛ وهو صريحُ الحديث. فَفِي الجامع الصَّغير: ﴿الطَّاعُونَ وَخُزُرُ أَعْدَاثِكُمْ مِنَ الحِنَّ؛ وهُوَ لَكُمْ شَهَادَة» رواه الحاكِمُ. وفيه أيضاً: «الطَّاعُون رِجْزٌ وعَذَابٌ، أَرْسِل على طائفة مِن بَنِي إِسْرَائيل، فإذا وقَعَ بأرض وأنتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ، وإِذَا وَقَعَ بِأَرْضِ ولَسْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَهْبِطُوا عَلَيْهَا، رواه الشيخان والترمذي. هكذا رمّز لهُ. وفيه أيضاً: «الطاعونُ شهادة لكلِّ مُسلم» رواه الحاكم والشيخان. وفيه أيْضاً: «كَانَ عذاباً يَبْعَثهُ الله على مَنْ يَشَاءُ، وإُنَّ الله جَعَلَهُ رحمةً للمؤمنين، فَلَيْس من أَحَدٍ يَقَع الطاعُونُ، فيمكُث في بَلَدِه صَابِراً، مُختَسِباً، أنه لا يُصيبُهُ، إلاَّ ما كَتَبَ الله لَهُ، كَانَ لَهُ مثل أَجْر شَهِيدٍ، رَوَاه الحاكمُ والبخاري. وفيه أيضاً: «الطَّاعُون غدة كغدة البَّعِير المقيم بهَا كالشهيد، والفارُّ منها كَالْفَارٌ مِن الزَّحْفِ. رواه الحاكم. وَقَدْ يُجْمَع بَيْن الحديث وقول الأطباء، بأنَّ الحق تعالى، إذا أراد أنْ يَبْعَثه على عِبَادِهِ، غَيَّرَ الهَوَاء، وأرسل فيه الجِنّ، فَيَهيج الجِن بإذْنِ الله، في وقت فَسَادِ الهوى بقدرة الله. أمَّا هيجَان الجِن، فَمُحَقق بِٱلمشاهدة، فقد رآه كثير من النَّاس، يقظة ومَنَاماً، على صُورة الآدمي، رَجُلاً أو امرأة، وقد يجتمع منه عَسْكراً في مَوْضع وَاحِدٍ، فَيَرَاهُمُ الآدمي يقظة أوْ مَناماً، وقد سمعت الطبل في قبيلة أنجرة، بَيْن السَّماء والأرضِ، زَمَن الوباءِ، وقوله عليه السَّلامُ: ﴿إِذَا وَقَعَ بِأَرْضِ أَنتُم بِهَا، فَلاَ تَخْرِجُوا مِنْهَا المشهورُ في الخروج أنَّهُ حَرَامٌ. والمشهور في الإقدام أنه مكروة. ولذلك قال ابْن رُشْدٍ في القدوم علَيْهَا: لاَ يأثَمُ إجماعاً. ووجه النَّهْي، أنَّ الإنسان إذا قَدِمَ عَلَيْهَا، ووافق تمام أَجَلِهِ، فَمَاتَ بِهَا، فَرُبُّما يقَعُ فِي وَهْمِهِ، أَوْ وَهُم غَيْرِهِ، أَنَّه لَوْ لَمْ يَقْدِمْ لَمَا مَاتَ، فيقع في الإشرَاكِ. وأمَّا أهْلُ الْيَقِينِ التَّامّ فَلاَ كَرَاهِية فِي حَقِّهِمْ، لاِنْتِفَاءِ العِلَّةِ مِنْهُمْ، فَٱلنَّهِي إِنَّمَا هُو في حَقَّ الضعفاءِ. وأمَّا الأَقْوِيَاءُ فَلاَ يَشْمَلُهُمْ، وهٰذَا كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةِ والسَّلاَمُ: "فِرَّ مِن المجذوم

فِرَادِكُ مِن الْأَسَدِ (١) وثبت أنَّهُ أَكَلَ مِعَهُ. وقال: ﴿ لَا حَذُوىٰ وَلاَ طِيَرَة الْأَلْ). فَلِلاَقْوِيَاءِ حُكْمٌ غَيْر مَا للضعفاءِ. وأما رجوع سيَّدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الشَّام، لما بَلَغه أنَّ فِيهِ الْوَبَاء، فإنَّ الجيش مختلط، فيه الأقوياء وغيرهم، فأشفقَ رضي الله عنه على الضعفاءِ؛ أن يختلِجَ في قلوبهم شَيْءٌ، وقد كَانَ فِيهمْ من لاَ صُحْبَة لَهُ، لكَوْنه حديث عهدِ بالإسلام. قُلْتُ: وقد رأيْتُ كثيراً مِن أَصْحَابِنا، تقدُّمُوا لغَسْل الموتَّى، ومُبَاشَرة المَرْضَىٰ فِي مَدِينَة تطوان، وطنجة، وسَلاَ والرباط، ومداشير القبائل، لم يتقَدُّمْ إلى ذلكَ غيْرهم، فَغَسُّلُوا وكَفُّنُوا، وباشَرُوا المرضَى، فَلَمْ يُصبهم شيء، بل بعضهم باقي على قيد الحياة، وقد رأيت بعضهم أغطِيَ قشابة مات صاحبها بالوبَاءِ، فلبسها في الحين، فلم يُصبهُ شَيْءٌ، فَعَاشَ بعد الوَبَاءِ زَمَناً طَوِيلاً، ورأيت بعض أصحابنا من أهْل أنْجَرَة، قدم على البلاد التي فيها الطَّاعون، فبقي أكْثَر من شَهْر، يَغْسِل ويكَفِّنُ، ويُبَاشر المَرْضَى بِهَا، ثم قَدِمَ سالماً، فعاش بعد الوَبَاءِ زَمَناً طَوِيلاً، فبطل القول بٱلعَدْوى والانتقالِ، وكما نقول لأصحابِنا: مَنْ أَرَاد تَرْبِيَة اليقينِ، وتعلُّم القوة والشَّجاعة. فَلْيَذْهَبُ إلى مَحَلُّهَا، مُتَوكِّلاً على الله، معتمداً فِي ذلِكَ على قول ابن رُشدٍ، مع ما قدَّمناهُ مِنَ التفصِيلِ. وأمَّا التَّحَصُّنُ مِنْهُ بحَرْس الأَبْوَاب وغَلْقِهَا، فَلاَ فَائِدةَ فِيهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَو كُنُمْ فِ بُرُيج مُّشَيَّدَةً﴾ [النساء: ٧٨] وقد يتأخَّرُ الوقتُ في الأزَلِ، فَيَظُنُ الْجَاهِلِ أن تأخِيرُهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ حِرْصِهِ وتَحَفُّظِهِ، ولَيْسَ كذلك، إذْ لاَ يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وإنَّما الوقت اقْتَضَىٰ التَّأْخِيرِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَإِن مِن شَيْءَ إِلَّا عِندَنَا خَزَآيِنُكُم وَمَا نُنَزِّلُهُۥ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

حكاية مستظرفة: بَلَغَنِي أَنَّ صاحِبَنَا الفقيه المفرج، لما دَخَلَ الوباءُ طَنْجَة،

⁽١) رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة حديث رقم (٩٧٢٠) [٢/ ٤٤٣] وابن أبي شيبة في مصنفه، (١٦٩) من رخص في الطيرة حديث رقم (٢٦٤٠٨) [٥/ ٣١١] ورواه غيرهما.

⁽٢) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة، بأب الطيرة، حديث رقم (٢١٥٥) [٥/ ٢١٧١] ورواه مسلم في أبواب عدة منها باب لا عدوى ولا طيرة..، حديث رقم (٢٢٢٠) [١٧٤٣/٤] ورواه غيرهما.

وقد كانُوا أَغْلَقُوا الأَبْوَابَ، ومَنعُوا من أَتى من بَلَد الْوَبَاءِ من الدُّخُول، أَتى إلى البَوَّابِينَ؛ لمَّا تحقق ظهورها في البَلَدِ فقال لَهُمْ: بَيْنِي وبَيْنكُم القائِد، لِمَ تَرَكْتُمُ الوبَاءَ يَدْخُلُ؛ ردًّا لِزَعْمِهِمْ، فإن قلتَ: قَدْ وُجِدَ مَن سَدٌ بَابَهُ في زَمَنِهَا، فَسَلِمَ الوبَاءَ يَدْخُلُ؛ ردًّا لِزَعْمِهِمْ، فإن قلتَ: قَدْ وُجِدَ مَن سَدٌ بَابَهُ في زَمَنِهَا، فَسَلِمَ مِنْهَا، قُلْتُ: الحِكْمَة حَقُ مَنْ تَمَسُّك بها، لاَ تُخْرَق في حَقِّهِ، لَكُنَّهُ يكون محجوباً بِهَا عَنْ رَبِّهِ، مَعَ التحقق، أَنَّ القَضَاءَ والْقَدَر هكذا جَرَى فِي حَقِّهِ، فَمَا تَعَاطَىٰ إلاَّ مَا جَرَىٰ بِهِ القَلَمُ، لكنَّه محسوبٌ مِنَ الضَّعَفَاءِ، لاَ نَصِيبَ لَهُ فِي مَقَامِ الأَقْوِيَاءِ. ويَدْخل فِي قوله عليه السَّلام: والفَارُ مِنْه _ [أي الطاعون] _ كَٱلْفَارٌ من الشَّعْفَاءِ، مَعَ اعْتِقادِهِ أَنَّهُ لاَ يزيد في النَّحْفِ، أَن الْعُمُر شَيْئاً.

وفائدته: التأييدُ واللطف، ونزول الصَّبْرِ، والرَّضَى عند أَوْقَات الشَّدَّةِ، وقد ذكر القسطلاني دعاءً مخصوصاً، يُقال عِنْد هَيَجَانِهَا، أَوْ يُعَلَّق تميمَة، فإن الله يحفظه بِبَرَكَتِهِ؛ وَهُوَ لهٰذَا: اللَّهُمُّ سَكُنْ فِئْنَة صَدْمة قَهْرمان الجَبَرُوت، بِالْطَافِكَ الخفية، الواردة، النازلة من باب المَلكُوتِ، حَتَّى نَتَنَبَّت بِافْيَالِ لُطْفِكَ، وَنَعْتَصِم بِكَ مِنْ إِنْزَالِ قُدْرَتِكَ، يَا ذَا الْقُدْرَة الْكَامِلَةِ، والرَّحْمَة الشَّامِلة، يَا ذَا الْجَلالِ والإِخْرَام اله.

وينفع في ذلك أيضاً حِزْبُ النَّووِي، صباحاً مساء بعد العشاء، فقد قيلَ: إنَّ قارئَهُ لاَ يتسلَّطُ عليه برُّ وَلاَ فَاحِرْ، بِحَيْث لاَ يَتَصَرَّف فِيهِ أَحَدٌ، لاَ مِنْ جِهَة الْهِمَّة كَالاَّوْلِياءِ، وَلاَ مِن جِهَة الفعل الحسِّي، كالجَبَابِرة من الإنسان والحِنِّ، وكذلك وظيفة الشيخ زروق رضي الله عَنْهُ، صباحاً ومَسَاءً، مثل ذلكَ، آية الحِرص: ﴿لَقَدْ جَآهَ كُمْ رَسُوكُ ﴾ [التربة: ١٢٨] إلى آخر السورة يكرَّرُها سَبْعاً، ومثل ذلك، الإحثار من الصلاة على رسول الله ﷺ، فإنها تكشف الكروبَ والهمومَ والغمُوم، مما كتب بِهِ إلينا شَيْخ شَيْخنا، مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عَنْهُ، ما نَصّه بعد كلام طويل: ﴿وَمَهْمَا ترَوَّعْتَ من شَيْءٍ، الدَّرقاوي رضي الله عَنْهُ، ما نَصّه بعد كلام طويل: ﴿وَمَهْمَا ترَوَّعْتَ من شَيْءٍ،

⁽۱) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه بكر، حديث رقم (۳۱۹۳) [۲۹۳/۳] وأحمد في المسند، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديث رقم (۱٤٥١۸) [۳/ ۲۲٤] ورواه غيرهما.

فبادِر إلى الطهارة إن كنت على غَيْرها، وصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، واتلُ سورتَيْن قصيرتَيْن، أَوْ صَلَّ على رسول الله ﷺ وَلَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ، أَو ثلاث مرَّات، وقل: حسبنا الله ونِعمَ الوكيل، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قَوَّة إلاَّ بالله الْعَلِيّ الْعَظِيم، مثل ذلك، وكُن لِرَبّك لَمُكذَا دَائِماً، تَرَىٰ عَجَباً، وإياكَ أَن تكون على غَيْر لهذا. إذ لاَ يفيدنا إلاَّ الرُّجُوعُ إلى ربّنا، والسكون إليه عند الرَّخاءِ والشَّدَّة، وَلاَ يفيدنا غَيْره قطُّ».

وقولنا: تطهر إن كنت على غَيْرها، وجد كَذَا، واتْلُ كَذَا، أو افعل الجميع. قُلْتُ: ﴿ وهو الَّذِي نَفْعَلُ، نُصَلِّي ركعتَيْنِ، ونَثْلُو سورَتَيْن قَصِيرَتَيْنِ، كَالَم نَشْرَح، ولإيلاَفِ قُريْش، ونُصَلِّي على رسول الله ﷺ عَشْراً، ونقول: حسبُنَا الله ويغم الوكيل عشراً، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله عشراً، ثم قال رضي الله عنه: فإن الشر يذهب والخير يأتي إذ في الرجوع إلى الله والسكون إليه من الفوائد وخَرْقِ العَوائِدِ، والله إن كُنَّا على ما قُلْنَا، حتى تكون لَنَا الطريق في السَّماء، كما هِيَ لَنَا فِي الأَرْضِ، أكثر من ذَلِكَ وأقْرَبُ، ولَعَنَهُ الله على مَنْ السَّماء، كما هِيَ لَنَا فِي الأَرْضِ، أكثر من ذَلِكَ وأقْرَبُ، ولَعَنَهُ الله على مَنْ كَذَّبَ والله إن اعتصمنا بربنا لما قررنا حتى تصحبنا نيابته في جميع أوقاتنا، ويصحبنا غونُهُ وَفَضْلُهُ، وكَرَمهُ وحِلْمُهُ، وجُودُهُ وعطفُهُ، ونَوَالهُ فِي حَرَكَاتِنَا وَسَكَنَاتِنا، والله يأخذ بِيَدنا ﴾ انتَهَى كلامه رضى الله عَنهُ.

ومِمًا يَتْأَكُدُ على الإنْسَان في زَمَنِ الْوَبَاءِ، الرَّضَىٰ والتَّسْلِيم، والصَّبْر على مفارقة الأَحْبَابِ، إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأولَى، فَفِي الله خَلَقٌ مِن كلِّ تَلَفِ، لاَ سِيَّما فِي هَٰذَا الزَّمان الصَّعْبِ، فَيَنْبَغِي اللَّ يُفْرَح بِمَوْلُودٍ، وَلاَ يُحْزَنَ على مفقود، فما بقي إلاَّ غورة النَّصَاری، وخروج الدَّجَال، ويَأْجوج ومَأْجُوج، فَمَن أَخَذَهُ الله إليه، فَقَدْ خلَّصَهُ الله من لهذِهِ الأهوالِ، ومَن بَقِيَ، فليتحَصَّن بالكَبِير المتعال، وقد تقدم قوله عليه السَّلام، لابن عَبَّاس رضيَ الله عَنْهُ: ﴿إِخْفَظ الله يحفظكَ، إِخْفَظه تَجِده أَمَامَكَ، تَعَرَّف إلى الله فِي الرَّخَاءِ، يعرفكَ فِي الشَّدَةِ الحديث(١).

وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِن أَصْحَابِنَا، وهو الفقيه العالِم، الولي الصَّالح،

⁽١) هذا الحديث سبق تخريجه.

سيَّدي محمَّد بن معروف الصحراوي، أنَّهُ قال لي: رأيْتُ فِي كتاب البُوني^(١) (شمس المعارف). قال فيه: «إذًا دخَلَت النَّصَاري مصر، وظَهَرَ الْوَبَاء بِٱلْمَغْرِبِ، وخَرَجت النَّصارى بالسواحِل، ظَهَرَ الإمام المهدي، ونَزَل عِيسَىٰ ابن مَرْيَمَ عليه السَّلام، فَمَنْ مَاتَ حَبِيبُهُ فِي لهٰذَا الزَّمَانِ، فَلاَ يتأسَّف عَلَيْهِ، ومَن أَحَسَّ بانتقالُ روحِهِ إلى الله، فليَفْرَخ بِلِقَاءِ الله، ومُلاَقَاة رسول الله ﷺ، ومَن تقدُّمه من أوْلِياء الله، وكَانَ بِلاَل يقول عند مَوْتِهِ: واطرَبَاهُ، غَداً ٱلْقَى الأحِبَّة: محمَّداً وحِزْبَهُ، فإنَّ الرُّوح إذا خَرَجَتْ مِنْ سِجْن البَدَنِ، تَصَوَّرَتْ عَلَىٰ هَيْئةِ صَاحِبِهَا، شَكْلاً كَامِلَ الْأَعْضَاءِ، لَطِيفاً روحانياً، كالملائكة، يَرَىٰ ويسمع ويعرف، فإذا خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ، كَسَتَهَا الْمَلاَئِكَة ثَيَابًا أَتَتْ بِهَا مِنَ الْجَنَّةِ، مع حنوطٍ وَطِيب، فتصعد بِهَا إلى السَّمَاءِ، ولها رائحة طيبة، فَتَقُول الملائكة: لهذِهِ روح فُلاَنِ ابَن فُلان، رَحِمَهُ الله، فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، ويُشَيِّعُونَهُ مِن سَمَاءِ إلى سَمَاء حتى يَفْضِيَ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ، فتقول المَلاَثِكَة: لهذَا عَبْدُكَ فُلاَن قَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ، فَيَقُول: «ٱكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عَلِّينَ، وأروهُ مَفْعَده مِن الجِنَانِ، فَيَذْهَبُونَ بِهِ إلى الجنَّةِ، فيرى ما أَعَدُّ الله مِنَ الإحسَانِ، ثم يُرَدُّ إلى السُّؤَالِ، فإذا وُضِع الجَسَدُ عَلَىٰ النَّعْشِ كَانَتْ فَوْقَهُ بِذِرَاع، تقول: قَدُّمُونِي قَدُّمُونِي، وإذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وأُلْقِيَ عَلَيْهِ التُّرابُ، دَخَلَتْ فِي ٱلْقَبْرِ، وحَيِيَ البَدَنُ حَيَاةً خَارِقة لِلْعَادَةِ، أشْبَهُ شَيْءٍ بِحَالَةِ النَّائِمِ، فَإِذَا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ، وثَبَّتَهُ الله بِٱلقَوْلِ الثَّابِتِ، حَتَّى أَجَابَ رُسُلَ رَبِّهِ، صَعِدَتْ رُوحُهُ إِلَى المَقَامِ الَّذِي أَعَدُّهُ الله لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرِّينَ ﴿ فَرَقِحٌ وَرَتِحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨].

قال بَعْضُ العارِفِين: رَوْحُ الوِصَالِ، وَرَيْحَان الجَمَالِ، فإذا انْفَصَلَت الرُّوحُ من هٰذَا الْبَدَنِ، اتَّصَلَت بِٱلْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّة؛ وهو الرُّوح، ولم تَرَ إلاَّ الْفَضَاء وسَعَةَ الْجَمَالِ؛ وهو الرَّيْحَانُ، ثمَّ تَدْخُلُ الجَنَّة، فَتَتَنَعَّمُ فِيهَا بِأَنُواعِ الخَيْرَاتِ، وَلاَ تُحْصَرُ فِي الجَنِّةِ، بَلْ تَذْهَبُ حَيْث شَاءَتْ، وَفِي بَعْضِ الأثرِ، إذَا مَاتَ العارِفُ: قِيلَ لِرُوحِهِ: إِذْهَبُ حَيْث شِئْتَ. وقيل للرّوح: الاسْتِرَاحة من تَعَبِ

⁽١) هو الشيخ أحمد بن علي بن يوسف البوني المتوفي سنة ٦٢٢ هجرية.

الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا، وَالرَّيْحَانُ: الرزق الَّذي يليق بِحَالِهَا، فإنَّ رُوحَ الشهداءِ، تأكل من ثِمَارِ الجَنَّةِ، وتَشْرَبُ مِن أَنْهَارِهَا، وَرُوحِ الصَّدِّيقِينَ تأكُلُ من ثمارِ المعارف، وتشرب من نَسِيم لذَّة الشهودِ والمعَايئة.

وقال التَّرْمِذي: الرَّوْحُ الرَّاحَة فِي القَبْرِ، والرَّيْحَان دُخُول الجنَّةِ. وقال بَسَّام بن عبد اللَّهِ: الرَّوْحُ السَّلاَمَةُ. والرَّيْحانُ الكرامة. وقال سَعْدُ: الرَّوْحُ معانقة الأَبْرَارِ. الأبكار. والرَّيحانُ مُرَافقة الأَبْرَارِ.

فالمُقَرِّبُونَ يَتَنَعَّمُونَ بِنِكَاحِ الأَبْكَارِ، ويَجْرِي عَلَيْهِم رزقهم قبل قيام السَّاعة؛ لظَاهِرِ الآية. وقال الخرَّاز: الرَّوْحُ كشف الغِطاءِ. والرَّيحان الرُّوْية واللقاء. وقبل الرُّوْحُ: الرَّافَةُ، والرَّيحانُ: النَّجَاة من الآفَةِ. وقبل الرَّوْحُ: المَوْتُ على الشَّهَادَةِ. والريحانُ: بَدْءُ السَّعادة. وقبل الرَّوْحُ: كشف الكُرُوبِ. والرَّيحانُ: غُفْرَان اللَّمْنِ والأَمَان. اللَّمْنِ والأَمَان. والريحانُ: نَبْل الأَمْنِ والأَمَان. والريحانُ: نَبْل الأَمْنِ والأَمَان. وقبل الرَّوْحُ: عف بِلاَ عِتَابٍ، وقبل الرَّوْحُ: عف بِلاَ عِتَابٍ، والريحانُ: رَق بِلاَ حِسَابٍ، وقبل الرَّوْحُ للسابقين، والريحان للمقتصدينَ، والريحانُ: رَق بِلاَ حِسَابٍ، وقبل الرَّوْحُ للسابقين، والريحان للمقتصدينَ، والجنّة للظالمينَ. وقبل الرَّوْحُ لأزوَاحِهِمْ. والريحانُ لِقُلُوبِهِم، والجنّة لأَبْدَانِهِمْ، والحقُ لأَسْرَارِهِمْ.

والمُقَرِّبُونَ: هم السابقونَ. والسَّابقون: هُمْ أَهْلِ الْهِمَمِ العالية؛ الَّذِينَ سَبَقَتْ أَرْوَاحهم إلى الحضرة القُدْسِية؛ وهم أهْلِ الفَنَاءِ والبَقَاءِ. فالمَوْتُ فِي حَقَّ هُوُلاَءِ، انتقال مِنْ وَطَنٍ إلى وَطَنٍ، ومن دَارٍ إلى دَارٍ، وفي ذلك يقول الغزالي، بَعْدَ مَوْتِهِ، وُجِدَتْ تحتَ عمَامَتِهِ:

لاَ تَنظُنُوا الْمَوْتَ مَوْتُ إِنَّهُ لَحيَاةً وَهُوَ غَايَةُ الْمُنَى لاَ تَنظُنُوا الْمَوْتِ فَمَا هُوَ إِلاَّ الْنِسَقَالُ مِنْ هُسَنَا لاَ تُرَوَّع كُمْ هُجُمَة المَوْتِ فَمَا هُوَ إِلاَّ الْنِسَقَالُ مِنْ هُسَنَا فَاتْخُدُم تُبْصِرُوا الحقَّ عياناً بَيِّنَا فَاتْخُدُم تُبْصِرُوا الحقَّ عياناً بَيِّنَا

وإلى آخِرِ قصيدتِهِ. وأمَّا إن كَانَ مِن أَصْحَابِ اليَمِين، فَتَصْعَد المَلاَئِكَة بِرُوحِهِ مَا تَقَدَّمَ، ثم ترجع للسؤال، فإن سُئلتْ انتقَلَتْ بأهْلِهَا في عَالَمِ البَرْزَخ، فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهَا ، ويَسْأَلُونَهَا عن أَحْوَالِ الأَحْيَاءِ، ثمّ تَبْقَىٰ مَحْصُورَةً فِي عَالَمِ البَرْزِخِ إلى يَوْمِ البَعْثِ، بخلاف أَرْوَاحِ المُقَرِّبِينَ، فإنّها مطلقة تذهبُ حَيْثُ

تَشَاءُ، وتَتَصرّف تَصَرّف الأخياءِ. والمُرَاد بأضحابِ اليمين: أهل الدُّليل والبُرْهَان، الذين حَصَرَتْهُمُ الأكْوَان. ولم يُفْضوا إلى فَضَاءِ الشهودِ والعِيَانِ، سواء كانُوا عُلَمَاء أَوْ صَالِحينَ، أَوْ عُبَّادَ أَوْ زُهّاد.

والحاصِلُ: أَنَّ مَنْ خَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنِ الأَكْوَانِ، واتَّصَلَتْ بِشُهُودِ المُكَوِّنِ؟ فهو مِنَ المَقَرَّبِينَ، ومن بَقِيَتْ مسجونة فِي الأَكْوَانِ، لم تُفْتَحْ لها مَيَادِين الغُيُوب؛ فهو مِنْ أهْلِ اليَمِينِ، وبالله التَّوفيق. وبقي عندهم من الأمراض العادية، عندهم الجذامُ؛ وهو قليل في قطرنا لهذا، فلا نتكلَّمُ عليه والسَّلامُ.

الْبَابُ الْخَامِسُ: فِي اكْتِسَابِ الْيَقِينِ، وَذِكْرِ مَوَادُهِ وَمَوَاطِنِهِ

اليَقِينُ: هو سكونُ القَلْب واطْمئنانُهُ بزَوَالِ التَّوَدُّدِ والاضطراب، من قولهم: يَقِنَ الماء في الحَوْض، إذا سكن واسْتَقَرَّ فِيهِ. ثم يتفاوتُ اليقين بِتَفاوُتِ مَوَادِّهِ وَأَنْوَارَهُ، فَإِذَا سَكَنَ إِلَى اللهَ تَعَالَىٰ سَكُوناً تَامًّا، لَكِنَّهُ مِن وَرَاءِ حِجَاب الأَكْوَانِ، يستدلّ بالآثر على المُؤثّر، سُمّي لهذَا المقام، علم اليقين. ومَوَاده التَّفَكُّرُ والاعتبار، فكلما قَوي التفكُّر والاغتِبار، قَويَ نُورُ الْيَقين، فإذا نَظَرَ إلى هذه المَضنوعاتِ العلوية والسُّفلية، وتفكَّرَ في عجائب صُنْعِهَا، واختلاف أشخاصها وأنْوَارهَا؛ وتعَدُّد أفرادِهَا، وكُلُّهَا فِي قَبْضَيْهِ تَعَالَىٰ، وتَحْت قُدْرَيْهِ وإرَادَتِهِ، أَحَاطَ بِهَا عِلْماً، وسمعاً وبصراً، لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرَّة فِي الأرْض وَلاَ فِي السَّمَاءِ، عَلِمَ عِلْمَ يَقِينِ عظمة خَالِقِهَا، وبَاهِرَ قُدْرَتِهِ، وسِعَة عِلْمهِ، فإذا تَعَطَّشتْ الرُّوحِ إلى مَعْرِفَة ذَاتِهِ، واشتاقَتْ إلى الْوُصُول إلى حَضْرَتِهِ، رزقَهَا الحقُّ تَعَالَىٰ الإِنَابَة إِلَيْهِ، فأوحَشَهَا مِنْ خَلْقِهِ، وأَنْسَهَا بِهِ، وأَشْغَلَها بذكره، وقيَّض لها وليًا مِنْ أَوْلِيَاثِهِ، فلا يَزَال يسيرُ بِهَا مِنْ مَرْحلِ إلى مرحلٍ، مِنْ مَنْهَلِ إلَى مَنْهَلٍ، حَتَّى يَقُولَ لَهَا: هَا أَنْتَ وَرَبُّكَ، ذلِكَ حتَّى تنقشع ظُلْمَة الأَكْوَانِ عَن الْقَلْبَ، فَيُشَاهِد أَنْوَارَ الْغَيْبِ حَاضِرَةً، وأَسْرَار الذَّاتِ لاثِحَةً، فَيَغْرِقُ فِي الأَنْوَارِ، ويَغِيبُ عَن شُهُودِ الآثَارِ، ويُسمَّى لهٰذَا الْمَقَامُ، عَيْنَ الْيَقِين، وهو مقام الفناءِ ومَوَادُّهُ: الذُّكْرُ الْقَلْبِي، وجَوَلاَن الفِكْرَة فِي مَيَادِين الغيُوبِ، مع دَوَام صُحْبةِ الْعَارِفينَ، وخِدْمَةِ الْوَاصِلِينَ، وإِذَا تَمَكَّنَ مِن شُهُودِ الأَنْوَارِ، ورجَعَ إلى شُهُودِ الآثَارِ يَرَاهَا قَائِمَةً بِالله، لاَ وجودَ لَهَا مَع الله، سُمِّيَ لهٰذَا الْمَقَامُ حَقُّ اليقينِ. ومَوَادُهُ: الْفِكْرَة والنَّظْرَة، ولُزُوم الصُّخبَةِ والخِذْمَةِ.

ولم يَبْقَ بَعْدَ لهٰذَا، إلاَّ التَّرَقِّي فِي الْمَعْرِفةِ أَبَداً سَرْمَداً فِي لهٰذِهِ الدَّار، وَفِي يَلْك الدَّار، إذْ عظَمَةُ الحق لاَ نِهَايَة لَهَا، فالترقِّي لاَ نِهَايَة لَهُ. وقد تَكَلَّم أَبُو الْقَاسِم القشيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَىٰ لهٰذِهِ الْمَقَامَات الثلاث؛ أغنِي عِلْم اليَقِين، وعَيْن الْيَقِين، وحقّ، اليَقِين.

فقال: "عِلمُ اليقينِ ما كَانَ بِشَرْطِ البُرْهَان. وعَيْنُ اليقين مَا كَان بِحُكُم الْبَيَانِ، فَعِلْمُ اليقين لأربابِ العُقُولِ. وعَيْنُ اليقين لأربابِ العُقُولِ. وعَيْنُ اليقين لأربابِ العُلُومِ. وحقُ اليقينِ: لأصحاب المعارفِ». وأحسنُ مِنْهُ، ما قال اليقين لأربابِ العُلُومِ. وحقُ اليقينِ: لأصحاب المعارفِ». وأحسنُ مِنْهُ، ما قال أبُو سَعِيدِ الفَرْغانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: "اليقينُ: هُوَ سُكُون الْقَلْبِ واسْتِقْرَارهُ، فإذَا أُضيف هٰذَا السكون إلى النَّفْس والْعَقْلِ بِنَاءٌ عَلَىٰ حجَّةٍ ودَلِيلٍ يدلهما عَلَى الأَمْرِ المطلوبِ، سُمِّي علم اليقين، وإذا أُضيف إلى الرُّوح الرَّوحانية، بطريق زوال الحُجُب الحَائِلَة بَيْنَها وبَيْن ذلِكَ الأمْر المطلوبِ، فَتُعَاينُهُ وتُشَاهِدهُ كَما هُو في مَعْدنِهِ، يُقَال لَهُ: عَيْنُ اليَقِين. وإذا أُضيف ذلِكَ السكون إلى السَّر، يُسَمَّىٰ حق اليقين». انتهى مختصراً.

ومثال ذلك في الشّاهد: عِلْمُنَا بِوجُود مكّة مثلاً، فَمَا دَامَ الإِنْسَان لَمْ يَصل النّهَا، عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمُ اليقين، فإذا اسْتشرفَ عَلَيْهَا وَرَآهَا، حَصَلَ لَهُ عَيْن اليقين، فإذا دَخَلَهَا، وعَرَفَ طُرُقَهَا حَصَلَ لَهُ حقّ اليقين، وكَذٰلِكَ مَعْرِفَة الذَّاتِ العالية، فهذا دَمَ العَبْدُ مؤمناً بالغَيْبِ، يشاهد الأكوان، ويستدل بها على المُكوّنِ، فهذا العلمُ الَّذِي عِنْده بالله، يُسَمِّى علم اليقين، فإذا انقطع إلى الله، واتَّصَل بشيخ التربية، فسار بِهِ حتى غَيْبَهُ عَن شُهُودِ الأكوانِ، بشهودِ المُكوّنِ، بِحيْث فَاضَتْ أنوار المعانِي عَلَيْهِ، فَغَيَّبتُهُ عَن شُهُودِ الأوانِي، فَهٰذَا يُسَمِّىٰ عَيْنُ اليقين، فإذَا المَعْبُودِ، فَرَأَى المَعَانِي قائِمَة أنوار المعانِي عَلَيْهِ، فَعْيَّبتُهُ عَنْ شُهُودِ الأوانِي، فَهٰذَا يُسَمِّىٰ عَيْنُ اليقين، فإذَا بالأوانِي، فَهٰذَا يُسَمِّىٰ عَيْنُ اليقين، فإذَا بالأوانِي، فَهٰذَا يُسَمِّىٰ عَيْنُ اليقين، فإذَا بالأوانِي، فَهٰذَا يُسَمِّىٰ عَيْنُ اليقين، فإلى هذه المقاماتِ الثلاثِ، أَشَارَ ابْنُ عطاءِ بالأوانِي، فَهٰذَا يُسَمِّى حَقُّ اليقين، وإلى هذه المقاماتِ الثلاثِ، أَشَارَ ابْنُ عطاءِ اللّه في الحِكم بِقَوْلِهِ: الشُعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قربَ الحَقِّ مِنْك، وعَيْن البصيرةِ يُشْهِدُكَ قربَ الحَقِّ مِنْك، وعَيْن البصيرةِ يُشْهِدُكَ عَدَمَكَ وَحُودُ الحق لاَ عَدَمَكَ، وَلاَ يُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لَو عَدَمَكَ، وَلاَ

وُجُودكَ، كَانَ الله وَلاَ شَيْء مَعَهُ، وهُوَ الآن عَلَىٰ مَا عَلَيْه كَان».

وهذه المَقَامات الثلاث: أغنِي عِلْمَ اليقينِ، وعيْن اليقين، وحقّ اليقين، تخرِي في كل ما يُطْلَبُ فِيهِ تَرْبِيَة اليقين، كَضَمَانِ الرَّزْقِ، وعَدم الخَوْفِ مِن الخَلْقِ، وتَحْدِيد الأَجَل، وجَرَيان مَواقِع القَدَرِ، كَالبَعْثِ وَمَا بَعْدَهُ، فأمَّا ضَمَانُ الخَلْقِ، وتَحْدِيد الأَجَل، وجَرَيان مَواقِع القَدَرِ، كَالبَعْثِ وَمَا بَعْدَهُ، فأمَّا ضَمَانُ الرِّزْقِ، فيحصل فيه علم اليقين، بالتفكُّرِ في الآيات الّتِي وَرَدَتْ فِيه، فكثيرة في كَلْرَ اللهُ فِي شَأْنِه، وكالأحاديث التي وَرَدَتْ عن الصادقِ المَصْدُوقِ فِي ضَمَانِهِ.

فَإُمَّا الآيَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ، فَكَثِيرَةٌ جِدًّا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ وَمَا مِن ذَاتِتَوْ فِ ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْنَقَرُهَا وَمُسْنَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَبِ تُمبِينِ ۞﴾ [مود: ١٦. وَقَــالَ تَـعَــالَــىٰ: ﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَوْةِ وَاَصْطَيِرٌ عَلَيْهَا ۚ لَا نَسْمُلُكُ رِزْقاً ۚ غَنُ نَزُوْفُكُ وَٱلْعَنِيَةُ لِلنَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآتَةِ لَا تَحِيُّلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرَزُقُهَا وَإِيَّاكُمُّ وَهُوَ ٱلسَّعِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞﴾. وقسال تسعسالسى: ﴿اللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمُ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ بُيِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[الروم: ٤٠]. فوسطه بَيْن الخلق والإماتة. فَكَمَا لاَ تَشْكُ أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَكَ؛ وهو الَّذِي يميتكَ، ثم يحييكَ، فكَمَا لاَ تَشُكُ أَنَّ الله يَرْزَقَكَ، إذ كلها سِوَاء. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَلْ مِنْ خَلِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ ٱلسِّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَهُ إِلَّا هُو مَأْفَكِ تُؤْمَكُونَ﴾ [ماطر: ٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اللَّهُ ٱلَّذِي جَمَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ قَــُزَازًا وَالسَّمَلَةُ بِنِكَآةً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَنَقُكُم مِنَ ٱلطَّيِّبَنتِ ﴾ [غانو: ٦٤] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَفْتُ ٱلِّجِنَ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَّآ أُرِيدُ مِنْهُم مِن زِنْقِ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ ٱلزَّزَّاقُ ذُو ٱلْفُوَّةِ ٱلْمَدِينُ﴾ [النداريات: ٥٦]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّتِي ٱللَّهَ يَجْمَل لَهُ بَخَرَجًا ۞ وَيَرْزُفُهُ مِنْ حَبْثُ لَا يَعْنَسِبُّ وَمَن يَتَوَّكُّل عَلَى اللَّهِ فَهُو حَسَّبُهُ ۖ [الطلان: ٤]. وأمَّا الأحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، فَقَدْ قَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لَوْ تَوَكُّلْتُمْ عَلَىٰ الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو حِمَاصاً، وتَرُوحُ بِطَاناً». وقال ﷺ: ﴿إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَتَ نِي روعي، أَنْ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ، حتَّى تَسْتَكْمِل رِزْقَهَا، فَأَتَّقُوا اللهُ، وأَجْمِلُوا نِي الطُّلَبِ، وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الرِّزْقَ يطلبُ الرَّجُلَ، كما يطلبهُ أَجَلُهُ. إِلَى غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّذِي لَمْ نَسْتَحْضِرُهَا. وأمَّا قُولُهُ عَلَيْهُ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهُ تَكَفَّلَ بِرِزقِ طَالِبِ عِلْمٍ . فَٱلْمُرَاد بِهِ تَكَفَّلُ خاصٌ؛ وهو إتيانُهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَلاَ تَعَبِ، وأنَّ الله قَدْ تَكَفَّلَ بِرِزْقِ جَمِيع عِبَادِهِ، لكنَّه سُبْحَانَهُ سَتَرَ ذٰلِكَ بِرَدَاءِ الحِكْمَةِ؛ وهو

وجود الأسباب الْعَادِية.

وَمَنِ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ النّافعِ مُخْلِصاً فِيهِ، أَتَاهُ رِزْقُهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبِ وَأَنّمَا سَتَرَ الحق سُبْحَانَهُ هٰذَا الضّمَان بِرِدَاءِ الحِكْمَةِ؛ وَهُوَ وُجُود الأسْبَابِ؛ لأَنْ الْرُزْقِ، مِنْ عَيْن المِنّةِ ظَاهِراً مِن غَيْرِ سَبَبٍ كَشْفٌ لأَسْرَارِ الرّبُوبية، وهَتْكُ لأَسْتَارِ عظَمة الألوهية. في هذه الدَّار التي هِيَ دَارُ التكليفِ، لا دار التعريفِ لأَسْتَارِ عظمة الألوهية. في هذه الدَّار التي هِي دَارُ التكليفِ، لا دار التعريفِ ليَقظهر مَزِيَّةُ الإيمَانِ بٱلْغَيْبِ، فَلاَ بُدُّ مِن رِدَاءِ الحِكْمَة أَن يُنْشَرَ عَلَىٰ تَصَرَف القَدْرةِ، فَيَبْقَى السَّرُ مَصُوناً، والكَنْزُ مَذْفُوناً، فإذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة، ظَهَرَتِ الْقُدْرة، وبطنتِ الحِكْمَة، فَظَهرتِ الأَسْرَارُ بَادِية الأَنْوَادِ، فَتَبْرُز حِبَنَيْدِ الأَزْرَاقُ مِنْ الْقُدْرة، وبطنتِ الحِكْمَة، فَظَهرتِ الأَسْرَارُ بَادِية الأَنْوَادِ، فَتَبْرُز حِبَنَيْدِ الأَزْرَاقُ مِنْ عَيْر رِدَاءٍ وَلاَ سِتْرٍ؛ لأَنْها دَارُ التعريف، لا دار التكليف، فحينئذٍ تَظْهر ثَمَرَة الإيمانِ، ويتميَّزُ الرِّبْحُ مِن الْخُسْرَانِ، باغتِبَار مَا غَرْسُوا هُنَا.

فَعِلْمُ الْعَبْدِ بهٰذَا الضَّمَان، مِنَ الآيات التي قَدَّمْنَا، والأحاديث النَّبوية، يُسَمَّى عِلْم اليقين، فإذا أزاد تحصيلَ عَيْنِ اليقين، فَلْيَنْقَطِعْ إلى الله انقطاعاً كُليًا، ويَتَجَرَّد عَنِ الأَسْبَابِ قَلْباً وقَالبَا، فإنَّ الله يأتيه بِرزقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَنِي الله يَجْعَل لَهُ مِنْ أَشِيهِ يُسْرَد. ﴾ [الطلاق: ٤]. وقَولُهُ عليه السَّلامُ: همنِ انقطع إلى الله، كَفَاهُ الله تَعَالَىٰ كُلَّ مَوُونَةٍ، وَرَزَقَهُ مِن حَيث لا يختيبُ، وليسكن تخت قَهْرِيةِ الْفَاقَةِ، حتَى ينوق أَسْرَادِها، ويحصل له علم ضروري (١). إنَّ الله يرزق بالسَّبِ، وبِلاَ سَبَبٍ، فإذَا رسَخَ فيه لهذَا الْعِلْمُ، ولَمْ يَبْق فِيهِ خَصْمٌ وَلاَ وَهُمْ، سُمِّى ذلِكَ حقَّ اليقين.

وأمًّا عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْخَلْقِ، فيحصل فيه علم اليقين، في التفكُّر في الآيات الدَّالة على توحيد الأفعالِ، وأنَّهُ لاَ فَاعِلَ إلاَّ الله، كقولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُم بِهِ مَنَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وكَفَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا الْفَتَكُلُوا فَيَنْهُم مَن كَفَرُ وَلَوْ شَاءً اللهُ مَا أَقْتَكُوا وَلَكِنَ الْقَدَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: عَامَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرُ وَلَوْ شَاءً اللهُ مَا أَقْتَكُوا وَلَكِنَ اللّهُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:

⁽١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

107]. وكَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَة عَنْ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ: ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِي شَيْئًا ﴾ [الإنعام: ١٥٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَلُو الْدَعُوا شُرُكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا لُؤَوْنِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥] قله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاةَ رَبُكَ مَا فَعَلُونً ﴾ [الانعام: ١١٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُكُ يَعْلُقُ مَا يَشَادُ وَيَغْنَاذُ مَا كَانَ مَن مُن الْفِيرَةُ ﴾ [القصص: وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُكَ يَعْلُقُ مَا يَشَادُ وَيَغْنَاذُ مَا كَانَ مَنْهُ الْفِيرَةُ ﴾ [القصص: ٨٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا نَشَمَلُونَ ﴿ إِلَاهُ الصَافاتِ: ٩٦].

وفي الحديث عنه ﷺ، قال لابن عبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «واعْلَمْ أَنّهُ لَوِ الْجَتَمَعَ الْخَلْقُ على أَن يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَم يُقَدِّرُهُ الله عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ ذَٰلِكَ، جُفَّتِ الْأَقلامُ، وطُويت الصحف، (۱) إلى آخر الحديث المشهور، فإذا أرَاد تخصيل عَيْن اليَقِين، فليورد مواطِن الحُتُوفِ والأماكن التي يخاف بها النّاس من غَيْر تقرير. حتى يكتسب عَيْن اليقين. فإذا دَامَ عَلَىٰ هٰذَا الْعَمَل، تمكن فِيهِ حَقُّ اليقين. وتحقق حينئذِ ذوقاً وكشفاً، ألا فاعِلَ إلا الله، وَلاَ فاعِل سِوَاهُ، ثم إذا وجد من يسير به إلى الله، حَصَلَ له توحيد الذّاتِ، وأنّهُ لاَ مَوْجُود إلا الله، وهو النّهاية. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلشُنَهَىٰ ﴾. [نجم: ٢٤]

وأمًّا تَحْدِيدُ الأَجَلِ، وجَرَيَانُ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ؛ فَقَد تَقَدَّمَتِ الآيات الدَّالة على ذَلِكَ. فإذَا تأمَّلَ فِيهَا مُفْرِغاً قَلْبَهُ، وحَصَلَ لَهُ عِلْمُ اليقينِ، فإذا أَرَادَ تحصيل عَيْن الْيَقِينِ، فإذا أَرَادَ تحصيل عَيْن الْيَقِينِ، فأيْرِذ أَيْضاً مواضِعَ الْخَوْفِ، ومواطن الْحُتُوفِ؛ كَبَلد الْوَبَاءِ، إن كَانَ له يقينٌ فِي التوحيد، أو الصَّبر في بَلَدِهِ، حتى يحصل له عيْنُ اليقين. إنَّ الأجل مَحْدُود، وقد يحصل عَيْن اليقين، بالنَظَر لِمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ، وبَاشَر الحتوف، وسَكَنَ مواطِنَ الهلكةِ؛ وهو سَالِمٌ. فإذا دَامَ فِي مواطِنِ الخَوْفِ، حتى تمكَّنَ مِن قَلْبِهِ العِلْمُ اليَقِينِي، حَصَلَ له حق اليقين.

وأمَّا الْبَغْثُ وَمَا بَعْدَهُ، فأَمْرٌ شَهِيرٌ، وآياته فِي القُرْآن كثيرة جدًّا، وجُلُّ النَّاس حَصَلَ لهم فيه عِلْمُ الْيَقِين، وَلاَ يَحْصَل عَيْن اليقين، وحتى اليقين، حتى تقوم السَّاعة، ويراها النَّاسُ عِيَاناً، فحينتذِ يحصل لَهُمْ عَيْن اليقينِ، وحتى اليقينِ، نَعَمْ، قد تَتَوارَدُ الأَنْوَارُ عَلَىٰ الْقَلْبِ فَيَصِير الغَيْبُ فِي مَعَدُ العِيانِ، والأَجَلُ فِي

⁽۱) روى نحوه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (۱۲۹۸۸) والترمذي في سننه حديث رقم (۲۵۱٦) [۲۵۷۶] وروى نحوه وغيرهما.

مَعَدُّ الْعَاجِلِ. وكُلُّ آتِ قريبٌ، والنظرهُ إلى قولِ حَارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانِّي أَنظر إلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا» (١) أَنظر إلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَوْنَ فِيهَا» (١) الحديث أو كما قال ذلك رضي الله عنه، فانظرهُ كَيْف جَعَلَ الآني وَاقِعاً، والغائِبَ شَاهِداً؛ ولذلكَ قال ﷺ: «إِلْزَمْ قَدْ عَرَفْتَ عَبْداً دَخَلَ نُور الله قَلْبَهُ» (٢) أو كما قال عليه السَّلامُ.

وطريق اكتساب اليقين، هو صُخبة أهل اليقين، والله ما أفلَحَ مَنْ أفلَحَ، اللَّ بِصُحْبَةِ مَنْ أفلَحَ، ومن تحقق بِحَالة، لا يَخْلُو حَاضِرُوه مِنْهَا. وَفِي بَعْضِ الْحَادِيث: «تَعَلَّمُوا الْيَقِين، فإنّي أَتَعَلَّمُهُ» (٣). وفِي بَعْضِ رِواية أُخْرَىٰ: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينِ» (ف). وقال بَعْضُ الْعَادِفين: «إنَّ للله رَجَالاً إِذَا نَظَرُوا الْيَقِين بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْيَقِينِ» (ف). وقال بَعْضُ الْعَادِفين: «إنَّ لله رِجَالاً إِذَا نَظَرُوا أَهْنُوا» وكَانَ الشَّيْخِ السَّاذِلي رَضِيَ اللّه عَنْهُ يَقُولُ فِي شَأْنِ تِلْمِيذِهِ أَبِي العَبّاس أَمْرُسِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «نِعْمَ الرّجُلُ أَبُو الْعَبّاس، يأتِيهِ الرّجل الْبَدَوِيُ يَبُولُ عَلَىٰ الْمُرْسِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «نِعْمَ الرّجُلُ أَبُو الْعَبّاس، يأتِيهِ الرّجل الْبَدَويُ يَبُولُ عَلَىٰ سَاقِهِ، فَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُو وَلِي مِنْ أَوْلِيَاءِ الله». وقال أبو العَبّاس المُرْسِي نَفْسه: «والله ما بَيْنِي وَبَيْنَ الرّجُلِ، إلاَّ أَنْ أَنْظُرَ إليه، وقَذْ أَغْنَيْتُهُ». قُلْتُ: وكُلّ زمَان له والله ما بَيْنِي وَبَيْنَ الرّجُلِ، إلاَّ أَنْ أَنْظُرَ إليه، وقَذْ أَغْنَيْتُهُ». قُلْتُ للشَّمْس من أَولِيَاءِ الله، وقد أَفْقِ السَّمَاء، لكن لاَ بُدُ للشَّمْس من أَولِي عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَى عَلَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ مَا بِي الْعَهْرِ الشَّمْسِ في أَفْقِ السَّمَاء، لكن لاَ بُدُ للشَّمْس من بَقَابٍ: وللحَسْنَاءِ من نِقَاب:

وَكُمْ مِنْ عَائِبٍ لَيْلَىٰ وَلَمْ يَرَ وَجْهَهَا فَقَالَتْ لَهُ الْحِرْمَانُ حَسْبُكَ مَا فَاتَ

⁽١) و(٢) رواه ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار، فصل أحوال بعض الخانفين..، [١/ ٣٢] والحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول [١/ ١٤٥] ورواه غيرهما.

⁽٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن ثور بن يزيد، [٦/ ٩٥] ورواه علي بن الحسن الشافعي في تاريخ مدينة دمشق، كتاب الوزاء [١٩٨/١٦] ونصه: التعلموا اليقين كما تعلموا القرآن حتى تعرفوه فإنى أتعلمه.

⁽٤) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

شرح بعض مقتطفات الشيخ علي الششتر**ي**

لسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرفاوي

بنسيدا لله الزهن الريكية

سُبْحَانَ مَنِ اخْتُصَّ بِالْحَمْدِ والثَّنَاءِ مِنَ الْعِبَادِ. وَتَقَدَّسَ ذَاتاً وَصِفَاتاً عَنِ الشُّرَكَاءِ والنُظَرَاءِ والحلول والاتحادِ. خَصَّ أقواماً بِكَمال المحبَّة والوداد. فَهُمْ بَيْنَ سَالِكِ ومَجْذُوب، ومُحِبِ ومحبُوبٍ. لاَ يطرق سَاحَة قلوبهم الأغْيَارَ والأَنْكَار.

واختص أقواماً بِغَايَة الجِدْمَةِ والاجْتِهَادِ فَهُمْ بَيْنَ عُبَّادٍ وَزُهَّادٍ، وَبُدَلاً وَنُجَبَاء. صَالحينَ وَأُوتاد، يقومُونَ فِي دَيَاجِي اللَّيْلِ بِمُنَاجَاةِ الحبيبِ. والتعلقِ بَيْنَ يدي القريب المجيبِ. وإذا هم عليهم نسيم الأَسْحَار. فَاضَتْ أَغينهم بَيْنَ يدي القريب المجيبِ. وإذا هم عليهم مَشْكوراً. ﴿كُلَّا نُيدُ هَتَوُلاً وَهَكُولاً مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَكُولاً مِنْ عَلَمْ وَهَلَولاً مِنْ عَلَاهُ رَيِكَ مَعْلُولاً ﴾. [الإسراء: ٢٠] نَحْمَدُهُ تَعَالَى ونشكُرهُ حمْداً وَشُكْراً يَقْضِيَانِ بتوالي الإمْدَادِ. ويعطفانِ على قائلهما بالتعرفِ والودَادِ.

ونُصَلِّي وَنُسلم على مَنْبع الأَنوارِ. ومَعْدِن المعارف والأَسْرَارِ سيّد الوجود، ومنبت الكرم والجود. سيدنا ومَوْلاَنَا أَفضل كل حامدٍ ومحمُود. ورضِي الله تعالى عَنْ أصحابه الأَبْرَارِ. وأَهْل بَيْتِهِ الأَطْهَارِ.

أمًّا بعد: كل شيء قبله وبعده، فعلم الباطنِ عِلْمٌ كبيرٌ، وفَضْله مِنَ الكتاب والسنة شهيرٌ بَذْل المهج والأرواح في نيله نَزْر يسيرٌ وركوب بَخره الهائل أمر خطير، إلا مَن ركبه مع رئيس عارف كبير، عالم بأحوال البَخر وأهوالهِ، عارف باسْتِخْرَاج يواقيته وَلآلئه، إذا تعاصفت عليه الأمواج والرياحُ، أوَى إلى سفينة السّنة والأخبار الصحاح، ومَدَار هٰذَا العلم على تربية اليقين وتحقيق شهودِ ربّ العالمينَ، فبدايته مجاهدة، ونهايته مُشاهدة، ومِمّن خَافَ هٰذَا البحر الخطير، وتضلع من ماء عِلْمِهِ الغزير الشيخ الكامِل المحقق الواصل بحري

زمانه. ورئيس دهره وأوانِهِ. أَبُو الحَسَن سيدي علي بن عبد الله النميري الششتوري، الأندلسي الأصل. الرباطي الدَّار. وشُشْتر بشينَيْن مُعْجَمَتيْن، أَوَّلهما مضمومة، وثانيهما ساكنة، بعدها تاء مضمومة فوقية، هِي قَرْية بالأندلس. وششتر أيضاً. مدينة بالعراق.

سكن الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرِّبَاط. ثم جَالَ فِي البِلاَدِ. فدخَلَ فاس ومكناس، ثم رَحَلَ إلى المشرق فجال في بلادِهَا. وبها توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رُوي أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إلَى الشَّامِ. نَزَل بساحل دمياط؛ وهو مَرِيض، فَنَزَلَ قَرْيَة هُنَاك، على سَاحِل البحر الرَّومِي. يضطاد فيها السَّمَكَ. فقال: ما اسْمُ هذه القرية؟ فقيل لهُ: الطينة. فقال: حنَّت الطينة إلى الطينة فَوَصَّى أَنْ يُدْفَنَ بمقبرة دمياط. فَحَمله الفقراء على أَعْنَاقِهِمْ، فتوفي بها يوم الثلاثاء تاسع عشر صَفَر، سنة دمانية وستين وستمائة (١٩ صفر سنة ١٦٦٨هـ).

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الأمراء، وأولاد الأمراء. فصار من سادة الفقراء. أخذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طريق التجريد والتخريب، فنال غَاية التفريد والتقريب. رُوي أنّه لما النقي شيخه ابن سَبْعينَ، وَأَرَادَ أَن يَاخُذَ عَنْهُ: قال له الشيخ: لا تَنَالُ من علمنا لهذَا حَتَّى تُسْقِط جَاهكَ. وَتُفْني مَالَكَ. فَبَاع كُلٌ مَا عِنْدَهُ وتَصَدَّقَ بِهِ. ولبس قشّابة، وأتى إلى الشيخ، فقالَ: خُذْ بِنْدِيراً وادْخل السوق. فقال له: مَا نقول؟ فقال: قُلْ: بَدَأْتُ بِذِكر الحبيب، وهِمْتُ وَعَيْشِي يطيب. وبخت بِسِرً عجيب. لَمَا دار الكاس ما بين الجلاس. وأحيتهم الأنفاس. عنهم زال الباس الخ كلامِهِ. هكذا سَمِعْت الحكاية مِنْ شيخِنَا، وسمعتها أيضاً مِنْ غَيْرِه. ممّن له الخناء بِكَلامِهِ. وَلَمْ أَقف عَلَيْهَا. ولَهُ تَآليف منها: كتاب العزوة الوثقى، في بَيَان المسنن، وإخصاء العلوم. وما يجب على المُسْلم أن يَعْلَمُهُ ويَعْتقده إلَى وَفَاتِهِ. السَّنَ ، وإخصاء العلوم. وما يجب على المُسْلم أن يَعْلَمَهُ ويعْتقده إلَى وَفَاتِهِ. السَّنَ ، وإخصاء العلوم. وما يجب على المُسْلم أن يَعْلَمَهُ ويعْتقده إلَى وَفَاتِهِ. في أَسْرَارِ إِشَارات الصّوفية. وله الرسالة القدسية، في توحيد العَامَّة وَالخَاصَّة، والمراتب الإسلامية، والإيمانية، والإخسانية. وله أشعار وأزجَال ومقطعات في في أَسْرَارِ إِشَارات الصّوفية، والإيمانية، والإخسَانية. وله أشعار وأزجَال ومقطعات في غَايَة النّبل. جمعت في ديوان كبير. ومنها قصيدته التي أَرْدُنَا الكلامَ عَلَيْهَا. التي أَرُهُنَا الكلامَ عَلَيْهَا. التي أَرْدِيا مَحْجَدِي الْحَبْر، وسرى في سري. . . إلى آخرها. وقيل هي لشيخه أَوَّلها: صَحَّ عِنْدِي الْحُبَر، وسرى في سري . . . إلى آخرها. وقيل هي لشيخه أَوَّلها:

عبد الحق بن سَبْعين. لكني رَأَيْته فِي ديوانِهِ من جُمْلة أَشْعَارِهِ. فَاللّه أَعْلَمُ. وتوفي شيخه ابن سبعين بعد وَفَاتِهِ بِسَنَةٍ. قال رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: «المقتطفة الأولى».

صَحْ مِنْدِي الْخَبَرْ . . وسَرَى فِي سِرِّي . . إِنَّ مَيْنَ النَّظَرْ . . عَيْنُ مَيْنِ الْفَكْرِي . . .

أَغْمِضْ طَرْفَكَ تَرَى . . وَتلوح أَسْرَارَك . . وَافْنَ عَنِ الْوَرى . . تَبْدُو لَكُ أَخْبَارَكْ . . .

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَحْ عِنْدِي الْخَبَر وحققته. وَسَرَى فِي قَلْبِي وروحي وسِرِّي حتى ذقته وهو أن عين النظر، التي أَمَرَ اللَّهُ باستعمالها، والنَّظر بها في قوله تعالى: ﴿ قُلُ النَّظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَتِ وَالْآرْضِ ﴾. [يرسف: ١٠١] وبقوله: ﴿ أَوَلَرَ يَسِيرُوا فِي الْآرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِبَةُ اللَّيْنَ مِن قَبْلِهِم ﴾. [يوسف: ١٠٩] هي عَيْنُ الْقَلْبِ؛ الَّذِي هُوَ مَحَلِّ الفكر والاغتِبَارِ. لا عَيْنَ البَصَر الحِسِّي؛ لأنَّ عَيْنَ الْقَلْبِ؛ وهي عَيْن الفِكْرِ. لاَ تَرَى إلاَّ المَعَانِي الْقَديمة والأنوار القدسية. وتُسَمَّى الْقَلْبِ؛ وهي عَيْن البَصَر الحِسِّي، لاَ يَرَى إلاَّ المحسوسات الحديثة المفروقة. البصيرة بِخلاف عَيْن البَصَر الحِسِّي، لاَ يَرَى إلاَّ المحسوسات الحديثة المفروقة. فإذا انفتحتِ الْبَصِيرة. وهي عَيْن الفِكْر، اسْتَوْلَتْ على البَصَرِ الحِسِّي. فلاَ يَرى البَصَر حينئذ إلاَّ المَعَانِي التي تراها البصيرة. فيستولي المغنى على البَسَر الحِسِّي. فلاَ يَرى والجمعُ على الْفَرْقِ. وتستولِي الرَّوحانية على البَشَرية. فتخنس البَشَرية، وَلَمْ والجمعُ على الْفَرْقِ. وتستولِي الرَّوحانية على البَشَرية. فتخنس البَشَرية، وَلَمْ والجمعُ على الْقَام، وَلاَ بقي إلاَّ رَبِّي. ويقول أَيْضاً:

مُذْ عَرَفْتُ الإِلَىه لَـمْ أَدْ غَيْراً وكَـذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ مُذْ تَجمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِراقاً فَـأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلْ مَنْجَمُوعُ ويقول أيضاً:

لَوْ كُلّفت أَنْ أَرَى غَيْرهُ لَمْ أَسْتَطِع. فَإِنَّه لاَ غَيْر مَعهُ حَتَّى أَشهدهُ فمشهد البَصر والبصيرة ضِدَّانِ، يحجب أحدهما عَنِ الآخرِ. فَمَن وقَفَ مَعَ المحسوسات التي هِي مَشْهَد البَصَرِ. وَاشْتَغَل بِحِسَّيتها. واغْتَز بزخرفها، حُجبَ عَنِ المَعانِي اللطيفة؛ التي هي مَشْهَد البَصِيرة وَصَارَ مَحْجُوباً عَنِ اللَّهِ. واقفاً مَعَ القِسر الظَّاهر، لَمْ يَنْفذ إلى اللَّب الباطنِ. قال الشيخ ابن عطاء الله السكندري

في الحِكَم: «الأَكْوَان ظَاهرهَا غرّة. وَبَاطنها عِبْرة. فالنفس تنظر إلى ظَاهر غرّتها. والقلب ينظر إلى باطن عبرتها، هـ.

وقيل لرسول الله ﷺ: مَنْ أُولياء اللّه الّذين لا خَوْفَ عَلَيْهِم وَلاَ هُمْ يَخْزَنُونَ. فقال: «الّذِين نَظَرُوا إلى بَاطِن الدّنيا، حينَ نَظَرَ النّاس إلى ظَاهِرها واحتمّوا بَأَجَل الدّنيا حين اهتم النّاس بِعَاجِلِهَا. فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَن يميتهُمْ. وَمَا عَارضهم مِن نَائلها عارض إلا رَفَضُوهُ، وَلاَ خَادعهم من رفعتها خَادِع إلا وضعوهُ. خلقت الدّنيا في قلوبهم فما وُلا خَادعهم من رفعتها خَادِع إلا وضعوهُ. خلقت الدّنيا في قلوبهم فما يُحيُونَهَا. وماتتْ في صدورهم فما يُحيُونَهَا. بل يُهَدّمُونها، فيبنونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ. ويبيعونَهَا فيشترون بهَا ما يَبْقَى لَهُمْ. نَظرُوا إلى أَهْلها صَرْعَى قد حَلّت بِهِم المَثلاث. فَمَا يَرَوْنَ أَمَاناً دُونَ مَا يَرْجُونَ، وَلاَ خُوفاً دُونَ مَا يَجِدُونَ هم. ويحتمل أن يريد بعين النّظر محلّه أو ذَاتهُ. فيكون المَعْنَى حِينَيْذِ: صَحْ عِنْدِي الحَبَر. إِنَّ مَحَلَّ النظر، هو محلّ الفكر؛ وذلِكَ المَعْنَى حِينَيْذِ: صَحْ عِنْدِي الحَبَر. إِنَّ مَحَلَّ النظر، هو محلّ الفكر؛ وذلِكَ المَعْنَى عِينَا النّظر، هو محلّ الفكر؛ وذلِكَ لاتحادِهِمَا عندَ الْعَارِفِ؛ لأنْ مَا كَانَ غيْباً يُدْرِكُ بِالفكر، صَارَ عنده شهادة يُدُرك بالنّظرِ. فَصَارَ عِينُ النظر، هُو عَيْن الفِكْرِ. وعين الفكر هو عَيْن النَظر؛ لأنَ المِسرة إِذَا فتحت، اسْتولْتُ على البَصَر فَاتَّحَدَ مذرَكُهُمَا.

وأما غيْرُ العَارف، ففكرتُهُ فِي المعانِي الغيْبية، ونظرهُ في الأشياءِ الحسّية. قال في الحِكَمِ: «الفِكرة فِكْرتَانِ: فكرة تصديق وإيمَانِ. وفِكْرَة شهودٍ وعيَانِ فالأولى لأزبابِ التَّصْديقِ والاغْتِبَارِ. والثانية، لأزبَابِ الشهودِ والاسْتَبْصَارِ». هـ.

والحاصل أنه كلما يغمُضُ بصرهُ عَنِ النَّظَرِ إلى الحسِّيات الفَانية، تُشْرِقُ عليه أَنْوَار المَعَانِي الباقية، وإليه أشار بقوله: إغمض طرفك، ترى وتلوح أَشْرَارك. أي أَغْمض طَرْفك عن المحسُوسات الحادثة الفانية، ترى المعاني القديمة الباقية. اغمض طرفك مِن وُجُودكُ الوَهْمِي تلوح أَشْرَارك الحقيقية الأزلية؛ وهي العلم الوهبي، فالحسّ في الحقيقة عَيْن المعنى، لكنه رداء الأزلية؛ وهي العلم الوهبي، فالحسّ في الحقيقة عَيْن المعنى، لكنه رداء وحجاب للمعانِي، فإذا تَنَحَّى رداءُ الصَّوْنِ عن الكَوْنِ. أَشْرقت أَنُوار القِدَمِ، على صفحات العَدَم. فتلاشَى الحادث، وبقي القديم، وقد أَشَرْت إلى هذا المَعْنَى فِي عَيْنِتِي فقلَتُ:

تَنَحُّ رِدَاءُ الصَّوْنِ عَنْ كَوْنِ رَبُّنَا فَصِرْنَا إِلَى نُودِ الْحَبِيبِ نُسَارِعُ

فَقَالَ لَنَا أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً فَهٰذَا جَمَالِي حَقًّا فِيهِ تَمَتُّعُ

أَوْ نَقُولُ المحسُوسات أَوَانِي، حَاملة للمَعَانِي، فَإِذَا تَكَسَّرَتِ الأَوَانِي، سَقطت المَعَانِي، وفي ذٰلِكَ يقول النَّاظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لاً تَنْظر إلى الأوَاني وخض بحْرَ المعانِي لَعَلَّكَ تَرَانِي.

وَأَكْبَر الحُجب: النَّظر إلى ظاهر الخَلْق. والغيبة عن المَلِك الحقّ. والاغْتِرَارِ بما هُم فيه. والخَوْف مَعَهُمْ في حِسِّهِمْ الَّذِي هُوَ لعبٌ ولَهُوّ. فَمَن فَنَى عَنْهُم، وغابَ عَنْ حِسِّهِمْ، لاَحَتْ لَهُ أَنوار وظهَرت له أَسْرار، وإلى ذٰلِكَ أَشَار بِقوله: وافْنَ عَنِ الوَرَى، تَبْدُو لَك أَخْبَارَك. أي افْنَ عَن رُوْية الوَرَى؛ بِعَيْنِه الفَرْقِ. تَبْدُو لَك أَخْبَارُك. أي افْنَ عَن رُوْية الوَرَى؛ بِعَيْنِه الفَرْقِ. تَبْدُو لَك أَخْبَارُك أي عُلومك، حَتَّى تَرَاهُمْ بِعَيْنِ الجَمْعِ. وفي هٰذَا المَجْذُوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الخَلْق نُوَّاذ وأَنَا رعِيتْ فِيهِمْ هُمُ الحُجُبُ الأَكْبَر. وَالْمَذْخَلْ فِيهِمْ وَهُمُ الحُجُبُ الأَكْبَر لِمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِهِمْ. والمَذْخَلُ فِيهم، لِمَنْ نَفَذَ

إلى شُهُودِ خَالِقِهِمْ فِي ظَاهِرَهمْ. قال في لطَائف المِنَنِ: فَمَا نُصبت الكَائِنات لتَرَاهَا، ولكِن لتَرَى فيها مَوْلاَهَا. فَمُرَاد الحقّ مِنْكَ أَن تراها بِعَيْن مَن لاَ يَرَاهَا. تَرَاهَا مِنْ حَيْث كُوْنَيَتُّهَا. قال: ولنا فِي هٰذَا

المغنَى: مَا أَثْبَتت لك المعالم إِلاَّ لنرامًا بِعَيْن مَنْ لاَ يَرَاهَا.

فَارِقَ عَنْهَا رُقَى مَنْ لَيْسَ يَرْضَى حَالَةً دُونَ أَن يَرَى مَوْلاَهَا هـ. فَالنَّاظر للكَائِنَاتِ غَيْر شَاهد للحقِّ فيها، غَافلْ. والفَانِي عنْهَا عَبْدٌ بِسَطَوَات الشهود ذاهلٌ. والشَّاهد للحق فيها عَبْد مخصص كَامِلٌ. وإنما تُرْفع الهِمَّة عَنِ الكَوْنِ مِنْ حَيْث كَوْنِيَتُهُ، لاَ مِنْ حَيْث ظُهُور الحقِّ فِيهِ فَإِغْضَاءُ الزُّهَاد والعُبَّاد وأَهْلُ الإرَادة عَنِ الكَوْنِ؛ لاَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا ظهور الحق فِيهِ. وذلك لِعَدم نُفُوذِهم إليه في كل عَنِ الكَوْنِ؛ لاَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا ظهور الحق فِيهِ. وذلك لِعَدم نُفُوذِهم إليه في كل شَيْءٍ لاَ لعَدم ظهوره فِي كل شَيْءٍ. فَإِنَّهُ ظَاهر فِي كُلِّ شَيْءٍ. حتَّى إِنه ظَهَرَ فيما بِهِ احْتَجَبَ بِلاَ حِجَابِ هـ.

وقال الشيخ أَبُو الحسَن الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بَعْض كتب اللَّهِ المنزَّلَة على أَنْبِيَاثِهِ: «مَنْ أَطَاعَنِي فِي كُلُّ شَيْءٍ، بِهِجْرَانِهِ لَكُلُّ شَيْءٍ أَطَعْته في كل

شيء، بأنْ أَتَجلَّى لَهُ دُونَ كَلَ شَيْء، حَتَّى يَرَانِي أَقرب إليه مِن كُلْ شَيْء، وَلَا: وهذه طريق أُولَى، وهي طريق السَّالكينَ. وطريق أُخرى كُبْرى: مَنْ أَطَاعَنِي فِي كُلِّ شَيْء، بِإقباله على كُلِّ شَيْء، لحسْن إِرَادة مَوْلاَه فِي كُلُّ شَيْء، أَطَعْتُهُ فِي كُلِّ شَيْء، حَتَّى يَرَانِي كَأَنِّي كَلْ شَيْء، وَالْعَتُهُ فِي كُلِّ شَيْء، حَتَّى يَرَانِي كَأَنِّي كَلْ شَيْء أَطَعْتُهُ فِي كُلِّ شَيْء، وَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمَا وَلِيَّانِ. وَلِيَ يَفْنَى فِي كُلِّ شَيْء، فَلاَ يَشْهَد مع الله شيئاً. وَوَلِيْ يَفْنَى فِي كُلِّ شيء. فيشهد الله في كل شيء، وَهٰذَا أَتَمُّ: لأَنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ لَم يُظهر المملكة إلاَّ حَتَّى يُشْهَدَ الله في كُل شيء. وَهٰذَا أَتَمُّ: لأَنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ لَم يُظهر المملكة إلاَّ حَتَّى يُشْهَدَ فيها. فالكَائِنَات مِرْآة الصفات. فمن غاب عن الكون، غابَ عن شهود الحق فيه فيها. وقال في الحِكم: «مَنْ عَرَفَ اللَّه رَآه في كل شيء. ومَن فَنَى فيه، غابَ عَن كُلُّ شَيْءٍ. وَمَن فَنَى فيه، غابَ عَن كُلُّ شَيْءٍ. وَمَن فَنَى فيه، غابَ عَن كُلُّ شَيْءٍ. وَمَن أَحَبُّه، آثره على كل شيءٍ» هـ.

وفي بَعْضِ الأَثَرِ: «مَا رَأَيْتُ شيئاً، إِلاَّ رَأَيْت اللَّهَ فِيهِ». وَلاَ تَحْصُل هذه الرؤية إلاَّ لِمَنْ صَقلت مِزْآة قَلْبِهِ. وتطهَّرَتْ مِنَ الأَغْيَار وحينئذ تَتَجَلَّى فيهِ الْحقائِق والأَسْرَار وإلى ذٰلِكَ أشار بقوله:

وَبِصَقْلِ المِزآ. بِهِ تَزُول أَخْيَارِكْ. وَتَلُوح لَكَ أَسْرَاز. .

مِن أَعْيِنْكُ تَسْرِي. . والْتَفِتْ إِنْ ظَهْر. . فِي سَمَاكَ الدُّرِّي.

قلت: المِزآ بِكَسْرِ الميم، هي المِرآة التي تنطبعُ فيهَا الأشياء عِنْدَ مُقَابَلَتهَا، إذا صَقُلتْ مِن الصَدَا. وكذلكَ عَيْن البصيرة؛ وهي عَيْن الفِخْرِ أَوْ عَيْن القَلْبِ، مثل المِزآةِ كلما اشتدَّ صقلها وصَفاؤها. اشتدَّ ظهور الأنوار فيهَا. وصقلها يكون بِذِكرِ اللهِ بِالْحُضُورِ وانجماع القلب، والتفرّغ من الاشتغال. وفي الحديث: «لِكُلُ شَيْءِ مِصْقَلَةً. ومِصْقَلَةُ القلوب ذخر الله، (۱)، وقال ﷺ أَيْضاً: «إِنَّ القلوبَ تَصْدَى كَما يَضْدَى الحَديد، وإن الإيمان يَخْلق كما يَخْلق الثّوبَ الجَديد، (۱). أَيْ يَبْلَى كَمَا يَبْلَى الثوبُ. فَإِذَا صُقِل القَلْبُ مِنَ الأَغْيَارِ أَشْرَقت فيه شموس أَيْ يَبْلَى كَمَا يَبْلَى الثوبُ. فَإِذَا صُقِل القَلْبُ مِنَ الأَغْيَارِ أَشْرَقت فيه شموس

⁽١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

⁽٢) القسم الأخير من الحديث رواه الديلمي في الفردوس بلفظ: «الإيمان يخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق فاسألوا الله عز وجل أن يجدد الإيمان في قلوبكم، حديث رقم (٣٨٧) [١/١٤].

المَعَارف والأنوار. فرغ قلبك مِنَ الأغيَار. يُمُلا بالمَعَارف والأَسْرَار. فَأَسْرَار اللهُ الذَّات العالية وأَنوار الصفات الأزلية، ظَاهِرة بَادِية. وَمَا مَنَع القلوب أَن تشهد إلا انطباع صور الأكْوَانِ فِي مِزآتِهَا. فتظلمت القلُوب بالأكْدَارِ. وَفِي الحكم: كَيْفَ يشرق قلْبٌ صُورُ الأكْوَانِ مُنْطَبِعَة فِي مِزآتِهِ. أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إِلَى اللهِ وَهُو كَيْفَ يشرق قلْبٌ صُورُ الأكْوَانِ مُنْطَبِعَة فِي مِزآتِهِ. أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إِلَى اللهِ وَهُو مُكَبُّلُ بِشَهَوَاتِهِ أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَن يَذْخُلَ حَضْرَة الله؛ وهُو لَمْ يَتَطَهَّرْ مِن جَنَابة غَفلاتِهِ. أَمْ كَيْف يَقْهَم دَقَائقَ الأَسْرَارِ؛ وهو لَمْ يَتُبُ مِنْ هفوَاتِهِ هـ. وقال الشاعر:

إِنْ تَلاَشَى الكَوْنُ عَنْ عَيْنِ قَلْبِي شَاهَدْتُ غَيْبَهُ فِي بِيَانِي فَاظْرَحِ الكَوْنُ عَنْ عَيْنَاكَ وانْعِ نُقْطَة الْغَيْنِ إِنْ أَردتُ تَرَانِي

ولهذا مَعْنَى قول النّاظِم: وبصقل المِرْآ - أي مِرْآة - القَلْبِ بِهِ تزول أغيارك. أي مِلْ الشّهُودِ. ويَحُول بينك وبَيْنَ رؤية المَلِك المعبود. جَمْع غِير بِكَسْر الْغَيْن، وغَيْر بِفَتْجها وهو ما سِوَى الحقّ. وإذَا زَالت عَنِ القَلْبِ الأغيَارُ. أَشْرَقت فيه الأنوار والأَسْرَارُ. أغني الوَّار الصفاتِ، وأَسْرَار الذَّاتِ. فَيَرى الوُجُود كله نوراً متصلاً بِأَنوار الجبرُوتِ. هُوَ الأول والآخر. والظاهر والباطنُ. وَلاَ يَدُوق هذا إلاَّ مَنْ مَنْ اللَّهُ عليه من ظلمة المُلكِ إلى نور الملكوتِ. ومن نُورِ المَلكوتِ إلى أَنوار عالَم الأرواح. أو من ظلمة المُلكِ إلى نور الملكوتِ. ومن نُورِ المَلكوتِ إلى أَسْرَار الجبروت. والله فَيْارِ. أو وقوفه مع الأنوار. وفي الحِكمِ: وإلاَ قَالَم الأقوار، وفي الحِكمِ: وإلاَ قَالَم القلوب مَعَ الأَنوار، كما حجبَت النَّفُوسِ بكثانفِ الأَغْيَادِ. وقال النّاظم رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي نونيته:

تَقَيدُنَ بِالأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلَتْ وَهِمْتَ بِأَنْوَادٍ فَهِمْنَا أُصُولَهَا وَهَدْ تَحْجُبُ الأَنْوَادُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا والله تعالى أَعْلَم.

عَلَيْكَ وَنُورُ الْعَقْلِ أَوْرَثْكَ السَّجْنَا وَمَنْبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هِمْنَا تُبَعِّد مِنْ أَظْلامٍ نَفْسٍ حَوَث ضِغْنَا

وقَوْلُهُ: وتلُوحُ لَكَ الأَسْرَار، معطوفة على تزول. أي وبسَبب صَقْلِ مِرْآةِ قَلْبِكَ، تزول عَنْكَ الأَغْيَار، وتلوح لَكَ الأسرار؛ وهي أَسْرار الذَّاتِ، مُرْتدية

بِأَنوار الصفاتِ. أَوْ تقول: تلوح لك أَسْرَار الملكوت. فائضة مِنْ بحارِ الجَبَرُوتِ، جَارِية بالقُذرةِ. مُزتدية بحجابِ الحِكْمَةِ؛ التي مَدَارها على عَالم

فَالمُلكُ مَا ظَهَرَ مِنَ التجلياتِ. والملكوتُ ما بطن مِنْ أَسْرَار الذَّاتِ. والْجَبَرُوت مَا سَبَقَ قَبْلَ التجليات. فَإِذَا ضُمَّت الفروع إلى الأصُول، صار الجميع جبروتاً وَلاَهُوتاً؛ وهذه الأَسْرَار مجموعَة فيكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ. فَظَاهِركَ مُلْكُ. وَبَاطِنكَ ملكوتُ. فَإِذَا تَلَطَّفَتْ عَوَالِمُكَ، وفَنيت داثرة حسُّكَ، صِرْتَ جَبَرُوتاً. فتكُون يَلْكَ الأَسْرَار تَسْرِي مِنْكَ إِلَيْكَ. ولهذَا مَعْنَى قولِهِ: من عُيُونِك تَسْرِي. أَيْ تَسْرِي إِلَيْكَ مِنْ عَيْنِي وُجُودِكَ والجمع للتعظيم. وهٰذَا كقوله في بَعْض أَشْعَارِهِ: مِنِّي عَلَيٌّ دَارَتْ كُوْوسِي. وكقولِهِ أَيْضاً:

يا فاصداً عين الخبر غيطاه أيسنك مَا نَا مَا خَالِي رُكُ

البخب منك والبخير والبسر عسنك والبائد إذجسع لسذَاتِسكَ وَاعْستَسبسز وكقول صاحب العَيْنية (١):

نَفْسُكَ تَحْوِي بِالحقيقة كُلُها أَشَرْتُ بِجِدَّ القَوْلِ مَا أَنا خَادِعُ

وقوله: والتفت إن ظهر في سما قلبك. . . الخ أي التفت إلى الوجودِ تجده ظاهراً فِي سَمَا قلبك الصَّافِي كَالدُّرِّ؛ لأنَّ القَلْبَ إذا صَفَا، اتَّسَعَتْ دَاثِرَة شُهُودِهِ، فانطبَع فيه الوجود بِأَسْرِهِ مِنْ عَرشِهِ إِلَى فرشه. وصَار فيك كَنُقطة مِنْ بَحْر ولذلكَ قَالَ بَعْضُهُمْ:

لَوْ كَانَ الْعَرْشُ فِي زَاوِيَة مِنْ زوايَا قَلْبِ العَارِف. مَا أَحَسُّ بِهِ. وقال آخَر: العرش والكرسي مُنْدَقَّانِ فِي ترسي. وقال صاحب المباحث:

أَلَيْسَ فِيكَ الْعَرْشِ والكُرْسِيُّ. . والْعَالَمُ الْمُلْوِيِّ والسُّفْلِيُّ . . مَا الْكُوْنُ إِلاًّ

⁽١) الشيخ عبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٠٥ هجرية وقد سبقت الإشارة إليه وإلى

رَجُلٌ كَبِيرٌ. ، وأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرُ.

قَلْتُ: كؤن الكَوْنِ رجلاً كَبِيراً والإنسَان كَوْناً صغيراً. مَحَلَّه مَا لَمْ يَصِرْ عَارِفاً بِاللَّهِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ عَارِفاً؛ فَهُوَ رَجُل كبير، والكؤن رجُل صَغير لاتْسَاع دَاثرة شهودِهِ. فتشرح فِكْرتهُ. حتَّى تَسْتَوْلِي على الوجدِ بأَسْرِهِ. ومِمَّا يُنْسَبُ لابْنِ عَبَّاسِ المرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَمَا تَمَانُهَا فِي مَهْمَهِ عَنْ سِرُهِ انْظُر تجِدْ فِيكَ الوجود بِأَسْرِهِ أَنْتَ الكَمَالُ طَرِيقَةً وحقيقة يَمَا جَمَامِعاً سِرَّ الإلَهِ بِأَسْرِهِ وقال النَّاظم أيضاً فِي بَعْضِ أَشْعَارِه:

وأنَّ مسرآة السنَّظ و فُسطَ سبُ السرَّمَ الأوانِ مَسسنَ الأوانِ سبي وَفِيكَ يبطوى ما انتشر مِسسنَ الأوانِ سبي

وَقَال أَيْضاً فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ: إِذَا رَأَيْتَ الوجودُ قَدْ لاَحَ فِي ذَاتِكْ كَذَا وَلاَزِمِ الْجُحُود ذَاكَ صِفَاتكُ وَاضْرِبْ بتُرْسِكَ الْعُقُودْ. وأَلْقِ عَصَاتكْ. وَأَشار إلى لهٰذَا المَعْنَى بقَوْلِهِ:

الْفُلْكُ فيكُ يَدُورُ وَيُضِيءُ وَيَلْمَعْ.. والشَّمُوسُ وَالْبُدُورِ.. فِيكَ تَغِيبُ وَتَطْلَغ.. فَاقْرَأْ مَغْنَى السَّطُورْ.. الَّتِي فِيك الجَمَع.. لاَ تُغَادِرْ سَطَرْ من سطوركُ وَاذْرِي.. أَشْرُهُ مَغْنَى الْقَمَرْ.. الَّذِي فِيكَ يَسْرِي..

قُلتُ: الفُلْك شيء مشتدير بِكُرة الأرض عِنْدَ أَهْلِ التَّنْجِيمِ؛ وهو عِنْدَهم متعدد إلى تَسْعَة أَفْلاَكِ.

هَلْ هِيَ السماوات أَوْ غَيْرها قَوْلاَنِ عِنْدَهُمْ. فيحتمل أَن يُرِيد بِهِ الحسِّي؛ لأَنَّ العَارِفَ اتَسَعَ عليه الفضاء؛ فلا يَحْصرهُ الكَوْن؛ لأن رُوحَانيتَهُ اسْتَوْلَتْ على الوُجُودِ بِأَسْرِهِ. مِنْ عَرْشِهِ إلى فرشه. فالأَفْلاَك تَدُور فِي جَوْفِهِ، بِشَمْسِها وقَمَرِهَا الوُجُودِ بِأَسْرِهِ. مِنْ عَرْشِهِ إلى فرشه. فالأَفْلاَك تَدُور فِي جَوْفِهِ، بِشَمْسِها وقَمَرِهَا ونجومها؛ فهي تَغِيبُ وتَطْلَعُ في وسَطِ رُوحانِيتِهِ. وتُضِيءُ وتَلْمَعُ فِي عَيْن فِي عَيْن فِي عَيْن فِي عَيْن فَكْرَتِهِ. هٰذَا بِاغْتِبَارِ الرَّوحَانية، وَأَمَّا باغْتِبَارِ البَشَرِية؛ فهي مَحْصُورة بالأَكُوانِ فِي كَرْتِهِ. هٰذَا بِاغْتِبَارِ البَشَرِية؛ فهي مَحْصُورة بالأَكُوانِ مَنْ حَيْثُ جُثْمَانيتُكَ، وَلَمْ يَسَعْكَ دَائِرة عَلَيْهَا. قال في الحِكَم: وَسِعَكَ الكَوْن مِنْ حَيْثُ جُثْمَانيتُكَ، وَلَمْ يَسَعْكَ مِنْ حَيْثُ جُثْمَانيتُكَ، وَلَمْ يَسَعْكَ مِنْ حَيْثُ رُوحَانيته عَلَى بشريته.

وفي الحِكَمِ أَيْضاً: الكَائِنُ فِي الكؤنِ؛ وَلَمْ يَفْتَح لَهُ مَيَادِينِ الغيُوبِ، مَسْجُونِ بِمُجِيطاتِهِ. مَحْصُور فِي هَيْكُل ذَاتِهِ هـ. فيكُون حينئذ مِن أَهْلِ الدَّلِيل والبُرْهان، يَسْتدل بوجودِهِ على وجودِ خَالِقِهِ. قال تعالى: ﴿ وَفِ آنْفُسِكُمُ أَفَلا نَبْصِرُونَ ۞ ﴾. السلطور التي فيك أَجْمع. الله الله القيام أَشَارَ بِقَوْلِهِ: فاقرأ معنى السطور التي فيك أَجْمع وَهُوَ ما سَطَّرَتُهُ القُدْرةُ فِي ظَاهِرِ البَشَرِية، مِن تَسْوِيةِ الأَعْضَاءِ، وحُسْن التقويم فَقَدِ انْطَوَى فِي هذه البشرية الحِسية ما وُجد في الوجود الحِسي، مِن العَرْش إلى الفرش. والرَّأس كالعَرْشِ. والصَّذُرُ كالكُرْسِي والأَمْعَاء كالأَفْلاَكِ. والعظام كالجَبالِ. واللَّحْم كَالتَّرَابِ. والصَّذُرُ كالكُرْسِي والأَمْعَاء كالأَفْلاَكِ. والعظام كالجَبالِ. واللَّحْم كَالتَّرَابِ. والطَّعْم السَّحْر. والقمل كالذَّوَابُ. والعروق التي تجري فيها الدِّم، كالعيُون والأَنْهار. فَسُبْحَان الوَاحد القهَّار. فَتَحَصَّلَ من هٰذَا أَنْ الروح إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْها، وَرَجَعَتْ إلى أَصْلِهَا، اسْتَوْلَتْ على الوجودِ بِأَسْرِهِ. التَكُون الأَفْلاَكُ تدُور في بَاطِنِهَا. وإليه أَشَار بِقَوْلِهِ:

الفلك فيكَ يَدُور إلى آخِرِ البَيْت. وَإِنْ لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهَا، وَبَقِيَتْ مَحْصُورة في هَيْكُلِ ذَاتِهَا اسْتَدَلَّتْ بِحُسْنِ صُورَتِهَا على وُجُودِ خَالِقِهَا. كما يستدلُّ القارِي، بالرّسم على المَعَانِي والفُهُوم. وإليه أشار بقَوْلِهِ: فَاقْرَإِ السُّطُورْ، التي فيك أَجْمع لا تعادر... أي لا تترك سطراً واحداً من سُطُورِكَ الَّتِي سَطَّرَتْهَا فِيكَ الْقُدْرة الأزلية. والحِحْمة الباقية. وَاذْرِ حِينَئِذِ مَعْنَى قَمْرِ التَّوْحِيدِ؛ الَّذِي نُورُهُ يَسْرِي فِي الْزلية. والحِحْمة الباقية. وَاذْرِ حِينَئِذِ مَعْنَى قَمْرِ التَّوْحِيدِ؛ الَّذِي نُورُهُ يَسْرِي فِي قَلْبِكَ. فَتَهْتَدِي بِهِ إلى مَعْرَفَة رَبُكَ. فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ عَارِفِ. أَخْرَجَكَ مِنْ سَجْن نفسكَ إلى فَضَاءِ شُهُودِ رَبُكَ. فتكون مِنْ أَهْلِ القسم الأوَّلِ؛ الَّذِين مَنْ سَجْن نفسكَ إلى فَضَاءِ شُهُودِ رَبُكَ. فتكون مِنْ أَهْلِ القسم الأوَّلِ؛ الَّذِين مَنْ سَجْن نفسكَ إلى فَضَاءِ شُهُودِ رَبُكَ. فتكون مِنْ أَهْلِ القسم الأوَّلِ؛ الَّذِين مَنْ سَجْن نفسكَ إلى فَضَاءِ شُهُودِ رَبُكَ. فتكون مِنْ أَهْلِ القسم الأوَّلِ؛ اللَّذِين مَدُونِ فِي وَسَطِ رُوحَانِيتهم، وتطلع الشَّمْس والقمر والنجوم، وتغيب في مَوْفِ فِحْرَتِهِمْ. فَبَدَأَ النَّاظِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالقسم الْعَالِي. ثُمْ نَوْل إلى القِسْم بَوْن لَمْ تَكُن مِمْن يَعْبُد اللَّه كَأَنُ اللَّه يَرَاكَ» (١٠). فَإِن لَمْ تَكُنْ مِمْن يَعْبُد اللَّه كَأَنُ اللَّه يَرَاكَ» (١٠). فَإِن لَمْ تَكُنْ مِمْن يَعْبُد اللَّه كَأَنُ اللَّه يَرَاكَ» (١٠). فَإِن لَمْ تَكُنْ مِمْن يَعْبُد اللَّه كَأَنُ اللَّه يَرَاكُ» (١٠). قال التفاسير. وعند أَهْلِ الإشارة فَإِنْ لَمْ فَكُن مِمْن يَعْبُد كَأَنُ اللَّه يَرَاهُ، على أَحَدِ التفاسير. وعند أَهْلِ الإشارة فَإِنْ لَمْ

⁽١) رواه البخاري في صحيحه، باب «لا تشرك بالله إنا الشرك لظلم عظيم» حديثه رقم (٩) [٤٤٩٩] ومسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... حديث رقم (٨) [٢٦/١] ورواه غيرهما.

تَكُنْ، فَحِينَنْذَ تَرَاهُ. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ويختَمل أَن يُرِيد بالفلك فلك الحقيقة؛ وهي الأنْوَار المحيطات بالأغْيَار الماحية للآثار. قال في الحِكَم: "محقَّتَ الآثَارَ بِالآثَارِ. ومَحَوْت الآثَارَ بمحيطات أفلاك الأنوار.» هـ. فالآثار التي محقت بالآثار؛ هي الأكوان التي اختوى عليها العَرْش. فإنها بالنسبة إليه، كحلقة في فلاة. فقد محقت في جانب العَرْش واضْمَحَلَّتْ. وللآثار التي محيت بمحيطات أفلاك الأنوار؛ هي العَرْش وَمَا اخْتُوى عليْه؛ فإنه لاَ وجود لَهُ بالنِّسبة إلى أَفْلاَكِ الأنوار الأزلية المحيطة به. فقد محقته وأفنيْت وُجُوده. ولذلِكَ قيل: حقيقة الفِّنَا عنْدَ الصُّوفية هو مَحْو وَاضْمحلاَل وَذَهابِ عَنْدَكَ وَزَوَالُ هـ. أَيْ يَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ. والْمُرَاد بالشُّمُوس حينتذ شموس المَعَارفِ. وبِالْبُدور بُدُور التوحيد الذَّاتِي والصفاتي والفِعْلِي. فَإِذَا غَابَتْ شموس المعَارف، أَغْنِي الأَذْوَاق. أَشْرَقَتْ عليهم بُدُور التوحيد، ونجوم الْعِلْم. فَإِذَا أَرَدتُ أَنْ تَتَرَقَّى إلى هٰذَا المَقام. فاقرأ مَعْنَى السُّطُور الَّتي سطّرتها القدرة في ظَاهِرِ بشريتكَ. حتى تتعشق إلى صانعك، فَإِذَا رأَى تعطُّشكَ رَزَقَكَ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِكَ إِلَى أَنْ يُوصِّلكَ إِلَى شُهُودِهِ. فتكون مِن لهٰذَا الْطَرِيقِ الْأَعْلَى؛ الَّذِي تَدُورِ الْأَفْلاَكُ فِي وسَطِ قلوبهم، وتشرق شموس المعارف على روحانيتهم، فتكون من المقَرَّبِينَ مَعَ النَّبيين والصَّدّيقين، وحَسُن أُولَثِكَ رفيقاً. والحمد لله رب الْعَالَمينَ. جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهُمْ وحَشْرَنَا معهم آمِينَ بِمِنَّهِ وَكَرَمِهِ، وبِسَيْدنا محمد نبيه. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بَحْرُ فِكْرِي عَمِيقْ. . ربح مشك يغبق. . مَنْ دَخَلُوا حقيقْ. . لأَشْ يَخَافُ أَنْ يَغْرَقْ. . يَذْرِي هٰذَا الطَّرِيقْ. . مَنْ كَانَ عَبْد الْحَق.

يقول رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: بَحْرُ فِكْرِي عَمِيق. أي لاَ قَعْرَ لَهُ وَلاَ حَدَّ ينتهي إِلَيْهِ؛ لأَنَّ الْفِكْرَةَ إِذَا تَسَرَّحَتْ تَبَعَتِ المَعَانِي. ومَعَانِي الرُّبُوبِية لاَ نِهَايَة لأَوَّلِيتهَا وَلاَ لآخِرِيَّتِهَا. هُوَ الأَوَّلِ والآخِرِ والظَّاهِر والباطِنُ. ولهٰذَا المعْنَى أَشَار ابن الفَارِض فِي خَمْرِيته بِقَوْلِهِ:

فَلاَ قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلاَ بَعْدها بَعْدٌ وَقَبْلَيَة الأَبْعَادِ هِيَ لَهَا خَتْمُ فَلاَ قَبْلُ هَا خَتْمُ فَإذا سَبَحَتِ الفِكرة فِي بَحْر عَظَمة الأزَلِيةِ وَجَدَتْهُ لاَ سَاحِلَ لَهُ. وَإِذَا

سَبَحت فِي بَحْرِ عَظَمَة الأَحَدِيَة. وجدته لاَ سَاحِل لَهُ. وكَذَلِكَ بَحْرُ الْفَوقِيَة والتَّحْتِية. لاَ حَدَّ لَهُ وَلاَ نِهَايَة، لاَ تحيط بِهِ الأَفْكَار. وَلاَ تُدْركهُ الأَبْصَار. وَلاَ تَكيّفُهُ الْعُقُول. فَالعَارفُونَ يعومُونَ بِسُفُنِ أَفْكَارِهِمْ فِي بَحْر العَظمَة الأَزلية تَكيّفُهُ الْعُقُول. فَالعَارفُونَ يعومُونَ بِسُفُنِ أَفْكَارِهِمْ فِي بَحْر العَظمَة الأَزلية والأَبْدِية. فَإِذَا خَافوا مِنَ الغَرَقِ رَجعُوا إلى عش الْعُبُودية. فَأَقَرُوا بِالْعَجْز وَتَأَدَّبُوا بَيْن يَدي الرُّبُوبية. رُوي أَنَّ مَلكاً اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يطيرَ إلى سَمَاءِ العَظمَةِ العُلْوِية. فَطَارَ ثلاثين أَلف سَنَة. فَقَالَ يَا رَبّ أَيْنَ أَنْتَ؟ فقال لهُ: أَنَا مَعَكَ. ثم طَارَ كَذْلِكَ، فقال يَا رَبّ. أَيْنَ أَنْتَ؟ فقال لَهُ: أَنَا مَعَكَ. فقال: سُبْحَانكَ. مَا أَعْظَمَ شَأَنكَ! فَطَلَبَ مِنَ الحق تعالى أَنْ يَرُدُهُ إلى مَوْضِعِهِ فَرَجَعَ إلى عُبُودِينهِ. وَكَذَلِكَ فَكُرةُ الْعَارِفِينَ، تَعُومُ في بحر العَظمَة الأزلية والأَبْدية. والفَوْقية والتَّحْتية. فَلاَ تَجِدُ له ساحلاً يَنْتَهِي إِلَيْهِ. فترجع إلى عش العبودية والعجز. فتقول حينئذ العجرُ عَنِ الإذرَاكِ إِذرَاكَ.

وقوله: ربح مسك يغبق: يغنِي أَنَّ مَن دَخَلَ بَحْرِ الفِكْرَة، وعَامَ فيه، هَبُّ عليه نَسِيم الوِصَالِ. وربحان الجَمَالِ. حتى يَلِجَ به جَنَان الكَمَال، فَيَسْكُنُ فِي رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةٍ نَعِيم.

وقوله: مَن دخلُوا حقيق. . . الخ أَيْ مَن دَخَلَ لهٰذَا البحر مَعَ رئيس عارفٍ كالشيخ النَّاظم وأَمْثَالِهِ، لاَ يَخَاف أَنْ يَغْرَقَ؛ لأَنْ الرئيس عارف بِأَلْمُوال البَحْرِ، كلما هَاجَتْ عليهم عواصف الريح آوى بهم إلى سفينة السَّنة المحمدية: وهي مضمونَة مِنَ الغرقِ، كَسَفِينَة نوح عليه السَّلاَمُ. وقوله: لاَ ش يَخَاف. يحتمل أَنْ تكون الشين زائدة. أي حقيق بِأَن يُقَال في حقه: لأَي شَيْءٍ يَخَاف أَن يَغْرق؛ وهو مَأْمُونٌ إِنْ آوَى إِلَى سَفِينَة النجاة.

وقوله: يَذْرِي لهذَا الطريق. . . الخ يَغْنِي أَنَّ طريق اسْتعمال الفِكْرة ودُخول بحرهَا يعرفها من كَانَ عبداً للله حقيقة حُرًا مِمَّا سِوَاهُ. وأَمَّا إِنْ كَانَ عَبْداً لنَفْسِهِ وَهَوَاهُ. فَهُوَ ضَالً في عِلْمِهِ جَاهِل بِحكمِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفْرَهَيْتَ مَنِ اَتَّخَذَ إِلَهَمُ هُونَهُ وَأَسَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِ السِعائية: ٢٣] . . . الآية. فَإِن تَبْحَرَّ أَو دَخَلَ البَحْرَ وَحُدَهُ، هَاجَتْ عليه الرِّيَاحُ. وَتَلاَطمتْ عَلَيْهِم الأَمْوَاجُ. فَكَانَ مِنَ الْمُغرقين في وَحْدَهُ، هَاجَتْ عليه الرِّيَاحُ. وَتَلاَطمتْ عَلَيْهِم الأَمْوَاجُ. فَكَانَ مِنَ الْمُغرقين في بَحْرِ الزَّنْدَقَةِ والكُفْرِ. وَفِي قوله: عبْد الحق: إِشَارة لطيفة إلى تَعْظِيم شيخه:

عبْد الحق بن سبْعين أي يَدْرِي لهٰذَا الطريق، مَنْ كَانَ مِثْلَ عَبْدِ الحقّ. فِي مَعْرفته وتحقيقه . وإن كَانَت القصيدة لشيخِهِ، فيكون أَشَارَ إلى أَنَّ لهٰذَا الطريق، لاَ يَدْرِيهَا إِلاَّ مَنْ عَلاَ قَدَمُهُ، مِنَ التجريد والتَّخْرِيب. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ص) إِنَّ ذاكَ البَحْر... لاَشْ يُقَاسُ بِبَحْري.. بخرُ فِكْرِي دُرَرْ.. والزَّهْرُ فِي برِّي.

(ش) قلْتُ: الإشارة والله أَعْلَم إلى البَحْر الحسِّي، وإِن كَان لَمْ يتقدَّم له ذِكْر بالخُصُوصِ. أَيَ إِنَّ ذَاكَ البَحْر الحسي، لأي شيء يُقَاسُ بِبَحْرِي أَوْ لاَ يُقاس بِبَحْرِي؛ لأنَّ البَحْر الحِسِّي مَحْدُودٌ مَحْصُورٌ. وَبَحْرِي عَمِيق لاَ نِهَايَةَ لَهُ يَحْرِي كُلُه دُرَرُ الحِكَم، ويَوَاقِيت الْعُلُوم بِخِلاَفِ البَحْرِ الْحِسِّي. فَدُرَه حسية حجرية. وهي مَع ذٰلِكَ قليلة نَادِرة. وَبَحْرِي أَيْضاً داخله دُرَرٌ. وظَاهِره أَزهارٌ أَعْنِي باطنه تحقيق. وظَاهره تشريع. بَاطنهُ مَنَوَّرٌ بنورِ الحقيقة الأزلية. وَظَاهره مُبَهِّجُ بِزَهر جَمَال الشريعة المحمدية. والله تعالى أَعْلَم. ثم قال رَضِيَ الله عَنهُ:

فَالْتَفَتُ الخِطَابْ. . وَسَمِعْتُ مِنْي . . كُلِّي عَنْ كُلِّ غَابْ. . وَأَنَا عَنْي مَفْنِي . . وَارْتَفَعْ لِي الْحِجَابْ. . وَشَهِدتُ أَنِّي . . .

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا دَخَلَتْ فِكُرتِي مَيْدَانَ التَّوْحِيد، وحَاضَتْ فِي بِحَارِ التَّفريدِ. حَصَلَ لِي الجمع الكُلِّي. حينَ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلِي، فَاجْتَمَعَتِ الْفُرُوعِ بِالأَصُولِ، وَصِرْت بِالوصُول نصول، فاتَّحدَ عندي الوجود وصَقَلَ لِي غَايَة الشهود، فَالْتَقْت إلى الخِطَابِ الصَّادِر من الأَحْبَاب، فَإِذَا هُوَ مِنِي لِي. حين صَارَ بَعْضِي كُلِّي، فَصِرْتُ بِاللَّهِ أَنْطَقُ، ومِنَ اللَّهِ أَسْمَعُ، قَدْ غَابَ كُلِّي عَنْ كُلِّ صَارَ بَعْضِي كُلِّي، فَصِرْتُ بِاللَّهِ أَنْطَقُ، ومِنَ اللَّهِ أَسْمَعُ، قَدْ غَابَ كُلِّي عَنْ كُلِّ صَارَ بَعْضِي كُلِّي، فَصِرْتُ بِاللَّهِ أَنْطَقُ، ومِنَ اللَّهِ أَسْمَعُ، قَدْ غَابَ كُلِّي عَنْ كُلِّ عَنْ كُلِّ عَنْ عَنْ وجُودِي الوَهْمِي، فَازْتَفعَ عَنِّي الحجاب، وَدَخَلْتُ مَعَ الأَخْبَابِ، وانقَشَعَ عَنْ عَنْ وَجُودِي الوَهْمِي، فَازْتَفعَ عَنِّي الحجاب، وَدَخَلْتُ مَعَ الأَخْبَابِ، وانقَشَعَ عَنْ عَنْ عَنْ قَلْبِي الغَيْن، وشهدتُ أَنِي عَيْنَ الْعَيْنِ، فَإِنْ لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ وَانْقَشَعَ عَنْ عَيْنَ الْهَوَى، فَلِلَّهِ يَا خَالِي الْحَشَا لاَ تُعَنِّقُنَا. . إِنْ لَمْ تَرَ الهِلاَلَ فَسَلَّمْ، النَّاسُ فِي الْهَوَى، فَلِلَّهِ يَا خَالِي الْحَشَا لاَ تُعَنْفَنَا. . إِنْ لَمْ تَرَ الهِلاَلُ فَسَلَّمْ. النَّاسُ رَاوهُ بِالأَبْصَارِ. . ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَا بَقَا لِي أَثَرْ.. غِبْتُ عَنْ أَثَرِي.. لَمْ أَجِدْ مَنْ حَضَرْ.. فِي الْحَقِيقَة غَيْرِي.

أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ غابَ عَن حِسِّهِ، وشهود رسْمِهِ. فَانْطُوى وُجُوده فِي وجودِ محْبُوبِهِ. وشُهُوده فِي شهود مَعْبُودِهِ؛ فَهُوَ غَرِينُ الأَنْوَارِ. مَظْمُوس الآثَار قَدِ اتَّحَدَ عِنْدَه الوجود، فَصَار وجوداً وَاحِداً. فَلَمْ يَجِدْ فِي الحقيقة غَيْر وجودِهِ؛ لأنَّ وجوده صَارَ مَوْصُولاً بِالحَضْرة القدسية؛ والأَنوار الأزلية. فَلَمْ يشهد في الحقيقة سوَاهُ. وَلَمْ يَرَ فِي الْكَوْنَيْنِ إِلاَّ إِيَّاهُ. فَإِن قلتَ: الْغَيْبَة عَنِ الأَثَرِ بِالكُلِّية، نَقْصٌ باغتبار ما بَعْدَهُ من شهود الأثر والمؤثر. كما قال في الحِكَم وأَكْمَلَ مِنْهُ رَجُل شَرِبَ فَازْداد صَحْواً، وغابَ، فازْداد حُضوراً. فَلاَ فَرْثُهُ يَحْجُبُهُ عَن جَمْعِهِ. وَلاَ جَمْعُه يحجُبُهُ عَنْ فَرْقِهِ. وَلاَ فَنَاؤه يَصُدُّهُ عَنْ بَقَائِهِ. وَلاَ بَقَاؤه يَصْرِفُهُ عَنْ فَنَاثِهِ. يُعْطِي كل ذي حَقٌّ حقَّهُ، وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قَسْطهُ. قُلْتُ: لاَ طَرِيقَ لشهودِ الأثر والمُؤثر، إلا الْغَيْبَة أَوَّلا عَن الأثر؛ فَهِيَ قَنْطَرة تؤدّي إِلَيْهَا. وكُلُّ مَنْ دَخَلَ مَقَام الفَنَاء لاَ بُدُّ أَن يَخْرُجَ إِلَى مَقام البَقَاءِ. إِنْ كَانَ لَهُ شَيْخ يُرَبِّيهِ، كَالنَّاظِم وأَمْثَالِهِ. فَلَعَلَّهُ فِي لهٰذَا الْوَقْتِ، كَانَ غَرِيْقَ الأَنْوَارِ ثُمَّ تَكَمَّلَ بَعْدَ ذٰلِكَ. فَالْفَنَا ضَامِنٌ للبَقَاءِ لاَ مَحَالَة. بِخِلاَفِ مَنْ لَمْ يَسْلُكْ مَقَامَ الفَنَاءِ، لاَ يطمَعُ فِي مَقَام البَقَاءِ أَبَداً. وقَدْ رَأَيْتُ كثيراً مِمَّنْ غلط فِي نَفْسِهِ، فَادَّعَى المقّام الثانِي؛ وهو البَقَاءُ، قَبْلَ سُلُوكِهِ مَقَامَ الْفَنَاء. بَلْ هُوَ ظَاهِرِي مَحْض، لَم يُعْجب الرِّجَال، وَلا سَلَكَ عَلَى أَيْدِي الكُمَّالِ وَهُوَ يَتَرَامَى عَلَى هَٰذَا المقام الرفيع. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فصل: وَقَدْ تَكَلَّمْتُ مَعَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ المتجمِّدِينَ عَلَى ظَاهِرِ الشريعة فَقَالَ لِي: نَحْنُ هُمْ أَهْلِ مقام الإحْسَان إِذ هُوَ فيهم الكتاب والسُّنَّة. فَقُلْتُ لهُ: واللَّهُ مَا هُوَ الَّذِي تَفْهَم. ثم قُمْت عَنْهُ وَتَرَكْتَهُ فاللَّه يعصمنا منَ الغَلَظِ والزَّللِ ويُوفقنَا لصَالِح القَوْل والْعَمَلِ. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سَادَتِي وَافْهَمُوا. . الْمُرَاد مِنْ قَولِي . . هٰذَا لاَشْ نَكْتِمُوا. . عَنْ أَحَدِ مِنْ أَهْلِي . . سِرِّي لاَ يَفْهَمُوهْ . . إِلاَّ مَنْ هُوَ مِثْلِي . .

أَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَمِعَهُ، أَنْ يَفْهَم الْمُرَادَ مِنْ تِلْكَ الْعِبَارَاتِ، ومَا وَرَاءَ تِلْكَ الإِشَارَاتِ مِن دَقَائِقِ الأَسْرَارِ. وحَقَائِقِ الأَنوار؛ فَإِنَّ عِلْمَنَا كُلَّهُ إِشَارَة. فَإِذَا صَار عِبَارة خَفي. ثُمَّ عَاتَبَ مَنْ فَهِمَ تِلْكَ الأَسْرَارَ ثُمَّ كَتَمَهَا عَنْ

أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا. لقولِهِ عليه السلامُ: «لاَ تُؤتُوا الحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهِا، فَتَظْلِمُوهَا وَلاَ تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ». (١) وأهل هٰذَا السَّرِّ: هُوَ مَنْ أَعْطَى كُلِّيَتُهُ لِلَّهِ، أَعْطَى نَفْسَهُ وَفِلْسَهُ. وَزَهِدَ فِي جِنْسِهِ. وَتَجَرَّد ظاهِراً وَبَاطِناً فَإِذَا فَعَل هٰذَا حَرُمَ النَّمُ كَثَم السِّرِّ عَنْهُ. كَمَا حَرُم التصريح بِهِ لِغَيْرِ أَهْلِهِ، لقَوْلِ سَيِّدِنا عَلَيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَرسوله». وَجُهَهُ: «خَاطِبُوا النَّاس بِقَدْرِ مَا يَفْهِمُونَ أَتريدون أَن يكذب اللَّهُ وَرسوله». وقال الشاعر: وَمَن مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ فَلَا الشاعر: وَمَن مَنَعَ الْجُهَّالَ علماً أَضَاعَهُ ومَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ..

وقد كان الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُلْقِي الْحَقَائق على رؤوس الأشهاد. فقيل له في ذٰلِكَ. فقال: علمُنَا محفوظٌ مِن أَنْ يأخذه غير أَهْله. أَوْ كَلاَمٌ هذا مَعْنَاهُ. وإليه أشار الناظم بقولِهِ: سِرِّي لاَ يَفْهَمُوهُ. إِلاَّ مَنْ هُوَ مِثْلِي أَيْ مِمَّن دَخَلَ الفَنَاءَ وَعَرَفَ مَقَامَ الإِحْسَانِ وإِلاَّ لَمْ يَذْقُ مِنْهُ شَيْئاً. وبِاللَّه التوفيق. ثم اعْتَذَرَ عَنْ إِظْهَارِ تِلْكَ الحقائِق للنَّاسِ وفيهم الخاص والعام. بكون السكر غالباً عليه فقال:

سِلْك عِقْدِي انْتَثَرْ. . وَبَدَا لِي دُرِي. . نظْمُوه يَا جِوَارُ . . إِنَّنِي فِي سُكْرِي.

قلْت: سِلك العِقد بكُسْرِ العَيْن: هو الخيط الَّذِي انتظمت فيه الجواهِر. وانتثاره قطعه. فَإِذَا قطع انتثرت الجواهر وسقطت. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتُ هذه الأَسْرَار التي نطقت بها في هٰذَا النَّظم: جواهر ويواقيت في سِرِّي محفوظة، مَنْظُومة في سلكهَا. فَلمَّا غلبَ عَلَيَّ السُّكْر انقطع عِقْدهَا وانْتَثَرَ. فَنَطَقْتُ بِهَا والسّكْر غَالبٌ عَلَيَّ. فانظموها أيها السَّامِعون وصُونُوهَا عَن غَيْرِ فَنَطَقْتُ بِهَا والسّكْر غَالبٌ عَلَيْ. فانظموها أيها السَّامِعون وصُونُوهَا عَن غَيْر أَهْلِها. وقيدوها، واحفظُوها كي لا تضيع، فإنِّي غَانب فِي سُكْرِي. والجِوَارِي أَهْلِها. وعيدوها، جمع جار أو جارية، أَطْلَقه على أَصْحَابِهِ المجَاوِرِينَ لَهُ. وعبَّر بِكَسْرِ الجيم، جمع جار أو جارية، أَطْلَقه على أَصْحَابِهِ المجَاوِرِينَ لَهُ. وعبَّر عَنهم بالجِوَارِي مجازاً وَتَلْمِيحاً: لأَنْ الشعر يحسن فيه استعمال الجِوَار والمغنيات وغَيْر ذٰلِكَ ممَّن هو مَقْرُون بالخمرِ الحسِّي. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَم.

⁽۱) روى نحوه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الأدب، حديث رقم (٧٠٠٧) وعبد بن حميد مسنده، عن ابن عباس حديث رقم (٦٧٥) [١/ ٢٢٥] ورواه غيرهما.

وصَلَّى اللَّهُ على سيدنَا ومَوْلانَا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسَلَّم.

لهذَا آخر التقييد المُبَارَك بِحَوْل الله وقوته. وكَانَ الفراغُ مِن تبييضِهِ زَوَال يوم الخميس سابع صَفَر عام أربعة عشر ومائتين وألف بمنزل الشريبي مِنْ بَسَاتِين تطوان. عَمَّرَها الله بالإسلام والإيمان. وبالصَّالحينَ أَهْل الشهود والعيان آمين، والحمدُ للهِ رب العالمين هـ.

«المقتطفة الثانية: في الاسم المفرد»

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قصيدة يذكر فيها الاسم المفرد، وَمَا فيه مِنَ الأَسْرَار، فَقَالَ:

أَلِفٌ قَبْلَ لاَمَيْنِ. . وهَاءٌ قَرَّة الْعَيْنِ. .

أي هُوَ قرَّة العَيْنِ وقرَّة العَيْن: بُرُودتها بِدمْعِ الفَرَحِ؛ لأَنَّهُ بَارد. والقُرُّ في اللَّغة: هو البَرْد. وَهُوَ بِضَمَّ القافِ على المَشْهُورِ. وَدَمْع الْفَرَحِ بَارِدٌ، كَمَا هو مجربٌ أي هذا الاسم، هو فَرَح قَلْبِي وسروره، وبهجته وحبوره والاسم هُنَا عَيْن المُسَمَّى. إِذ الفَرَح إِنما هو بالذَّاتِ. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَلْقِ أَوَّلَ الاسْمِ. . وَلاَمانِ بِلاَ جِسْمِ. . وَهَاءُ آيَةُ الرَّسْمِ. . . تهجًا سِرَ حَرْفَيْنِ . . تَجِدْ اِسْماً بِلاَ أَيْن . .

هٰذَا تَقرير لما قَبْلهُ وتوضيحٌ لَهُ. وقوله: وَلاَمان: الصواب أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، معطوف على ألق. وقوله: بلا جِسْم. أي مُسَمَّى ذٰلِكَ الاسم هو بلا جِسْم بَلْ مُنَزَّه عَنِ الْحَصْرِ فِي الجِسْمية والأينية. وقوله: آية الرسم. أي عَلاَمَة تمامِهِ فِي الرسم والخطِّ. لا في المغنَى. إذْ لا نِهَايَة لَهُ.

قوله: أَتَهَجَّى سر حرفين هي الهاء والواو. من هو كأنه تكلم على المفرد ولفظه هُوَ من طريق المشارقة. يَذكُرون إِسْمَ الجلالة مفرداً ثم يذكرونه هُوَ هُوَ. حتى يشتغرقون في الهوية. وهي الحقيقة. تجد إسماً بلا أين. أي تجد مسمَّى ذلك الحرفين هوية وحقيقة بِلاَ جِهَة وَلاَ أَيْنِية. لاَ زمانية وَلاَ مَكَانِية. كَانَتْ قَبْلَ الزَّمَانِ والمَكَانِ. وقد بقي الأَمْرُ على مَا كَانَ. واللَّهُ تَعالى أَعْلَمُ. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ:

اخرُوف کُلَهَا تُتْلَى.. تَرَى الْقَلْبَ بِهَا يُجْلَى.. وَيَسْلَى بَعْدَ مَا يَبْلَى...
 وَيُدْرَج بَيْنَ كَفْنَين.. بِرَمْزَيْنِ رَقِيقَيْنِ.

قلت: المراد بالحروف التي تُتْلَى: حروف اسْمِ الجَلاَلَةِ. وَذٰلِكَ إِذَا ذكرت الحروف كلها، صار مدخولها: اللَّه. وإِذَا حُذِفَتِ الهمزة واللامّان صار: هُو وَلاَ تَحذف الهاء؛ لأنها آية الرَّسْم. وعلامة كَمَا تقدَّم فحرُوف اسْم الجلالة كلّها تُتْلَى مَعَ صحَّة المغنَى. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

وَقَولهُ: ترى القلْبَ فيها يُجْلَى؛ أَي يُضْقَلُ وتنجلي عنهُ عظمة الغفلة وصُور الأَكُوانِ: التي تحول بينه وبين الشُهودِ والْعَيَانِ. إِن دَامَ عَلَى مَذْكَر مدْخول تلكَ الحروف، وهو اللَّهُ: أَوْ هُوَ لَمَن اسْتَغرقت فِكُرتهُ في الهَوِية، وفي الحديث: «لِكُلِّ شيءٍ مِصْقَلَةٌ ومِصْقَلَة الْقُلُوبِ ذِكْر اللَّهِ»(١).

وقؤلُهُ: ويسلى بعد ما يَبْلى؛ أي ويتَسَلَّى عَنِ الهُمُومِ والأَكْدَارِ بِالْغَيْبَةِ عَنْهَا فِي ذِكْرِ الواحِدِ الْقَهَّارِ بعد ما يَبْلَى ويختبر بِالفكرة فيهَا، والخوف في ظلمتها. فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ انْجَلَى عَنْهُ ذٰلِكَ وَيَتَسَلَّى عَنْهَا. وَأَنس بِاللَّهِ وَحْدَهُ. استوحش مِمَّا سِواهُ. وقوله: وَيُدرج بين كفنين: الضمير في يُدْرج يَعُود على الْقَلْبِ. والمُرَاد بالكَفْنَيْنِ: الْبَشرية والرّوحانية؛ أو الحِسِّ والمغنى أو القدرة والحِكمة؛ لأنه لَمَّا مَاتَ عَنْ حُظُوظِهِ وَشهواتِهِ. كُفِّن بِرِداءٍ من رداء نوراني روحاني، ورداء ظلماني جسماني؛ وهو مُقيمٌ بَينَهُمَا. يُعْطِي كُلَّ ذِي حقَّ حَقَّهُ. ويُوفِي كُلَّ ذِي قسْطِ فسطه؛ لأنَّ الحق تَعَالَى جَعَلَ فيه عَيْنَيْنِ: إِحْدَاهما تَنْظُرُ للبَشْرِية والحِكْمة. وإذا نَظرت إلى البشرية أعطتها حقها من العبودية. قياماً بِرَسْم الحِكْمة. وإذا نَظرت إلى الرّوحانية، أعطتها حقها من المعبودية. قياماً بِرَسْم الحِكْمة. وإذا نَظرت إلى الرّوحانية، أعطتها حقها مِنَ الشهود والمَعْرِفَةِ. قياماً بحق القدرة. فَإِذَا أَهْمَل الْقَلْبُ النظر إلى إحدى الجهتينِ الشهود والمَعْرِفَةِ. قياماً بحق الْقدرة. فَإِذَا أَهْمَل الْقَلْبُ النظر إلى إحدى الجهتينِ كان أَعْرَ، وَإِذَا أَهْمَلهما معاً كَانَ أَعْمَى والعياذ بِاللّهِ. قال تعالى: ﴿فَإِنَهُ لَا الصّدور: ٤٤]. كُن أَعْمَى والعياذ بِاللّهِ. قال تعالى: ﴿فَإِنَهَا لَا الْعَمْرُ، وَإِذَا أَهْمَلهما معاً كَانَ أَعْمَى والعياذ بِاللّهِ. قال تعالى: ﴿فَإِنَهُمُ لَا الْقَدْرَةِ. [الصدور: ٤٤].

وقوله: بِرَمْزَيْن رقيقَيْنِ: أي بِإِشَارَتَيْن رقيقتيْن لطيفتَيْنِ؛ لاَ يَفْهَمها إلاَّ مَنْ

⁽١) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

تَلَطَّفَتْ رُوحُهُ. ورقَّت بشريته. إِذ لاَ يعرف البشرية والرَّوحانية، والقدرة والحكمة، والحسّ والمعنى، إِلاَّ مَن تَلَطَّفَتْ عَوَالِمُهُ، ورقت بشريتهُ. وفنيَت دائرة حسه وإِلاَّ فَحَسْبه الإيمان بِالْغَيْبِ، والتَّسْليم لأَرْبَابِ المعرفة. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

غَرَامِي فِي الْهَوَى قَدْ بَاحَ. . وَفَجْرِي بَعْدَ لَيْلَى لاَخ. . وَصِرْتُ لِلْوُجُود مِصْبَاخ. . شَمْسٌ بَيْن قَمَرَيْن. . وَلاَ أَذْرِي أَيْنَ أَيْنِ. .

قلت: الْغَرَامُ: هو العِشْقُ. والهوَى: ما تميل إلَيْه النَّفْسُ، وتنجذب إليه، في الحقِّ أَوْ فِي البَاطِلِ. فَأَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عشقَهُ فِي هَوَى الحبِيب قَذْ بَاحَ. أَيْ ظَهَر واشتهر. وفَجْر وصوله للمخبُوبِ، بَعْدَ لَيْل قطيعته عنْهُ قد لاَح. أَيْ طلع وانتشَر. وصار مصباح أهْل زمانِهِ. يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ والكُفْرِ ويُهْتدى بِهِ في سلوكِ البَرِّ والبَحْرِ.

وقَوْلُهُ: وشَمْس بَيْن قَمَرَيْنِ: يوجد في النسخ بالرَّفعِ. أي وَأَنَا شَمْس بَيْن قَمَرَيْنِ. ويصحّ فيه النَّصْب بالعطفِ على مصباح لأنه منصوب. ووقف عليه بالسكون، على لغَة ربيعة للوَزْنِ.

والمراد بالقَمَرَيْنِ: قمر أهْل الشريعة الظاهِرة، وقمر أهْل الحقيقة الباطنة. أُخبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه صَارَ مصباحاً للفريقَيْنِ، يقتبس من نُورِهِ أَهْل الظَّاهِر، وأَهْل الباطن كَما يقتبس القمر نوره من نور الشمس.

وقوله: لاَ أَذْرِي أَيْنَ أَيْنِي. أي لاَ أَذْرِي أَيْنَ وُجُودي وأثري لغلبة سُكْري. وهذه حالة شريفة، ومَرْتبة منيفة. ولله درّ ابن الفارض حيْث قال:

فَلاَ عَيْش فِي الدّنيا لِمَن عَاشَ صَاحِياً ومَنْ لَمْ يَمتْ سكران بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وليْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ وَلا سَهْمُ

فالسخر ضَامِنَ للصَّحْو والفَنَا ضَامِن للبقاءِ. واللَّهُ تعالى أَعْلَم. ويحتمل أَن يريد بالقَمَرَيْن: قَمَر توحيد الأفعال وقَمَر توحيد الصفات. أَوْ قَمَر أَهْل الإسلام، وقمر أَهْل الإيمان. وباللَّهِ التوفيق. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَمَعْنَى حُبِّيَ الأَتَقَى . . بِأَن أَفْنَى فيه عِشْقًا . . وَأَفْنَى فِي الْفَنَا حَقًا . . بِوُجُودٍ دُونَ فَقْدَيْنِ . . حياة فِي فَنَاءَيْنِ . . قلت : الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المُرَاد بالحبُ هُنَا هُو

النّبِي ﷺ. لِقَولِهِ عليه السلام: «أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلّهِ. وَأَنَا أَعْرَفَكُم بِهِ» (١) أَوْ كَمَا قَالَ عليه السلام، حسب ما هو في صحيح البخاري وَلا بُدّ من حَذْفِ مضاف قبل المبتدأ. ومتعلق الخَبَر قبل الخبر. والتقدير: فشهد مغنى حُبِّي الأتقى يحصل بأَن أَفْنَى فيه عشقاً، فيكون الشيخ أَخْبَر أَولاً عن جَذْبِهِ وفَنَائِهِ. بقولِهِ: وَشَمس بين قَمَريْنِ. وَأَخبر ثانياً عن صَحْوه وبَقَائِهِ. بشهودِ الواسطة، بعد شهود الموسوطِ بِقَوْلِهِ: فَمَعْنَى حُبِّي. الخ. فيكون كقول الشيخ ابن مشيش رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ في تصليته المشهورة: واجْعَل الحجاب الأغظم حيّاة روحِي. أي اجْعَل شهود الحجاب الأغظم حيّاة روحِي. بعد أن قال: شهود الحجاب الأغظم؛ وهو النّبي ﷺ سبب حياة روحِي. بعد أن قال: وأغْرقنِي في عيْن بحر الوحدة. . الخ.

وقوله: وَأَفْنَى في الفناحقاً. هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضافِ. أي وَأَفْنَى فِي ذي الفناحقاً؛ وهو الحق تَعَالَى. لأنه هو الَّذِي يسْتحق أَنْ يَفْنَى، دون غَيْره. خَافَ أَنْ يَقْنَى أَلَهُ فَنَى فِي الذَّاتِ الْعَالِية. ثم أَنْ يَقَع مَعَ الواسطة، دون شهود الموسوط. فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَنَى فِي الذَّاتِ الْعَالِية. ثم رَجعَ إلى شهودِ الواسطة. لكن على وَجْه بحيْث لا تَحْجُبه عن الموسوط؛ وهو الحق تعالى فَهُو كقول القطب ابن مشيش أَيْضاً: بتحقيق الحَق الأول أي اِجْعَل شهود الحجاب الأعظم حياة روحي مع تحقيق شهود الحق الأول؛ وهو الله تعالى.

ثم كَمَّل لهٰذَا المَعْنَى بقولِهِ: بجود دون فقدين. فهُو على حَذْف مُضافِ، والباء بِمَعْنَى مَعَ. أي مَعَ شهود وجود قديم باق دون فقد في أوَّلِهِ، وَلا فقد في آخِرهِ. بل هو واجب الْوجُودِ لاَ يتصور فقده أَوَّلاً وَلاَ آخِراً. الهُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ». فَإِذَا تَحَقَّقَ وُجُوبُ شهود وجود هذه الذَّات القديمة الباقية.

⁽۱) روى نحوه مسلم في صحيحه، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر... حديث (۱) (عدي نحوه مسلم في صحيحه، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر... حديث (١١٠٨) [٧٧٩/٢] والبيهقي في السنن الكبرى، باب وجوب القضاء على من... حديث رقم (٨٧٩٤) [٤/ ٢٣٤] ورواه غيرهما ونصه عند مسلم: اعن عمر بن أبي سلمة أنه سأل رسول الله ﷺ أيقبل الصائم فقال له رسول الله ﷺ سل هذه لأم سلمة فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك فقال يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له رسول الله ﷺ أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له».

مَعَ شهود الواسطة المحمدية. فقد حصَلَت حياة في فَنَاءين. فناء في ذَات الحق؛ وهو الموسوط. وفناء في ذاتِ الرسول ﷺ؛ وهو الواسطة؛ وهذه هي الحياة الطيبة. والعيشة الراضية. متَّعَنَا اللَّه بِهَا على أكمل حال نحن وأَحِبَّاوْنا، ومن تعلق بنا آمين. والحمد لله رب العَالمينَ. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مُنَاثِي مَنْ بِهِ هِمْتُ.. وقوتِ الرُّوحِ إِنْ مِثْ.. وَحَرْف البَيْنِ أَنْشَدَتْ.. مَتَّى يَا قُرَّة الْعَيْنِ. . أَرَى وَصْلاً بِلاَ أَيْنِ.

المُنَا: هو ما يتمنَّى الإنسَان ويقعدهُ. والبَيْن: هو الفرق وَالبُعْد أُخْبَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُنَاهُ وهَوَاه؛ هو ما هَامَتْ بِهِ رُوحُه. وانْجذب إليه سِرُّهُ؛ وهو الحق تعالى. وهو قوت الرُّوح، لمن ماتت نفسه عن شهواتها وحظوظها، فقد سُئل سهل بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن القوت فقال: هو الحيّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ. فقيل: إِنَّمَا سَأَلْنَاكَ عَنِ القِوَام فقال: القِوَامُ: هو الْعِلْمُ فقيل: سَأَلْنَاكَ عن الغذاء فقال: هو الذُّكْرُ، فقيل: سَأَلناك عن طعم الجسد. فقال: مَا لَكَ وللجَسَدِ دَعْ الذي تُولاً، أَوَّلاً يتوَلاً، آخِراً. إذا دَخَلَتْ عليه عِلَّة، رَدُّهُ إلى صَانِعِهِ. أَمَا رَأَيْتَ الصَّنعَة إِذَا عِيبَتْ رَدُّوهَا إِلَى صَانِعِهَا حَتَّى يُصْلَحُهَا هَـ. وأَنْشَدُوا:

كَمُّلْ حَقِيقَتَكَ التي لَمْ تَكْمُلْ والجِسْمُ دَعْهُ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلْ أتُكَمِّلُ الفَانِي وَتَشْرُكَ بَاقِياً فالجسم والنفس النفيسة آية يَفْنَى وَتَبْقَى دَائِماً فِي غَيْظَةٍ أغطيت جشمك خادما فخدمته شِرْكُ كُنْتُ أَنْتَ فِي حِبَالِهِ مَنْ يَسْتطيعُ بُلُوعُ أَعْلَى مَنْزل هـ. وقال آخر:

وتَطْلُبُ الرَّبْعَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لا بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

هَمَلاً وَأَنْتَ بِأَمْرِهِ لَمْ تَحْفُلْ

مَالَمْ تَحَصَّلُه فِيهَالَمْ يَحْصُلُ

أَوْ شَـفَـوَةِ وَنَـدَامَـة لاَ تَـنْـجَـلُ

أَتُمَلُّكُ المَفضول رقّ الْأَفْضَل

مَا دَامَ يُمْكِنُكَ الْخَلاَصُ فَعَجُلْ

مَالَهُ يَرْضَى بِأَذْنَى مسنزل

يا خَدِيمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ عَلَيْكَ بِالنَّفْسِ فَاسْتَكْمِلْ فَضِيلَتَهَا

والمراد بالنَّفْس الرُّوحُ؛ لأنَّهُمَا شَيْءٌ واحدٌ. وإنما تفترق التسمية، باغتبار

التَّصْفية. فالروحُ هي المُنَعَّمة فِي عَالَمِ البَرزَخِ وَمَا بَعْدَهُ. أَوْ مُعَذَّبَة عَلَى مَا سَبَقَ لَهَا. وللغَزَّالِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قصيدة وُجدت تَحْت عَمَامته بعد مَوْتِه. وقيل لغَيْرِه: قال فيها:

فَبَكُونِي وَرَثُونِي حَزناً قُسلُ لإخسوَانِ دَأَوْنِسي مَسنِسسًا أنىظ خُونَ بِأَنْسِ مَنِيتُ كُن لَيْسَ ذٰلِكَ الْمَيْتُ واللَّه أَنَا أنَّا فِي الصَّورِ وَلَمْ ذَا جَسَدِي كَانَ لَبْسِي وَقَمِيصِي زَمَناً أَنَّنا كَنُذُ وَحِجَنابٌ طَلْسَمٌ أنَا ذُرُّ قَدْ حَرَانِي صَدْف أنَسا عُسفُ ودٌ وَلهٰ ذَا قَسفَ صِسى فَأَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَنِي كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْم مَيْسًا بَيْنكُمْ فأنبا البيزم أنباجي مسلكأ عَـاكِـفاً فِي الـلُّـوْحِ أَقْـرَأُ وأَدَى وَطَسعَسامِسي وشَسرَابِسي وَاحِدٌ كَيْسَ خَمْراً سَالُغَا وَعَسَلاً هُـوَ مَـشُـرُوبُ دَسُـولِ الـكُـهِ إِذْ انتهى المراد مِنْهَا:

مِنْ تُرَابِ قَدْ تَهَيُّ أَلِلْفَنَا طِرْتُ عَنْهُ فَنَخَلَّى وَهَنَا كَانَ سِجْنِي فَأَلِفْتُ السِّجْنَا وَبَئَى لِي فِي الْمَعَالِي وَطَناً فَحَيِيتُ وَخَلَعْتُ الْكَفَنَا وَأَدَى السحدُّ جِهَاداً عَـلَـناً كُــلُّـمَـا كَــانَ أَوْ يَــأَتِـي أَوْ دئــا وَهُ وَ رَمُزُ فَالْهُ مُ وهُ حَسَناً لأولأمساء وليحن لبنا كانَ سِرُ فِطرَةِ فَاطَرْنَا

وَقُولُه: وَحَرْفُ البَّيْنِ أَنْشَدَت: حَرْفُ البِّيْنِ هُو يَاءُ النَّدَاء. لأَنَّه يُنَادِي بِهَا البعيد. وَأَمَّا مَنْ كَانَ حَاضِراً، فَلاَ يحتاج إلى نِدَاء. وإنَّما استعملتْ فِي حَقَّهِ تعالى، مَعَ كَوْنِهِ قَرِيباً مِنَ الدَّاعِي تَنْزيلاً للدَّاعِي مَنْزِلة البَعيد. تحقيراً لشأنِ النَّفْس وخِستها. وَأُمَّا مَنْ غَلَبَ عليه الحُضُورُ والقُرْبِ فَلاَ يحتاج إلى نِدَاءٍ؛ وَلْهَذَا الْحَرْفِ الَّذِي أَنْشَدَه الشيخ، هو قَوْلُهُ: مَتَى يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ الخ. أي يَا قُرَّةَ عَيْنِي، مَتَى أَرَى وَضلاً متأبداً. لا يصحبه بَيْنٌ وَلاَ فَرْقٌ. ومُرَادهُ واللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَخْصُل بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَجَنَة نَعِيم؛ وهو الشهود الدَّاثم. والنَّعِيم المُقِيمُ. فَهُو كَقُولِ الشُّيْخِ ابن مشيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُخَاطِباً لروحِهِ

عَلَى اقتبَاس أَهُل الإِشَارةِ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْمَاكَ لَرَّدُكَ إِنَى مَعَادُ ﴾. [القصص: ٨٥] ويَختملُ أَن يُريد بِحَرْفِ البَيْنِ، مَا أَنشَده في القصيدة كلها مِنَ التَعْزَلاَتِ والإِشَارَاتِ بِهَا تَدَلْ على البَيْن والْبُغدِ. قال في الجكم: "ما العارف: مَن إِذَا أَشَار وجد الحق أقرب إليه من إشارته. بل العارف مَنْ لا إِشَارَة لَهُ، لفَنَايْهِ فِي شهودِهِ. وانطِوَائِهِ في وُجُودِهِ الله من إشارته. بل العارف حين حَصَلَ لَهُمُ الْوُصُول. فَنَوْا عَن رُوْيَةٍ وُجُودِهِمْ، في وُجُودِ مَخبُوبِهِمْ. فَلاَ مُشير غير المشار إلَيْهِ قَدِ اتَّحَد الوجود، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ المَلِك المَعْبُود؛ وَهُذَا هُو وُجُودِي، وَلاَ شهود نَفْسِي. وقد حقّق الله له ذَلِكَ بِلاَ مَيْنِ. كَمَا يَشْهَد بِذَلِكَ كَلامُهُ فِي قَصَائِدِه وَأَزْجَالِهِ. إِذَ الكَلاَم صِفة المتكلم. وَمَا فيكَ، ظَهَرَ على كلامُهُ فِي قَصَائِدِه وَأَزْجَالِهِ. إِذ الكَلاَم صِفة المتكلم. وَمَا فيكَ، ظَهَرَ على كلامُهُ فِي قَصَائِدِه وَأَزْجَالِهِ. إِذ الكَلاَم صِفة المتكلم. وَمَا فيكَ، ظَهَرَ على كلامُهُ فِي قَصَائِدِه وَأَزْجَالِهِ. إِذ الكَلاَم صِفة المتكلم. وَمَا فيكَ، ظَهَرَ على فيكَ. وكُل إِنَاء بِالَّذِي فيه يَرْشَحُ. فَاللهُ تعالى يَمْنحنا وأحباءنا مَا منحتهم بِهِ، أَوْ فيكَ. ومِنْهِ وَكَرَمِهِ. وبسيّدنا محمد نبيه وحبيبِهِ صَلَى الله عليه وسلم وعلى آلِه وصحبه.

وَهٰذَا آخِر التقييد المُبَارِك بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. وتوفِيقه وحسن عَوْنهِ. كَسَاه الله جُلْبَابِ القبول. وَبَلَغ بِه القَصْد والمأمول آمين. والحمد لله رب العالمين. ورافق الفراغ من تبييضِهِ زوال يَوْم الخميس أواسط صَفَر. عام أربعة عشر، وماثتَيْن وأَلْف في ثَغْر وادي اللّيَان. عَمَّرَه اللّه بأهل الإحسان آمين. سُبْحَان ربك رب العِزَّةِ عَمًا يَصفُونَ. وسَلاَم على المُرْسلينَ، والحمد لله رب العالمين.

شَرْحُ الأبْيَاتِ الثَّلاَثَةِ لأَبِي الْقُاسِمِ الْجُنَيْدِ لأَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ

لسيدي أحمد بن عجيبة رضى الله عنه

ضبطها وصححها وعلق عليها الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بنسيد ألله التخني التحسير

وصلى الله على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبه

الحمد لله وحده. وصلى الله على سيَّدنا محمد وآلِهِ وصحبه وسلم تسليماً إلى أُخِينًا الفقيه الأَجَلِّ السيِّد على بن عبد الرحمٰن. أَصْلَحَكَ الله ورعَاكَ. وَأَعَانَكَ عَلَى الدِّينِ والدُّنيا. سلامُ الله تعالى عليك وبركاتهُ. وبعد فقد وَرَدَ عَليْنَا كتابك ومسطورك. وتَأَمَّلْناهُ، فظهر لنا أنك تريد الجواب عن مشألة الأبيات الثلاثة المنسوبة لشيخ الطريقة، وإمام الصوفية، ومُحيي الحقيقة، الشيخ: أَبُو القاسم الجُنيد، نفعنا الله ببركاته آمين:

تَوَضَأُ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٌ وَإِلاَّ تَيَمُّمْ بِالصَّمِيدِ أَوِ الصَّخْرِ وَقَدُّمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ وَصَلَّ صَلاَّةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ

فَهَذِ صَلاةً الْعَادِفِينَ بِرَبِّهِمْ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَح الْبَرِّ بِالْبَحْرِ

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الأَخِ: أَنَّ كَلاَمَ الأولياء العارفينَ، والعلماء العالمينَ، الَّذِي ليس بمنقول عَمَّنْ تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا تكلموا به من قريحة أنفسهم. فيكون منطوياً على أَسْرَارِ مصونة، وجواهر مكنونة، لا يكشفها إلاَّ هُمْ. وَلاَ تَتبيَّن حقائقها إلاًّ بالتَلَقِّي عَنْهُمْ. ومثل هذا يسأل عنه الأولياء العَارفُونَ. وَأَمَّا أَنَا بمعزلِ عن لهذَا. وبعيد لكثرةِ جَهْلِي، ومخالفة رَبِّي، وكثرة زلَّتِي، وعَمَى بصيرتِي. ونقصان عَقْلِي. لكن لمَّا أَتَانِي كِتَابِكَ. استَحيَيْتُ أَن أَهْمِلَهُ. ولم أَجِبْهُ؛ لأَنَّ الكتابَ يَنُوبُ عَلَى صَاحِبِهِ. وَأَجِيبُ عَلَى قَدْرِ مَا مَنَحَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ وجودِهِ وَكَرَمِهِ. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وله الشكر.

على قَدْرِ فَهْمِنَا كَلاَمَ المُتَقدِّمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. فَاعْلَمْ أَيها الأَحْ بِأَنَّ الطُّهَارة طُهَارَتَانِ: طهارة حسية، وطهارة معنوية. فالطهارة الحسية، صغرى وكبرى، كما هي مَعْلومة والْطَهَارة المعنوية طهارتان: ظاهرية وباطنية. فالطهارة الظاهرة، طهارة الجوارح من المعاصي والباطنة، طهارة القلْب من الأذناس والأغيّار ومِنْ مخالفة الدَّيَان الملك الجبَّار. وَأَن يمتثل الإنسَان بجميع جوارِحِه ما أَمَرَه به الواحد القَهَّار فجمع المصنف رحمه اللَّهُ تعالى في هذه الأبيات: الطهارة المَعْنوية كلها، وعلوم الصوفية. والحقيقة والشريعة.

فَقُولُهُ: «تَوَضَّأُ بِمَاءِ الْغنبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرَ» أي تَطَهَّرُ للذَّولِ فِي الْحضرةِ الرَّبَانِية الإلَهِية؛ أَيْ تطهَّرُ مِنَ المعاصي بالتوبة والتَّجريد من الأغْيَار والنَّدَمَ على الرَّبَانِية الإلَهِية؛ أَيْ تطهَّرُ مِنَ المعاصي بالتوبة والتَّجريد من الأغْيَار والنَّدَمَ على ما فاتَ مِن عُمرِكَ، وكثرة الاستغفار، والنية، وصحَّة اليقين. كما لاَ تَدْخل في الصَّلاة إِلاَّ بِالطَّهَارة الحسية. فَكَذْلِكَ إِذَا أُردتُ أَن تدخل في حضرة اللَّهِ تعالَى والتقرب إليه. فتطهَّرْ وتوضَّأ بماءِ الْغَيْبِ. أي اليقين الَّذِي لاَ شَكَّ فِيهِ، وَلاَ شَكَّ مَعَهُ. والنية، والصدق، والإخلاصِ. ودليل ماء الغَيْب هو اليقين والله أَعْلَمُ.

فقوله تعالى: ﴿ الْمَ الْمَ الْمَ الْمَ الْكِنْابُ لَا رَبَّ فِيهُ هُدُى لِلْمُنَقِينَ ﴾ النين بُوْمِنُونَ بِالْفَيْبِ وَيُقِيمُونَ الْعَبَلُوهَ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُفِقُونَ ﴾ [البينية وَيُقِينُ السينية ويؤمِنُونَ بِالْفَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] أي يُؤمِنُونَ بقلوبهم، ويؤمِنُونَ بِالآخِرة؛ لأنَّ الآخِرة غَيْبُ. وَلاَ يُؤمِنُ بالآخِرة إلاَّ الموقنونَ. فَلِلْلِكَ قال الشيخ: تَوضَّا بِمَاءِ الْفَيْبِ؛ الَّذِي هُوَ اليقين، وفَسَره الله تعالى: ﴿ اللَّيْنَ يُوْمِنُونَ اللَّهِ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَلْ هُدَى مِن الْفَيْدِ؛ وَالْفَيْدِ؛ وَالْفَيْدِ وَالْفَيْدِ وَالْفَيْدِ وَالْفَيْدُ وَالْفَيْدُ وَالْفَيْدُ وَالْفَلْدُ وَالْفَيْدِ وَالْفَلْدُ وَالْفَيْدِ وَالْفَلْدُ وَمَرْيَة هُذَا الْوُضُوء، وأَيُ مَزِية أَعْلَى اللَّهُ لَهُ بِالهدَى والفَلاح.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٌ اللهِ إِنْ كُنْتَ صَاحِب سِرٌ . والسَّرُ هُوَ لاَ إِلَهُ إِلاَّ اللهُ اللهُ النَّهُ السَّرط ، انتفَى المَسْروط . الله اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ هُو سِرّ الأسرار . وَأَصْل جميع أَعْمَال الأَخْيَار الأَنَّا لَوْ وَقُوله : لاَ إِله إِلاَّ اللهُ . هو سِرّ الأسرار . وَأَصْل جميع أَعْمَال الأَخْيَار الأَنَّا لَوْ فَرَضْنَا أَنْ أَحُداً يعمل الأعمال الصالحات كلها المن صَلاَةِ ، وصيام ، وقِراءة ، وَيَأْتِي بوجوه العباداتِ كلها ، واسْتَكْبَرَ عَنْ قولِ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ أَوْ نطق بها ولم يَعْرف مَعْنَاها ، بل نطق بِهَا خاصَّة ، فلا ينفعه عملٌ مِنَ الأعمال كلِّهَا . وإن هذه يَعْرف مَعْنَاها ، بل نطق بِهَا خاصَّة ، فلا ينفعه عملٌ مِنَ الأعمال كلِّهَا . وإن هذه

الكلمة الطيبة المُبَارَكَة ؛ هِيَ أَصْل الأسرار الربانية . والمواهب الإلهية ؛ وبها يستحق المُؤمن رضاء ربّ العالمين . ووجه المناسبة بينها . وبين الوضوء المَذكور . حتى جعلها شرطاً فِي صحَّة ذلك ؛ لأنَّ الكُفْر نجس . لقوله تعالى : (يَتَأَيُّهُا اللَّيْنَ المُنْوَا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسُ ﴾ [النوبة: ٢٨] . الآية . وبقول لا إِله إلا الله المذكورة ، يَظْهَرُ ذٰلِكَ النَّجْسُ مِن حينِهِ . ويصير من نَفْسِ قَوْلِهَا واعتقادها وليّا لله تعالى . والله ولي المُؤمنين . فَهٰذَا مُرَاد النَّاظم بقوله : «إِن كُنتَ وَاعتقادها وليّا لله تعالى أَعْلَمُ ؛ لأنَّ هذه الكلمة يَدْخل تحتها جميع الأسرار الربانية . واتفقوا على أنَّ ذِكرها مفتاح الولاية الكُبْرى . فَأَيُّ سِرَّ أَعْظَم مِن هٰذَا السَّر .

وقولُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ وَإِلاَ تَيَمَّمُ بِالصَّعِيدِ أَوِ الصَّخْرِ ؛ أَيْ إِذَا عدمت ماء الغَيْب؛ وهو اليقين. وكنت من أَصْحَابِ السِّرِ. فتيمَّمْ بِالصَّعِيدِ أَوْ بِالصَّخْرِ؛ لأَنْكَ لاَ تَدْخل الْحَضْرة حضرة اللَّه تعالى، إِلاَّ بِالطَّهارة الْمَعْنُوية. كما لا تَذْخل للصلاة إِلاَّ بِالْوُضُوءِ، أَوْ بِالتَّيَمُّم إِنْ عُدِمَ الْمَاءُ كَمَا هُوَ المقرَّر.

ومراده بِالصّعيد هُنَا: مخالطة الأولياء العارفين. والعلماء العاملين، أهل اليقين. لأنَّ الطباع تشرق الطباع. فتقتدي بِأَهْلِ اليَقِين. وتهتدي بِهِم، حتى تكون من أهل اليقين؛ ولذلك اتَفْقَ أهلُ هٰذَا الطَّرِيقِ عَلَىٰ أَنَّ الشيخ لا بُدَّ مِنْهُ. قال الشيخ أبو القاسم الخليل: «مَنْ لاَ شَيْخَ لهُ فالشيطان شيخُهُ، وقال: ومخالطة الأخيار محبَّتهُمْ مِن أعْمَال الْخَيْرِ وإِن كَانَ جنباً. لقولهم: إِن لم تكُنْ منهم، فَعَلَيْكَ بمحبَّتهم؛ لأنك بحبك إليهم تَصِلُ إليهم. ولقوله عَيْم: «مَنْ أحَبُ قَوْماً حُشِرَ مَعَهُمْ» (١) وقال بَعْضُهُمْ: «مَنْ فاتته درجة الولاية والصَّلاَح، فعليه بمحبّة أهلِها؛ لأنَّ محبّتهم ولاَية». ومن أحَبُ أهل الخير، وَإِن كَانَ جُنباً، فَلاَ بُدُ أَنْ يَتَطَهَّرَ بمخالطتهم فهذا مُراد الناظم بالتيمم بالصّعيدِ. والمراد بالجنابة: الجنابة المغنوية؛ وهي الغفلة عن طَاعَةِ اللَّهِ. والأنهِمَاك فِي معاصي اللَّهِ؛ والإصرار عليْهَا فيجبُ على العَبْدِ أَن يتطَهَّرَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وسوء فِعْلِهِ، بتوبته، ورجوعِهِ إلى رَبِّهِ، ووقوفه عند أَمْرِ اللَّهِ ونَهْيِهِ واتّبَاع شُنَّة رسول الله عَلْهِ، إن كان كان

⁽١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الهجرة، حديث رقم (٣٥٥٣) [٢/ ٢٢٩٠

عارفاً بذلك وكثرة اليقين. والتصديق، والنية والإخلاص. وإِن كَانَ جاهِلاً بذلك، وغلبه الأمْرُ فَعَليه بمخالطة الأُخْيَارِ العارفين، وأَهْل اليقين. نسأل الله التوفيق لنَا ولكُمْ:

وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَأُو بالصخر». أي أَنْكَ إِذَا لم تَجِدْ مَاءَ الغَيْبِ الذي يَرْفَعُ الحدث الأَخْبَر؛ وهي الغفلة، فَلاَ غِنَى لَكَ عَنِ التيمم بِالتُرَابِ؛ وهي مخالطة الأولياء العارفينَ والعلماءِ العاملينَ. لأَنُ التراب ينبت فيه كل نباتِ. فكذٰلِكَ الأولياء العارفونَ كَلاَمُهُم حِكمة، ينبت في القلوب شيئاً فشيئاً. والانتفاع بِهِمْ حَاصِلٌ. نَفَعَنَا اللهم بِهِمْ. فَإِنْ لَمْ تطلع عليهم لأَنَهُمْ عَرَائس، والعرائس لاَ يَرَاهُمْ إِلاَّ مَحْرَم مِنْهُمْ فعليك بمخالطة علماء السُّوءِ والمنتسبين والمدَّعِينَ؛ لأنك رُبُّما تَسْمَعُ كلمة تَنْتَفعُ بِهَا مِن نِيتكَ وصِدْقِكَ؛ لأَن من اعتقد الخير في صَخْرَةِ لأَن مِنها. وَمُرَادُ النَّاظم بالصَّخْرِ: الحجر لكونه لا ينبت فيه نبات في غالِب الأحيان، وربما ينبتُ في بَعْض بِكثرةِ الأمطارِ. أَوْ بكثرة مُرُور الماءِ عليهِ. الأَخيانِ، وربما ينبتُ في بَعْض بِكثرةِ الأمطارِ. أَوْ بكثرة مُرُور الماءِ عليهِ. فكذلك علماء السوء، والمنتسبُونَ، لا يُنتفع بِهم في غالب الأحوال، لكن إِذَا فكذلك علماء السوء، والمنتسبُونَ، لا يُنتفع بِهمْ أَيْ بِأَقْوَالهم: وَلأَنْ مَن تشبه بِقَوْمٍ فَهُو مَنْهُمْ. ولذلك أُمر بالإنصات للوُرَاقِ، والخطيب. وقراءة كتب أَهل التصوفِ؛ مَنْهُمْ. ولذلك أُمر بالإنصات للوُرَاقِ، والخطيب. وقراءة كتب أَهل التصوفِ؛ لأَنه ربما يَسْمع كلمة فيتعِظُ بِها. قال الشيْخ زروق رحمَهُ الله تعالى في صَدْر شرجه على المباحثِ الأصلية، قال:

تَشَاجَرَ الحق والباطلُ، فَعَلَبَهُ الباطِلُ فقتلهُ. فخافَ أَنْ يطلبَ بِهِ، فَأَخْرَقَهُ. فجاء أَهْلُهُ وَفَرٌ مِنْهُمُ الْبَاطِلُ. وجمعوا رماد الحق وَجَعَلُوهُ في المَحَابِرِ وكَتَبُوا بِهِ الكتب. فَمَن أَرَادَ الحق في زمانِنَا هَذَا فَلاَ يَجده إِلاَّ في الكتب. فهذا مُرَادُ الناظم بالصَّخْرِ لِكَوْنِهِمْ يَسْمَعُ مِنْهُمْ مَا كَانَ موافقاً، ويترك فِعْلُهُمْ لَمَا قيل: «إِجْنِ النَّاظم بالصَّخْرِ لِكَوْنِهِمْ يَسْمَعُ مِنْهُمْ مَا كَانَ موافقاً، ويترك فِعْلُهُمْ لَمَا قيل: «إِجْنِ الثَّمَارَ وخَلُ العود لِلنَّارِ». ولذَٰلِكَ قِيل وربّما يسمع كلمةً، ينتفع بها سَامِعُهَا ويُحْرَمُ مِنهَا قَائِلُهَا. والله الموفق بِمَنّهِ للصواب.

وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَقَلَمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُۥ فَالْإِمَامُ هُو المتبوع، والمأموم هُو التَّابِعُ، والمراد به هُنَا. هُو النبيُ ﷺ. فيجبُ على الإنسان أن يتبعَهُ، ويُقدّمهُ، ويتخذه إِماماً. بإتباع الكتابِ والسَّنَّةِ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن

كُنتُر تُجِبُونَ اللَّهَ فَاتَبِعُونِ يُعْبِبَكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُرْ ذُنُوبَكُرُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيتُ ۞ . [آل عمران: ٣١] فهو إِمَامٌ بِاتباعه لَهُ.

وقوله: الْكُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ ، فَإِنَّ الإنْسَان لمَّا كَان مُرْتَكِباً لِلْمَعَاصِي، والكبّائيرِ، قبل التُّوبة في حال المُؤمِنِ الْعَاصِي. أَوْ حَالِ الكَّافِرِ، أَوْ المشركِ؛ لِمَنْ كَانَ كَافِراً قبل أَن يُسْلِمَ وهو يَفِرُ مِنَ التَّوْبَةِ، والإسلام. وَدَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَتْبَعُهُ. حتى عمَّتِ الآفَاق كُلُّهَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَى هٰذَا الْمتبُوعُ هُوَ الكَافِرِ، حنِث فَرَّ مِنَ الحقِّ لِلْبَاطِلِ. فَالْمَتْبُوعُ: إِماماً. والتابع المأمُومُ؛ وهو التّابعُ لَهُ؛ وهُو رسول الله على قضى حياته بالمعجزاتِ والْبَرَاهين، والحجة، والأمر والنَّهْي، والنَّذر والوعظِ، والقتال وهم فارُّونَ مِنْهُ؛ وهم يتبعهم؛ حرصاً على هِدَايَتِهِمْ حَتَّى هَدَاهُمُ اللَّه لِلإِسْلاَم، فَأُمِرُوا باتباعِهِ. فحينَ كَانُوا مَثْبُوعِين لَهُ كَانُوا أَيْمُةً لَهُ. لَكُوْنِ المتبوع كله إِماماً لتابِعِهِ. والآن أَمَرَهُمُ الشُّرْعُ العزيز بأَنْ يَتَبَعُوا النبيِّ ﷺ. فصارَ إِمَامَهُمْ باتباعهم لَهُ. وكذلكَ عصاة المُؤْمِنينَ لَمْ يزالوا هَارِبِينَ من سُنَّة رسول الله على وطاعته. والأولياء يتبعونهم بالمواعظ، من الكتابِ والسُّنَّة. ويأمرونهم بالمعروف. ويَنهونَهُمْ عَنِ المُنْكَرِ. وكذلكَ العلماء. ولم يَزَلُّ كتاب الله تعالى يُخَاطِبهُمْ وسُنَّة رسول الله ﷺ: اللي أَنِ اسْتَيقظُوا من نَوْم الغَفْلَةِ، وسكرة الأهواء. وبادروا إلى التُّوبة، بالرجوع إلى اللَّهِ، على قَدْر صِدْقهم فيعزلونَ نفوسهُمْ مِنْ هذه التبعية. ويكونون تابعينَ للكتاب والسُّنَّةِ والعلماء، فِكَانُوا قَبْلُ التَّوْبَةُ مَتْبُوعِينَ، والمُتَبُوعِ إِمَاماً لِمَنْ تَبِعَهُ كَمَا تَقَدَّمَ، والآنَ حين تَابُوا أَمِرُوا بالكتاب والسُّنة والعلماء، والأولياءُ الَّذِينَ كانُوا تَابِعِينَ لَهُمْ، صَارُوا مَأْمُومينَ لِمَنْ كَانَ إِمَاماً لَهُمْ. وهذا مراد النَّاظم بقولِهِ: ﴿وَقَدُمْ إِماماً كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ ٤. والله تعالى أُعْلَمُ.

وقوله: ﴿وَصَلَّ صَلاَةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّكِ الْعَصْرِ ﴾. أي مراده واللَّهُ أَعْلَمُ الْفَجْرِ: الطَّاعة فِي حَالَةِ الْشَبَابِ، والْعَصْر آخر العمر.

وَلَمَّا كَانَ حَالَ كُلِّ مُسْلَم، وأوان موته مجهولاً، لا يعلم كل أَحَد بموتِهِ. أي يوم أو أي ساعة. والنَّاس مُخْتَلِفُونَ. فمنهم مَنْ يَمُوتُ صغيراً، ومِنْهم من يَمُوتُ صَارَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَمُوتُ صَارَ كُلُّ إِنْسَانٍ

صغيراً كَان أَوْ كبيراً فِي عَصْرِ يَوْمِهِ. أَي آخِر عُمُرهِ. وَيُصَلِّي صلاة الفجر في حالة شبابِهِ. بأن يطيع اللَّه تَعَالَى، ويتوب فِي أَوَّلِ عَصْرِهِ، أَي فِي أُول عُمرهِ؛ لأَنَّ صلاة الفَجْرِ فِي كَلاَم النَّاظِم: الطاعةُ والتوبة، والنَّدَمُ، والرَّجوع إلى الله تعالى في حالة الشبابِ، وهو أَوَّلُ العَصْرِ أي أول العُمُر؛ لأَنَّ عَصْرَ النَّهَار هو آخِرُهُ. وكل سَاعة من الساعات على الإنسان؛ فَهي آخر عمرهِ لاَ يَدْري هَلْ يَفُوتها أَمْ لاَ. فهذا مُرَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ. والله أعْلَمُ؛ لأَنَّ الإنسان إِذَا أَصْبَح، فَلاَ يُحدُّث نفسه بالصَّبَاح.

وقوله: "فَهٰذَا صَلاَةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ"؛ لأَنَ العارفين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، مهما تَفَكَّرُوا أَوْ تَيقظوا مِن الْعَقْلَةِ، رَجعُوا إلى اللَّهِ. وتابُوا تَوْيَةٌ نَصُوحاً. خَوْفا أَنْ يُدْركهُمُ المَوْتَ قَبْلَ الفَوْتِ. ويندمُونَ على ما فَاتَ من عُمُرِهِمْ. فهذه حالة أكابِر الأولياءِ والصالحين؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يكونُوا مُوَقَيْنَ في حال شَبَابِهِمْ. بل كانُوا عُصَاةً مُذْنِبينَ. فَلَمًا كَانُوا في آخِرِ عُمُرهم. تَدَاركهُمُ الله بِعَفْوِهِ ومغفرتِهِ. فكانَ أَوَّلَ عَصْرِهِمْ، وَصَلاَةً فَجْرِهِمْ فَتَابُوا فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، ورجعُوا إلى اللَّه تبارك وتَعَالَى عَصْرِهِمْ، وَصَلاَةً فَجْرِهِمْ فَتَابُوا فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، ورجعُوا إلى اللَّه تبارك وتَعَالَى وفتح اللَّهُ عليهم. وبلَّغَهُمْ حَضْرَة قدسِهِ في الحينِ، بفضلِهِ وإِحْسَانِهِ. كالفضيل بن عياض، رَضِيَ اللَّهُ عِنْهُ حَضْرَة قدسِهِ في الحينِ، بفضلِهِ وإِحْسَانِهِ. كالفضيل بن عياض، رَضِيَ اللَّهُ عِنْهُ . وأكابرهم منهم. بل جُلَّهم نفعنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ فكان الوقت الذي تفكّروا فيه، هو صلاة فَجْرِهِمْ وأَوَّل عصرهم. وإنْ لم يكونُوا في الوقت الذي تفكّروا فيه، هو صلاة فَجْرِهِمْ وأَوَّل عصرهم. وإنْ لم يكونُوا في الوقت الذي تفكّروا فيه، هو حالة الكهولة أو الشيخوخة. ومنهم نفعنا الله ببركاتِهِمْ، كَانَ مُوافِقاً في حال الصُغَرِ، كمعروف الكَرَخي، والشيخ الجيلاني، ببركاتِهِمْ، كَانَ مُوافِقاً في حال الصُغَرِ، كمعروف الكَرَخي، والشيخ الجيلاني، والشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، وأمثالهم، فقليلُونَ، نَفَعَنَا الله ببركاتهم. والله الموفق بمَنْهِ.

وقوله: «فَإِنْ كَنْتَ مِنْهُمْ فَانْضَحِ الْبَرَّ بِالْبَحْرِ». النَّضْحُ: هُوَ الرَّشُّ بِالْيَدِ تقول: نَضَحْتُ الشِّيْءَ إِذَا رشَّيْته بِالْمَاءِ. والبَرْ: الشريعة، والبَحْر: المراد بِهِ الحقيقة. أي كُنْ ملتبساً بالشريعة. مُلاَزماً للحقيقة.

الشريعة هي أَنْ تَعْبُدَهُ؛ وهي أَمْرٌ وَنَهْيٌ. والحقيقة أَنْ تُشَاهِدهُ: وهي قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، فيجب عليكَ أَنْ تَقِفَ مَعَ الشريعة في حالِ الأَمْرِ والنَّهْي. وَلاَ تخرج عن

الحقيقة، في حال القضاءِ والقدّر. ودُمْ على ذلك إلى أَنْ يَحين المَمَات.

الْقُشَيْري: الشريعة: مُلاَزمة العبودية. والحقيقة: مُشاهدة الرّبوبية. فكل شريعة غَيْر مقيَّدة بالشريعة؛ فهي غيْر محمودة. وهذا مُرَاد النَّاظِمِ بِقَولِهِ: «فَانْضَحِ البَرَّ بالْبَحْرِ». أي انْضَح الشريعة بالحقيقة. أي إخمَع بيْنَهُمَا.

قَالَ الشَّيْخِ الشُّرِيشي:

وللشَّيْخ آيَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ فَمَا هُوَ إِلاَّ فِي لَيَالِي الْهَوَى يَسْرِي إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمُ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ وَلاَ بَاطِنٍ فَاضْرِبْ بِهِ لُجَجَ الْبَحْرِ

فَعِلْمُ الشريعة هو عِلْمُ الظَّاهِرِ. قال الشيخُ: علمٌ لَدَيْه بظاهِر. وعلم الحقيقة: هو علم الْبَاطِنِ الَّذِي قال الشيْخ: وَلاَ بَاطِنِ إِلاَّ أَن علم الشريعة محصور في خَمْسَة أقسام على ما قال المطرفي. وعلى ما قال ابن السبكي بستة بزيادة الأولى. وعلم الحقيقة مواهب لاَ تُحْصَى. وَهٰذَا مَا حَضَرَ لاَّخِيكم في الله في هذا الجواب.

وأمًّا هذه الأبيات، فقد اختوت على كثير مِنَ الْعُلُومِ لَوْ جَعَلْنَا عليها المُجَلَّدات، والدُّواوين والأسفار، ما احتوت على أَحَدِهَا بكونه كلام منور، صدر من شيخ كامل جليل. فكيف لعاجِزٍ مِثْلِي تحومُه وكيف لِنَاقص بِطَاعَةِ مِثْلِي يَتَسوَّقَ سُوقه. فنسأل الله تعالى أَنْ يَمُنَّ علينا بفتح بصيرتنا، وأَن يتجاوَزَ عَيْن سيئاتنا بجاه سيدنا محمد المصطفى عَنْ سيئاتنا بجاه سيدنا محمد المصطفى عَنْ سيئاتنا بجاه سيدنا محمد المصطفى عَنْ سيئاتنا بجاه سيدنا محمد المصطفى

اللُّهم صَلَّ على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبه وسلَّم تَسْليماً.

فهرس المحتويات

٣	تقديـم
٧	ترجمة الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني
11	شرح خمرية ابن الفارض رضي الله عنه
	شرح نونية الإمام الششتري رضي الله عنه
131	شرح صلاة القطب ابن مشيش رضي الله عنه
۱۸۱	شرح قصيدة يا من تعاظم للإمام الرَّفَاعِي
111	مِعْرَاجُ التَّسُوُّفِ إلى حَقَائِق التَّصَوُّف
Y07	شرح صلاة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي رضي الله عنه
	سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر
790	شرح بعض مقتطفات الشيخ علي الششتري
۴۱۹	شَرْحُ الأَبْيَاتِ النَّلاَئَةِ لأَبِي أَلْقَاسِم الْجُنَيْدِ